مرکز القائمیه اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

جامع السعادات

تأليف

العلامة النراقي

جلد ٣

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

جامع السعادات

كاتب:

ملا محمد مهدی نراقی

نشرت فی الطباعة:

اعلمی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ---- ۵
جامع السعادات المجلد ۳ ---- ۱۵
اشاره ---- ۱۵
اشاره ---- ۱۵
تتمه الباب الثالث ---- ۱۷
اشاره ---- ۱۷
اشاره ---- ۱۷
و منها ---- ۱۷
اشاره ---- ۱۷
فصل (ذم الغرور) ---- ۱۸
فصل (طوائف المغرورين) ---- ۱۹
اشاره ---- ۱۹
الطائفه الأولى (الكفار) ---- ۲۰
الطائفه الثانيه (العصاه و الفساق من المؤمنين) ---- ۲۵
الطائفه الثالثه أهل العلم ---- ۳۰
الطائفه الرابعه (الوعاظ) ---- ۳۵
وصل (أهل العباده و العمل) ---- ۳۸
الطائفه السادسه (المتصوفه) ---- ۴۰
الطائفه السابعه (الأغنياء و أرباب الأموال) ---- ۴۵
وصل (ضد الغرور الفطانه و العلم و الزهد) ---- ۴۶
اشاره ---- ۴۶
و منها: ---- ۴۷
اشاره ---- ۴۷
فصل (علاج طول الأمل) ---- ۴۹

اشاره ----- ۴۹
وصل (قصر الأمل) ----- ۵۰
فصل (اختلاف الناس فی طول الأمل) ----- ۵۱
فصل (ذکر الموت مقصر للامل) ----- ۵۳
فصل (العجب ممن ینسی الموت) ----- ۵۵
فصل (الموت أعظم الدواهی) ----- ۵۶
فصل (مراتب الناس فی ذکر الموت) ----- ۵۸
تتمیم (المبادره إلی الحسنات) ----- ۵۹
اشاره ----- ۵۹
و منها: ----- ۶۰
اشاره ----- ۶۰
و منها: ----- ۶۰
اشاره ----- ۶۰
و منها: ----- ۶۱
اشاره ----- ۶۱
وصل (التوبه و تعریفها) ----- ۶۴
اشاره ----- ۶۴
تتمه (هل یشترط فی التوبه القدره علی الذنب السابق؟) ----- ۶۷
فصل (وجوب التوبه) ----- ۶۹
تذنیب (تحقیق فی وجوب التوبه) ----- ۷۱
فصل (عموم وجوب التوبه) ----- ۷۴
تذنیب ----- ۷۶
فصل (لا بد من العمل بعد التوبه) ----- ۷۷
فصل (فضیله التوبه) ----- ۷۹
فصل (قبول التوبه) ----- ۸۱
فصل (طریق التوبه عن المعاصی) ----- ۸۵

فصل (تکفیر الصغائر و معنی الکبائر) ----- ۸۸
فصل (الصغائر قد تکون کبائر) ----- ۸۹
فصل (شروط کمال التوبه) ----- ۹۳
فصل (هل یصح التبعیض فی التوبه) ----- ۹۴
فصل (أقسام التائبین) ----- ۹۶
فصل (مراتب التوبه) ----- ۹۷
فصل (عدم الثقه بالاستقامه لا یمنع من التوبه) ----- ۹۹
فصل (علاج الإصرار علی الذنوب) ----- ۱۰۲
فصل (الإنابه) ----- ۱۰۳
اشاره ----- ۱۰۳
المحاسبه و المراقبه ----- ۱۰۴
اشاره ----- ۱۰۴
فصل (المعنی الظاهر للمحاسبه و المراقبه) ----- ۱۰۴
فصل (حاسبوا أنفسکم قبل أن تحاسبوا) ----- ۱۰۴
فصل (مقامات مرابطه العقل للنفس) ----- ۱۰۹
فأول الأعمال فی المرابطه(المشارطه): ----- ۱۰۹
و ثانیها(المراقبه): ----- ۱۱۲
و ثالثها-أی ثالث مقامات المرابطه و اعمالها-هو(المحاسبه) ----- ۱۱۵
و رابعها-و هو آخر مقامات المرابطه-(معاتبه النفس) ----- ۱۱۶
اشاره ----- ۱۱۶
و منها: ----- ۱۲۱
اشاره ----- ۱۲۱
تتمیم (الغفله موجبه للحرمان) ----- ۱۲۳
وصل ضد الغفله النیه- ----- ۱۲۳
فصل (تأثیر النیه علی الأعمال) ----- ۱۲۵
فصل (النیه روح الاعمال،و الجزاء بحسبها) ----- ۱۲۷

فصل (عباده الاحرار و الاجراء و العبيد) ---------- ۱۳۱
فصل (نیه المؤمن خیر من العمل) ---------- ۱۳۴
فصل (النیه غیر اختیاریه) ---------- ۱۳۷
تتمیم (الطریق فی تخلیص النیه) ---------- ۱۳۸
اشاره ---------- ۱۳۸
و منها: ---------- ۱۳۹
اشاره ---------- ۱۳۹
و اما الشوق ---------- ۱۴۱
فصل (أفضل مراتب الشوق الشوق إلی اللّه) ---------- ۱۴۲
فصل (تعلق الحب بجمیع القوی) ---------- ۱۴۸
فصل (اقسام الحب بحسب مبادیه) ---------- ۱۵۰
الأول-حب الإنسان وجود نفسه و بقاءه و کماله، ---------- ۱۵۰
الثانی-حبه لغیره لأجل انه یلتذ منه لذه حیوانیه. ---------- ۱۵۲
الثالث-حبه للغیر لأجل نفعه و إحسانه، ---------- ۱۵۲
الرابع-أن یحب الشیء لذاته، ---------- ۱۵۲
الخامس-محبته لمن بینه و بینه مناسبه خفیه،أو مجانسه معنویه، ---------- ۱۵۴
السادس-محبته لمن حصل بینه و بینه الألف و الاجتماع فی بعض المواضع، ---------- ۱۵۵
السابع-محبته لمن یشارکه فی وصف ظاهر، ---------- ۱۵۵
الثامن-حب کل سبب و عله لمسببه و معلوله و بالعکس، ---------- ۱۵۵
التاسع-محبه المتشارکین فی سبب واحد بعضهم لبعض، ---------- ۱۵۷
فصل (لا محبوب حقیقه الا اللّه) ---------- ۱۵۷
تکمیل (الشهود التام هو نهایه درجات العشق) ---------- ۱۶۲
فصل (سریان الحب فی الموجودات) ---------- ۱۶۴
فصل (رد المنکرین لحب اللّه) ---------- ۱۶۶
فصل (معرفه اللّه أقوی سائر اللذات) ---------- ۱۷۲
فصل (تحقق رؤیه اللّه فی الآخره و لذه لقائه) ---------- ۱۷۷

فصل (الطريق إلى الرؤيه و اللقاء) ---------- ۱۸۴
فصل (تفاوت المؤمنين فى محبه اللّه) ---------- ۱۸۶
فصل (الواجب اظهر الموجودات) ---------- ۱۸۸
فصل (علائم محبه اللّه) ---------- ۱۹۰
فصل (معنى حب اللّه لعبده) ---------- ۱۹۷
تذنيب (الحب فى اللّه و البغض فى اللّه) ---------- ۱۹۹
تتميم (الوفاء فى الحب) ---------- ۲۰۵
فصل (الانس باللّه) ---------- ۲۰۷
فصل (الأنس قد يثمر الإدلال) ---------- ۲۰۸
تذنيب (العزله) ---------- ۲۱۱
اشاره ---------- ۲۱۱
و منها: ---------- ۲۱۶
اشاره ---------- ۲۱۶
ضد السخط(الرضا) ---------- ۲۱۹
فصل (فضيله الرضا) ---------- ۲۲۰
وصل (رضا اللّه) ---------- ۲۲۲
فصل (رد إنكار تحقق الرضا) ---------- ۲۲۳
فصل (هل يناقض الدعاء و نحوه الرضا) ---------- ۲۲۶
فصل (طريق تحصيل الرضا) ---------- ۲۳۱
تتميم (التسليم) ---------- ۲۳۲
اشاره ---------- ۲۳۲
و منها: ---------- ۲۳۲
اشاره ---------- ۲۳۲
و منها: ---------- ۲۳۶
اشاره ---------- ۲۳۶
وصل ---------- ۲۳۷

اشاره ----- ۲۳۷
فصل (فضیله التوکل) ----- ۲۳۹
فصل (درجات التوکل) ----- ۲۴۲
فصل (السعی لا ینافی التوکل) ----- ۲۴۴
فصل (الأسباب التی لا ینافی السعی إلیها التوکل) ----- ۲۴۶
فصل (اعقل و توکل) ----- ۲۴۷
فصل (درجات الناس فی التوکل) ----- ۲۴۸
فصل (تفنید زعم) ----- ۲۴۹
فصل (طریق تحصیل التوکل) ----- ۲۵۰
اشاره ----- ۲۵۰
و منها. ----- ۲۵۲
اشاره ----- ۲۵۲
فصل (فضیله الشکر) ----- ۲۵۷
فصل (الشکر نعمه یجب شکرها) ----- ۲۶۰
فصل (المدارک لتمییز محاب اللّه عن مکارهه) ----- ۲۶۲
فصل (اقسام النعم و اللذات) ----- ۲۶۷
اشاره ----- ۲۶۷
القسم الأول-و هو الأقرب الأخص:الفضائل النفسیه ----- ۲۶۸
القسم الثانی-الفضائل البدنیه: ----- ۲۷۰
الثالث-النعم الخارجه المضیفه بالبدن: ----- ۲۷۱
الرابع-الأسباب التی تناسب من وجه الفضائل النفسیه،و یعبر عنها بالنعم التوفیقیه: ----- ۲۷۱
اشاره ----- ۲۷۱
تنبیه ----- ۲۷۳
اشاره ----- ۲۷۳
فصل (الأکل) ----- ۲۷۴
فصل (لا فائده فی الغذاء ما لم یکن بشهوه و میل) ----- ۲۷۶

فصل (عجائب المأكولات) ---------- ۲۷۷
فصل (حاجه تحضير الطعام إلى آلاف الأسباب) ---------- ۲۸۰
فصل (تسخير اللّه التجار لجلب الطعام) ---------- ۲۸۲
فصل (نعم اللّه فى خلق الملائكه للانسان) ---------- ۲۸۲
فصل (الأسباب الصارفه للشكر) ---------- ۲۸۸
فصل (طريق تحصيل الشكر) ---------- ۲۹۱
فصل (الصحه خير من السقم) ---------- ۲۹۴
اشاره ---------- ۲۹۴
و منها: ---------- ۲۹۷
اشاره ---------- ۲۹۷
ضد الجزع(الصبر)، ---------- ۲۹۹
فصل (مراتب الصبر) ---------- ۳۰۲
اشاره ---------- ۳۰۲
تذنيب (أقسام الصبر) ---------- ۳۰۴
فصل (فضيله الصبر) ---------- ۳۰۴
فصل (الصبر على السراء) ---------- ۳۱۲
اشاره ---------- ۳۱۲
تذنيب (اختلاف مراتب الصبر فى الثواب) ---------- ۳۱۷
فصل (طريق تحصيل الصبر) ---------- ۳۱۸
اشاره ---------- ۳۱۸
تتميم ---------- ۳۱۹
تتميم (التلازم بين الصبر و الشكر) ---------- ۳۲۰
تنبيه (القانون الكلى فى معرفه الفضائل) ---------- ۳۲۴
تتميم (تفضيل الصبر على الشكر) ---------- ۳۲۶
اشاره ---------- ۳۲۶
و منها: ---------- ۳۲۷

اشاره ----- ۳۲۷
اشاره ----- ۳۲۷
فصل (حقیقه الطهاره) ----- ۳۳۰
فصل (ما ینبغی للمؤمن فی الطهاره) ----- ۳۳۲
فصل (إزاله الاوساخ) ----- ۳۳۵
اشاره ----- ۳۳۵
تنبیه (آداب الحمام) ----- ۳۳۶
تتمیم (السر فی إزاله الاوساخ) ----- ۳۳۷
اشاره ----- ۳۳۷
المقصد الثانی الصلاه ----- ۳۳۹
اشاره ----- ۳۳۹
فصل (حقیقه الصلاه) ----- ۳۴۲
فصل (حضور القلب) ----- ۳۴۴
اشاره ----- ۳۴۴
تنبیه (دفع اشکال) ----- ۳۵۰
فصل (شرائط الصلاه) ----- ۳۵۱
فصل (طریق تحصیل المعانی الباطنه) ----- ۳۵۳
فصل (اسرار الصلاه) ----- ۳۵۷
فصل (الوقت) ----- ۳۵۸
فصل (آداب الصلاه) ----- ۳۵۸
فصل (آداب المصلی) ----- ۳۶۰
فصل (الاستقبال) ----- ۳۶۱
فصل (القیام) ----- ۳۶۳
فصل (التکبیرات) ----- ۳۶۴
فصل (النیه) ----- ۳۶۵
فصل (تکبیره الإحرام) ----- ۳۶۵

فصل (دعاء الاستفتاح) ۳۶۶
فصل (الاستعاذه) ۳۶۸
فصل (الرکوع) ۳۷۱
فصل (السجود) ۳۷۲
فصل (التشهد) ۳۷۴
فصل (التسلیم) ۳۷۵
فصل (إفاضه الأنوار علی المصلی علی قدر صفائه) ۳۷۶
فصل (ما ینبغی فی إمام الجماعه) ۳۷۸
فصل (ما ینبغی فی صلاه الجمعه و العیدین) ۳۷۹
فصل (ما ینبغی للمؤمن عقد ظهور الآیات) ۳۸۰
اشاره ۳۸۰
المقصد الثالث الذکر-فضیله الاذکار-الدعاء ۳۸۱
اشاره ۳۸۱
فصل (الذکر) ۳۸۱
اشاره ۳۸۱
تتمیم (فضیله الاذکار) ۳۸۳
فصل (الدعاء) ۳۸۴
المقصد الرابع (تلاوه القرآن) ۳۸۶
المقصد الخامس (الصوم) ۳۹۸
اشاره ۳۹۸
فصل (ما ینبغی للصائم) ۳۹۸
فصل (ما ینبغی للصائم عند الإفطار) ۳۹۹
فصل (درجات الصوم) ۴۰۰
اشاره ۴۰۰
تتمیم ۴۰۱
المقصد السادس (الحج) ۴۰۲

اشاره ----- ۴۰۲

فصل (الغرض من ایجاد الإنسان) ----- ۴۰۲

فصل (ما ینبغی فی الحاج) ----- ۴۰۵

فصل (المیقات) ----- ۴۰۹

فصل (ما ینبغی فی المیقات) ----- ۴۰۹

فصل (ما ینبغی عند دخول مکه) ----- ۴۱۰

فصل (ما ینبغی عند الطواف) ----- ۴۱۱

فصل (ما ینبغی عند استلام الحجر) ----- ۴۱۱

فصل (السعی) ----- ۴۱۲

فصل (ما ینبغی عند الوقوف بعرفات) ----- ۴۱۳

فصل (المشعر) ----- ۴۱۴

فصل (ما ینبغی عند الرمی و الذبح) ----- ۴۱۴

تتمیم (أسرار الحج) ----- ۴۱۵

خاتمه (زیاره المشاهد) ----- ۴۱۷

اشاره ----- ۴۱۷

فصل (ما ینبغی للزائر عند دخول المدینه المنوره) ----- ۴۲۰

فصل (ما ینبغی للزائر عند دخول النجف و کربلاء) ----- ۴۲۲

تعریف مرکز ----- ۴۳۰

جامع السعادات المجلد ۳

اشاره

سرشناسه : نراقی، مهدی بن ابی ذر، ق ۱۲۰۹ - ۱۱۲۸

عنوان و نام پدیدآور : جامع السعادات/ محمدمهدی النراقی؛ قدم محمدرضا المظفر؛ علق علیه محمدکلانتر

مشخصات نشر : بیروت.

مشخصات ظاهری : ج ۲

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه

شماره کتابشناسی ملی : ۱۲۶۰۳۰

ص :۱

اشاره

تتمه الباب الثالث

اشاره

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

و منها

اشاره

و منها (۱):

الغرور

معنی الغرور-ذمه-طوائف المغرورین:المغرورون من الکفار و العصاه و الفساق من المؤمنین-المغترون من أهل العلم و فرقهم-المغترون من الوعاظ کثیرون-المغرورون من أهل العباده فرق کثیره-المغترون من المتصوفه أکثر-المغترون من الأغنیاء أکثر من سائر الطوائف-ضد الغرور الفطانه و العلم و الزهد.

و هو سکون النفس إلی ما یوافق الهوی،و یمیل إلیه الطبع عن شبهه و خدعه من الشیطان.فمن اعتقد انه علی خیر اما فی العاجل او فی الآجل عن شبهه فاسده،فهو مغرور.و لما کان أکثر الناس ظانین بانفسهم خیرا، و معتقدین بصحه ما هم علیه من الاعمال و الافعال و خیریته،مع انهم مخطئون فیه،فهم مغرورون.مثلا من یأخذ المال الحرام و ینفقها فی مصارف

ص:۳۰

۱- ۱) أی من الرذائل المتعلقه باثنتین من القوی الثلاث او بجمیعها، و هی القوه العاقله و الغضبیه و الشهویه.و هذه الرذیله هی الرذیله«الواحده و العشرون»منها.

الخير،کبناء المساجد و المدارس و القناطر و الرباطات و غيرها،يظن ان هذا خير له و سعاده،مع انه محض الغرور،حيث خدعه الشيطان و أراه ما هو شر له خيرا،و كذا الواعظ الذى غرضه الجاه و القبول من موعظته،يظن انه فى طاعه اللّه،مع انه فى المعصيه بغرور الشيطان و خدعته.

ثم لا ريب فى ان سكون النفس إلى ما يوافق الهوى،و يميل الطبع اليه عن شبهه و مخيله،مركب من امرين:(أحدهما)اعتقاد النفس بأن هذا خير له مع كونه خلاف الواقع،(و ثانيهما)حبها و طلبها باطنا لمقتضيات الشهوه او الغضب.فان الواعظ إذا قصد بوعظه طلب الجاه و المنزله معتقدا انه يجلب به الثواب،تكون له رغبه إلى الجاه و اعتقاد بكونه خيرا له،اذ الغنى إذا أمسك ماله و لم ينفقه فى مصارفه اللازمه،و واظب على العباده معتقدا ان مواظبته على العباده تكفى لنجاته و ان كان بخيلا،يكون له حب للمال و اعتقاد بأنه على الخير.ثم الاعتقاد المذكور راجع إلى نوع معين من الجهل المركب،و هو الجهل الذى يكون المجهول المعتقد فيه شيئا يوافق الهوى،فيكون من رذائل القوه العاقله،و الحب و الطلب للجاه و المال من رذائل قوتى الغضب و الشهوه.فالغرور يكون من رذائل القوى الثلاث، او من رذائل العاقله مع أحداهما.

فصل (ذم الغرور)

الغرور و الغفله منبع كل هلكه وام كل شقاوه،و لذا ورد فيه الذم الشديد فى الآيات و الاخبار،قال اللّه-سبحانه-:

فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ لاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّهِ

ص :۴۰

الْغَرُورُ

(۱)

.و قال عز و جل وَ لٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْكُمُ الْأَمٰانِيُّ حَتّٰى جٰاءَ أَمْرُ اللّٰهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ (۲).

و قال رسول اللّه(ص):«حبذا نوم الاكياس و فطرهم،كيف يغبنون سهر الحمقى و اجتهادهم،و المثقال ذره من صاحب تقوى و يقين أفضل من ملء الأرض من المغترين». و قال الصادق(ع):«المغرور فى الدنيا مسكين، و فى الآخره مغبون،لانه باع الأفضل بالادنى،و لا تعجب من نفسك، فربما اغتررت بمالك و صحه جسدك ان لعلك تبقى.و ربما اغتررت بطول عمرك و أولادك و اصحابك لعلك تنجو بهم.و ربما اغتررت بجمالك و منيتك و اصابتك مامولك و هواك،فظننت انك صادق و مصيب.

و ربما اغتررت بما ترى من الندم على تقصيرك فى العباده،و لعل اللّه يعلم من قلبك بخلاف ذلك.و ربما اقمت نفسك على العباده متكلفا و اللّه يريد الإخلاص.و ربما افتخرت بعلمك و نسبك،و أنت غافل عن مضمرات ما فى غيب اللّه تعالى.و ربما توهمت انك تدعو اللّه و أنت تدعو سواه.و ربما حسبت انك ناصح للخلق و أنت تريدهم لنفسك ان يميلوا إليك.و ربما ذممت نفسك و أنت تمدحها على الحقيقه» (۳).

فصل (طوائف المغرورين)

اشاره

اعلم ان فرق المغترين كثيره،و جهات غرورهم و درجاته مختلفه،و ما

ص: ۵

۱- ۱) لقمان،الآيه:۳۳.فاطر،الآيه:۵.

۲- ۲) الحديد،الآيه:۱۴.

۳- ۳) صححناه على مصباح الشريعه:الباب ۳۶.

مـن طـائفه فی العـالم مشـترکین فی وصـف مجتمعیـن علی امر،الاـ و یوجـد فیهم فرق من المغترین.الاـ ان بعض الطوائـف کلهم مغترون،کالکفـار و العصـاه و الفسـاق،و بعضـهم یوجـد فیهم المغرور و غیر المغرور،و ان کـان معظم کل طائفه أرباب الغرور.و نحن نشیر إلی مجاری الغرور،و إلی غرور کل طائفه لیتمکن طالب السعاده من الاحتراز عنه،اذ من عرف مداخل الآفات و الفساد و مجاریهما یمکنه ان یأخذ منها حذره،و یبنی علی الجزم و البصیره امره.فنقول:

الطائفه الأولی (الکفار)

و هم مغرورون بأسـرهم،و هم مـا بین من غرته الحیاه الـدنیا،و بین من غره الشـیطان باللّه.و اما الـذین غرتهم الحیاه الـدنیا،فباعث غرورهم قیاسان نظمهما الشـیطان فی قلوبهم:(اولهما)ان الـدنیا نقـد و الآخره نسـیئه، و النقـد خیر من النسـیئه.(و ثانیهما)ان لذات الدنیا یقینیه و لذات الآخره مشـکوکه فیها،و الیقینی خیر من المشکوک،فلا یترک به.و هذه اقیسه فاسده تشبه قیاس ابلیس،حیث قال:

أَنَا خَیْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نٰارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ

(۱)

و علاـج هـذا الغرور-بعـد تحصـیل الیقین بوجـود الواجب تعـالی و بحقیقه النبی(ص)،و هو فی غـایه السـهوله لوضوح الطرق و الادله-اما ان یتبع مقتضی ایمانه و یصدق اللّه تعالی فی قوله:

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۱۱،ص،الآیه:۷۶.

مٰا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ بٰاقٍ

(۱)

.و فى قوله تعالى: وَ الْآخِرَهُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ (۲).و قوله: وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ (۳).و قوله: وَ مَا الْحَيٰاهُ الدُّنْيٰا إِلاّٰ مَتٰاعُ الْغُرُورِ (۴).و قوله تعالى: فَلاٰ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰاهُ الدُّنْيٰا وَ لاٰ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ (۵).

و اما ان يعرف بالبرهان فساد القياسين،حتى يزول عن نفسه ما تأديا اليه من الغرور.و طريق معرفه الفساد فى(القياس الأول):ان يتأمل فى ان كون الدنيا نقدا و الآخره نسيئه صحيح،الا ان كون كل نقد خيرا من النسيئه غير صحيح،بل هو محل التلبيس،اذ المسلّم خيريه النقد على النسيئه ان كان مثلها فى المقدار و المنفعه و المقصود و البقاء،و اما ان كان أقل منها فى ذلك و ادون،فالنسيئه خير،الا ـ ترى ان هذا المغرور إذا حذره الطبيب من لذائذ الأطعمه يتركها فى الحال خوفا من الم المرض فى الاستقبال و يبذل درهما فى الحال ليأخذ درهمين نسيئه،و يتعب فى الاسفار و يركب البحار فى الحال لأجل الراحه و الربح نسيئه.و قس عليه جميع اعمال الناس و صنائعهم فى الدنيا:من الزراعه و التجاره و المعاملات،فانهم يبذلون فيها المال نقدا ليصلوا إلى أكثر منه نسيئه،فان كان عشره فى ثانى الحال خيرا

۱- ۱) النحل،الآيه:۹۶.

۲- ۲) الأعلى،الآيه:۱۷.

۳- ۳) القصص الآيه:۶۰.الشورى،الآيه:۳۶.

۴- ۴) آل عمران،الآيه:۱۸۵.الحديد،الآيه:۲۰.

۵- ۵) لقمان،الآيه:۳۳.فاطر،الآيه:۵.

من واحد فى الحال،فأنسب لذه الدنيا من حيث الشده و المده و العده إلى لذه الآخره من هذه الحيثيات،فان من عرف حقيقه الدنيا و الآخره،يعلم انه ليس للدنيا قدر محسوس بالنسبه إلى الآخره،على ان لذه الدنيا مكدره مشوبه بأنواع المنغصات،و لذات الآخره صافيه غير ممتزجه بشىء من المكدرات.

و اما طريق معرفه فساد(القياس الثانى)بأصليه:هو ان يعرف ان كون لذات الآخره مشكوكا فيها خطأ،و ان كل يقينى خير من المشكوك غلط:

(اما الأول)فلأنّ الآخره يقينيه قطعيه عند أهل البصيره.و ليقينهم مدركان:

-أحدهما-ما يدركه عموم الخلق،و هو اتفاق عظماء الناس من الأنبياء و الأولياء و الحكماء و العلماء،فان ذلك يورث اليقين و الطمأنينه بعد التأمل،كما ان المريض الذى لا يعرف دواء علته إذا اتفق جميع أرباب الصناعه على ان دواءه كذا،فانه تطمئن نفسه إلى تصديقهم و لا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين،بل يثق بقولهم و يعمل به،و ان كذبهم صبى او معتوه او سوادى.و لا ريب فى ان المنكرين للآخره المغترين بالحياه الدنيا من الكفار و البطالين بالنظر إلى المخبرين عن أحوال الآخره و المشاهدين لها من الأنبياء و الأولياء ادون حالا و أقل رتبه من صبى او معتوه او سوادى بالنظر إلى اطباء بلد او مملكه.

- و ثانيهما-ما لا يدركه الا الأنبياء و الأولياء،و هو الوحى و الإلهام، فالوحى للأنبياء و الإلهام و الكشف للاولياء فانه قد كشفت لهم حقائق الأشياء كما هى عليها،و شاهدوها بالبصيره الباطنه كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر،فيخبرون عن مشاهده لا عن سماع و تقليد، و لا تظنن ان معرفه النبى(ص)لأمر الآخره و لأمور الدين مجرد تقليد

لجبرئیل بالسماع منه،کما ان معرفتک لها تقلید للنبی،هیهات!فان الأنبیاء یشاهدون حقائق الملک و الملکوت،و ینظرون إلیها بعین البصیره و الیقین، و ان اکد ذلک بالقاء الملک و السماع منه.

و اما المغرورون باللّه،و هم الذین یقدرون فی أنفسهم و یقولون بألسنتهم، ان کان للّه معاد فنحن فیه اوفر حظا و أسعد حالا من غیرنا،کما أخبر اللّه -سبحانه-عن قول الرجلین المتحاورین،اذ قال:

وَ مٰا أَظُنُّ السّٰاعَةَ قٰائِمَةً وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلىٰ رَبِّی لَأَجِدَنَّ خَیْراً مِنْهٰا مُنْقَلَباً

(۱)

.

و باعث ذلک:ما القی الشیطان فی روعهم من نظرهم مره إلی نعم اللّه علیهم فی الدنیا فیقیسون علیها نعمه الآخره،و ینظرون إلی تأخیر اللّه العذاب عنهم فیقیسون علیه عذاب الآخره،کما قال اللّه-تعالی-:

وَ یَقُولُونَ فِی أَنْفُسِهِمْ لَوْ لاٰ یُعَذِّبُنَا اللّٰهُ بِمٰا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ یَصْلَوْنَهٰا فَبِئْسَ الْمَصِیرُ

(۲)

.

و مره ینظرون إلی المؤمنین و هم فقراء محتاجون،فیقولون:لو احبهم اللّه لاحسن إلیهم فی الدنیا و لو لم یحبنا لما أحسن إلینا فیها،فلما لم یحسن الیهم فی الدنیا و أحسن إلینا فیها فیکون محبا لنا و لا یکون محبا لهم،فیکون الامر فی الآخره کذلک،کما قال الشاعر:

کما أحسن اللّه فیما مضی

کذلک یحسن فیما بقی

و لا ریب فی أن کل ذلک خیالات فاسده و قیاسات باطله،فان من ظن ان النعم الدنیویه دلیل الحب و الإکرام فقد اغتر باللّه،إذ ظن انه کریم

۱- ۱) الکهف،الآیه:۳۷.

۲- ۲) المجادله،الآیه:۸.

عنـد اللّه،بدليل لا يدل على الكرامه بل يدل عند أولى البصائر على الهوان و الخذلان،لان نعيم الدنيا و لذاتها مهلكات و مبعدات من اللّه،و ان اللّه يحمى احباءه الدنيا كما يحمى الوالد الشفيق ولده المريض لذائذ الأطعمه.

و مثـل معـامله اللّه-سـبحانه-مع المؤمن الخـالص و الكـافر و الفـاسق،حيث يزوى الـدنيا عن الأـول و يصب نعمهـا و لـذاتها على الثانى،مثل من كان له عبـدان صـغيران يحب أحـدهما و يبغض الآخر،فيمنع الأول من اللعب و يلزمه المكتب و يحبسه فيه،ليعلمه الاـدب و يمنعه من لذائـذ الأـطعمه و الفواكه التى تضـره و يسـقيه الادويه البشـعه التى تنفعه،و يهمل الثانى ليعيش كيف يريـد و يلعب و يأكـل كـل مـا يشـتهى،فلو ظن هـذا العبـد المهمـل انه محبوب كريم عنـد سـيده لتمكنه من شـهواته و لـذاته،و ان الآخر مبغـوض عنـده لمنعـه عن مشـتهياته،كـان مغرورا احمـق،و قـد كـان الخـائفون من ذوى البصـائر إذا أقبلت عليهم الـدنيا حزنـوا و قالوا:ذنب عجلت عقوبته،و إذا أقبل عليهم الفقر قالوا:مرحبا بشعار الصالحين!و اما المغرورون فعلى خلاف ذلك، لظنهم ان إقبال الدنيا عليهم كرامه من اللّه و ان ادبارها عنهم هو ان لهم، كما أخبر اللّه-تعالى-عنه بقوله:

فَأَمَّا الْإِنْسٰانُ إِذٰا مَا ابْتَلاٰهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ، وَ أَمّٰا إِذٰا مَا ابْتَلاٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهٰانَنِ

(۱)

و علاـج هـذا الغرور:أن يعرف أن إقبـال الـدنيا دليـل الهوان و الخـذلان دون الكرامه و الإحسـان،و التجرد منهـا سـبب الكرامه و القرب إلى اللّه-سبحانه- و الطريق إلى هـذه المعرفه:امـا ملاـحظه أحوال الأنبيـاء و الأوليـاء و غيرهمـا من طوائف العرفـاء و فرق الاتقياء،او التدبر فى الآيات و الاخبار.قال اللّه-سبحانه-

---

۱- ۱) الفجر،الآيه:۱۵-۱۶.

أَ يَحْسَبُونَ أَنَّمٰا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مٰالٍ وَ بَنِينَ، نُسٰارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرٰاتِ بَلْ لاٰ يَشْعُرُونَ

(۱)

.و قال-سبحانه-:

سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَعْلَمُونَ

(۲)

و قال-تعالى-:

فَلَمّٰا نَسُوا مٰا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ أَبْوٰابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتّٰى إِذٰا فَرِحُوا بِمٰا أُوتُوا أَخَذْنٰاهُمْ بَغْتَةً فَإِذٰا هُمْ مُبْلِسُونَ

(۳)

.و قال تعالى: إِنَّمٰا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدٰادُوا إِثْماً (۴).

الى غير ذلك من الآيات و الاخبار.

و منشأ هذا الغرور:الجهل باللّه و بصفاته،فان من عرفه لا يأمن مكره و لا يغتر به بأمثال هذه الخيالات الفاسده،و ينظر إلى قارون و فرعون و غيرهما من الملوك و الجبابره،كيف أحسن اللّه إليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا،و قد حذر اللّه عباده عن مكره و استدراجه فقال:

فَلاٰ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّٰهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخٰاسِرُونَ

(۵)

.و قال:

وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللّٰهُ وَ اللّٰهُ خَيْرُ الْمٰاكِرِينَ

(۶)

.

الطائفه الثانيه (العصاه و الفساق من المؤمنين)

و سبب غرورهم و غفلتهم اما بعض بواعث غرور الكافرين-كما

۱- ۱) المؤمنون،الآيه:۵۶-۵۷.

۲- ۲) الأعراف،الآيه:۱۸۱.

۳- ۳) الانعام،الآيه:۴۴.

۴- ۴) آل عمران،الآيه:۱۷۸.

۵- ۵) الأعراف،الآيه:۹۹.

۶- ۶) آل عمران،الآيه:۵۴.

تقدم-أو ظنهم ان اللّه-تعالى-كريم و رحمته واسعه و نعمته شامله،و اين معاصى العباد فى جنب بحار رحمته،و يقولون:انا موحدون و مؤمنون، فكيف يعذبنا مع التوحيد و الايمان،و يقررون ظنهم بما ورد فى فضيله الرجاء-كما تقدم-.و ربما اغتر بعضهم بصلاح آبائهم و علو رتبتهم، كاغترار بعض العلويين بنسبهم مع مخالفتهم سيره آبائهم الطاهرين فى الخوف و الورع. و علاج هذا الغرور.أن يعرف الفرق بين الرجاء الممدوح و التمنى المذموم،و يعلم أن غروره ليس رجاء ممدوحا،بل هو تمن مذموم،كما قال رسول اللّه(ص):«الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت،و الاحمق من اتبع نفسه هواها و تمنى على اللّه». فان الرجاء لا ينفك عن العمل،اذ من رجا شيئا طلبه و من خاف شيئا هرب منه،و كما ان الذى يرجو فى الدنيا ولدا و هو لم ينكح،أو نكح و لم يجامع،او جامع و لم ينزل،فهو مغرور احمق،كذلك من رجا رحمه اللّه و هو لم يؤمن،او آمن و لم يترك المعاصى، او تركها و لم يعمل صالحا،فهو مغرور جاهل،كيف و قد قال اللّه-سبحانه-:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هٰاجَرُوا وَ جٰاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أُولٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّٰهِ

(۱)

.

يعنى ان الرجاء يليق بهم دون غيرهم،و ذلك لأن ثواب الآخره أجر و جزاء على الاعمال،كما قال-تعالى-:

جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ

(۲)

.و قال: وَ إِنَّمٰا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ (۳).و قال: وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسٰانِ

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۱۸.

۲- ۲) السجده،الآیه:۱۷.الاحقاف،الآیه:۱۴.الواقعه،الآیه:۲۴.

۳- ۳) آل عمران،الآیه:۱۸۵.

إِلاّٰ مٰا سَعىٰ وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرىٰ

(۱)

.و قال: كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (۲).

أ فترى أن من استؤجر على إصلاح أوان و شرط له أجره عليها،و كان الشارط كريما يفى بوعده و شرطه،بل كان بحيث يزيد على ما وعده و شرطه، فجاء الاجير و كسر الاوانى و افسدها جميعا،ثم جلس ينتظر الاجر زعما منه أن المستأجر كريم،أ فيراه العقلاء فى انتظاره راجيا أو مغرورا متمنيا؟ و بالجمله:سبب هذا الغرور الجهل بين الرجاء و العزه،فليعالجه بما ذكر هنا و فيما سبق.

ثم إن المغرور بعلو رتبه آبائه،ظانا ان اللّه تعالى يحب آباءه،و من أحب إنسانا أحب أولاده،أشد حمقا من المغرور باللّه،لأن اللّه-سبحانه- يحب المطيع و يبغض العاصى من غير ملاحظه لآبائهما،فكما أنه لا يبغض الاب المطيع ببغضه للولد العاصى فكذلك لا يحب الولد العاصى بحبه للأب المطيع،و ليس يمكن أن يسرى من الاب إلى الابن شىء من الحب و البغض و المعصيه و التقوى،اذ لا تزر وازره وزر أخرى،فمن زعم انه ينجو بتقوى أبيه كان كمن زعم انه يشبع بأكل أبيه،او يصير عالما بتعلم أبيه،او يصل الى الكعبه بمشى أبيه،فهيهات هيهات!ان التقوى فرض عين على كل أحد، فلا يجزى والد عن ولده شيئا،و عند الجزاء يفر المرء من أخيه،و أمه و أبيه،و صاحبته و بنيه،و لا ينفع أحد أحدا الا على سبيل الشفاعه،بعد تحقق شرائطها.

ثم العصاه المغرورون،اما ليست لهم طاعات،فتمنيهم المغفره غايه

۱- ۱) النجم،الآيه:۳۹-۴۰.
۲- ۲) المدثر الآيه:۳۸.

الجهل-کما مر-،او لهم طاعات و لکن معاصیهم أکثر،و هم عالمون بأکثریه المعاصی،و مع ذلک یتوقعون المغفره و ترجح حسناتهم علی سیئاتهم و هو أیضا غایه الجهل،إذ مثله مثل من وضع عشره دراهم فی کفه میزان و فی الکفه الأخری ألفا او ألفین،و توقع أن تمیل الکفه الثقیله بالخفیفه، و من الذین معاصیهم أکثر من یظن ان طاعاته أکثر من معاصیه،لأنه لا یحاسب نفسه و لا یتفقد معاصیه،و إذا عمل طاعه حفظها و أعتدّ بها، کالذی یحج طول عمره حجه و یبنی مسجدا،ثم لا یکون شیء من عباداته علی النحو المطلوب،و لا یجتنب من أخذ أموال المسلمین،فینسی ذلک کله و یکون حجه و ما بناه من المسجد فی ذکره،و یقول:کیف یعذبنی اللّه و قد حججت و بنیت مسجدا؟و کالذی یسبح اللّه کل یوم مائه مره ثم یغتاب المسلمین و یمزق اعراضهم و یتکلم بما لا یرضاه اللّه طول نهاره من غیر حصر و عدد،و یکون نظره إلی عدد سبحته مع غفلته عن هذیانه طول نهاره الذی لو کتبه لکان مثل تسبیحه مائه مره،و قد کتبه الکرام الکاتبون، فهو یتأمل دائما فی فضیله التسبیحات،و لا یلتفت إلی ما ورد فی عقوبه الکذابین و المغتابین و النمامین و الفحاشین،و لو کان کتبه أعماله یطلبون منه اجره الزاید من هذیانه علی تسبیحاته،لکان عند ذلک یسعی فی کف لسانه عن آفاته و موازتها بتسبیحاته،حتی لا یکون لها زیاده علیها لیؤخذ منه اجره نسخ الزائد.فیا عجبا لمن یحاسب نفسه و یحتاط خوفا ان یفوته مقدار قیراط و لا یحتاط خوفا من فوت العلیین و مجاوره رب العالمین

الطائفه الثالثه أهل العلم

و المغترون منهم فرق:

(فمنهم)من اقتصر من العلم على علم الكلام و المجادله و معرفه آداب المناظره،ليتفاخر فى انديه الرجال و يتفوق على الاقران و الأمثال،من غير ان يكون له فى العقائد قدم راسخ او مذهب واحد،بل يختار تاره ذاك و تاره هذا،و تكون عقيدته كخيط مرسل فى الهواء تفيئه الريح مره هكذا و مره هكذا،و مع ذلك يظن بغروره أنه اعرف الناس و اعلمهم باللّه و بصفاته.

و(منهم)من أقتصر من العلم على علم النحو و اللغه،او الشعر او المنطق، و اغتر به و افنى عمره فيها،و زعم ان علم الشريعه و الحكمه موقوف عليها، و لم يعلم أن ما ليس مطلوبا لذاته و يكون وسيله إلى ما هو مقصود لذاته يجب ان يقتصر عليه بقدر الضروره،و التعمق فيه إلى درجات لا تتناهى فضول مستغنى عنها،و موجب للحرمان عما هو مقصود لذاته.

و(منهم)من اقتصر على فن المعاملات من الفقه،المتضمن لكيفيه الحكم و القضاء بين الناس،و اشتغل باجراء الاحكام،و أعرض عن علم العقائد و الأخلاق،بل عن فمن العبادات من الفقه،و أهمل تفقد قلبه ليتخلى عن رذائل الأخلاق و يتحلى بفضائل الملكات و تفقد جوارحه و حفظها عن المعاصى و الزامها الطاعات.

و(منهم)من حصل فن العبادات أيضا،بل احكم العلوم الشرعيه بأسرها و تعمق فيها و اشتغل،و لكن ترك العلم الإلهى و علم الأخلاق و لم يحفظ الباطن و الظاهر عن المعاصى و لم يعمرها بالطاعات.

ص :١۵

و(منهم)من أحكم جميع العلوم من العقليه و الشرعيه و تعمق فيها و اشتغل بها إلا أنه أهمل العمل رأسا،أو واظب على الطاعات الظاهره:

و أهمل صفات القلب،و ربما تفقد صفات القلب و أخلاق النفس أيضا و جاهد نفسه فى التبرّى عنها،و قلع من قلبه منابتها الجليه القويه،و لكن بقيت فى زوايا قلبه خفايا من مكائد الشيطان و خبايا و تلبيات النفس ما دق و غمض مدركه فلا يتفطن بها.

و جميع هؤلاء غافلون مغرورون،اذا كان اعتقادهم انهم على خير و سعاده،و إن كان بينهم تفاوت من حيث الضعف و الشده،إذ سعاده النفس و خلاصها عن العذاب لا تحصل إلا بمعرفه اللّه-تعالى-و معرفه صفاته و افعاله و أحوال النشأه الآخره،و العلم برذائل الأخلاق و شرائفها،ثم تهذيب الباطن بفضائل الأخلاق و عماره الظاهر بصوالح الطاعات و الاعمال، فكل من يعلم بعض العلوم و ترك ما هو المهم من العلم-أعنى معرفه سلوك الطريق و قطع عقبات النفس التى هى الصفات المذمومه المانعه عن الوصول إلى اللّه-و ظن انه على خير كان مغرورا،و إذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا على اللّه،فمن ترك العلم المهم و اشتغل بغيره،فهو كمن له مرض خاص مهلك فاحتاج إلى تعلم الدواء و استعماله،فاشتغل بتعلم مرض آخر يضاد مرضه فى المعالجه،كما ان من احكم العلوم بأسرها و ترك العمل،مثل المريض الذى تعلم دواء مرضه و كتبه،و هو يقرأه و يعلمه المرضى و لا يستعمله قط لنفسه،فانه لا ريب فى ان مجرد تعلم الدواء لا يشفيه،بل لو كتبت منه الف نسخه و علمه الف مريض حتى شفى جميعهم و كرره كل ليله الف مره لم ينفعه ذلك من مرضه شيئا،حتى يشترى هذا الدواء و يشربه كما تعلم فى وقته، و مع شربه و استعاله يكون على خطر من شفائه،فكيف إذا لم يشربه أصلا،

فلو ظن أن مجرد تعلم الـدواء يكفيه و يشـفيه فهو مغرور،فكذلك من احكم علم الطاعات و لم يعملها،و احكم علم المعاصـی و لم یجتنبها،و احكم علم الأخلاق و لم یزک نفسه عن رذائلها و لم یتصف بفضائلها،فهو فی غایه الغرور.

إذ قال اللّه تعالی:

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَکّاها

(۱)

و لم یقل:قد أفلح من علم طریق تزکیتها.

ثم من هذه الطائفه فرقه متصـفه برذائل الأخلاق و الغرور،أدی بهم الی حیث ظنوا أنهم منفکون عنها،و أنهم ارفع عند اللّه من أن یبتلیهم بها، و إنما یبتلی بها العوام دون من بلغ مبلغهم فی العلم.ثم إذا ظهرت علیه مخایل الکبر و الرئاسه و طلب العلو و الشـرف قـال:مـا هـذا تکبرا،و طنمـا هو طلب اعزاز الـدین،و إظهار شـرف العلم،و ارغام انف المخالفین.و مهما ظهرت منه آثار الحسـد،و أطلق لسانه بالغیبه فی أقرانه و من رد علیه شیئا من کلامه، لم یظن بنفسه أن ذلک حسد،بل یقول:إن هذا غضب للحق ورد علی المبطـل فی عـداوته و ظلمه،مع أنه لو طعن فی غیره من أهـل العلم،ورد علیه قوله، و منع من منصـبه،لم یکن غضـبه مثـل غضـبه الآن،بل ربما یفرح به،و لو کان غضبه للحق لا للحد علی اقرانه و خبث باطنه،لاستوی غضبه فی الحالین.

و إذا خطر له خاطر الریاء قال:غرضـی من إظهار العلم و العمل اقتـداء الخلق بی،لیهتـدوا إلی دین اللّه و یتخلصوا من عقاب اللّه.و لا یتأمل المغرور انه لیس یفرح باقتداء الناس بغیره کما یفرح باقتدائهم به،و لو کان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم علی ید من کان،و ربما یتذکر هذا و مع ذلک لا یخلیه الشیطان،بل یقول:إنما ذلک لأنهم إذا اهتدوا بی کان الأجر و الثواب لی،

۱- ۱) الشمس،الآیه:۹.

ففرحی إنما هو بثواب اللّه لا بقبول الخلق،هذا ما یظن بنفسه،و اللّه مطلع علی سریرته،إذ ربما کان باطنه فی الخباثه بحیث لو علم قطعا بأن ثوابه فی الخمول و إخفاء العلم و العمل أکثر من ثوابه فی الإظهار،لاحتمال مع ذلک فی إظهار رئاسه،من تدریس أو وعظ أو امامه أو غیر ذلک. و إذا کان بحیث یدخل علی السلاطین و الأمراء الظلمه و یثنی علیهم و یتواضع لهم،و خطر له أن مدحهم و التواضع لهم حرام،قال له الشیطان:ان ذلک عند الطمع فی مالهم،و غرضک من الدخول علیهم دفع الضرر عن المسلمین دون الطمع، و اللّه یعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلک السلطان،و کان بحیث یقبل شفاعته فی کل أحد،و هو لا یزال یستشفع و یدفع الضرر عن المسلمین،یثقل ذلک علیه،بحیث لو قدر أن یقبح حاله عند السلطان لفعل.

و ربما انتهی الغرور فی بعضهم إلی أن یأخذ من أموالهم المحرمه،و إذا خطر له أنها حرام،قال له الشیطان:هذا مال مجهول المالک یجب أن یتصدق به إمام المسلمین،و أنت إمامهم و عالمهم،و بک قوام دین اللّه،فیحل لک أن تأخذ منها قدر حاجتک و تصرف الباقی علی مصالح المسلمین،فیغتر بهذا التلبیس و لا یزال یأخذها من غیر أن یبذل شیئا منها فی مصرف غیره. و ربما انتهی الغرور فی بعضهم إلی حیث إنه إذا حضرت مائدتهم و أکل طعامهم و قیل له:

ان هذا لا یلیق بمثلک،قال:الأکل جائز بل واجب،اذ هذا مال لا یعلم مالکه،فیجب التصدق به علی الفقراء،و یجب علی مثلی بقدر القوه و الاستطاعه أن یجتهد فی استخلاصه من ید الظالم و ایصاله إلی أهله-أعنی الفقراء-و اکلی منها نوع قدره علی استخلاصه،فآکل منه و أتصدق بقیمته علی الفقراء،و اللّه یعلم من باطنه أنه لا یتصدق بقیمته و لا یعتقد بحقیقه ما یقوله،و انما هو تلبیس ألقاه الشیطان فی روعه،لئلا یضعف اعتقاد العامه فی

حقه، و ربما كان بحيث لا يبالى من أخذ مالهم و أكل طعامهم خفيه،و لو علم انه يطلع عليه واحد من صويلح العامه المعتقدين به،امتنع منه غايه الامتناع. و ربما كان بعضهم فى الباطن مائلا إلى الدخول على السلاطين و الأمراء و تاركا له فى الظاهر،و كان الباعث فى ذلك طلب المنزله فى قلوب العامه.و مع ذلك يظن أن الاجتناب عنهم عين ورعه و تقواه. و ربما كان بعضهم إمام قوم يظن أنه على خير و باعث لترويج الدين و اعلاء الكلمه و مقيم بشعار الإسلام، و مع ذلك لو أم غيره ممن هو أعلم و اورع منه فى مسجده،أو يتخلف بعض من يقتدى به عن الاقتداء به،قامت عليه القيامه،و ربما لم يكن باعثه على الحركه إلى المسجد للامامه مجرد التقرب و الامتثال لأمر اللّه،بل كان الباعث محض حب الجاه و الرياسه و اعتقاد العامه،أو مركبا منه و من نيه الثواب و ربما اتخذ بعضهم الإمامه شغلا و وسيله لأمر المعاش،و مع ذلك يظن انه مشتغل بامر الخير، و الظاهر فى أمثال زماننا ندور الامام الذى كان قصده من الإمامه مجرد التقرب إلى اللّه.من دون وجود شىء من حب طلب المنزله فى القلوب،أو تحصيل المال،أو دفع بعض الشرور عن نفسه فى زوايا قلبه، و لو وجد مثله فهو القدوه الذى يجب ان تشد الرحال من المواضع البعيده اليه ليقتدى به،و مثله كلما وجد فى نفسه قصد التقرب و الثواب فى الذهاب إلى المسجد للامامه ذهب،و لو لم يجد ذلك من نفسه تخلف،و صلى منفردا،و هو الذى يستوى عنده اقتداء الناس به و عدمه،و يستوى عنده كثره المقتدين و قلتهم،بل يكون حاله عند صلاته و هو إمام لجم غفير كحاله عند صلاته منفردا،من دون أن يجد فى نفسه تفاوتا فى الحالين.

و بالجمله:اصناف غرور أهل العلم-(لا)سيما فى هذه الاعصار-كثيره، و المتأمل يعلم أن الغرور أو التلبيس أو غيرهما من ذمائم الأفعال انتهى فى

ص:١٩

بعضهم إلى أن وجودهم مضر بالإسلام و المسلمين و موتهم انفع للايمان و المؤمنين،لأنهم دجالو الدين و قواموا مذهب الشياطين،و مثلهم كما قال ابن مريم-عليه السّلام-:«العالم السوء كصخره وقعت فى فم الوادى، فلا هى تشرب الماء و لا هى تترك الماء يتخلص إلى الزرع».

الطائفه الرابعه (الوعاظ)

و المغترون منهم كثيرون:

(فمنهم)من يتكلم فى وعظه فى أخلاق النفس و صفات القلب،من الخوف،و الرجاء،و التوكل،و الرضا،و الصبر،و الشكر،و نظائرها، و يظن انه إذا تكلم بهذه الصفات و دعا الخلق إليها صار موصوفا بها،و هو منفك عنها فى الواقع،إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين،و يزعم ان غرضه إصلاح الخلق دون أمر آخر،و مع ذلك لو أقبل الخلق على أحد من اقرانه و صلحوا على يديه،و كان أقوى منه فى الإرشاد و الإصلاح،لمات غما و حسدا،و لو اثنى أحد المترددين عليه على بعض اقرانه،لصار ابغض خلق اللّه إليه.

و(منهم)من اشتغل بالشطح و الطامات،و تلفيق كلمات خارجه عن قانون الشرع و العقل،و ربما كلف نفسه بالفصاحه و البلاغه،و تصنع التشبيهات و المقدمات،و شغف بطيارات النكت و تسجيع الألفاظ و تلفيقها، طلبا للاعوان و الأنصار،و شوقا إلى تكثر البكاء و الرقه و التواجد و الرغبات فى مجلسه،و التذاذا بتحريك الرءوس على كلامه و البكاء عليه،و فرحا بكثره الأصحاب و المستفيدين و المعتقدين به،و سرورا بالتخصيص بهذه الخاصه

من بين سائر الاقران،و ربما لم يبال بالكذب فى نقل الأخبار و الآثار، ظنا منه أنه أوقع فى النفوس و أشد تأثيرا فى رقه العوام و تواجدهم.

و لا ريب فى أنّ هؤلاء شر الناس،بل شياطين الانس،ضلوا و اضلوا عن سواء السبيل،إذ الأولون إن لم يصلحوا أنفسهم،فقد أصلحوا غيرهم و صححوا كلامهم و وعظهم،و أما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل اللّه،و يجرون الخلق إلى الغرور باللّه،لان سعيهم فى ذكر ما يسر به العامه،ليصلوا به منهم الى اغراضهم الفاسده،فلا يزالون يذكرون ما يقوى الرجاء،و يزيدهم جرأه على المعاصى و رغبه فى الدنيا،(لا)سيما إذا كان هذا الواعظ أيضا ممن يرغب إلى الدنيا،و يسر بوصول المال إليه،و يتزين بالثياب الفاخره و المراكب الفارهه،و غيرهما من زينه الدنيا.فمثله ممن يضل و يكون افساده أكثر من اصلاحه،و مع ذلك يظن انه مروج الشرع و الدين و مرشد الضالين،فهو أشد المغرورين و الغافلين.

و(منهم)من هذب اخلاقه،و راقب قلبه،و صفاه عن جميع الكدورات،و صغرت الدنيا فى عينه،و انقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم،و دعته الرحمه و الشفقه على عباد اللّه إلى نصحهم و استخلاصهم عن أمراض المعاصى بالوعظ،فلما استقل به وجد الشيطان مجال الفتنه فدعاه إلى الرئاسه دعاء خفيا-أخفى من دبيب النمله-لا يشعر به،و لم يزل ذلك فى قلبه يربو و ينمو حتى دعاه إلى التصنع و التزين للخلق،بتحسين الألفاظ و النغمات و الحركات و التصنع فى الزى و الهيئه و الشمائل،و أقبل الناس إليه يعظمونه و يوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك،اذ رأوه شافيا لامراضهم بمحض الرحمه و الشفقه من غير طمع،فآثروه بأبدانهم و أموالهم،و صاروا له كالخدم و العبيد،فعند ذلك انتشر طبعه و ارتاحت نفسه،و ذاق لذه يا لها من لذه،

و أصاب من الدنيا شهوه يستحقر معها كل شهوه،فوقع فى أعظم لذات الدنيا بعد قطعه بأنه تارك للدنيا،فقد غره الشيطان على ما لا يشعر به.و علامه ثوران حب الرئاسه فى باطنه:أنه لو ظهر من اقرانه من مالت القلوب إلى قبوله،و زاد أثر كلامه فى القبول على كلامه،شق ذلك عليه،إذ لو لا أن النفس قد استبشرت و استلذت بالرئاسه لكان يغتنم ذلك.

و على هذا فينبغى ألا يشتغل أحد بالنصح و الوعظ إلا إذا وجد من نفسه أنه ليس له قصد سوى هدايتهم إلى اللّه-تعالى-،و كان يسره غايه السرور ظهور من يعينه على إرشادهم أو اهتدائهم من عند أنفسهم،و انقطع طمعه بالكليه عن ثنائهم و أموالهم،و استوى عنده حمدهم و ذمهم،و لم يبال بذمهم إذا كان الله يمدحه،و لم يفرح بمدحهم إذا لم يقترن به مدح اللّه، و نظر إليهم كما ينظر إلى من هو أعلم منه و أورع،حيث لا ـ ينكر عليه و يراه خيرا من نفسه،لدلاله الظاهر على ذلك و جهله بالخاتمه،و إلى البهائم من حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزله فى قلوبهم،فانه لا ـ يبالى كيف يراه البهائم،فلا يتزين لها،إذ راعى الماشيه إنما غرضه رعايتها و دفع الذئب عنها،دون نظر الماشيه إليه بعين المدح و الثناء.

ثم لو ترقى الواعظ،و علم بهذه المكيده من الشيطان،و اشتغل بنفسه و ترك النصح،أو نصح مع رعايه شرط الصدق و الإخلاص،لخيف عليه الاعجاب بنفسه فى فراره عن الغرور،فيكون اعجابه بنفسه فى الفرار عن الغرور غايه الغرور،و هو المهلك الأعظم من كل ذنب،و لذلك قال الشيطان:

«يا ابن آدم!اذا ظننت أنك بعملك تخلص منى فبجهلك قد وقعت فى حبائلى».ثم لو دفع عن نفسه العجب،و علم أن ذلك من اللّه-تعالى-لا منه، و أن مثله لا يقوى على دفع الشيطان عنه إلا بتوفيق اللّه،و انه ضعيف عاجز

لا يقدر على شىء أصلا،فضلا عن دفع الشيطان،لخيف عليه الغرور بفضل اللّه و الثقه بكرمه و الأمن من مكره،حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيره فى المستقبل.و لا ريب أن الآمن من مكر اللّه خاسر مغرور،فسبيل النجاه بعد تهذيب النفس و خلوص القصد و الانقطاع عن الدنيا و لذاتها،ان يرى ذلک كله من فضل اللّه،و كان خائفا على نفسه من سلب حاله فى كل لحظه، و غير آمن من مكر اللّه،و غير غافل عن خطر الخاتمه.و هذا خطر لا محيص عنه و خوف لا نجاه منه،إلا بمجاوزه الصراط و الدخول فى الجنه،و لذلک لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء فى وقت النزع-و كان قد بقى له نفس-قال:

(أفلت منى يا فلان!؟)،فقال:(لا!بعد).

وصل (أهل العباده و العمل)

و المغرورون منهم فرق كثيره:

(فمنهم)من غلبت عليه الوسوسه فى إزاله النجاسه و فى الوضوء، فيبالغ فيه و لا يرتضى الماء المحكوم بالطهاره فى فتوى الشرع،و يقدر الاحتمالات البعيده الموجبه للنجاسه،و إذا آل الأمر إلى الأكل و أخذ المال قدر الاحتمالات الموجبه للحل،بل ربما أكل الحرام المحض و قدر له محملا بعيدا لحله،و لو انقلب هذا الاحتمال من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيره أكابر الأولياء. ثم من هؤلاء من يخرج إلى الإسراف فى صبه الماء و ربما بالغ عند الوضوء فى التخليل و ضرب إحدى يديه على وجهه أو يده الأخرى، و لا يدرى هذا المغرور أن هذا العمل ان كان مع اليقين بحصول ما يلزم شرعا فهو تضييع للعمر الذى هو أعز الأشياء فيما له مندوحه عنه،و ان كان بدونه بل يحتاط فى التخليل ليحصل الجزم بوصول الماء إلى البشره،فما باله يتيقن

بوصول الماء إلى البشره فى الغسل بدون هذه المبالغه و الاحتياط مع أن حصول القطع بايصال الماء إلى البشره فى الغسل ألزم و أوجب.ثم ربما لم يكن له مبالغه و احتياط فى الصلاه و سائر العبادات،و انحصر احتياطه و مبالغته بالوضوء،زاعما أن هذا يكفى لنجاته،فهو مغرور فى غايه الغرور.

و(منهم)من اغتر بالصلاه فغلبت عليه الوسوسه فى نيتها،فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نيه صحيحه،بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعه أو فضيله الوقت،و قد يوسوس فى التكبير حتى يغير صيغتها لشده الاحتياط فيه، يفعل ذلك فى أول صلاته ثم يغفل فى جميع صلاته،و لا يحضر قلبه،و يغتر بذلك،و يظن أنه إذا أتعب نفسه فى تصحيح النيه فهو على خير.و ربما غلبت على بعضهم الوسوسه فى دقائق القراءه،و اخرج حروف الفاتحه و سائر الاذكار عن مخارجها،فلا يزال يحتاط فى التشديدات و تصحيح المخارج و التميز بين مخارج الحروف المتقاربه،من غير اهتمام فيما عدا ذلك،من حضور القلب و التفكير فى معانى الاذكار،ظنا منه أنه إذا صحت القراءه فالصلاه مقهوله،و هذا اقبح أنواع الغرور.

و(منهم)من اغتر بالصوم،و ربما صام الأيام الشريفه،بل صام الدهر،و لم يحفظ لسانه عن الغيبه،و لا بطنه عن الحرام عند الإفطار،ثم يظن بنفسه الخير،و ذلك فى غايه الغرور.

و(منهم)من اغتر بالحج،فيخرج إلى الحج من غير خروج عن المظالم و قضاء الديون و طلب الزاد الحلال،و يضيع فى الطريق الصلاه، و يعجز عن طهاره الثوب و البدن،ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الأخلاق و ذمائم الصفات،و مع ذلك يظن انه على خير،فهو فى غايه الغرور.

و(منهم)من اغتر بقراءه القرآن،فيهذ هذا،و ربما يختم فى اليوم

و الليله مره،فيجرى به لسانه،و قلبه مردد فى أوديه الأمانى،و ربما أسرع فى القراءه غايه السرعه،و يظن ان سرعه اللسان من الكمالات،و يتفاخر على الأمثال و الأقران.

و(منهم)من اغتر ببعض النوافل،كصلاه الليل،أو مجرد غسل الجمعه،أو أمثال ذلك،من غير اعتداد بالفرائض،زاعما أن المواظبه على مجرد هذه النافله ينجيه فى الآخره،فهو أيضا من المغرورين.

و(منهم)من تزهد و قنع بالدون من المطعم و الملبس و المسكن،ظانا أنه أدرك رتبه الزهاد،و مع ذلك راغب فى الرئاسه باشتهاره بالزهد،فهو ترك أهون المهلكين باعظمها،إذ حب الجاه أشد فسادا من حب المال،و لو ترك الجاه و أخذ المال لكان أقرب إلى السلامه،فهو مغرور،إذ ظن أنه من الزهاد،و لم يعرف أن منتهى لذات الدنيا الرئاسه،و هو يحبها،فكيف يكون زاهدا؟

الطائفه السادسه (المتصوفه)

و المغترون فيهم أكثر من ان يحصى:

(فمنهم)أرباب البوقات،و هم القلندريه الذين لا يعرفون معنى التصوف و لا شيئا من مراسيم الدين،و صرفوا اوقاتهم فى التكدى و السؤال من الناس،و يظنون أنهم تاركون للدنيا مقبلون على الآخره،مع انهم لو ظفروا بشىء من أمور الدنيا لأخذوه بجميع جوارحهم،فهؤلاء ارذل الناس بوجوه كثيره لا تخفى.

و(منهم)من اغتر بالزى،و المنطق،و لبس الصوف،و اطراق الرأس و ادخاله فى الجيب،و خفض الصوت،و تنفس الصعداء،و تحريك البدن

فی الطول و العرض،و السقوط إلی الأرض،(لا)سیما إذا سمعوا کلاما فی الوحده و العشق،مع عدم اطلاعهم علی حقیقه شیء منهما.و ربما تجاوز بعضهم من ذلک إلی الرقص و التصفیق،و إبداء الشهیق و النهیق،و اختراع الاذکار،و التغنی بالاشعار...و غیر ذلک من الحرکات القبیحه و الهیئات الشنیعه،و یظن أن العبد بهذه الحرکات و الأفعال یصل إلی الدرجات العالیه، و لم یعلم المغرور أنها تقرب العبد إلی سخط اللّه و عذابه.

و(منهم)من وقع فی الاباحه،و طوی بساط الشرع و الاحکام، و ترک الفصل بین الحلال و الحرام،یتکالب علی الحرام و الشبهات،و لا یحترز عن أموال الظلمه و السلاطین،و ربما قال:المال مال اللّه و الخلق عیال اللّه، فهم فیه سواء.و ربما قال:ان اللّه مستغن عن عملی،فأی حاجه إلی أن أتعب نفسی فیه؟و ربما قال:لا وزن لأعمال الجوارح،و إنما النظر إلی القلوب، و قلوبنا و الهه إلی حب اللّه و اصله إلی معرفه اللّه.و ربما خاضوا فی الشهوات الدنیویه،و قالوا:إنها لا تصدنا عن طریق اللّه،لقوه نفوسنا و قوه اقدامنا فیها،و إنما یحتاج العوام إلی تهذیب النفس بالأعمال البدنیه،و نحن مستغنون عنه.فهؤلاء یرفعون درجتهم عن درجه الأنبیاء-علیهم السلام-إذ کانوا یصرحون بأن ارتکاب الأمور المباحه فضلا عن الخطایا و المعاصی یصدهم عن طریق اللّه،حتی یبکون سنین متوالیه علی ترک الراجح و فعل المرجوح،فهم أشد الناس غرورا،و أعظم الخلق حماقه و جهلا.

و(منهم)من یدعی غایه المعرفه و الیقین،و الوصول إلی درجات المقربین،و مشاهده المعبود،و مجاوره المقام المحمود،و الملازمه فی عین الشهود،و تلقف من الطامات کلمات یرددها،و یظن أنه یتکلم عن الوحی و یخبر عن السماء.و ینظر إلی العباد و الفقهاء و المحدثین و سائر أصناف العلماء

بعين الحقاره و الازدراء،يقول فى العباد:إنهم أجراء مبعوثون،و فى العلماء:

أنهم بالحديث عن اللّه لمحجوبون،و يدعى لنفسه من الكرامات ما لا يدعيه نبى و لا ولى،و يدعى كونه و أصلا إلى الحق فارغا عن أعباء التكليف، لا علما أحكم و لا عملا هذب،لم يعرف من المعارف إلا أسماء يتفوه بها عند الأغنياء للوصول إلى بعض حطامهم الخبيثه،فهو عند اللّه من الفجار المنافقين،و عند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين،مع ظنه أنه من المقربين،فهو أشد الغافلين المغرورين.

و(منهم)ملاميه يرتكبون قبائح الاعمال و شنائع الافعال الموجبه للبعد عن طريق المروه،ظنا منهم أن هذا موجب لكسر النفس و إزاله ذمائم الأخلاق،و لم يعلموا ان هذه الافعال من الذمائم،و قد نهى صاحب الشرع عنه.

و(منهم)من اشتغل بالرياضه و المجاهده،و قطع بعض المنازل، و وصل إلى بعض المقامات على قدر سعيه و مجاهدته،إلا أنه لم يتم سلوكه و انقطع عن سائر المقامات،اما لاعتراض مفسد فى اثناء السلوك،أو لوقوعه فى الاثناء ظنا منه انه وصل إلى اللّه و لم يصل بعد،فان للّه سبعين حجابا من نور،و لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب فى الطريق الا و يظن انه قد وصل،و إليه الإشاره فى حكايه الخليل،حيث رأى أولا كوكبا،فقال:

«هذا ربى»،ثم انتقل إلى القمر،ثم عنه إلى الشمس،فانه ليس المراد بالكوكب و القمر و الشمس هذه الاجسام المضيئه،فان شأن مثل الخليل أعظم من أن يظن كونها آلهه،بل هذا ينافى شأنه و رتبته،فالمراد بها الأنوار التى هى من حجب اللّه،و يراها السالك فى الطريق،و لا يتصور الوصول إلى اللّه الا بالوصول إلى هذه الحجب،و هى حجب من النور بعضها أعظم من

بعض،فاستعير لفظ الكواكب لصغره لاقل مراتبها،و القمر لاوسطها، و الشمس لاعظم مراتبها،و الخليل(ع)لم يزل عند سيره فی الملكوت يصل الی نور بعد نور،و يتخيل إليه فی أول ما يلقاه أنه قد وصل،ثم انكشف له أن وراءه امر،فيترقی إليه حتی وصل إلی الحجاب الاقرب،فقال:هذا أكبر،فلما ظهر أنه مع عظمته غير خال عن الهوی فی حضيض النقص و الانحطاط عن ذروه الكمال،قال:

لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ . إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ... (۱).

فسالك هذا الطريق قد يغتر فی الوقوف علی بعض هذه الحجب،و ربما يغتر بالحجاب الأول،و أول الحجاب بين اللّه و بين العبد هو قلبه،فانه -أيضا-أمر ربانی و نور من أنوار اللّه،تتجلی فيه حقيقه الحق كله،حتی يتسع لجمله العالم و يحيط به و تنجلی فيه صوره الكل،و عند ذلک يشرق نوره اشراقا عظيما،اذ يظهر فيه الوجود كله علی ما هو عليه،و هو فی أول الامر كان محجوبا،فإذا تجلی نوره و انكشف فيه جماله بعد اشراق نور اللّه تعالی ربما التفت صاحب القلب إلی القلب،فيری من جماله الفائق ما يدهشه، فربما يسبق لسانه فی هذه الدهشه،فيقول:انا الحق!فان لم يتضح له ما وراء ذلک،اغتر به،و وقف عليه و هلک،و كان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضره الآلهيه،و لم يصل بعد إلی القمر،فضلا عن الشمس،فهو مغرور.و هذا محل الالتباس،اذ المتجلی يلتبس بالمتجلی فيه،كما يلتبس لون ما يتراءی فی المرآه فيظن أنه لون المرآه،و كما يلتبس ما فی الزجاج بالزجاج فيظن أنه لون الزجاج،كما قيل:

رق الزجاج و رقت الخمر

فتشابها و تشاكل الامر

۱- ۱) الانعام،الآيه:۷۶ و ۷۹.

فکأنما خمر و لا قدح

و کأنما قدح و لا خمر

و بهذه العين نظر النصارى إلى المسيح،فرأوا اشراق نور اللّه قد تلألأ فيه،فغلطوا فيه،كمن يرى كوكبا فى مرآه أو فى ماء،فيظن أن الكوكب فى المرآه أو فى الماء،فيمد اليد إليه،فهو مغرور.و أنواع الغرور فى طريق السلوك إلى اللّه كثيره لا تخفى على أرباب البصيره.

ثم أكثر المتلبسين بلباس العارفين-مع كذبهم فيما يدعونه،و نقصانهم فى طريق السلوك،و جهلهم بحقيقه الأمر،و عدم قطعهم جل المقامات- يتشبهون بالصادقين من العرفاء فى زيهم و هيئتهم و آدابهم و مراسمهم و الفاظهم، ظانين أنهم بهذا التشبه يصلون إلى مراتبهم،فهيهات هيهات!إن الوصول الى درجه كل أحد إنما تحصل بالاتصاف بأوصافه الباطنه و التخلق باخلاقه النفسيه،دون التشبه به فى حالاته الظاهره،و قد شبههم بعض الأكابر بامرأه عجوز سمعت أن الشجعان من المقاتلين تثبت أسماؤهم فى الديوان و يقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكه،فتاقت نفسها إلى أن تكون مثلهم،فلبست درعا،و وضعت على رأسها مغفرا،و تعلمت من رجز الأبطال أبياتا، و تعلمت كيفيه جولانهم فى الميدان،و تلقفت جميع شمائلهم فى الزى و المنطق و الحركات و السكنات،و توجهت إلى المعسكر ليثبت اسمها فى ديوان الشجعان، فلما وصلت إليه،أنفذت إلى ديوان العرض،و أمرت بأن تجرد عن المغفر و الدرع،و ينظر إلى حقيقتها،و تمتحن بالمبارزه مع بعض الشجعان ليعرف قدر شجاعتها،فلما جردت فإذا هى عجوز ذات منه ضعيفه لا تقدر على شىء، فقيل لها:أ جئت للاستهزاء بالملك و أهل حضرته؟خذوها و القوها قدام الفيل،فداسها و نحتها.فهكذا يكون حال المدعين للتصوف و العرفان فى القيامه،اذا كشف عنهم الغطاء و عرضوا إلى القاضى الحق الذى لا ينظر الى الزى و اللباس بل إلى سر القلب و صفاته.

الطائفه السابعه (الأغنياء و أرباب الأموال)

و المغترون فيهم أكثر من سائر الطوائف:

(فمنهم)من يحرص على بناء المساجد و المدارس و الرباطات و القناطر و سائر ما يظهر للناس بالأموال المحرمه،و ربما غصب أرض المساجد و المدارس،و ربما صير لها موقوفات أخذها من غير حلها،و لا باعث له على ذلك سوى الرياء و الشهوه،و لذا يسعى فى كتابه اسمه على احجارها ليتخلد ذكره و يبقى بعد الموت أثره،و يظن المسكين أنه قد استحق المغفره بذلك، و أنه مخلص فيه،و لم يدر أنه تعرض لسخط اللّه فى كسب هذه الأموال و فى انفاقها،و كان الواجب عليه الامتناع عن أخذها من أهله،و إذا عصى اللّه و أخذها،كان الواجب عليه التوبه و ردها إلى أهلها،فان لم يبق من أخذها منه و لا ورثته،كان الواجب ان يتصدق بها على المساكين،مع انه ربما كان فى بلده أو فى جواره مسكين يكون فى غايه الفقر و المسكنه و لا يعطيه درهما.

و(منهم)من ينفق الأموال فى الصدقات،الا أنه يطلب الفقراء الذين عادتهم الشكر و الافشاء للمعروف،و يكره التصدق فى السر،بل يطلب المحافل الجامعه و يتصدق فيها،و ربما يكره التصدق على فقراء بلده و يرغب ان يعطى أهل البلاد الآخر مع أكثريه استحقاق فقراء بلده،طلبا لاشتهاره بالبذل و العطاء فى البلاد الخارجه البعيده،و ربما يصرف كثيرا منه الى رجل معروف فى البلاد و ان لم يكن مستحقا،ليشتهر ذلك فى البلاد، و لا يعطى قليلا منه إلى فقير له غايه الاستحقاق إذا كان خامل الذكر،يفعل هذا و يظن أنه يجلب بذلك الأجر و الثواب،و لم يدر المغرور أن هذا القصد

احبط عمله و اضاع ثوابه.

و(منهم)من يجمع مالا-من غير حله،و لا-يبالى باخذ المال من أى طريق كان،ثم يمسكه غايه الإمساك،إلا انه لا يبالى بصرف بعضه فى طريق الحج،إما لنفسه فقط،أو لأولاده و ازواجه أيضا،اما للاشتهار،او لما وصل إليه:ان تارك الحج يبتلى بالفقر.

و(منهم)من غلب عليه البخل،فلا تسمح نفسه بانفاق شىء من ماله فيشتغل بالعباده البدنيه من الصوم و الصلاه،ظنا منه ان ذلك يكفى لنجاته، و لم يدر ان البخل صفه مهلكه لا بد من ازالتها،و علاجه!بذل المال دون العبادات البدنيه.و مثله مثل من دخلت فى ثوبه حيه،و قد أشرف على الهلاك،و هو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن الصفراء،و غافل بأن الحيه تقتله الآن،و من قتلته الحيه فأى حاجه له إلى السكجبين؟

وصل (ضد الغرور الفطانه و العلم و الزهد)

اشاره

قد عرفت ان الغرور مركب من الجهل و حب مقتضيات الشهوه و الغضب،فضده الفطانه و العلم و الزهد،فمن كان فطنا كيسا عارفا بربه و نفسه و بالآخره و الدنيا،و عالما بكيفيه سلوك الطريق إلى اللّه و بما يقربه إليه و بما يبعده عنه،و عالما بآفات الطريق و عقباته و غوائله،لاجتنب عن الغرور و لم يغره الشيطان فى شىء من الأمور،إذ من عرف نفسه بالذل و العبوديه و بكونه غريبا فى هذا العالم اجنبيا من هذه الشهوات البهيميه،عرف كون هذه الشهوات مضره له و ان الموافق له طبعا هو معرفه اللّه و النظر إلى وجهه فلا يسكن نفسه إلى شهوات الدنيا،و من عرف ربه و عرف الدنيا و الآخره و لذاتهما و عدم النسبه بينهما ثار فى قلبه حب اللّه و الرغبه إلى دار الآخره

و الانزجار عن الدنيا و لذاتها،و إذا غلبت هذه الاراده على قلبه صحت نيته فى الأمور كلها،فان أكل-مثلا-او اشتغل بقضاء الحاجه كان قصده منه الاستعانه على سلوك طريق الآخره،و اندفع عنه كل غرور منشأه تجاذب الأغراض و النزوع إلى الدنيا و إلى الجاه و المال،و ما دامت الدنيا أحب اليه من الآخره و هوى نفسه أحب إليه من رضاء اللّه،لم يمكنه الخلاص من الغرور. فالاصل فى علاج الغرور:ان يفرغ القلب من حب الدنيا، و يغلب عليه حب اللّه،حتى تتقوى به الاراده و تصح به النيه و يندفع عنه الغرور.قال الصادق(ع):«و اعلم انک لن تخرج من ظلمات الغرور و التمنى الا بصدق الإنابه إلى اللّه،و الاخبات له،و معرفه عيوب أحوالک من حيث لا يوافق العقل و العلم،و لا يحتمله الدين و الشريعه و سنن القدوه و أئمه الهدى،و ان كنت راضيا بما أنت فيه فما أحد اشقى بعملک منک و اضيع عمرا،فاورثت حسره يوم القيامه» (۱).

و منها:

اشاره

طول الأمل

معنى طول الأمل و مرجعه-علاجه-ضده قصر الأمل-اختلاف الناس فى طول الأمل-ذكر الموت مقصر للامل-التعجب ممن ينسى الموت- الموت أعظم الدواهى-مراتب الناس فى ذكر الموت.

و هو أن يقدر و يعتقد بقاءه إلى مده متماديه،مع رغبته فى جميع توابع البقاء:من المال و الأهل و الدار و غير ذلک،و هو من رذائل قوتى العاقله و الشهوه،إذ الاعتقاد المذكور راجع إلى الجهل المتعلق بالعاقله،و حبه

۱- ۱) صحناه على مصباح الشريعه-الباب ۳۶.

لجميع توابع البقاء و ميله إليه من شعب حب الدنيا.و جهله راجع إلى تعويله!إما على شبابه،فيستبعد قرب الموت مع الشباب،و لا يتفكر المسكين فى ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشر عشير أهل البلد،و انما قلوا لأن الموت فى الشباب أكثر،و إلى أن يموت شيخ يموت الف صبى و شاب، أو على صحته و قوته،و يستبعد مجىء الموت فجأه،و لا يتأمل فى أن ذلك غير بعيد،و لو سلم بعده فالمرض فجأه غير بعيد،إذ كل مرض انما يقع فجأه، و إذا مرض لم يكن الموت بعيدا.و لو تفكر هذا الغافل،و علم أن الموت ليس له وقت مخصوص،من شباب و شيب و كهوله،و من شتاء و خريف و صيف و ربيع،و ليل و نهار،و حضر و سفر،لكان دائما مستشعرا غير غافل عنه،و عظم اشتغاله بالاستعداد له،لكن الجهل بهذه الأمور و حب الدنيا بعثاه على الغفله و طول الأمل،فهو ابدا يظن أن الموت بين يديه،و لا يقدر نزوله و وقوعه فيه.و يشيع الجنائز و لا يقدر ان تشيع جنازته،لأن هذا قد تكرر عليه،و الفه بتكرر مشاهده موت غيره.و أما موت نفسه،فلم يألفه و لا يتصور ان يألفه،لأنه لم يقع،و إذا وقع لا يقع دفعه أخرى بعده،فهو الأول و هو الآخر! و اما حبه لتوابع البقاء!من المال و الدار و المراكب و الضياع و العقار، فراجع إلى الانس بها و الالتذاذ بها فى مده مديده،فيثقل على قلبه مفارقتها، فيمنع قلبه عن التفكر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها،اذ كل من كره شيئا يدفعه عن نفسه.و الإنسان لما كان مشغوفا بالامانى الباطله،و بالدنيا و شهواتها و لذاتها و علائقها،فتتمنى نفسه أبدا ما يوافق مراده،و مراده البقاء فى الدنيا،فلا يزال يتوهمه و يقرره فى نفسه،و يقدر توابع البقاء من أسباب الدنيا،فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه،فيلهو عن ذكر الموت و لا يقدر قربه،فان خطر له فى بعض الاحيان امر الموت و الحاجه

إلى الاستعداد له،سوّف و وعد نفسه إلى ان يكبر فيتوب.و إذا كبر اخر التوبه إلى ان يصير شيخا،و إذا صار شيخا يؤخرها إلى أن يفرغ من عماره هذه الضيعه او يرجع من سفر كذا او يفرغ من تدبير هذا الولد و جهازه و تدبير مسكن له،و لا يزال يسوف و يؤخر إلى ان يخطفه الموت فى وقت لا يحتسبه، فتعظم عند ذلك بليته و تطول حسرته،و قد ورد ان أكثر أهل النار صياحهم من سوف،يقولون و احزناه من سوف!و المسوف المسكين لا يدرى ان الذى يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غدا،و انما يزداد بطول المده قوه و رسوخا،إذ الخائض فى الدنيا لا يتصور له الفراغ منها قط،اذ ما قضى من أخذ منها لبانته،و انما فرغ منها من اطرحها.

فصل (علاج طول الأمل)

اشاره

لما عرفت ان طول الأمل منشأه الجهل و حب الدنيا،فينبغى أن يدفع الجهل بالفكر الصافى من شوائب العمى،و بسماع الوعظ من النفوس الطاهره، فان من تفكر يعلم ان الموت أقرب إليه من كل شيء،و انه لا بد ان تحمل جنازته و يدفن فى قبره،و لعل اللبن الذى يغطى به لحده قد ضرب و فرغ منه،و لعل اكفانه قد خرجت من عند القصار و هو لا يدرى به. و اما حب الدنيا فينبغى ان يدفع من القلب بالتأمل فى حقاره الدنيا و نفاسه الآخره،و ما ورد فى الأخبار من الذم و العقاب فى حب الدنيا و الرغبه إليها، و من المدح و الثواب على تركها و الزهد عنها،و قد تقدم ما يكفى لهذا البيان.

و ينبغى-أيضا-ان يتذكر ما ورد فى مدح ضد طول الأمل-اعنى قصر الأمل كما يأتى-و ما ورد فى ذم طول الأمل،كقوله-صلّى اللّه عليه و آله-:

«ان أشد ما أخاف عليكم خصلتان!اتباع الهوى،و طول الأمل.فأما اتباع

الهوی فانه یصد عن الحق،و اما طول الأمل فانه الحب للدنیا-ثم قال-:

ان اللّه یعطی الـدنیا من یحب و یبغض و إذا أحب عبـدا أعطاه الایمان،الا ان للدین أبناء و الدنیا أبناء،فکونوا من أبناء الدین و لا تکونوا من أبنـاء الـدنیا.الا ان الـدنیا قـد ارتحلت مولیه،الا ان الآخره قـد أنت مقبله،الا و انکم فی یوم عمل لیس فیه حساب،الا و انکم یوشـک أن تکونوا فی یوم حساب لیس فیه عمل» (۱).و قوله-صـلّی اللّه علیه و آله-:«نجا أول هذه الأمه بالیقین و الزهد،و یهلک آخر هذه الأمه بالبخل و الأمل».و قول أمیر المؤمنین-علیه السلام-:«ما أطال عبد الأمل الا أساء الأمل

وصل (قصر الأمل)

ضـد طول الأمل قصره،و هو من شعار المؤمنین و دثار الموقنین،و لذا ورد فی الأمر به و النهی عن ضده ما ورد،قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-:«إذا أصـبحت فلاـ تحـدث نفسک بالمسـاء،و إذا أمسیت فلا تحـدث نفسک بالصباح،و خـذ من دنیاک لآخرتک،و من حیاتک لموتک،و من صـحتک لسـقمک،فانک لا تـدری ما سـمک غـدا».و قال-صـلّی اللّه علیه و آله- بعد ما سمع أن أسامه اشتری ولیده بمائه دینار إلی شـهر:«ان أسامه لطویل الأمل.و الذی نفسی بیده!ما طرفت عینای الا ظننت أن شفری لا یلتقیان

---

۱ - ۱) صـححنا الحـدیث علی احیـاء العلـوم:۴-۳۸۴،و هـو یرویـه عـن علی(ع) عـن النـبی(ص)،و لکـن فی کنز العمـال:۲-۱۶۹،یرویـه:انـه مـن کلاـم علی (ع)نفسـه،مـع اختلاـف یسـیر عـن عبـاره الاحیـاء،و عبـاره الکنز أبلـغ و أرصـن، و فیه کلمه(الآخره)بدل(الدین)،و نفس الکلام مع اختلاف یسیر أیضا(و هو أبلغ و أعلی من العبارتین)،مروی فی نهج البلاغه:رقم ۴۱ من باب الخطب،فراجع.

حق يقبض اللّه روحى،و لا رفعت طرفى فظنت أنى واضعه حتى اقبض، و لا لقمت لقمه إلا ظننت انى لا اسيغها حتى اغص بها من الموت»،ثم قال:

«يا بنى آدم!إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى،و الذى نفسى بيده! أن ما توعدون لآت و ما أنتم بمعجزين».و روى:«انه-صلّى اللّه عليه و آله- قد اطلع ذات عشيه إلى الناس،فقال:ايها الناس!اما تستحيون من اللّه تعالى؟قالوا:و ما ذاك يا رسول اللّه!قال:تجمعون ما لا تأكلون، و تأملون ما لا تدركون،و تبنون ما لا تسكنون».«و قال-صلّى اللّه عليه و آله-:أ كلكم يحب أن يدخل الجنه؟قالوا:نعم يا رسول اللّه!قال:

قصروا من الأمل،و اجعلوا آجالكم بين أبصاركم،و استحيوا من اللّه حق الحياء».و كان-صلّى اللّه عليه و آله-يقول فى دعائه:«اللهم إنى أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخره،و أعوذ بك من حياه تمنع خير الممات،و أعوذ بك من امل يمنع خير العمل»و كان-صلّى اللّه عليه و آله-يتيمم مع القدره على الماء قبل مضى ساعه،و يقول لعلى لا أبلغه. و قال عيسى-عليه السّلام-:

«لا تهتموا برزق غد،فان لم يكن غدا من آجالكم فتأتى ارزاقكم مع آجالكم،و ان لم يكن غدا من آجالكم فلا تهتموا لأرزاق غيركم».

فصل (اختلاف الناس فى طول الأمل)

الناس فى طول الأمل و قصره مختلفون:(فمنهم)من يأمل البقاء و يشتهيه أبدا،كما قال اللّه-سبحانه-:

يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَهٍ

(۱)

ص: ۳۶

۱- ۱) البقره،الآيه:۹۶.

و هو الـذى انغمر فى الـدنيا و خاض فى لـذاتها،و ليس له من الآخره نصـيب.(و منهم)من يأمل البقاء إلى اقصـى مده العمر الذى يتصور لأهل عصـره،و هو الـذى يحب الـدنيا حبا شديدا،و يشـتغل بجمع ما يمكنه فى هذه المده،و ربما يجتهد بجمع الازيد منه. (و منهم)من يأمل أقل من ذلك إلى ان ينتهى إلى من لا يأمل أزيد من سـنه،فلا يشـتغل بتدبير ما وراءها،و لا يقدر لنفسه وجوده فى عام قابل،فان بلغه حمد اللّه على ذلك،و مثله يسـتعد فى الصيف للشتاء و فى الشتاء للصيف،و إذا جمع ما يكفيه السنه اشتغل بالعبـاده. (و منهم)من يأمـل أقـل من السـنه إلى ان ينتهى إلى من لا يأمل أزيـد من يوم و ليله،فلا يسـتعد الا لنهاره دون غـده. (و منهم)من يكون الموت نصب عينيه،كـأنه واقع به و هو ينتظره،و مثله يصـلى دائمـا صـلاه المودعين. و روى:«أن النـبى-صـلّى اللّه عليه و آله-سأل بعض الصحابه عن حقيقه ايمانه،قال:ما خطوت خطوه الا ظننت انى لا اتبعها أخرى».

و كان بعضهم إذا يصلى يلتفت يمينا و شمالا،و لما قيل له:ما هذا الالتفات؟ قال:«انتظر ملك الموت من انى جهه يأتينى».

ثم أكثر الخلق-(لا ـ)سـيما فى أمثـال زماننـا-قـد غلبهم طول الأمل، بحيث لا يأمل أقل من اقصـى مـده السن،و قلّ فيهم من قصـر امله،و العجب انه كلمـا يزداد السن يزداد طـول الأمـل،و فى عصـرنا أكـثر المشايـخ و المعمرين حرصـهم و طول املهم أكـثر من الشبان،و من هنا قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«يشيب ابن آدم و تشب فيه خصلتان:الحرص،و طول الأمل».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله-:«حب الشيخ شاب فى طلب الدنيا،و ان التقت ترقوتاه من الكبر،إلا الذين اتقوا،و قليل ما هم».

ثم يعرف طول الأمل و قصره بالأعمال:فمن اعتنى بجمع أسباب

لاـ یحتاج إلیها فی سنه فهو طویل الأمل،و کذلک من انتشرت أموره،بأن یکون له مع الناس معاملات و محاسبات إلی مده معینه،کالسنه و أزید منها، و کان علیه دیون من الناس کذلک،و مع ذلک لم یکن مضطربا و لا خائفا فهو طویل الأمل.فعلامه قصر الأمل:أن یجمع امره بحیث لا یکون علیه من الناس شیء،و لا یسعی لطلب قوت الزائد علی أربعین یوما،و یصرف اوقاته فی الطاعه و العباده،و یری نفسه کمسافر یجتهد فی تحصیل الزاد.

فصل (ذکر الموت مقصر للامل)

ذکر الموت یقصر الأمل و یدفع طوله،و یوجب التجافی عن دار الغرور و الاستعداد لدار الخلود،و لذا ورد فی فضیلته و الترغیب فیه اخبار کثیره،قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-:«أکثروا ذکر هادم اللذات»،قیل:و ما هو یا رسول اللّه؟!قال:«الموت،فما ذکره عبد علی الحقیقه فی منعه الا ضاقت علیه الدنیا،و لا فی شده الا اتسعت علیه».و قال -صلّی اللّه علیه و آله-:«تحفه المؤمن الموت».و قال-صلّی اللّه علیه و آله-:

«الموت کفاره لکل مسلم».و قیل له-صلّی اللّه علیه و آله-أهل یحشر مع الشهداء أحد؟قال:«نعم!من یذکر الموت فی الیوم و اللیله عشرین مره».و قال-صلّی اللّه علیه و آله-:«أکثروا من ذکر الموت،فانه یمحص الذنوب،و یزهد فی الدنیا».و قال-صلّی اللّه علیه و آله-:«کفی بالموت واعظا». و قال-صلّی اللّه علیه و آله-:«الموت الموت،الا و لا بد من الموت،جاء الموت بما فیه،جاء بالروح و الراحه و الکره المبارکه إلی جنه عالیه لأهل دار الخلود الذین کان لها سعیهم و فیها رغبتهم».و قال-صلّی اللّه علیه و آله-:«اذا استحقت ولایه اللّه و السعاده،جاء الأجل بین العینین و ذهب

الأمل وراء الظهر،و إذا استحقت ولايه الشيطان و الشقاوه،جاء الأمل بين العينين و ذهب الأجل وراء الظهر».و ذكر عنده-صلّى اللّه عليه و آله-رجل، فاحسنوا الثناء عليه،فقال-صلّى اللّه عليه و آله-:«كيف ذكر صاحبكم للموت؟» قالوا:ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت،قال:«فان صاحبكم ليس هنا لك».و سئل:

أي المؤمنين أكيس و أكرم؟فقال:«أكثرهم ذكرا للموت،و أشدهم استعدادا له،أولئك هم الاكياس،ذهبوا بشرف الدنيا و كرامه الآخره» .و قال الباقر-عليه السلام-:«أكثروا ذكر الموت،فانه لم يكثر ذكره انسان الازهد فى الدنيا».و قال الصادق-عليه السّلام-:«اذا أنت حملت جنازه فكن كأنك أنت المحمول و كأنك سألت ربك الرجوع إلى الدنيا ففعل،فانظر ما ذا تستأنف».ثم قال-عليه السلام-:«عجبا لقوم حبس أولهم عن آخرهم،ثم نودى فيهم بالرحيل و هم يلعبون».و قال-عليه السلام-لأبى بصير-بعد ما شكى إليه الوسواس-:«اذكر يا ابا محمد تقطع أوصالك فى قبرك،و رجوع احبائك عنك إذا دفنوك فى حفرتك،و خروج بنات الماء من منخريك،و أكل الدود لحمك،فان ذلك يسلى عليك ما أنت فيه»،قال ابو بصير:فو اللّه!ما ذكرته إلا سلى عنى ما أنا فيه من هم الدنيا.و قال -عليه السّلام-:«من كان كفنه معه فى بيته لم يكتب من الغافلين،و كان ماجورا كلما نظر إليه» (۱). و قال-عليه السّلام-:«ذكر الموت يميت الشهوات فى النفس،و يقلع منابت الغفله،و يقوى القلب بمواعد اللّه،و يرق الطبع،و يكسر اعلام الهوى،و يطفى نار الحرص،و يحقر الدنيا،و هو معنى ما قال النبى-صلّى اللّه عليه و آله-:(فكر ساعه خير من عباده سنه).

۱- ۱) صححنا أكثر الأحاديث على الوسائل-ج ۱:الباب ۲۳ من ابواب الاستحضار فى كتاب الطهاره-،و على احياء العلوم:۴-۲۸۳.

و ذلک عند ما یحل أطناب خیام الدنیا و یشدها فی الآخره،و لا ینکر نزول الرحمه عند ذکر الموت بهذه الصفه،و من لا یعتبر بالموت،و قله حیلته، و کثره عجزه،و طول مقامه فی القبر،و تحیره فی القیامه،فلا خیر فیه. و قال النبی-صلّی اللّه علیه و آله-: (أکثروا ذکر هادم اللذات...)،ثم ذکر تمام الحدیث کما مر...ثم قال-علیه السّلام-:و الموت أول منزل من منازل الآخره و آخر منزل من منازل الدنیا،فطوبی لمن أکرم عند النزول بأولها،و طوبی لمن حسن مشایعته فی آخرها،و الموت أقرب الأشیاء من بنی آدم،و هو بعده أبعد،فما أجرأ الإنسان علی نفسه،و ما اضعفه من خلق،و فی الموت نجاه المخلصین و هلاک المجرمین،و لذلک اشتاق من اشتاق إلی الموت و کره من کره،قال النبی-صلّی اللّه علیه و آله-:(من أحب لقاء اللّه أحب اللّه لقاءه،و من کره لقاء اللّه کره اللّه لقاءه)» (۱).

فصل (العجب ممن ینسی الموت)

عجبا لقوم نسوا الموت و غفلوا عنه،و هو اظهر الیقینیات و القطعیات فی العالم،و أسرع الأشیاء إلی بنی آدم،قال اللّه-سبحانه و تعالی-:

أَیْنَما تَکُونُوا یُدْرِکْکُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ کُنْتُمْ فِی بُرُوجٍ مُشَیَّدَهٍ

(۲)

و قال-سبحانه-: کُلُّ نَفْسٍ ذائِقَهُ الْمَوْتِ وَ إِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَکُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّارِ وَ أُدْخِلَ الْجَنَّهَ فَقَدْ فازَ وَ مَا الْحَیاهُ

۱- ۱) صححنا الحدیث علی مصباح الشریعه:الباب ۸۴.

۲- ۲) النساء،الآیه:۷۷.

اَلدُّنْيٰا إِلاّٰ مَتٰاعُ الْغُرُورِ

(۱)

.

و قال الصادق-عليه السّلام-:«ما خلق اللّه يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت». و قال أمير المؤمنين-عليه السّلام-:«ما انزل الموت حق منزلته من عد غدا من اجله».و قال-عليه السّلام-:«لو رأى العبد أجله و سرعته إليه،لأبغض العمل من الدنيا». و قال الصادق(ع):

«ما من أهل بيت شعر و لا وبر إلا و ملك الموت يتصفحه كل يوم خمس مرات».و قد تقدمت اخبار اخر فى هذا المعنى.

فصل (الموت أعظم الدواهى)

اعلم أن الموت داهيه من الدواهى العظمى،و من كل داهيه أشد و ادهى، و هو من الأخطار العظيمه،و الأهوال الجسيمه،فمن علم أن الموت مصرعه و التراب مضجعه،و القبر مقره و بطن الأرض مستقره،و الدود أنيسه و العقارب و الحيات جليسه،فجدير أن تطول حسرته و تدوم عبرته،و تنحصر فيه فكرته و تعظم بليته،و تشتد لأجله رزيته،و يرى نفسه فى أصحاب القبور و يعدها من الأموات،إذ كل ما هو آت قريب،و البعيد ما ليس بآت، و حقيق ألا يكون ذكره و فكره و غمه و همه و قوله و فعله و سعيه وجده إلا فيه و له،قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«لو أن البهائم يعلمون ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا».أو قال-صلّى اللّه عليه و آله-لقوم يتحدثون و يضحكون:

«اذكروا الموت،أما و الذى نفسى بيده!لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا».و مر-صلّى اللّه عليه و آله-بمجلس قد استعلاه الضحك،

ص: ۴۱

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۱۸۵.

فقال:«شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات».قالوا:و ما مكدر اللذات؟ قال:«الموت».

ثم غفله الناس عن الموت لقله فكرهم فيه و ذكرهم له،و من يذكره ليس يذكره بقلب فارغ،بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا و علائقها،فلا ينفع ذكره فى قلبه،فالطريق فيه:أن يفرغ القلب عن كل شىء إلا عن ذكر الموت الذى بين يديه،كالذى يريد ان يسافر إلى بلد بعيد ما بينهما مفازه مخطره،أو بحر عظيم لا بد أن يركبه،فانه لا يتفكر إلا فيه،و من تفكر فى الموت بهذا الطريق و تكرر منه ذلك،لأثر ذكره فى قلبه،و عند ذلك يقل فرحه و سروره بالدنيا،و تنزجر نفسه عنها،و ينكسر قلبه، و يستعد لأجله. و أوقع طريق فيه:أن يكثر ذكر أقرانه الذين مضوا قبله، و نقلوا من انس العشره إلى وحشه الوحده.و من ضياء المهود إلى ظلمه اللحود، و من ملاعبه الجوارى و الغلمان إلى مصاحبه الهوام و الديدان،و يتذكر مصرعهم تحت التراب،و يتذكر صورهم فى مناصبهم و أحوالهم،ثم يتفكر كيف محى التراب الآن حسن صورتهم،و كيف تبددت أجزاؤهم فى قبورهم،و كيف أرملوا نساءهم و أيتموا أولادهم و ضيعوا أموالهم و خلت منهم مساكنهم و مجالسهم و انقطعت آثارهم و اوحشت ديارهم،فمهما تذكر رجلا رجلا،و فصل فى قلبه حاله و كيفيه حياته،و توهم صورته،و تذكر نشاطه و أمله فى العيش و البقاء،و نسيانه للموت،و انخداعه بمؤثثات الأسباب،و ركونه إلى القوه و الشباب،و ميله إلى الضحك و اللهو،و غفلته عما بين يديه من الموت الذريع و الهلاك السريع،و انه كيف كان يتردد و الآن قد تهدمت رجلاه و مفاصله،و كيف كان ينطق و قد أكل الدود لسانه،و كيف كان يضحك و قد أكل التراب أسنانه،و كيف دبر لنفسه الأمور و جمع من حطام الدنيا مالا يتفق احتياجه إليه على مر الاعوام و الشهور و كر الازمنه و الدهور. ثم يتأمل

أنه مثلهم،و غفلته كغفلتهم،و سيصير حاله فى القبر كحالهم،فملازمه هذه الأفكار و أمثالها،مع دخول المقابر و تشييع الجنائز و مشاهده المرضى، تجدد ذكر الموت فى قلبه،حتى يغلب عليه بحيث يصير الموت نصب عينيه، و عند ذلك ربما يستعد له و يتجافى عن دار الغرور،و اما الذكر بظاهر القلب و عذبه اللسان فقليل الجدوى فى التنبيه و الايقاظ.و مهما طاب قلبه بشىء من أسباب الدنيا،فينبغى أن يتذكر فى الحال أنه لا بد من مفارقته.كما نقل:أن بعض الأكابر نظر إلى داره فاعجبه حسنها،فبكى و قال:و اللّه لو لا الموت لكنت بها مسرورا.

فصل (مراتب الناس فى ذكر الموت)

الناس بين منهمك فى الدنيا خائض فى لذاتها و شهواتها،و بين تائب مبتدئ،و عارف منتهى.

(فالأول):لا يذكر الموت،و إن ذكره فيذكره ليذمه لصده عما يحبه من الدنيا،و هو الذى يفر منه،و قال اللّه-تعالى-فيه:

قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاٰقِيكُمْ... الآيه (1)و هذا يزيده ذكر الموت بعدا من اللّه،الا إذا استفاد منه التجافى عن الدنيا،و يتنغص عليه نعيمه،و يتكدر صفو لذته،و حينئذ ينفعه،لأن كل ما يكدر على الإنسان اللذات فهو من أسباب نجاته.

(و الثانى):يكثر ذكر الموت لينبعث من قلبه الخوف و الخشيه،فيفى

۱- ۱) الجمعه،الآيه:۸.

بتمام التوبه،و ربما يكرهه خيفه من أن يختطفه قبل الاستعداد و تهيئه الزاد و تمام التوبه،و هو معذور فى كراهه الموت،و لا يدخل تحت قوله-صلّى اللّه عليه و آله-:«من كره لقاء اللّه كره اللّه لقاءه»،لان هذا ليس يكره الموت و لقاء اللّه،و إنما يخاف فوت لقاء اللّه لقصوره و تقصيره،و هو الذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه،فلا يعد كارها للقائه.و علامه هذا:أن يكون دائم الاستعداد للموت لا شغل له سواه،و إن لم يكن مستعدا له عاملا بما ينفعه فى الآخره التحقيق بالاول.

(و اما الثالث):فانه يذكر الموت دائما،لانه موعد للقاء حبيبه، و المحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب،و هذا فى غالب الامر يستبطئ مجىء الموت و يحب مجيئه،ليتخلص من دار العاصين و ينتقل إلى جوار رب العالمين، كما روى:«أن حذيفه لما حضرته الوفاه قال:حبيب جاء على فاقه لا أفلح من رده،اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلى من الغنى،و السقم أحب إلى من الصحه،و الموت أحب الى من الحياه،فهل على الموت حتى ألقاك».

و أعلى رتبه منه:من يفوض امره إلى اللّه،و لا يختار لنفسه شيئا:من الموت أو الحياه،و الفقر و الغنى،و المرض و الصحه،بل يكون أحب الأشياء إليه احبها إلى مولاه،و هذا قد انتهى بفرط الحب و الولاء إلى درجه التسليم و الرضا،و هو الغايه و الانتهاء.

تتميم (المبادره إلى الحسنات)

اشاره

من علامات قصر الأمل و ذكر الموت:المبادره إلى الحسنات و اشتياق الخيرات،و لذا ورد فيه الترغيب و الحذر عن آفه التأخير،قال رسول اللّه

-صلّى اللّه عليه و آله-:«اغتنم خمسا قبل خمس:شبابك قبل هرمك، و صحتك قبل سقمك،و غناك قبل فقرك،و فراغك قبل شغلك،و حياتك قبل موتك»و قال-صلّى اللّه عليه و آله-:«من خاف أدلج و من أدلج بلغ المنزل.

ألا-إن سلعه اللّه غاليه،ألا إن سلعه اللّه الجنه» (١).و كان-صلّى اللّه عليه و آله-اذا احس من أصحابه غفله و غره،نادى فيهم بصوت عال:«أتتكم المنيه،إما بشقاوه أو بسعاده»،و روى:أنه ما من صباح و لا ماء إلا و مناد ينادى:أيها الناس!الرحيل الرحيل!و قال بعض الأكابر:التؤده فى كل شيء خير،إلا فى أعمال الآخره.

و منها:

اشاره

العصيان

و لا-ريب فى كونه من رذائل قوتى الغضب و الشهوه معا،لأن بعض انواعه من رذائل أحداهما من جانب الإفراط أو التفريط،أو من باب رداءتها،و بعض آخر من انواعه من رذائل الأخرى.و ضده(التقوى و الورع)،و بالمعنى الأعم:اعنى الاجتناب عن مطلق المعصيه خوفا من سخط اللّه،و قد تقدم ما ورد فى فضيلتهما،فتذكر.

و منها:

اشاره

الوقاحه

و هو عدم مبالاه النفس،و عدم انفعالها من ارتكاب المحرمات الشرعيه و العقليه أو العرفيه،و كونه من رداءه قوتى الغضب و الشهوه ظاهر.

١- ١) صححنا الحديث على احياء العلوم:۴-٣٩٠.و فى نسخ الكتاب(أولج و من اولج).

و ضدها(الحياء)،و هو انحصار النفس و انفعالها من ارتكاب المحرمات الشرعيه و العقليه و العاديه حذرا من الذم و اللوم،و هو أعم من التقوى،إذ التقوى اجتناب المعاصى الشرعيه،و الحياء يعم ذلك و اجتناب ما يقبحه العقل و العرف أيضا،فهو من شرائف الصفات النفسيه،و لذا ورد فى فضله ما ورد،قال الصادق-عليه السّلام-:«الحياء من الايمان،و الايمان فى الجنه». و قال-عليه السّلام-:«الحياء و العفاف و العى-أعنى عيّ اللسان لا عى القلب-من الايمان».و قال-عليه السّلام-:«الحياء و الايمان مقرونان فى قرن،فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه». و قال-عليه السّلام-:

«لا ايمان لمن لا حياء له».ثم حقيقه الحياء-كما عرفت-هو الانفعال عن ارتكاب ما يذم شرعا أو عقلا أو عرفا،فالانفعال عن غير ذلك حمق، فان الانفعال عن تحقيق احكام الدين أو الخمود عما ينبغى شرعا و عقلا لا يعد حياء بل حمقا.و لذا قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«الحياء حياء ان:

حياء عقل و حياء حمق،فحياء العقل هو العلم و حياء الحمق هو الجهل» (۱).

و منها:

اشاره

الإصرار على المعصيه

رجوع رذيله الإصرار إلى أى القوى و ذمها-ضد الإصرار التوبه و تعريفها-هل يشترط فى التوبه القدره على الذنب السابق؟-وجوب التوبه-تحقيق فى وجوبها-عموم وجوبها-لا بد من العمل بعدها-فضيلتها-قبولها-طريقه التوبه من المعاصى-تكفير الصغائر و معنى الكبائر-الصغائر قد تكون كبائر-شروط كمال التوبه-هل يصح التبعيض فيها؟-أقسام

۱- ۱) صححنا الأحاديث هنا على أصول الكافى(باب الحياء).

التائبين-مراتب التوبه-عدم الثقه بالاستقامه لا يمنع من التوبه-علاج الإصرار على الذنوب-الإنابه-المحاسبه و المراقبه-المعنى الظاهر لهما- حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا-مقامات مرابطه الفعل للنفس.

و هو إما ناشئ من رداءه إحدى القوتين و خروجها عن إطاعه العاقله، أو عن رداءتهما معا،فيكون من رذائل القوتين،و كل ما يدل على ذم مطلق المعصيه أو على ذم خصوص افرادها المعينه يدل على ذم الإصرار على المعصيه بطريق أولى و أوكد.و الاخبار الوارده فى ذم خصوص افراد المعاصى ربما يظفر بجمله منها فى هذا الكتاب عند ذكر كل معصيه،و أما الاخبار الوارده فى ذم مطلق الذنب و المعصيه فكثيره جدا،كقول النبى-صلّى اللّه عليه و آله-:«ما من يوم طلع فجره و لا ليله غاب شفقها إلا و ملكان يناديان باربعه اصوات،يقول أحدهما:يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا،و يقول الآخر:

يا ليتهم إذ خلقوا علموا لما ذا خلقوا،فيقول الآخر:فيا ليتهم إذ لم يعلموا لما ذا خلقوا عملوا بما علموا،فيقول الآخر:و يا ليتهم إذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا.و اعلموا أن العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائه عام،و أنه لينظر إلى ازواجه فى الجنه يتنعمن» .و قال أمير المؤمنين-عليه السّلام-:

«لا تبدين عن واضحه و قد عمتك الاعمال الفاضحه،و لا تأمن البيات و قد عملت السيئات»أو قال الباقر-عليه السّلام-:«إن اللّه قضى قضاء حتما ألا ينعم على العبد بنعمه فيسلبها إياه حتى يحدث العبد ذنبا يستحق بذلك النقمه».

و قال-عليه السّلام-:«ما من شىء أفسد للقلب من خطيئته،إن القلب ليواقع الخطيئه،فما يزال به حتى يغلب عليه،فيصير أعلاه أسفله».و قال -عليه السّلام-:«إن العبد ليذنب الذنب فيزوى عنه الرزق». و قال

الصادق-علیه السّلام-:«یقول اللّه-تعالی-:إن أدنی ما اصنع بالعبد اذا آثر شهوته علی طاعتی أن احرمه لذیذ مناجاتی».و قال-علیه السّلام-:

«من همّ بسیئه فلا یعملها،فانه ربما عمل العبد السیئه فیراه الرب-تعالی- فیقول:و عزتی و جلالی!لا أغفر لک بعد ذلک ابدا».و قال(ع):«أما إنه لیس من عرق یضرب،و لا نکبه و لا صداع و لا مرض،إلا بذنب، و ذلک قول اللّه-عز و جل-فی کتابه:

وَ مٰا أَصٰابَکُمْ مِنْ مُصِیبَهٍ فَبِمٰا کَسَبَتْ أَیْدِیکُمْ وَ یَعْفُوا عَنْ کَثِیرٍ

(۱)

.

قال-علیه السّلام-:و ما یعفو اللّه أکثر مما یؤاخذ به».و قال(ع):

«إن الرجل یذنب الذنب فیحرم صلاه اللیل،و ان العمل السیء أسرع فی صاحبه من السکین فی اللحم».و قال الکاظم-علیه السّلام-:«حق علی اللّه ألا یعصی فی دار إلا اضحاها للشمس حتی یطهرها» (۲).

و الأخبار فی هذا المعنی أکثر من أن تحصی،و لا یتوهم أحد أنه یمکن ألا یصل إلیه أثر الذنب و وباله،فان هذا محال.فانه لم یتجاوز عن الأنبیاء فی ترکهم الأولی،فکیف یتجاوز عن غیرهم فی کبائر المعاصی.نعم،کانت سعادتهم فی أن عوجلوا بالعقوبه و لم یؤخروا إلی الآخره،و الأشقیاء یمهلون لیزدادوا إثما،و یعذبوا فی الآخره عذابا أکبر و أشد،أما سمعت أن أباک آدم قد اخرج من الجنه بترکه الأولی؟حتی روی:«أنه لما أکل الشجره تطایرت الحلل عن جسده و بدت عورته،و جاء جبرئیل-علیه السّلام-و أخذ التاج من رأسه و خلی الاکلیل عن جنبیه،و نودی من فوق العرش:اهبطا من

۱- ۱) الشوری،الآیه:۳۰.

۲- ۲) صححنا الأحادیث هنا علی أصول الکافی(باب الذنوب).

جوارى،فانه لا يجاورنى من عصانى،فالتفت ادم إلى حواء باكيا،و قال:

هذا أول شؤم المعصيه،أخرجنا من جوار الحبيب».و روى:«انه-تعالى- قال:يا آدم!اى جار كنت لك؟قال:نعم الجار يا رب!قال:يا آدم!اخرج من جوارى وضع عن رأسك تاج كرامتى،فانه لا يجاورنى من عصانى».و قد روى:«ان آدم بكى على ذنبه مائتى سنه،حتى قبل اللّه توبته و تجاوز عما ارتكبه من ترك الأولى».فان كانت مؤاخذته فى نهى تنزيه مع حبيبه و صفيه هكذا،فكيف معاملته مع الغير فى ذنوب لا تحصى.

وصل (التوبه و تعريفها)

اشاره

ضد الإصرار(التوبه)،و هى الرجوع من الذنب القولى و الفعلى و الفكرى،و بعباره أخرى:هى تنزيه القلب عن الذنب و الرجوع من البعد الى القرب،و بعباره أخرى:ترك المعاصى فى الحال و العزم على تركها فى الاستقبال و تدارك ما سبق من التقصير.و كما ان الإصرار على العصيان من رذائل قوتى الغضب و الشهوه،فالرجوع عنه و تركه من فضائلهما،بمعنى أن العزم على ترك كل معصيه يكون من عمل كليهما او أحداهما،و من فعل النفس باعانتهما و انقيادهما للعاقله،و ان كان الباعث على الرجوع و تهيج النفس و القوتين على مباشره الرجوع و الترك هو معرفه عظم ضرر الذنوب،و كونها حجابا بين العبد و بين المحبوب،و يمكن ان يقال:إن التوبه هو الرجوع عن الذنب،و هو من ثمرات الخوف و الحب.فان مقتضى الحب أن يمتثل مراد المحبوب و لا يعصى فى شىء مما يريده و يطلب من المحب،فتكون من فضائل القوتين أيضا.و يمكن أن يقال:إن التوبه عباره عن مجموع العلم بضرر الذنوب،و كونها حجابا بينه و بين اللّه،و الندم الحاصل منه،و القصد المتعلق

بالترک حالا و استقبالا،و التلافی للماضی و الندم،و القصد بالترک و التلافی من فعل القوتین أو فعل النفس بوساطه القوتین و انقیادهما للعاقله،و العلم المذکور من العاقله،فتکون التوبه من فضائل القوی الثلاث.

و توضیح حقیقه التوبه:أنه إذا علم العبد علما یقینیا أن ما صدر عنه من الذنوب حائله بینه و بین محابه.ثار من هذا العلم تألم القلب بسبب فوات المحبوب،و صار متأسفا علی ما صدر عنه من الذنوب،سواء کانت افعالا أو تروکا للطاعات،و یسمی تألمه-بسبب فعله أو ترکه المفوت لمحبوبه-ندما.

و إذا غلب هذا الندم علی القلب،انبعثت منه حاله أخری تسمی إراده و قصدا إلی فعل له تعلق بالحال بترک الذنب الذی کان ملابسا له،و بالاستقبال بعزمه علی ترک الذنب المفوّت لمحبوبه إلی آخر عمره،و بالماضی بتلافیه ما فات بالجبر و القضاء. فالعلم-أعنی الیقین بکون الذنوب سموما مهلکه-هو الأول، و هو مطلع البواقی،إذ مهما اشرق نور هذا الیقین علی القلب أثمر نار الندم علی الذنب،فیتألم به القلب،حیث ینظر باشراق نور الایمان و الیقین أنه صار محجوبا عن محبوبه،کمن یشرق علیه نور الشمس و قد کان فی ظلمه،فیسطع النور علیه بانقشاع سحاب أو انحسار حجاب،فیری محبوبه قد أشرف علی الهلاک،فتشتعل نیران الحب فی قلبه،و تنبعث بتلک النیران إرادته للانتهاض للتدارک.فالعلم،و الندم،و القصد المتعلق بالترک فی الحال و الاستقبال و التلافی للماضی:ثلاثه معان مترتبه فی الحصول،یطلق اسم(التوبه)علی مجموعها. و ربما أطلقت التوبه علی مجرد الندم،و جعل العلم کالسابق و المقدمه، و الترک کالثمره و التابع للمتأخر،و إلی هذا الاعتبار یشیر قوله-صلّی اللّه علیه و آله-:«الندم توبه».إذ لا یخلو الندم عن علم أوجبه و اثمره،أو عن عزم یتبعه و یتلوه،فیکون الندم محفوفا بطرفیه،اعنی ثمرته و مثمره.و بهذا الاعتبار

قیل فی حدها:إنها ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ،أو نار فی القلب تلتهب و صدع فی الکبد لا ینشعب،و ربما أطلقت علی مجرد ترک الذنوب حالا-و العزم علی ترکها استقبالا،و بهذا الاعتبار قیل فی حدها:إنها خلع لباس الجفاء و نشر بساط الوفاء،و إنها تبدیل الحرکات المذمومه بالحرکات المحموده، أو إنها ترک اختیار الذنب حالا و توطین القلب و تجرید العزم علی عدم العود استقبالا.و علی هذا لا یکون الندم داخلا فی حقیقه التوبه،و قد صرح بعض الاعاظم بخروجه عنها،محتجا بأن الندم-و هو تألم القلب و حزنه علی الذنب-غیر مقدور،و لذا تری تقع الندامه علی أمور فی قلبه و هو یرید ألا-یکون ذلک فلا-یکون الندم مقدورا،و انما المقدور تحصیل أسبابه،أعنی الایمان و العلم بفوات المحبوب و تحقیقهما فی قلبه.و علی هذا فلا یکون الندم من التوبه،إذ التوبه مقدوره للعبد و مأمور بها،فاللازم فیها التندم دون الندم.و غیر خفی بأن الندم کغیره من صفات النفس،فان أمکن إزاله الصفات النفسیه و کسبها فالندم کذلک،و الا لزم بطلان علم الأخلاق بالکلیه، و أیضا إذا امکن تحصیل سبب الندامه-اعنی العلم بفوات المحبوب-لزم ترتب المسبب-أعنی الندامه علیه-فما معنی عدم کونه مقدورا،فالندامه فی الإزاله و التحصیل لا یکون اصعب من کثیر من الأخلاق النفسیه.و بعضهم یعدّ ما عدا التندم من شرائط التوبه،قال:«و أما الندم-أعنی تألم القلب علی الذنب الذی هو روح التوبه-فغیر مقدور،و هو التوبه حقیقه،و انما المقدور تحصیل أسبابه من العلم و الایمان و تحقیقهما فی قلبه»انتهی.و فیه مالا-یخفی بعلاوه ما سبق، قال الصادق-علیه السّلام-:«التوبه حبل اللّه و مدد عنایته،و لا بد للعبد من مداومه التوبه علی کل حال،و کل فرقه من العباد لهم توبه،فتوبه الأنبیاء من اضطراب السر و توبه الأولیاء من تلوین الخطرات،

و توبه الاصفیاء من التنفیس،و توبه الخاص من الاشتغال بغیر اللّه،و توبه العالم من الذنوب،و لکل واحد منهم معرفه و علم فی أصول توبته و منتهی أمره،و ذلک یطول شرحه هنا.

و أما توبه العام،فان یغسل باطنه من الذنوب بماء الحسره،و الاعتراف بجنایته دائما،و اعتقاد الندم علی ما مضی،و الخوف علی ما بقی من عمره، و لا یستصغر ذنوبه فیحمله ذلک إلی الکسل،و یدیم البکاء و الاسف علی ما فاته من طاعه اللّه،و یحبس نفسه عن الشهوات،و یستغیث إلی اللّه-تعالی- لیحفظه علی وفاء توبته و یعصمه عن العود إلی ما سلف،و یروض نفسه فی میدان الجهاد و العباده،و یقضی عن الفوائت من الفرائض،و یرد المظالم، و یعتزل قرناء السوء،و یسهر لیله و یظمأ نهاره،و یتفکر دائما فی عاقبته، و یستعین باللّه سائلا منه الاستقامه فی سرائه و ضرائه،و یثبت عند المحن و البلاء کیلا یسقط عن درجه التوابین،فان فی ذلک طهاره من ذنوبه، و زیاده فی عمله،و رفعه فی درجاته.قال اللّه-عز و جل-:

فَلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ

(۱)

» (۲).

تتمه (هل یشترط فی التوبه القدره علی الذنب السابق؟)

التوبه انما تکون عن ذنب سبق مثله،(أما) (۳)ترک ذنب لم یسبق مثله حالا و العزم علی ترکه استقبالا لا یسمی توبه،بل یسمی تقوی،و یسمی

۱- ۱) العنکبوت،الآیه:۳.

۲- ۲) صححنا هذه الروایه علی(مصباح الشریعه:الباب ۸۰).

۳- ۳) و فی النسخ(او)بدل(أما)،و الصحیح ما اثبتناه.

صاحبه متقيا لا تائبا،و لذا يصح القول بأن النبى-صلّى اللّه عليه و آله-كان متقيا عن الكفر،و لا يصح القول بأنه كان تائبا عنه،ثم المراد بالمثل السابق أعم من أن يكون مثلا-فى الصوره او المنزله،فالشيخ الهم الذى سبق منه الزنا و قطع الطريق،و لم يقدر الساعه على فعلهما،اذا أراد التوبه عنهما ينبغى أن يتوب عما يماثلهما منزله و درجه،كالقذف و السرقه و امثالهما،إذ لا معنى للتوبه عما يماثلهما صوره-اعنى نفس الزنا و قطع الطريق-مع عدم قدرته عليهما،و لو لم يكن التوبه عما يماثل الشىء فى المنزله و الدرجه توبه عن هذا الشىء،لزم أن يكون باب التوبه مسدودا بالنسبه إلى مثل الشيخ الهم و كل من صدر منه معصيه و الآن لا يقدر عليها،و هو باطل،لانفتاح باب التوبه الى الموت،و لما ذكر،قال بعض المشايخ فى حد التوبه:«إنها ترك اختيار ذنب سبق مثله منزله لا صوره،تعظيما للّه و حذرا من سخطه».فقوله:

«سبق مثله»احتراز عن ترک ذنب لم يسبق مثله،فانه لا يسمى توبه بل تقوى،و قوله:«منزله لا صوره»لادخال التوبه عما سبق و لا يقدر الآن على فعله،و على هذا فتوبه العنين عن النظر و اللمس و أمثال ذلک يكون توبه عن الزنا الذى قارفه قبل طريان العنه،و الظاهر أن بناء ذلک على دلاله توبته عما يقدر عليه الآن،على أنه لو كان قادرا على الزنا لترکه أيضا، لاشعاره بأن توبته صدرت عن معرفه و يقين بضرر الزنا الذى قارفه قبل طريان العنه،فلو كان قادرا عليه لترکه أيضا.

قال أبو حامد الغزالى:«إن قلت:هل تصح توبه العنين من الزنا الذى قارفه قبل طريان العنه؟قلت:لا!لأن التوبه عباره عن ندم يبعث العزم على الترک فيما يقدر على فعله و ما لا يقدر على فعله،فقد انعدم بنفسه لا بترکه إياه»،ثم قال:«و لكنى أقول:لو طرأ عليه بعد العنه كشف

و معرفه تحقق به ضرر الزنا الذی قارفه،و ثار منه احتراق و تحسر و ندم، بحیث لو کانت شهوه الوقاع باقیه لکانت حرقه الندم تقمع تلک الشهوه و تغلبها،فانی أرجو أن یکون ذلک مکفرا لذنبه و مباحا عنه سیئته،إذ لا خلاف فی أنه لو تاب قبل طریان العنه و مات عقیب التوبه کان من التائبین و ان لم تطرأ علیه حاله تتهیج فیها الشهوه و تتیسر أسباب قضاء الشهوه،و لکنه تائب باعتبار أن ندمه بلغ مبلغا أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده، فاذن لا یستحیل أن تبلغ قوه الندم فی حق العنین هذا المبلغ إلا ـ أنه لا ـ یعرفه من نفسه،فان کل من لا یشتهی شیئا یقدر نفسه قادرا علی ترکه بأدنی خوف، و اللّه مطلع علی ضمیره و علی مقدار ندمه،فعساه یقبله منه،بل الظاهر انه یقبله.و الحقیقه فی هذا کله ترجع إلی أن ظلمه المعصیه تنمحی عن القلب بشیئین:- أحدهما-حرقه الندم،و-الآخر-شده المجاهده بالترک فی المستقبل،و قد امتنعت المجاهده بزوال الشهوه،و لکن لیس محالا أن یقوی الندم بحیث یقوی علی محوها دون المجاهده،و لو لا هذا لقلنا:ان التوبه لا تقبل ما لم یعش التائب بعد التوبه مده یجاهد نفسه فی عین تلک الشهوه مرات کثیره،و ذلک مما یدل ظاهر الشرع علی اشتراطه».

فصل (وجوب التوبه)

التوبه عن الذنوب بأسرها واجبه،بالاجماع،و النقل،و العقل:

أما الإجماع-فلا ریب فی انعقاده.و أما النقل-فکقوله-تعالی-:

وَ تُوبُوا إِلَی اللّهِ جَمِیعاً أَیُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ

(۱)

.و قوله-تعالی-: یا أَیُّهَا الَّذِینَ

۱- ۱) النور،الآیه:۳۱.

آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللّهِ تَوْبَهً نَصُوحاً عَسىٰ رَبُّکُمْ أَنْ یُکَفِّرَ عَنْکُمْ سَیِّئاٰتِکُمْ

(۱)

.

و معنی النصوح:الخالص للّه خالیا عن شوائب الأغراض،من مال أو جاه او خوف من سلطان أو عدم أسباب،و الامر للوجوب،فتکون التوبه واجبه بمقتضی الآیتین.

و أما العقل-فهو أن من علم معنی الوجوب و معنی التوبه فلا یشک فی ثبوته لها. (بیان ذلک):أن معنی الواجب و حقیقته هو ما یتوقف علیه الوصول إلی سعاده الابد و النجاه من هلاک السرمد،و لو لا تعلق السعاده و الشقاوه بفعل الشیء و ترکه لم یکن معنی لوجوبه،فالواجب ما هو وسیله و ذریعه إلی سعاده الأبد.و لا ریب فی أنه لا سعاده فی دار البقاء إلا فی لقاء اللّه و الانس به،فکل من کان محجوبا عن اللقاء و الوصال محروما عن مشاهده الجلال و الجمال،فهو شقی لا محاله،محترق بنار الفراق و نار جهنم،ثم لا مبعد عن لقاء اللّه إلا اتباع الشهوات النفسیه و الغضب و الانس بهذا العالم الفانی، و الاکباب علی حب ما لا بد من مفارقته قطعا،و یعبر عن ذلک بالذنوب.

و لا مقرب من لقاء اللّه الا قطع علاقه القلب من زخرف هذا العالم، و الإقبال بالکلیه علی اللّه،طلبا للانس به بدوام الذکر،و المحبه له بدوام الفکر فی عظمته و جلاله و جماله علی قدر طاقته،و لا ریب فی أن الانصراف عن طریق البعد الذی هو الشقاوه واجب للوصول إلی القرب الذی هو السعاده،و لا یتم ذلک إلا بالتوبه التی عباره عن العلم و الندم و العزم، و لا یتم الواجب الا به،فهو واجب،فالتوبه واجبه قطعا.

۱- ۱) التحریم،الآیه:۸.

تذنیب (تحقیق فی وجوب التوبه)

کیف لا تکون التوبه عن المعاصی واجبه،مع أن العلم بضروره المعاصی و کونها مهلکه من اجزاء الایمان و وجوب الایمان و مما لا ریب فیه،و العالم بهذا العلم إذا لم یعمل به فکما لا یعلمه أو ینکره فلا یکون له هذا الجزء من الایمان،لان کل علم یراد لیکون باعثا علی العمل،فلا یقع التفصی عن عهدته ما لم یصیر باعثا،فالعلم بضرر الذنوب إنما أرید لیکون باعثا علی ترکها،فمن لم یترکها فهو فاقد لهذا الجزء من الایمان،و هو المراد بقول النبی -صلّی اللّه علیه و آله-:«لا یزنی الزانی حین یزنی و هو مؤمن»،و ما أراد به نفی الایمان باللّه و وحدانیته و صفاته و کتبه و رسله،فان ذلک لا ینافی الزنا و المعاصی،و إنما أراد به نفی الایمان باللّه لکون الزنا مبعدا عن اللّه و موجبا لسخطه،و لیس الایمان بابا واحدا،بل هو-کما ورد-نیف و سبعون بابا،أعلاها الشهادتان و ادناها اماطه الأذی عن الطریق،و مثاله قول القائل:لیس الإنسان موجودا واحدا،بل هو نیف و سبعون موجودا، أعلاها الروح و القلب و ادناها اماطه الاذی عن البشره،بأن یکون مقصوص الشارب مقلوم الأظفار نقی البشره عن الخبث،حتی یتمیز عن البهائم المرسله المتلوثه بارواثها،المستکرهه الصور بطول مخالبها و اظفارها، فالایمان کالانسان،و فقد الشهادتین کفقد الروح الذی یوجب البطلان بالکلیه،و الذی لیس له إلا شهاده التوحید و الرساله و یترک سائر اجزائه من الاعمال،فهو کانسان مقطوع الأطراف مفقوء العینین،فاقد لجمیع اعضائه الظاهره و الباطنه، إلا أصل الروح.و کما أن من هذا حاله قریب من الموت و مزایله الروح الضعیفه المنفرده التی تخلفت عنها الأعضاء التی تمدها و تقویها،فکذلک من

ليس له إلا أصل الايمان و هو مقصر فى الأعمال،قريب من أن تنقلع شجره ايمانه إذا صدمتها الرياح العاصفه المحركه للايمان فى مقدمه قدوم ملك الموت و وروده، فكل ايمان لم يثبت فى النفس أصله و لم تنتشر فى الأعمال فروعه، لم يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناصيه ملك الموت و خيف عليه سوء الخاتمه،فالمحجوب عن الايمان الذى هو شعب و فروع سيحجب فى الخاتمه عن الايمان الذى هو أصل،كما أن الشخص الفاقد لجميع الأطراف التى هى فروع ليساق إلى الموت المعدم للروح التى هى أصل،فلا بقاء للاصل دون الفرع،و لا وجود للفرع دون الأصل،و لا فرق بين الأصل و الفرع إلا فى شىء واحد،و هو أن وجود الفرع و بقاءه جميعا يستدعى وجود الأصل،و أما وجود الأصل فلا يستدعى وجود الفرع،و لكن بقاءه يستدعى وجود الفرع،فبقاء الأصل بالفرع و وجود الفرع بالأصل،فمساواه العاصى و المطيع فى اسم المؤمن كمساواه شجره القرع و شجره الصنوبر فى اسم الشجره،و إنما يظهر الفرق إذا عصفت الرياح القويه،فعند ذلك تنقطع أصول شجره القرع و تتناثر أوراقها،و تبقى شجره الصنوبر ثابته على أصلها و فرعها. و مثل العاصى الذى لا يخاف الخلود فى النار لأجل معصيته اتكالا على ايمانه بالتوحيد و الرساله،كمثل الصحيح الذى يأكل الأغذيه المضره و السمومات و لا يخاف الموت اتكالا على صحته،فكما يؤدى صحه هذا الصحيح بتناوله السمومات و الأغذيه إلى المرض و المرض إلى الموت،فكذلك تؤدى ذنوب العاصى إلى سوء الخاتمه و سوء الخاتمه إلى الخلود فى النار،فالمعاصى للايمان كالسمومات و المأكولات المضره للابدان،فكما أن مضره السمومات لا تزال تجتمع فى الباطن حتى تغير مزاج الاخلاط و هو لا يشعر بها إلى أن يفسد المزاج فيمرض دفعه ثم يموت دفعه،فكذلك آثار المعاصى لا تزال

تراکم فی النفس حتی یفسد مزاجها فیسلب عنها أصل الایمان،فالخائف من الموت فی هذه النشأه القصیره إذا وجب علیه ترک السموم و ما یضره من المأکولات،فالخائف من هلاک الابد أولی بأن یجب علیه ترک الذنوب، و من تناول السم و ندم إذا وجب علیه أن یتقیأ و یرجع عن تناوله باخراجه عن المعده،فمتناول سموم الایمان و هی الذنوب أولی بأن یجب علیه الرجوع عنها بالتدارک الممکن ما دام مهله التدارک.

فالبدار البدار معاشر اخوانی إلی التوبه!قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح ایمانکم عملا لا ینفع بعده الاحتماء،و یخرج الأمر فیه عن أیدی اطباء القلوب،فلا ینفع حینئذ وعظ الواعظین و نصح الناصحین،و تحق علیکم کلمه العذاب،و تدخلون تحت عموم قوله-تعالی-:

وَ جَعَلْنا مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَیْناهُمْ فَهُمْ لا یُبْصِرُونَ

(۱)

.و قوله تعالی: خَتَمَ اللّهُ عَلی قُلُوبِهِمْ وَ عَلی سَمْعِهِمْ وَ عَلی أَبْصارِهِمْ غِشاوَهٌ (۲)و غیر ذلک من الآیات.

ثم مقتضی الأدله المذکوره:کون التوبه واجبه علی الفور،فیجب علی کل مسلم أن یتوب عن ذنوبه فورا،و لا یجوز له التأخیر.قال لقمان لابنه:

«یا بنی!لا تؤخر التوبه،فان الموت یأتی بغته».و من ترک المبادره إلی التوبه بالتسویف کان بین خطرین عظیمین:-أحدهما-أن تتراکم الظلمه علی قلبه من المعاصی حتی یصیر دینا و طبعا فلا یقبل المحو.-و الثانی-أن یعاجله

۱- ۱) یس،الآیه:۹.

۲- ۲) البقره،الآیه:۷.

المرض أو الموت فلا يجد مهله للاشتغال بالمحو.و لذلک ورد:أن أکثر صياح أهل النار من التسويف،فما هلک من هلک إلا بالتسويف.

فصل (عموم وجوب التوبه)

وجوب التوبه يعم الأشخاص و الأحوال،فلا ينبغى أن ينفک عنه احد فى حاله،قال اللّه-تعالى-:

وَ تُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعاً

(۱)

و هو يعم الکل فى الکل.و مما يدل على وجوبها على الکل:أن کل فرد من أفراد الناس إذا بلغ سن التمييز و التکليف قام القتال و النزاع فى مملکه بدنه،بين الشهوات جنود الشياطين،و بين العقول احزاب الملائکه،إذ لا تکمل غريزه العقل فى أحد إلا بعد کمال غريزه الشهوه و الغضب و سائر الصفات المذمومه،و إذا قام القتال بينهما لا بد بحکم العقل و الشرع أن يغلب جنود اللّه على جنود الشيطان،بقمعها بکسر الشهوات،و رد النفس على سبيل القهر و الغلبه على الصفات المحموده و العبادات،و لا معنى لوجوب التوبه الا هذا. و مما يدل على وجوبها على الدوام و فى کل حال هو أن کل عبد لا يخلو عن معصيه بجوارحه،فان خلا فى بعض الأحوال عن معصيه الجوارح فلا يخلو عن رذائل النفس و الهم بالذنوب بالقلب،فان خلا عن ذلک أيضا فلا يخلو عن وسوسه الشيطان بايراد الخواطر المتفرقه المذهله عن ذکر اللّه،فان خلا عنه فلا يخلو عن غفله و قصور فى العلم باللّه و بصفاته و آثاره،و کل ذلک نقص يجب الرجوع عنه و هو معنى التوبه.

۱- ۱) النور،الآيه:۳۱.

و لعدم خلو أحد من الخلق من نوع هذا النقص و أصله فی حاله،و ان تفاوتوا فی المقادیر،یلزم وجوب التوبه علی کل عبد فی کل حاله،و لو خلا عن التوبه عن جمیع الذنوب فی لحظه و اختطفه الموت،لزم خروج روحه بلا توبه،لعدم انفکاکه قبل موته و لو بلحظه عن فرد من المعاصی المذکوره، فالتوبه واجبه علی کل عبد سالک فی کل نفس من أنفاسه،قال بعض العرفاء (۱):«لو لم یبک العاقل فیما بقی من عمره إلا علی فوت ما مضی من عمره فی غیر طاعه اللّه،لکان حقیقا أن یخزیه (۲)ذلک إلی الممات،فکیف من یستقبل ما بقی من عمره بمثل ما مضی من جهله».و من عرف قدر العمر و فائدته،و ما یکتسب به من سعاده الأبد،یعلم أن ما یضیع منه فی المعصیه و غیر التوبه أی حسره و ندامه یترتب علیه،فان العاقل إذا ملک جوهره نفیسه،فان ضاعت منه بغیر فائده بکی علیها لا محاله،و إن ضاعت منه و صار ضیاعها سبب هلاکه کان بکاؤه منه أشد، و کل نفس من العمر جوهره نفیسه لا عوض لها،لا یصالها العبد إلی سعاده الأبد و انقاذها إیاه من شقاوه السرمد،و أی جوهر أنفس من هذا،فمن ضیعها فی الغفله خسر خسرانا مبینا،و من صرفها فی معصیه فقد هلک هلاکا أبدیا.و قد قیل:إن للّه-تعالی-إلی عبده سرین یسرهما إلیه علی سبیل الإلهام.-أحدهما-اذا خرج من بطن أمه یقول له:عبدی!قد أخرجتک إلی الدنیا طاهرا لطیفا، و استودعتک عمرک و ائتمنتک علیه،فانظر کیف تحفظ الأمانه،و انظر کیف تلقانی.-و الثانی-عند خروج روحه یقول:عبدی!ما ذا صنعت فی امانتی عندک،هل حفظتها حتی تلقانی علی العهد فالقاک علی الوفاء؟او اضعتها

۱- ۱) هو أبو سلیمان الدرانی فیما نقل عنه فی احیاء العلوم:۴-۱۰.

۲- ۲) فی نسخ جامع السعادات(یجزیه).

فألقاك بالمطالبه و العقاب؟.و إليه الإشاره بقوله-تعالى-:

أَوْفُوا بِعَهْدِی أُوفِ بِعَهْدِکُمْ

(۱)

.و بقوله-تعالى-:

وَ الَّذِینَ هُمْ لِأَمٰانٰاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رٰاعُونَ

(۲)

.

و قد روی:أن ملک الموت إذا ظهر للعبد عند موته أعلمه أنه قد بقی من عمرک ساعه لا تستأخر عنها طرفه عین،فیبدو للعبد من الحزن و الحره و الأسف ما لو کانت له الدنیا بحذافیرها لاعطاها بدل أن یضم إلى تلک الساعه ساعه أخرى لیتدارک فیها تفریطه،و لا یجد إلیها سبیلا، و قد روی-أیضا-:

أنه إذا کشف الغطاء للعبد قال لملک الموت:أخرنی یوما اعتذر فیه إلى ربی و أتوب،و أتزود صالحا لنفسی،فیقول:فنیت الأیام فلا یوم،فیقول:

أخرنی ساعه،فیقول:فنیت الساعات فلا ساعه،فیغلق علیه باب التوبه، فیغرغر بروحه،و تتردد انفاسه فی شراسیفه،و یتجرع غصه الیأس عن التدارک،و حسره الندامه على تضییع العمر،فیضطرب أصل ایمانه فی صدمات تلک الأهوال،فإذا زهقت نفسه،فان سبقت له من اللّه الحسنى خرجت روحه على التوحید،و ذلک حسن الخاتمه،و إن سبق له القضاء بالشقوه -و العیاذ باللّه-خرجت روحه على الشک و الاضطراب،و ذلک سوء الخاتمه.

تذنیب

التوبه عن بعض المعاصی المذکوره-أعنی المحرمات و ترک الواجبات- واجب بفتوى الشرع،بمعنى أن التارک لهذه التوبه و المرتکب لهذه المعاصی یکون معذبا بالنار،و هذا الوجوب یشترک فیه کافه الخلق،و تکلیف الجمیع به لا یوجب فسادا فی النظام الکلی.و أما التوبه عن بعض آخر منها،کالخواطر

۱- ۱) البقره،الآیه:۴۰.

۲- ۲) المؤمنون،الآیه ۸.المعارج،الآیه:۳۲.

و الهمم الطاريه على القلب و القصور عن معرفه كنه جلال اللّه و عظمته و أمثال ذلك،فليس واجبا بهذا المعنى،لمنافاته انتظام العالم.إذ لو كلف الخلق كلهم أن يتقوا اللّه حق تقاته،لتركوا المعائش و رفضوا الدنيا بالكليه،و ذلك يؤدى إلى بطلان التقوى رأسا،لأنه إن فسدت المعايش لم يتفرغ أحد للتقوى.فالتوبه عن كل ما هو المرجوح ليست واجبه بهذا الاعتبار،بل هى واجبه بمعنى آخر،و هو ما لا بد منه للوصول به إلى غايه القرب إلى اللّه، و إلى المقام المحمود و الدرجات العاليه،فمن رضى باصل النجاه و قنع به لم تكن هذه التوبه واجبه عليه،و من طلب الوصول إلى ما ذكر وجبت عليه هذه التوبه وجوبا شرطيا،بمعنى توقف مطلوبه عليه،كما جرت عليه طوائف الأنبياء و الأولياء و أكابر العرفاء و العلماء،و لأجله رفضوا لذات الدنيا بالكليه.و على هذا فما ورد من استغفار الأنبياء و الأوصياء و توبتهم إنما هو من ترك دوام الذكر و غفلتهم عن مقام الشهود و الاستغراق لأجل اشتغالهم بالمباحات،لا عن ذنوب كذنوبنا،لتعاليهم و تقدسهم عن ذلك.قال الصادق -عليه السّلام-:«إن رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله- كان يتوب إلى اللّه و يستغفره فى كل يوم و ليله مائه مره من غير ذنب،ان اللّه-تعالى-يخص أولياءه بالمصائب،و ليأجرهم عليها من غير ذنب كذنوبنا،فان ذنب كل أحد إنما هو بحسب قدره و منزلته عند اللّه».و بمضمونه أخبار أخر.

فصل (لا بد من العمل بعد التوبه)

لا يكفى فى تدارك الشهوات و التوبه عن الذنوب مجرد تركها فى المستقبل، بل لا بد من محو آثارها التى انطبعت فى جوهر النفس بنور الطاعات،إذ كل شهوه و معصيه صدرت من الإنسان ارتفعت منها ظلمه إلى قلبه،كما ترتفع من

نفس الإنسان ظلمه إلی وجه المرآه الصقیله،فان تراکمت ظلمه الشهوات و المعاصی صارت رینا،کما یصیر بخار النفس فی وجه المرآه عند تراکمه خبثا،کما قال-تعالی-:

کَلاّٰ بَلْ رٰانَ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ مٰا کٰانُوا یَکْسِبُونَ

(۱)

فإذا تراکم الرین صار طبعا،فیطبع علی قلبه،کما أن الخبث فی وجه المرآه إذا تراکم و طال زمانه غاص فی جرم الحدید و افسده،و صار بحیث لا یقبل التصقیل بعده،فالتائب من الذنوب لا بد له من محو تلک الآثار التی انطبعت منها فی نفسه،و لا یکفی مجرد ترکها فی المستقبل،کما لا یکفی فی تصقیل المرآه و ظهور الصور فیها قطع الانفاس و البخارات المسوّده لوجهها فی المستقبل،ما لم یشتغل بمحو ما انطبع فیها من الآثار،و کما ترتفع إلی النفس ظلمه من المعاصی و الشهوات فتظلمها،فکذلک یرتفع نور من الطاعات و ترک الشهوات فینورها،و لهذا النور تنمحی ظلمه المعاصی و الشهوات،و إلیه الإشاره بقوله-صلّی اللّه علیه و آله-:«اتبع السیئه الحسنه تمحها».فاذن لا یستغنی العبد فی حال من أحواله من محو آثار السیئات عن قلبه بمباشره حسنات تضاد آثارها آثار تلک السیئات،بمعنی أن تکون الحسنه التی ترتکب لمحو السیئه مناسبه لتلک السیئه،لقوله-صلّی اللّه علیه و آله-:«اتق اللّه حیث کنت»:و لأن المرض یعالج بضده،فکل ظلمه ارتفعت إلی القلب، فلا یمحوها إلا نور یرتفع إلیه من حسنه تضادها،إذ الضد إنما یرتفع بالضد،فیکفر سماع الملاهی بسماع القرآن و بحضور مجالس الذکر، و یکفر القعود فی المسجد جنبا بالعباده فیه،و یکفر مس المصحف محدثا باکرامه و تقبیله و کثره قراءته،و یکفر شرب الخمر بالتصدق لکل شراب

۱- ۱) المطففین،الآیه:۱۴.

حلال هو أحب إليه...إلى غير ذلك.و ليس ذلك-أى ايقاع المناسبه-شرطا فى المحو،فقد روى:«أن رجلا قال لرسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:إنى عالجت امرأه فاصبت منها كل شىء إلاـ المسيس،فاقض علىّ بحكم اللّه، فقال:أما صليت معنا؟ قال:بلى!فقال:إن الحسنات يذهبن السيئات».

و ينبغى أن تكون التوبه عن قرب عهد بالخطيئه،بأن يتندم عليها و يمحو آثارها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلاـ يقبل المحو،قال اللّه-تعالى-:

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ

(۱)

.أى عن قرب عهد بعمل السوء.و قال: وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ .(۲)

قال الصادق-عليه السّلام-:«ذلك إذا عاين امر الآخره».و قد ورد مثله عن رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-أيضا.

فصل (فضيله التوبه)

اعلم أن التوبه أول مقامات الدين،و رأس مال السالكين،و مفتاح استقامه السائلين،و مطلع التقرب إلى رب العالمين،و مدحها عظيم، و فضلها جسيم،قال اللّه-تعالى-:

۱- ۱) النساء،الآيه:۱۶.

۲- ۲) النساء،الآيه:۱۷.

إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ

(۱)

و قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«التائب حبيب اللّه،و التائب من الذنب كمن لا ذنب له». و قال الباقر-عليه السّلام-:«إن اللّه-تعالى- أشد فرحا بتوبه عبده من رجل أضل راحلته و زاده فى ليله ظلماء فوجدها، فاللّه أشد فرحا بتوبه عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها».و قال -عليه السّلام-:«التائب من الذنب كمن لا ذنب له،و المقيم على الذنب و هو مستغفر منه كالمستهزئ».و قال الصادق-عليه السّلام-:«إن اللّه يحب من عباده المفتن التواب»:يعنى كثير الذنب كثير التوبه.و قال-عليه السّلام-:

«اذا تاب العبد توبه نصوحا،أحبه اللّه فستر عليه»فقلت:و كيف يستر عليه؟ قال:«ينسى ملكيه ما كانا يكتبان عليه،و يوحى إلى جوارحه و إلى بقاع الأرض أن اكتمى عليه ذنوبه،فيلقى اللّه-عز و جل-حين يلقاه و ليس شىء يشهد عليه بشىء من الذنوب». و قال الصادق-عليه السّلام-:«إن اللّه -عز و جل-أعطى التائبين ثلاث خصال لو أعطى خصله منها جميع أهل السماوات و الأرض لنجوا بها:قوله-عز و جل-:

إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ... الى آخره (۲)،و قوله:

اَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا -الى قوله- وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (۳).

۱- ۱) البقره،الآيه:۲۲۲.

۲- ۲) البقره،الآيه:۲۲۲.

۳- ۳) المؤمن،الآيه:۷-۹.

و قوله: وَ الَّذِينَ لاٰ يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إِلٰهاً آخَرَ وَ لاٰ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ لاٰ يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثٰاماً، يُضٰاعَفْ لَهُ الْعَذٰابُ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهٰاناً، إِلاّٰ مَنْ تٰابَ وَ آمَنَ -الی قوله- وَ كٰانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً (۱).

و قال أبو الحسن-علیهما السّلام-:«أحب العباد إلی اللّه المنیبون التوابون».

فصل (قبول التوبه)

التوبه المستجمعه لشرائطها مقبوله بالاجماع،و یدل علیه قوله-تعالی-:

هُوَ الَّذِی يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبٰادِهِ

(۲)

.و قوله -تعالی-: غٰافِرِ الذَّنْبِ وَ قٰابِلِ التَّوْبِ (۳).و قوله -تعالی-: وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّٰهَ يَجِدِ اللّٰهَ غَفُوراً رَحِيماً (۴).

و قول النبی-صلّی اللّه علیه و آله-:«إن اللّه-تعالی-یبسط یده بالتوبه لمسیء اللیل إلی النهار و لمسیء النهار إلی اللیل حتی تطلع الشمس من مغربها»،و بسط الید کنایه عن طلب التوبه،و طالب التوبه یقبله البته.

۱- ۱) الفرقان،الآیه:۶۸-۷۰.

۲- ۲) الشوری،الآیه:۲۵.

۳- ۳) المؤمن،الآیه:۳.

۴- ۴) اللنساء،الآیه:۱۰۹.

و قوله-صلّى اللّه عليه و آله-:«إن الحسنات يذهبن السيئات،كما يذهب الماء الوسخ».و قوله-صلّى اللّه عليه و آله-:«لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم،لتاب اللّه عليكم».و قوله-صلّى اللّه عليه و آله-:«إن العبد ليذنب الذنب فيدخل فى الجنه».قبل:كيف يا رسول اللّه؟!قال:«يكون نصب عينيه تائبا منه فارّا حتى يدخل الجنه».و قوله-صلّى اللّه عليه و آله-:

«كفاره الذنب الندامه».و قوله-صلّى اللّه عليه و آله-:«من تاب قبل موته بسنه قبل اللّه توبته.ثم قال:إن السنه لكثير،من تاب قبل موته بشهر قبل اللّه توبته.ثم قال:إن الشهر لكثير،من تاب قبل موته بجمعه قبل اللّه توبته.ثم قال:إن الجمعه لكثير،من تاب قبل موته بيوم قبل اللّه توبته.

ثم قال:إن يوما لكثير،من تاب قبل أن يعاين ملك الموت قبل اللّه توبته» و قال الباقر-عليه السّلام-لمحمد بن مسلم:«ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفوره له،فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبه و المغفره،أما و اللّه إنها ليست إلا لأهل الايمان».فقال له:فان عاد بعد التوبه و الاستغفار من الذنوب، و عاد فى التوبه؟قال:«يا محمد بن مسلم!أ ترى العبد المؤمن يندم على ذنبه و يستغفر منه و يتوب ثم لا يقبل اللّه توبته؟»،قال:فانه فعل ذلک مرارا، يذنب ثم يتوب و يستغفر،فقال:«كلما عاد المؤمن بالاستغفار و التوبه عاد اللّه عليه بالمغفره،و إن اللّه غفور رحيم يقبل التوبه و يعفو عن السيئات،فإياك أن تقنط المؤمن من رحمه اللّه».و قوله-عليه السّلام-:«اذا بلغت النفس هذه-و أ هوى بيده إلى حلقه-لم تكن المعالم توبه،و كانت للجاهل توبه».

و قوله-عليه السّلام-:«إن آدم-صلّى اللّه عليه-قال:يا رب!سلطت على الشيطان،و أجريته منى مجرى الدم،فاجعل لى شيئا،فقال:يا آدم!جعلت لك:إن من همّ من ذريتک بسيئه لم تکتب عليه،فان عملها كتبت عليه سيئه

و من هم منهم بحسنه،فان لم يعملها كتبت له حسنه،فان هو عملها كتبت له عشرا،قال:يا رب!ازدنی،قال:جعلت لک:إن من عمل منهم سيئه ثم استغفر غفرت له،قال:يا رب!ازدنی،قال:جعلت لهم التوبه،و بسطت لهم التوبه حتی تبلغ النفس هذه،قال:يا رب!حسبی»و قول الصادق-عليه السّلام-:«إن الرجل ليذنب الذنب فيدخله اللّه به الجنه»،قيل:يدخله اللّه بالذنب الجنه؟قال:«نعم!إنه ليذنب فلا يزال منه خائفا ماقتا لنفسه، فيرحمه اللّه فيدخله الجنه».و قوله-عليه السّلام-:«العبد المؤمن إذا ذنب ذنبا أجله اللّه سبع ساعات،فان استغفر اللّه لم يكتب عليه شیء،و إن مضت الساعات و لم يستغفر كتبت عليه سيئه،و ان المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنه حتی يستغفر ربه فيغفر له،و إن الكافر لينسی من ساعته».و قوله-عليه السّلام-:

«ما من مؤمن يقارف فی يومه و ليلته أربعين كبيره فيقول و هو نادم:استغفر اللّه الذی لا إله إلا هو الحی القيوم بديع السماوات و الأرض ذا الجلال و الإكرام و أسأله أن يصلی علی محمد و آل محمد و ان يتوب علی،إلا غفرها اللّه له،و لا خير فيمن يقارف فی يومه أكثر من أربعين كبيره» (۱).

و روی:«أن اللّه-تعالی-لما لعن ابليس سأله النظره،فانظره إلی يوم القيامه،فقال:و عزتک لاخرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح، فقال اللّه-تعالی:بعزتی لا حجبت عنه التوبه ما دام فيه الروح». و ورد فی الإسرائيليات:«أن شابا عبد اللّه عشرين سنه،ثم عصاه عشرين سنه،ثم نظر فی المرآه،فرأی الشيب فی لحيته،فساءه ذلک،فقال:إلهی اطعتک عشرين

۱- ۱) صححنا الأحاديث الوارده فی هذا الباب علی أصول الكافی:باب الاعتراف بالذنوب،و باب من يهم بالحسنه أو السيئه،و باب التوبه،و باب الاستغفار من الذنوب،و باب فيما أعطی اللّه-عز و جل-آدم وقت التوبه.

سنه ثم عصيتك عشرين سنه،فان رجعت إليك أ تقبلنى؟فسمع قائلا يقول:

أجبتنا فاجبناك،فتركتنا فتركناك،و عصيتنا فامهلناك،فان رجعت إلينا قبلناك».و الاخبار و الآثار فى هذا المعنى أكثر من أن تحصى،و فى بعض الأخبار المتقدمه دلاله عليه أيضا.

ثم الناظر بنور البصيره لا يحتاج فى هذا المعنى إلى بيان،إذ يعلم أن التوبه توجب سلامه القلب،و كل قلب سليم مقبول عند اللّه و متنعم فى الآخره فى جوار اللّه،و يعلم ان القلب خلق فى الأصل سليما صافيا،إذ كل مولود يولد على الفطره،و إنما مرض و اسود بامراض الذنوب و ظلماتها،و دواء التوبه يزيل هذه الأمراض،و نور الحسنات يمحو هذه الظلمات،و لا طاقه لظلام المعاصى مع نور الحسنات،كما لا طاقه لظلام الليل مع نور النهار،و لكدوره الوسخ مع بياض الصابون و الماء الحار،نعم إذا تراكمت الذنوب بحيث صار رينا و طبعا،و افسدت القلب بحيث لا يقبل الصفاء و النورانيه بعد ذلك،فمثل هذا القلب لا تفيده التوبه،بمعنى انه لا يرجع و لا يتوب،و إن قال باللسان تبت،إذ اوساخ الذنوب غاصت فى تجاويفه و تراكمت فيه بحيث لا يقبل التطهير،و لو بولغ فيه أدى إلى انخراق القلب و هلاكه،لصيروره الاوساخ جزءا من جوهره،كما أن الثوب الذى غاص الوسخ فى تجاويفه و خلله و تراكم فيه،لو بولغ فى تطهيره بالماء و الصابون أدى ذلك إلى انخراقه.و هذا حال أكثر الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن اللّه فانهم لا يرجعون و لا يتوبون،لصيروره ذمائم الأخلاق و رذائلها ملكات راسخه فى نفوسهم و غاصت اوساخها فى تجاويف قلوبهم،بحيث لا يتنبهون و لا يتيقظون حتى يقصدوا التوبه،و لو قصدوها فانما هو بمجرد اللسان،و القلب غافل خال عن الايمان،بل تتعذر عليه التوبه لبطلان حقيقتها.

فصل (طريق التوبه عن المعاصى)

اعلم أن ما عنه التوبه هى الذنوب التى علمت تفاصيلها فى هذا الكتاب، و هى-كما ذكرناها-لا تخلو عن الصفات و الافعال الشيطانيه المتعلقه بالوهم، و الصفات و الافعال السبعيه المتعلقه بالقوه السبعيه،و الصفات و الافعال البهيميه المتعلقه بالقوه البهيميه.و من حيث تعلق التوبه بها و كيفيه الخروج عنها ينقسم إلى اقسام ثلاثه:

أحدها-ترك الطاعات الواجبه:من الصلاه،و الصوم،و الزكاه،و الخمس و الكفاره و غيرها.و طريق التوبه عنها:أن يجتهد فى قضائها بقدر الإمكان.

و ثانيها-المحرمات التى بين العبد و بين اللّه،اعنى المنهيات التى هى حقوق اللّه:كشرب الخمر،و ضرب المزامير،و الكذب،و الزنا بغير ذات بعل.و طريق التوبه عنها:أن يندم عليها،و يوطن قلبه على ترك العود إلى مثلها أبدا.

و ثالثها:الذنوب التى بينه و بين العباد،و هى المعبر عنها بحقوق الناس، و الأمر فيها أصعب و أشكل،و هى إما فى المال،أو فى النفس،أو فى العرض، أو فى الحرمه،أو فى الدين:

فما كان فى(المال):يجب عليه أن يرده إلى صاحبه إن أمكنه،فان عجز عن ذلك لعدم أو فقر،وجب أن يستحل منه،و إن لم يحله أو عجز عن الايصال لغيبه الرجل غيبه منقطعه او موته و عدم بقاء وارث له، فليتصدق عنه إن أمكنه.و الا فعليه بالتضرع و الابتهال إلى اللّه أن يرضيه عنه يوم القيامه،و عليه بتكثير حسناته و تكثير الاستغفار له،ليكون يوم القيامه عوضا عن حقه،اذ كل من له حق على غيره لا بد أن يأخذ يوم القيامه

عوضا عن حقه،اما بعض طاعاته أو بتحمل هذا الغير بعض سيئاته.

و ما كان فی(النفس):فان كانت جنايه جرت عليه خطأ وجب أن يعطی الديه،و ان كان عمدا وجب عليه أن يمكن المجنی عليه أو أولياءه مع هلاكه من القصاص حتی يقتص منه،أو يجعل فی حل،و ان عجز عن ذلک فعليه بكثره اعتاق الرقاب،لأن ذلک نوع احياء و ايجاد لا يقدر الإنسان علی أكثر منه،فيقابل به الاعدام و الأمانه،و عليه الرجوع أيضا إلی اللّه بالتضرع و الابتهال أن يرضيه عنه يوم القيامه.

و ما كان فی(العرض):بأن شتمه،أو قذفه،أو بهته،أو اغتابه،فحقه أن يكذب نفسه عند من قال ذلک لديه،و يستحل من صاحبه مع الإمكان، إن لم يخف تهديده و زياده غيظه و هيجان فتنته من إظهاره،فان خاف ذلک، فليكثر الاستغفار له،و يبتهل إلی اللّه أن يرضيه عنه يوم القيامه.

و ما كان فی(الحرمه):بأن خان مسلما فی أهله و ولده أو نحوهما، فلا وجه للاستحلال،إذ إظهار ذلک يورث الغيظ و الفتنه،لأن من له شوب الرجوليه لا يمكن أن يحل من خان فی حرمته و وطأ زوجته،كيف و لو أحله و رضی بذلک كان فيه عرق من الدياثه،فاللازم لمثله أن يكثر التضرع و الابتهال إلی اللّه المتعال،و يواظب علی الطاعات و الخيرات الكثيره لمن خانه فی مقابله خيانته،و إن كان حيا فليفرحه بالإحسان و الانعام و بذل الأموال،و يكرمه بالخدمه و قضاء الحوائج،و يسعی فی مهماته و اغراضه، و يتلطف به،و يظهر من حبه و الشفقه عليه ما يستميل به قلبه،فإذا طاب قلبه بكثره تودده و تلطفه،فربما سمحت نفسه فی القيامه بالاحلال،فان أبی أن يكون انعامه و تلطفه من جمله حسناته التی يمكن أن يجبر بها فی القيامه خيانته،فان كل ظلم و إيذاء و حق من حقوق العباد إذا لم يحل صاحبه يوم

القيامه يقتص من الظالم فى يوم القيامه بالحكم العدل القهرى بأخذ العوض، سواء رضى الظالم أم لا،و سواء امتنع صاحب الحق عن القبول و الابراء أم لا-كما أنه يحكم فى الدنيا على من اتلف مال غيره باعطاء المثل،و يقهر على ذلك،و يحكم على هذا الغير بقبوله،و يجبر عليه إن امتنع عن الابراء و عن القبول،فكذلك يحكم أحكم الحاكمين و أعدل العادلين فى محكمه القيامه، فيقتص من كل ظالم موذ بأخذ حسناته و وضعها فى موازين أرباب المظالم، فان لم تف بها حسناته،حمل من سيئات أرباب المظالم،فيهلك المسكين بسيئات غيره. و بذلك يعلم:انه لا خلاص لأحد فى القيامه إلا برجحان ميزان الحسنات على ميزان السيئات،و مع الرجحان-و لو بقدر مثقال-تحصل النجاه،فيجب على كل معتقد بيوم الحساب أن يسعى فى تكثير الحسنات و تقليل السيئات،حتى لا-ترجح سيئاته يوم القيامه على حسناته و لو بمثقال فيكون من الهالكين،و على كل حال لا يغفل عن التضرع و الابتهال فى الليل و النهار إلى اللّه-سبحانه-،لعله بعميم لطفه لا يفضحه يوم تبلى السرائر،و يرضى خصمه بخفى ألطافه.

و ما كان فى(الدين):بأن نسب مسلما إلى الكفر او الضلاله أو البدعه.فليكذب نفسه بين يدى من قال ذلك عنده،و يستحل من صاحبه مع الإمكان،و بدونه فليستغفر له و يكثر الابتهال إلى اللّه ليرضيه عنه يوم القيامه.

و مجمل ما يلزم فى التوبه عن حقوق الناس:ارضاء الخصوم مع الإمكان،و بدونه التصدق و تكثير الحسنات و الاستغفار،و الرجوع إلى اللّه بالتضرع و الابتهال،و ليرضيهم عنه يوم القيامه،و يكون ذلك بمشيه اللّه،فلعله إذا علم الصدق من قلب عبده،و وجد ذله و انكساره،ترحم عليه

و أرضى خصماءه من خزانه فضله،فلا ينبغى لأحد أن ييأس من روح اللّه.

فصل (تكفير الصغائر و معنى الكبائر)

اعلم ان صاحب الشرع قسم الذنوب إلى كبيره و صغيره،و حكم بأن اجتناب الكبائر يكفر الصغائر،و أن الصلوات الخمس لا تكفر الكبائر و تكفر الصغائر،قال اللّه-تعالى-:

إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبٰائِرَ مٰا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئٰاتِكُمْ

(۱)

و قال: اَلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبٰائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوٰاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ (۲).

و قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«الصلوات الخمس و الجمعه تكفر ما بينهن ان اجتنبت الكبائر»و اجتناب الكبيره انما يكفر الصغيره اذا اجتنبها مع القدره و الاراده،كمن يتمكن من امرأه و من مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع و يقتصر على نظر و لمس،فان مجاهدته نفسه فى الكف عن الوقاع أشد تأثيرا فى تنوير قلبه من اقدامه على النظر فى الظلامه، فهذا معنى تكفيره،فان كان امتناعه لعجز او خوف او نحو ذلك،فلا يصلح للتكفير،فكذلك من لا يشتهى الخمر بطبعه و لو أبيح له لما شربه.فاجتنابه لا يكفر عن الصغائر التى هى من مقدماته كسماع الملاهى و الأوتار و مثله.

ثم الكبيره من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص فى اللغه و لا فى الشرع و العرف،لأن الكبير و الصغير من المصافات،و ما من ذنب إلا

۱- ۱) النساء،الآيه:۳۰.

۲- ۲) النجم،الآيه:۳۲.

و هو كبير بالإضافه إلى ما دونه،و صغير بالإضافه إلى ما فوقه.و قد اختلف العلماء فى تعيين الكبائر اختلافا لا يكاد يرجى زواله،و اختلفت الروايات فيها أيضا.

و الأظهر بالنظر إلى الروايات و إلى الجميع بينها كون الكبيره عباره عما توعد بالنار على فعله او ما ورد فى نص الكتاب النهى عنه،و يعنى بوصفه بالكبيره:ان العقوبه بالنار عظيمه،او ان تخصيصه بالذكر فى القرآن يدل على عظمه.و يمكن ان يقال:ان الشرع لم يعينها،و أبهمها ليكون العباد على و جل منها،فيجتنبون جميع الذنوب،كما أبهم ليله القدر ليعظم جد الناس فى طلبها،و واظبوا فى ليال متعده على العبادات،و كما أبهم الاسم الأعظم ليواظبوا على جميع أسماء اللّه. و الحاصل:أن كل ما لا يتعلق به حكم الدنيا جاز أن يتطرق إليه الإبهام،و الكبيره على الخصوص لا حكم لها فى الدنيا من حيث انها كبيره،فان موجبات الحدود معلومه بأساميها،و انما حكم الكبيره ان اجتنابها يكفر الصغائر و ان الصلوات الخمس لا تكفرها،و هذا أمر يتعلق بالآخره،و الإبهام أليق به،حتى يكون الناس على و جل و حذر،فلا يتجرؤن على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس و اجتناب الكبائر.

فصل (الصغائر قد تكون كبائر)

اعلم أن الصغيره قد تكبر بأسباب:

أحدها-الإصرار و المواظبه،و لذلك قال الصادق-عليه السّلام-:

«لا صغيره مع الإصرار،و لا كبيره مع الاستغفار».و السر فيه:أن الصغيره لقله تأثيرها لا تؤثر فى القلب باظلامه مره او مرتين،و لكن إذا تكررت و تراكمت آثارها الضعيفه صارت قويه و أثرت على التدريج فى

القلب،و ذلک کما أن قطرات من الماء تقع علی الحجر علی توال فتؤثر فیه، و ذلک القدر من الماء لو صب علیه دفعه لم یؤثر،و لذلک قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-:«خیر الأعمال أدومها،و إن قل».و إذا کان النافع هو الطاعه الدائمه و إن قلت،فکذلک الضار هو السیئه الدائمه و إن قلت.ثم معرفه الإصرار موکول إلی العرف،قال الباقر-ع-فی قوله-تعالی-:

وَ لَمْ یُصِرُّوا عَلیٰ مٰا فَعَلُوا وَ هُمْ یَعْلَمُونَ

(۱)

:

«الإصرار:أن یذنب الذنب،فلا یستغفر و لا یحدث نفسه بتوبه، فذلک الإصرار».

و ثانیها-استصغار الذنب،فان العبد کلما استعظمه من نفسه صغر عند اللّه،و کلما استصغره کبر عند اللّه،لأن استعظامه یصدر عن نفور القلب عنه و کراهته له،و ذلک النفور یمنع من شده تأثره به،و استصغاره یصدر عن الألف به،و ذلک یوجب شده الأثر فی القلب،و القلب هو المطلوب تنویره بالطاعات و المحذور تسویده بالسیئات،و لذلک لا یؤاخذ بما یجری علیه فی الغفله،لعدم تأثره به.و لذلک ورد فی الخبر:«أن المؤمن یری ذنبه کالجبل فوقه یخاف أن یقع علیه،و المنافق یری ذنبه کذباب مر علی أنفه فاطاره». و قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-:«اتقوا المحقرات من الذنوب،فانها لا تغفر»،قیل:و ما المحقرات؟قال:الرجل یذنب الذنب،فیقول طوبی لی لو لم یکن غیر ذلک».و روی:«انه-صلّی اللّه علیه و آله-نزل بارض قرعاء،فقال لأصحابه:ائتونا بالحطب،فقالوا:

یا رسول اللّه!نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب،قال:فلیأت کل انسان بما قدر علیه.فجاؤا به حتی رموا بین یدیه بعضه علی بعض،فقال-صلّی اللّه

۱- ۱) آل عمران،الآیه:۱۳۵.

علیه و آله-:هکذا تجتمع الذنوب،إیاک و المحقرات من الذنوب فان لکل شیء طالبا،ألا و إن طالبها یکتب ما قدموا و آثارهم و کل شیء أحصیناه فی امام مبین». و قال أمیر المؤمنین-علیه السّلام-:«لا تصغر ما ینفع یوم القیامه،و لا تصغر ما یضر یوم القیامه،فکونوا فیما أخبرکم اللّه کمن عاین». و قال الباقر-علیه السّلام-:«اتقوا المحقرات من الذنوب فان لها طالبا،یقول أحدکم:أذنب و استغفر اللّه.إن اللّه-تعالی-یقول:

وَ نَکْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ وَ کُلَّ شَیْءٍ أَحْصَیْنٰاهُ فِی إِمٰامٍ مُبِینٍ

(۱)

.و قال-عز و جل-: إِنَّهٰا إِنْ تَکُ مِثْقٰالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَکُنْ فِی صَخْرَهٍ أَوْ فِی السَّمٰاوٰاتِ أَوْ فِی الْأَرْضِ یَأْتِ بِهَا اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ لَطِیفٌ خَبِیرٌ (۲).

و قال الصادق-علیه السّلام-:«إن اللّه یحب العبد أن یطلب إلیه فی الجرم العظیم،و یبغض العبد أن یستخف بالجرم الیسیر». و قال الکاظم -علیه السّلام-:«لا تستکثروا کثیر الخیر و لا تستقلوا قلیل الذنوب، فان قلیل الذنوب یجتمع حتی یکون کثیرا،و خافوا اللّه فی السر حتی تعطوا من أنفسکم النصف» (۳).و السر فی عظم الذنب فی قلب المؤمن:کونه عالما بجلال اللّه و کبریائه،فإذا نظر إلی عظم من عصی به رأی الصغیر کبیرا، و قد أوحی اللّه إلی بعض أنبیائه:«لا تنظر إلی قله الهدیه و انظر إلی عظم مهدیها،و لا تنظر إلی صغر الخطیئه و انظر إلی کبریاء من واجهته بها».

ص: ۷۶

۱- ۱) یس،الآیه:۱۲.

۲- ۲) لقمان،الآیه:۱۶.

۳- ۳) صححنا الأحادیث کلها علی أصول الکافی(باب التوبه،و باب تفسیر الذنوب).

و لـذلك قال بعض الصـحابه للتابعين:«إنكم تعملون اعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر،و كنا نعـدها على عهد رسول اللّه من الموبقات»،إذ كانت معرفه الصحابه بجلال اللّه أتم،فكانت الصغائر عنهم بالإضافه إلى جلال اللّه كبائر.

و ثالثهـا-أن يـأتى بالصـغائر و لاـ يبـالى بفعلها،اغترارا بستر اللّه عليه، و حلمه عنه،و إمهاله إياه،و لا يعلم أنه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهـال اثما، فتزهق أنفسـهم و هم كافرون،فمن ظن آن تمكنه من المعاصـى عنايه من اللّه به،فهو جاهل بمكامن الغرور،و آمن من مكر اللّه الذى لا يأمن منه إلا الكافرون.

و رابعها-السرور بالصـغيره و اعتداد التمكن من ذلك نعمه،و الغفله عن كونها نقمه و سبب الشقاوه،فكلما غلبت حلاوه الصغيره عند العبد كبرت و عظم أثرها فى تسويد قلبه،فمن مزق عرض مسـلم و فضـحه و خجله،أو غبنه فى ماله فى المعامله،ثم فرح به،و يقول:أما رأيتنى كيف مزقت عرضه؟ و كيف فضحته؟و كيف روجت عليه الزيف؟كانت معصيته أشد مما إذا لم يفرح بذلك و تأسف عليه،إذ الذنوب مهلكات،و إذا ابتلى بها العبد فينبغى أن يتأسف من حيث إن العدو-اعنى الشيطان-ظفر به و غلب عليه، لا أن يفرح بغلبه العدو عليه،فالمريض الذى يفرح بانكسار انائه الذى فيه واؤه لتخلصه من ألم شربه،لا يرجى شفاؤه.

و خامسها-أن يذنب و يظهر ذنبه بان يذكره بعد اتيانه،أو يأتى به فى مشهد غيره،فان ذلك خيانه منه على اللّه الذى اسدله عليه،و تحريك الرغبه و الشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله،فهما خيانتان انضمتا إلى خيانته فتغلظت به،فان انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه و الحمل عليه و تهيئه الأسباب له صارت خيانته رابعه،و تفاحش الأمر.و هذا لان من

صفات اللّه انه يظهر الجميل و يستر القبيح و لا يهتك الستر،فلإظهار كفر ان لهذه النعمه،قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«المستتر بالحسنه تعدل سبعين حسنه،و المذيع بالسيئه مخذول،و المستتر بها مغفور له». و قال الصادق-عليه السّلام-:«من جاءنا يلتمس الفقه و القرآن و تفسيره فدعوه و من جاءنا يبدى عوره قد سترها اللّه فنحوه».

و سادسها-ان يكون الآتى بالصغيره عالما يقتدى به الناس،فإذا فعله بحضره الناس او بحيث اطلعوا عليه،كبر ذنبه،و ذلك كلبه الذهب و الابريسم،و أخذه مال الشبهه،و إطلاقه اللسان فى اعراض الناس،و نحو ذلك.فهذه ذنوب يقتدى العالم فيها و يتبع عليها،فيموت و يبقى شره مستطيرا فى العالم،فطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه،و فى الخبر:«من سن سنه سيئه فعليه و زرها و وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شىء»قال اللّه-تعالى- وَ نَكْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ (1)و الآثار:ما يلحق الأعمال بعد انقضاء العمل.فعلى العالم وظيفتان:

-أحدهما-ترك الذنب،و الأخرى-اخفاؤه،و كما تتضاعف اوزار العالم على السيئات إذا اتبع فيها،فكذلك يتضاعف ثوابه على الحسنات إذا اتبع.

فصل (شروط كمال التوبه)

يشترط فى تمام التوبه و كمالها بعد تدارك كل معصيه بما مر:من طول الندم،و قضاء العبادات،و الخروج عن مظالم العباد،و طول البكاء و الحزن و الحسره،و اسكاب الدموع،و تقليل الأكل،و ارتياض النفس،ليذوب

1- 1) يس،الآيه:12.

عن بـدنه كـل لحم نبت من الأغـذيه المحرمه و المشـتبهه،قـال أمير المؤمنين(ع) لمن قال بحضـرته:اسـتغفر اللّه:«ثكلتك أمك!أ تدرى ما الاسـتغفار؟ان الاستغفار درجه العليين،و هو اسم واقع على سته معان: اولها:الندم على ما مضى، و الثانى:العزم على ترك العـود عليه ابـدا، و الثـالث:ان تـؤدى إلى المخلـوقين حقـوقهم حـتى تلقى اللّه امس ليس عليـك تبعه، و الرابع:ان تعمـد الى كل فريضه عليـك ضـيعتها تؤدى حقهـا، و الخامس:ان تعمـد إلى اللحم الـذى نبت على السـحت فتـذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد بالعظم و ينشأ منهما لحم جديد، و السادس:ان تذيق الجسم الم الطاعه كما أذقته حلاوه المعصيه فعند ذلك تقول:استغفر اللّه».

فصل (هل يصح التبعيض فى التوبه)

اعلم ان التوبه عن بعض الـذنوب دون بعض ممكن و يصح،بشـرط الا تكون الذنوب التى يتوب عنها مخالفه بالنوع للذنوب التى لا يتوب عنها،كأن يتوب عن الكبائر دون الصـغائر،او عن القتل و الظلم و مظالم العباد دون بعض حقوق اللّه،أو عن شـرب الخمر دون الزنا او بالعكس،او عن شرب الخمر دون أكل أموال الناس بالباطل خيانه و تلبيسا او غصبا او قهرا،او عن بعض الصغائر دون بعض الكبائر.كالـذى يتـوب عن الغيبه مع اصـراره على شـرب الخمر،و الـدليل على إمكـان ذلـك و صـحته:ان العبـد إذا علم ان الكبائر أعظم اثما عنـد اللّه و اجلب لسـخط اللّه و مقته و الصـغائر أقرب إلى تطرق العفو إليها،فلا يبعد ان يتوب عن الأعظم دون الأصـغر،و كـذا اذا تصور ان بعض الكبائر أشـد و اغلظ عند اللّه من بعض،فلا يبعد ان يتوب عن الأغلظ دون الأخف،و قد تكون ضراوه أحد بنوع معصيه

شدیده،فلا یقدر علی الصبر عنها،و تکون ضراوته بنوع آخر منها أقل، فیمکنه الترک بسهوله،فیتوب عنه دون الأول،و ان کان الأول اغلظ و أشد اثما،کالذی شهوته بالخمر أشد من شهوته بالغیبه.فیترک الغیبه و یتوب عنها دون الخمر،فالتوبه عن بعض المعاصی دون بعض مع اختلافهما نوعا بأی نحو کان ممکن و صحیح،و معها یندفع عنه اثم ما تاب عنه،و یکتب علیه اثم ما لم یتب عنه،بل ربما کان أکثر ما وقع من التوبه من هذا القبیل،إذ کثر التائبون فی الاعصار الخالیه و القرون الماضیه،و لم یکن أحد منهم معصوما، فیکون کل منهم جازما بأنه یصدر عنه معصیه البته.و یدل علی الصحه قوله -علیه السّلام-:«التائب من الذنب کمن لا ذنب له»حیث لم یقل:التائب من الذنوب. نعم التوبه عن بعض الذنوب دون بعض مع تماثلهما غیر صحیح و غیر معقول،لاستوائهما فی حق الشهوه و حق التعرض لسخط اللّه،فلا معنی للتوبه عن أخذ الخبز الحرام،أو عن أخذ الدرهم الحرام دون الدینار الحرام أو عن ترک صلاه الظهر دون العصر،إذ لو کان ذلک صحیحا لصح أن یتوب عن أخذ هذا الخبز دون ذلک الخبز،او عن أخذ هذا الدرهم دون ذلک الدرهم...و هکذا.و الحاصل:ان التوبه عن بعض الذنوب دون بعض مع تفاوتهما فی العقاب و اقتضاء الشهوه صحیح،و مع تماثلهما فیهما غیر معقول.

و من العلماء من قال:إن التوبه عن البعض دون البعض لا تصح مطلقا، و استدل علی ذلک بأن التوبه عباره عن الندم،و إنما یندم علی السرقه-مثلا- لکونها معصیه لا لکونها سرقه،و لا یعقل أن یندم علیها دون الزنا ان کان توجعه لأجل المعصیه،اذ العله شامله لهما،لان من یتوجع علی قتل ولده بالسیف یتوجع علی قتله بالسکین،لان التوجع هو بفوات المحبوب،سواء کان بالسیف او بالسکین،و کذلک توجع التائب انما هو لفوات المحبوب

بالمعصيه،سواء عصى بالسرقه أو بالزنا،و جوابه قد ظهر مما ذكرناه.

فصل (أقسام التائبين)

التائبون بين من سكت نفسه عن الشروع إلى الذنوب فلا يحوم حومها،و بين من بقى فى نفسه الشروع إليها و الرغبه فيها و هو يجاهدها و يمنعها:

و الأول بيّن من سكون النزوع و بطلانه فيه لأجل قوه اليقين و صدق المجاهده، و من سكونه و انقطاعه بفتور فى نفس الشهوه فقط!و الأول من الأول أفضل من الثانى،و الثانى منه أدون من الثانى،و الوجه ظاهر.و أيضا التائبون بين من نسى الذنب من دون اشتغال بالتفكر فيه،و بين من جعله نصب عينيه و لا يزال يتفكر فيه و يحترق ندما عليه.و لا ريب فى أنّ التذكر و الاحتراق بالنظر إلى المبتدى و من يخاف عليه العود أفضل،لأنه يصده عنه،و النسيان بالنظر إلى المنتهى السالك و الواصل إلى مرتبه الحب و الانس الواثق من نفسه انه لا يعود أفضل،لأنه شغل مانع عن سلوك الطريق،و حاجب من الحضور بلا فائده.و لا ينافيه بكاء الأنبياء و تناجيهم من الذنوب،لانهم قد ينزلون فى أقوالهم و أفعالهم إلى الدرجات الائقه بالامه،فانهم بعثوا لارشادهم،فعليهم التلبس بما ينتفع الأمه بمشاهدته،و إن كان نازلا عن ذروه مقامهم.و لذا قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«أما إنى لا أنى، و لكن انسى لأشرع» (1).و لا تعجب من هذا،فان الأمم فى كنف شفقه الأنبياء كالصبيان فى كنف شفقه الآباء،و كالمواشى فى كنف الرعاه،و الاب إذا أراد أن يستنطق ولده الصغير ينزل إلى درجه نطق الصبى،و الراعى

١- ١) الحديث نبوى مروى فى احياء العلوم:۴-٣٨.

لشاه أو طائر يصوت به رغاء أو صفيرا شبيها بالبهيمه و الطائر،تلطفا فی تعليمه.

فصل (مراتب التوبه)

اعلم أن التائب إما يتوب عن المعاصی كلها و يستقيم علی التوبه إلی آخر عمره،فيتدارك ما فرط،و لا يعود إلی ذنوبه،و لا يصدر عنه معصيه إلا الزلات التی لا يخلو عنها غير المعصومين،و هذه التوبه هی التوبه النصوح، و النفس التی صاحبها هی النفس المطمئنه التی ترجع إلی ربها راضيه مرضيه، أو يتوب عن كبائر المعاصی و الفواحش و يستقيم علی أمهات الطاعات،إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تصدر عنه فی مجاری أحواله غفله و سهوه و هفوه، لا عن محض العمد و تجريد القصد،و إذا أقدم علی ذنب لام نفسه و ندم و تأسف و جدد عزمه علی ألا يعود إلی مثله،و يتشمر للاحتراز عن أسبابه التی تؤدی إليه،و النفس التی هذه مرتبتها هی النفس اللوامه التی خيرها يغلب علی شرها،و لها حسن الوعد من اللّه-تعالی-بقوله:

اَلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبٰائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوٰاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وٰاسِعُ الْمَغْفِرَهِ

(۱)

.

و إلی مثلها الإشاره بقوله-صلّی اللّه عليه و آله-:«خياركم كل مفتن تواب».و فی خبر آخر:«المؤمن كالسنبله،يفیء احيانا و يميل احيانا».

و فی خبر آخر:«لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينه بعد الفينه» (۲):أی

۱- ۱) النجم،الآيه:۳۲.

۲- ۲) صححنا النبويات الثلاث علی احياء العلوم:۴-۳۹.

الحين بعد الحين.و كل ذلک شاهد صدق على ان هذا القدر من الذنوب لا ينقض التوبه و لا يلحق صاحبه بدرجه المصرين،و من يؤيس مثل هذا عن النجاه و وصوله إلى درجه التائبين فهو ناقص،و مثله مثل الطبيب الذى يؤيس الصحيح من دوام الصحه بما يتناوله من الفواكه مره أو مرتين،و مثل الفقيه الذى يؤيس المتفقه عن نيل درجه الفقهاء بفتوره عن التكرار فى أوقات نادره.و لا ريب فى نقصانه،فالعالم حق العالم هو الذى لا يؤيس الخلق من درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات و مقارفه السيئات المختطفات،إذ أمثال الفترات و ما يصدر عن السهو و الغفلات لا يفسد النفس و لا يبطلها بحيث لا يقبل الإصلاح، أو يتوب و يستمر على الاستقامه مده ثم تغلبه الشهوه فى بعض الذنوب،فيقدم عليه عمدا و قصدا،لعجزه عن قهر الشهوه و قمعها،إلا أنه مع ذلک مواظب على الطاعات،و تارک لأكثر الذنوب مع القدره و الشهوه،و إنما قهره بعض الشهوات بحيث يغفل عند هيجانها و يرتكب مقتضاها من دون مجاهده و ندامه،و عند قضاء هذه الشهوه و الفراغ عنها يتندم،و يقول سأتوب عنها،لكنه يسول نفسه و يسوف توبته يوما بعد يوم،و النفس التى هذه درجتها هى التى تسمى النفس المسوله المسئول صاحبها،و إليها الإشاره بقوله-تعالى-:

وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صٰالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً

(١)

.

فنجاتها من حيث مواظبته على الطاعات و كراهته لما يتعاطاه مرجو، فعسى اللّه أن يتوب عليها،و لكن يخاف عليها من حيث تسويفها و تأخيرها،

١- ١) التوبه،الآيه:١٠٣.

فربما اختطفها الموت قبل التوبه،و يقع أمرها فى المشيئه،فيدخل فى زمره السعداء،أو يسلك فى سلك الأشقياء، أو يتوب و يجرى مده على الاستقامه، ثم يعود إلى الذنوب عمدا و قصدا،من غير أن يحدث نفسه بالتوبه،و من غير أن يتأسف و يتندم،بل ينهمك انهماك الغافل فى الذنوب و اتباع الشهوات و هذا معدود من المصرين،و نفسه محسوبه من النفوس الاماره بالسوء الفراره من الخير،و مثله إن مات على التوحيد و ختم له بالحسنى و غلبت طاعاته على سيئاته كان من أهل الجنه،و إن ختم له بالسوء كان من أهل النار، و إن مات على التوحيد و لكن ترجحت سيئاته على حسناته فأمره إلى اللّه،و لعله يعذب فى النار مده بقدر زياده سيئاته على حسناته،ثم يخلص منها بعميم لطفه.

فصل (عدم الثقه بالاستقامه لا يمنع من التوبه)

اعلم أن من تاب و لا يثق من نفسه الاستقامه على التوبه فلا ينبغى أن يمنعه ذلك عن التوبه،علما منه أنه لا فائده فيه.فان ذلك من غرور الشيطان، و من أين له هذا العلم،فلعله يموت تائبا قبل أن يعود إلى الذنب.

و أما الخوف من العود،فليتدار كه بتجريد القصد و صدق العزم،فان و فى به فقد نال مطلبه،و إلا فقد غفرت ذنوبه السابقه كلها و تخلص منها، و ليس عليه إلا هذا الذنب الذى أحدثه الآن.و هذا من الفوائد العظيمه و الأرباح الجسيمه،فلا يمنعك خوف العود من التوبه،فانك من التوبه أبدا بين إحدى الحسنيين:-إحداهما-العظمى:و هى غفران الذنوب السابقه و عدم العود إلى ذنبه فى الاستقبال.-و ثانيهما-و هى الصغرى:غفران الذنوب الماضيه،و إن لم يمنع العود إلى الذنب فى المستقبل.ثم إذا عاد إلى

الذنب ينبغى أن يتوب عنه دفعه،و يتبعه بحسنه لتمحوها،فيكون ممن خلط عملا صالحا و آخر سيئا. و الحسنات المكفره للذنوب إما متعلقه بالقلب:

و هى الندم،و التضرع إلى اللّه،و التذلل له،و اضمار الخير للمسلمين،و العزم على الطاعات،أو باللسان:و هى الاعتراف بالظلم و الاساءه،و كثره الاستغفار،أو بالجوارح:و هى أنواع الطاعات و الصدقات.و ينبغى ملاحظه المناسبه بين السيئه التى صدرت عنه و الحسنه التى يتبعها لتمحوها. و فى الخبر:

ان الذنب إذا اتبع بثمانيه اعمال كان العفو عنه مرجوا:أربعه من اعمال القلوب،و هى:التوبه أو العزم على التوبه،و حب الإقلاع عن الذنب،و تخوف العقاب عليه،و رجاء المغفره،و أربعه من اعمال الجوارح و هى:أن تصلى عقب الذنب ركعتين،ثم تستغفر اللّه-تعالى-بعدهما سبعين مره و تقول سبحان اللّه العظيم و بحمده مائه مره،ثم تتصدق بصدقه، ثم تصوم يوما.و فى بعض الأخبار:تسبغ الوضوء و تدخل المسجد و تصلى ركعتين،و فى بعضها:تصلى أربع ركعات. و لا تظنن أن الاستغفار باللسان بدون حل عقده الإصرار لا فائده فيه أصلا،بل هو توبه الكذابين،لما ورد من:أن المستغفر من الذنب و هو مصر عليه كالمستهزئ بآيات اللّه، لأن الاستغفار الذى هو توبه الكذابين و لا فائده فيه أصلا هو الاستغفار بمجرد اللسان و بحكم العاده و على سبيل الغفله،أى ما يكون مجرد حركه اللسان من دون مدخليه للقلب،كما إذا سمع شيئا مخوفا،فيقول على الغفله.

استغفر اللّه،أو نعوذ باللّه،من غير شركه للقلب فيه و تأثره منه، و أما إذا انضاف إليه تضرع القلب و ابتهاله فى سؤال المغفره عن صدق إراده و خلوص رغبه و ميل قلبى إلى انقلاعه عن هذا الذنب فهى حسنه فى نفسها،و ان علم أن نفسه الاماره ستعود إلى هذا الذنب فتصلح هذه الحسنه لأن يدفع بها السيئه،

فالاستغفار بالقلب و ان خلا عن حل عقده الإصرار لا يخلو عن الفائده، و ليس وجوده كعدمه.و قد عرف أرباب القلوب بنور البصيره معرفه قطعيه يقينيه لا يعتريها ريب و شبهه صدق قوله-تعالى-:

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ، وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ

(۱)

.

و لذا جزموا و قطعوا بأنه لا تخلو ذره من الخير عن أثر كما لا تخلو شعيره تطرح فى الميزان عن أثر،و لو كانت كل شعيره خاليه عن اثر لكان لا يرجح الميزان باجتماع الشعيرات،فميزان الحسنات يترجح بذرات الخيرات الى أن يثقل فتسل كفه السيئات،فإياك و ان تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها،و تستحقر ذرات المعاصى فلا تتقيها،كالمرأه الخرفاء تكسل عن الغزل تعللا بأنها لا تقدر فى كل ساعه الا على خيط واحد،و أى غنى يحصل منه،و ما وقع ذلك فى الثياب،و لا تدرى أن ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا،و ان اجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذره ذره،و ربما ترتب على عمل قليل ثواب جزيل،فلا ينبغى تحقير شىء من الطاعات. قال الصادق -عليه السّلام-:«إن اللّه-تعالى-خبا ثلاثا فى ثلاث:رضاه فى طاعته، فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه.و غضبه فى معاصيه،فلا تحقروا شيئا فلعل غضبه فيه.و خبأ ولايته فى عباده،فلا تحقروا منهم أحدا فلعله ولى اللّه».فإذا الاستغفار بالقلب حسنه لا يضيع أصلا،بل ربما قيل:

الاستغفار بمجرد اللسان أيضا حسنه،إذ حركه اللسان بها غفله خير من السكوت عنه،فيظهر فضله بالنظر إلى السكوت عنه،و إن كان نقصا بالإضافه

۱- ۱) الزلزله،الآيه:۷-۸.

إلى عمـل القلب،فینبغی ألا تترک حرکه اللسان بالاستغفار،و یجتهـد فی اضافه حرکه القلب إلیها،و یتضـرع إلی اللّه أن یشـرک القلب مع اللسان فی اعتیاد الخیر.

فصل (علاج الإصرار علی الذنوب)

اعلم أن الطریق إلی تحصـیل التوبه،و العلاج لحل عقده الإصـرار علی الذنوب:أن یتذکر ما ورد فی فصلها-کما مر-و یتذکر قبح الـذنوب و شـده العقوبه علیهـا،و مـا ورد فی الکتـاب و السـنه من ذم المـذنبین و العاصـین،و یتأمـل فی حکایـات الأنبیاء و أکابر العبـاد،و مـا جری علیهم من المصـائب الـدنیویه، بسـبب ترکهم الأولی و ارتکابهم بعض صـغائر المعاصـی،و أن یعلم أن کل ما یصـیب العبـد فی الـدنیا من العقوبه و المصائب فهو بسـبب معصـیته-کما دل علیه الأخبار الکثیره-و یتـذکر ما ورد من العقوبات علی آحاد الـذنوب:کالخمر، و الزنا،و السـرقه،و القتل،و الکبر،و الحسـد،و الکذب،و الغیبه،و أخذ المال الحرام...و غیر ذلک من آحاد المعاصـی مما لا یمکن حصـره،ثم یتذکر ضـعف نفسه و عجزها عن احتمال عذاب الآخره و عقوبه الدنیا،و یتذکر خساسه الـدنیا و شـرف الآخره،و قرب الموت و لـذه المناجاه مع ترک الـذنوب، و لا یغتر بعـدم الأخـذ الحالی،إذ لعله کان من الإملاء و الاسـتدراج. فمـن تأمـل فی جمیـع ذلـک و علم ذلـک علی سبیـل التحقیـق انبعثت نفسه للتـوبه،إذ لـو لم ینزعـج إلی التـوبه بعد ذلک،فهو إما معتوه احمق أو غیر معتقـد بالمعاد، و ینبغی أن یجتهد فی قلع أسـباب الإصـرار من قلبه!اعنی الغرور،و حب الدنیا،و حب الجاه،و طول الأمل...و غیر ذلک.

ص :۸۷

فصل (الإنابه)

اشاره

اعلم أن الإنابه هو الرجوع عن كل شيء مما سوى اللّه،و الإقبال على اللّه-تعالى-بالسر و القول و الفعل،حتى يكون دائما فى فكره و ذكره و طاعته،فهو غايه درجات التوبه و أقصى مراتبها،اذ التوبه هو الرجوع عن الذنب إلى اللّه.و الإنابه هو الرجوع عن المباحات أيضا إليه-سبحانه-،فهو من المقامات العاليه و المنازل الساميه.قال اللّه-سبحانه-:

وَ أَنِيبُوا إِلىٰ رَبِّكُمْ وَ أَسْلِمُوا لَهُ

(۱)

.و قال -سبحانه-: وَ مٰا يَتَذَكَّرُ إِلاّٰ مَنْ يُنِيبُ (۲).و قال:

وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّهُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ، هٰذٰا مٰا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوّٰابٍ حَفِيظٍ، مَنْ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ وَ جٰاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ، اُدْخُلُوهٰا بِسَلاٰمٍ ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ، لَهُمْ مٰا يَشٰاؤُنَ فِيهٰا وَ لَدَيْنٰا مَزِيدٌ

(۳)

.

و انابه العبد تتم بثلاثه أمور:

الأول-أن يتوجه إليه بشراشر باطنه حتى يستغرق قلبه فى فكره.

الثانى-ألا يكون خاليا عن ذكره و ذكر نعمه و مواهبه و ذكر أهل حبه و تقربه.

الثالث-أن يواظب على طاعاته و عباداته مع خلوص النيه.

۱- ۱) الزمر،الآيه:۵۴.

۲- ۲) المؤمن،الآيه:۱۳.

۳- ۳) ق،الآيه:۳۱-۳۵.

المحاسبه و المراقبه

اشاره

[تذنیب]-اعلم أن المحاسبه و المراقبه قریبه من التوبه فی ضدیتهما من وجه الإصرار علی الذنوب.و مثلها فی کونهما من ثمرات الخوف و الحب و تعلقهما بقوتی الشهوه و الغضب و کونهما من فضائلها،فنحن نشیر هنا إلی ما یتعلق بهما من بیان حقیقتهما و فضیلتهما و الأعمال التی یتوقف تمامیتها علیهما فی فصول.

فصل (المعنی الظاهر للمحاسبه و المراقبه)

[المحاسبه]:أن یعین فی کل یوم و لیله وقتا یحاسب فیه نفسه بموازنه طاعاته و معاصیه،لیعاتب نفسه،و یقهرها لو وجدها فی هذا الیوم و اللیله مقصره فی طاعه واجبه،أو مرتکبه لمعصیه،و یشکر اللّه -سبحانه-لو أتت بجمیع الواجبات و لم یصدر منها معصیه،و یزید الشکر لو صدر منها شیء من الخیرات و الطاعات المندوبه.

[و المراقبه]:أن یلاحظ ظاهره و باطنه دائما،حتی لا یقدم علی شیء من المعاصی،و لا یترک شیئا من الواجبات لیتوجه علیه اللوم و الندامه وقت المحاسبه.هذا هو المعنی الظاهر للمحاسبه و المراقبه، و یأتی اعتبار أمور و اعمال أخر فیه عرفا.

فصل (حاسبوا أنفسکم قبل أن تحاسبوا)

اعلم ان الکتاب و السنه و إجماع الأمه داله علی ثبوت المحاسبه یوم القیامه،و حصول التدقیق و المناقشه فی الحساب،و المطالبه بمثاقیل

ص:۸۹

الذر من الأعمال و الخطرات و اللحظات،قال اللّه-سبحانه-:

وَ نَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَهِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ إِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَ كَفى بِنا حاسِبِينَ

(۱)

و قال: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا أَحْصاهُ اللّهُ وَ نَسُوهُ وَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۲).و قال: وَ وُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا فِيهِ وَ يَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَهً وَ لا كَبِيرَهً إِلاّ أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً (۳).

و قال: يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ، وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ (۴).و قال: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً (۵).و قال: ثُمَّ تُوَفّى

ص: ۹۰

۱- ۱) الأنبياء،الآيه:۴۷.

۲- ۲) المجادله،الآيه:۶.

۳- ۳) الكهف،الآيه:۵۰.

۴- ۴) الزلزال،الآيه:۶-۸.

۵- ۵) آل عمران،الآيه:۳۰.

كُلُّ نَفْسٍ مٰا كَسَبَتْ وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ

(۱)

.و قال:

فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمّٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ

(۲)

.

و قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«ما منكم من أحد الا و يسأله رب العالمين،ليس بينه و بينه حجاب و لا ترجمان».و ورد بطرق متعدده:

ان كل أحد فى يوم القيامه لا يرفع قدما عن قدم حتى يسأل عن عمره فيما أفناه،و عن جسده فيما أبلاه،و عن ماله من اين اكتسبه و فيا أنفقه.

و الآيات و الأخبار الوارده فى محاسبه الأعمال و السؤال عن القليل و الكثير و النقير و القطمير أكثر من أن تحصى،و بإزائها اخبار داله على الأمر بالمحاسبه و المراقبه فى الدنيا،و الترغيب عليها،و على كونها سببا للنجاه و الخلاص عن حساب الاخره،و خطره و مناقشته.فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب،و طالبها فى الأنفاس و الحركات،و حاسبها فى الخطرات و اللحظات،و وزن بميزان الشرع أعماله و أقواله:خفّ فى القيامه حسابه و حضر عند السؤال جوابه،و حسن منقلبه و مآبه.و من لم يحاسب نفسه:

دامت حسراته،و طالت فى عرصات القيامه و قفاته،و قادته إلى الخزى سيئاته،قال اللّه-سبحانه-:

وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ لِغَدٍ

(۳)

.

و المراد بهذا النظر:المحاسبه على الأعمال.و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا،و زنوها قبل أن توزنوا».

و قال الصادق(ع):«إذا أراد أحدكم الاّ يسأل ربه شيئا إلا أعطاه فلييأس

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۸۱،آل عمران،الآیه:۱۶۱.

۲- ۲) الحجر،الآیه:۹۲.

۳- ۳) الحشر،الآیه:۱۸.

من الناس کلهم،و لا یکون له رجاء إلا من عند اللّه-تعالی-،فإذا علم اللّه -تعالی-ذلک من قلبه لم یسأله شیئا إلا أعطاه،فحاسبوا أنفسکم قبل أن تحاسبوا علیها،فان للقیامه خمسین موقفا،کل موقف مقام ألف سنه.

ثم تلا:

فِی یَوْمٍ کٰانَ مِقْدٰارُهُ خَمْسِینَ أَلْفَ سَنَهٍ

(۱)

.

و تفریع المحاسبه علی الأمر بالیأس عن الناس و الرجاء من اللّه،یدل علی أن الإنسان إنما یرجو الناس من دون اللّه فی عامه أمره و هو غافل عن ذلک،و أنّ عامه المحاسبات إنما ترجع إلی ذلک،و ذکر الوقوف فی مواقف یوم القیامه علی الأمر بمحاسبه النفس یدل علی أن الوقفات هناک إنما تکون للمحاسبات،فمن حاسب نفسه فی الدنیا یوما فیوما لم یحتج إلی تلک الوقفات فی ذلک الیوم،و قال(ع):«لو لم یکن للحساب مهول إلا حیاء العرض علی اللّه-تعالی-،و فضیحه هتک الستر علی المخفیات،لحقّ للمرء الا یهبط من رءوس الجبال،و لا یأوی إلی عمران،و لا یأکل،و لا یشرب،و لا ینام،إلاّ عن اضطرار متصل بالتلف،و مثل ذلک یفعل من یری القیامه بأهوالها و شدائدها قائمه فی کل نفس،و یعاین بالقلب الوقوف بین یدی الجبار،حینئذ یأخذ نفسه بالمحاسبه،کانه إلی عرصاتها مدعو و فی غمراتها مسئول،قال اللّه-تعالی-:

وَ إِنْ کٰانَ مِثْقٰالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَیْنٰا بِهٰا وَ کَفیٰ بِنٰا حٰاسِبِینَ

(۲)

.(۳)

و قال الکاظم-علیه السّلام-:«لیس منا من لم یحاسب نفسه فی کل

۱- ۱) المعارج،الآیه:۴.

۲- ۲) الأنبیاء،الآیه:۴۷.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی مصباح الشریعه:باب ۸۵،ص ۱۸۶.

یوم،فان عمل حسنه استزاد اللّه-تعالی-،و ان عمل سیئه استغفر اللّه منها و تاب إلیه».و فی بعض الأخبار:ینبغی ان یکون للعاقل أربع ساعات:ساعه یحاسب فیها نفسه...

فصل (مقامات مرابطه العقل للنفس)

اعلم ان العقل بمنزله تاجر فی طریق الآخره،و رأس ماله العمر،و قد استعان فی تجارته هذه بالنفس،فهی بمنزله شریکه او غلامه الذی یتجر فی ماله،و ربح هذه التجاره تحصیل الأخلاق الفاضله و الأعمال الصالحه الموصله إلی نعیم الأبد و سعاده السرمد.و خسرانها المعاصی و السیئات المؤدیه الی العذاب المقیم فی درکات الجحیم، أو نقول:رأس مال العبد فی دینه الفرائض،و ربحه النوافل و الفضائل،و خسرانه المعاصی،و موسم هذه التجاره مده العمر،و کما ان التاجر یشارط شریکه أولا،و یراقبه ثانیا، و یحاسبه ثالثا،و إن قصر فی التجاره-بالخیانه و الخسران و تضییع رأس المال-یعاتبه و یعاقبه و یأخذ منه الغرامه،کذلک العقل یحتاج فی مشارکه النفس إلی ان یرتکب هذه الأعمال،و مجموع هذه الأعمال یسمی ب(المحاسبه و المراقبه)تسمیه الکل باسم بعض أجزائه،و قد یسمی(مرابطه)أیضا.

فأول الأعمال فی المرابطه(المشارطه):

و هی أن یشارط النفس و یأخذ منها العهد و المیثاق فی کل یوم و لیله مره ألا یرتکب المعاصی،و لا یصدر منها شیء یوجب سخط اللّه.و لا یقصر فی شیء من الطاعات الواجبه،و لا یترک ما تیسر له من الخیرات و النوافل.و الأولی أن یکون ذلک بعد الفراغ عن فریضه الصبح و تعقیباتها،فیخاطب النفس و یقول لها:یا نفس!مالی بضاعه سوی.العمر،و مهما فنی فنی رأس المال.و وقع الیأس عن التجاره

و طلب الربح،و هذا اليوم الجديد،و قد أمهلنى اللّه فيه بعظيم لطفه،و لو توفانى لكنت أتمنى أن يرجعنى إلى الدنيا يوما واحدا لأعمل صالحا،فاحسبى أنك توفيت ثم رددت،فإياك أن تضيعى هذا اليوم،فان كل نفس من أنفاس العمر جوهره نفيسه لا عوض لها،يمكن أن يشترى بها كنزا من الكنوز لا يتناهى نعيمها أبد الآباد. و يتذكر ما ورد فى بعض الأخبار:من أن كل عبد خلقت له بإزاء كل يوم و ليله من عمره أربع و عشرون خزانه مصفوفه فإذا مات تفتح له هذه الخزائن،و يشاهد كل واحد منها و يدخلها،فإذا فتحت له خزانه خلقت بإزاء الساعه التى أطاع اللّه فيها،يراها مملوه نورا من حسناته التى عملها فى تلك الساعه،فيناله من الفرح و الاستبشار بمشاهده تلك الأنوار التى هى وسائل عند الملك الجبار ما لو وزع على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عن الإحساس بألم النار،و إذا فتحت له خزانه خلقت بإزاء الساعه التى عصى اللّه فيها،يراها سوداء مظلمه يفوح نتنها و يتغشى ظلامها،فيناله من الهول و الفزع ما لو قسم على أهل الجنه لينغص عليهم نعيمها،فإذا فتحت له خزانه بإزاء الساعه التى نام فيها أو غفل أو اشتغل بشىء من مباحات الدنيا، لم يشاهد فيها ما يسره و لا ما يسوؤه،و هكذا يعرض عليه بعدد ساعات عمره الخزائن،و عند ذلك يتحسر العبد على اهماله و تقصيره،و يناله من الغبن ما لا يمكن وصفه،و بعد هذا التذكر يخاطب نفسه و يقول:اجتهدى اليوم فى أن تعميرى خزائنك،و لا تدعيها فارغه عن كنوزك التى هى أسباب ملكك و لا تركنى إلى الكسل و البطاله فيفوتك من درجات العليين ما يدركه غيرك فتدركك الحسره و الغبن يوم القيامه إن دخلت الجنه،إذ ألم الغبن و الحسره و انحطاط الدرجه مع وجود ما فوقها من الدرجات الغير المتناهيه التى نال اليها أبناء نوعك مما لا يطاق، ثم يستأنف لها وصيه فى اعضائه السبعه:

أعنى العين،و الأذن،و اللسان،و الفرج،و البطن،و اليد،و الرجل، و يسلمها إليها،لأنها رعايا خادمه لها فى التجاره،و لا يتم اعمال هذه التجاره إلا بها،فيوصيها بحفظ هذه الأعضاء عن المعاصى التى تصدر عنها،و باعمال كل منها فيما خلق لأجله،ثم يوصيها بالاشتغال بوظائف الطاعات التى تتكرر عليه فى اليوم و الليله،بالنوافل و الخيرات التى تقدر عليها،و هذه شروط يفتقر إليها كل يوم،لكن إذا اعتادت النفس بتكرر المشارطه و المراقبه بالعمل بها و الوفاء بحقها استغنى عن المشارطه فيها،و إن اعتادت بالعمل فى بعضها لم تكن حاجه إلى المشارطه فيه،و بقيت الحاجه إليها فى الباقى، و كل من يشتغل بشىء من اعمال الدنيا:من ولايه،أو تجاره،أو تدريس أو أمثال ذلك:لا يخلو كل يوم منه من مهم جديد،و واقعه حادثه لها حكم جديد،و للّه فيها حق،فعليه أن يجدد الاشتراط على نفسه بالاستقامه عليها و الانقياد للحق فى مجاريها،و ينبغى ان يوصيها بالتدبر فى عاقبه كل امر يرتكبه فى هذا اليوم و الليله.و هذه الوصيه عمده الوصايا و رأسها، و قد روى:«أن رجلا أتى النبى-صلّى اللّه عليه و آله-و قال:يا رسول اللّه اوصنى،فقال له:فهل أنت مستوص إن أنا اوصيتك؟-حتى قال له ذلك ثلاثا،و فى كلها يقول الرجل:نعم يا رسول اللّه!-فقال له رسول اللّه(ص):

إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته،فان يك راشدا فامضه،و إن يك غيا فانته» و يظهر من هذا الخبر:أن التأمل فى عاقبه كل امر أعظم ما يحصل به النجاه فينبغى ان يؤكد العهد و الميثاق فى ذلك على النفس و يحذرها عن الإهمال، و يعظها كما يوعظ العبد للتمرد الآبق،فان النفس بالطبع متمرده عن الطاعات،مستعصيه عن العبوديه،و لكن الوعظ و التأديب يؤثر فيها، (و ذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)فهذا و ما يجرى مجراه هو المشارطه،

و هو اول مقامات المرابطه.

و ثانيها(المراقبه):

و هو ان يراقب نفسه عند الخوض فى الاعمال، فيلاحظها بالعين الكالئه،فانها إن تركت طغت و فسدت،ثم يراقب اللّه فى كل حركه و سكون،بأن يعلم ان اللّه-تعالى-مطلع على الضمائر،عالم بالسرائر،رقيب على اعمال العباد،قائم على كل نفس بما كسبت،و ان سر القلب فى حقه مكشوف،كما ان ظاهر البشره للخلق مكشوف،بل أشد من ذلك،قال اللّه-سبحانه-:

إِنَّ اللّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً

(۱)

.و قال: أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللّهَ يَرى؟ (۲).

و قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:«الإحسان ان تعبد اللّه كأنك تراه،فان لم تكن تراه فانه يراك». و فى الحديث القدسى:«إنما يسكن جنات عدن،الذين إذا هموا بالمعاصى ذكروا عظمتى فراقبونى،و الذين افحنت أصلابهم من خشيتى،و عزتى و جلالى!إنى لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع و العطش من مخافتى صرفت عنهم العذاب».

و حكى:«ان زليخا لما خلت بيوسف،فقامت و غطت وجه صنمها،فقال يوسف.مالك؟أ تستحيين من مراقبه جماد و لا استحيى من مراقبه الملك الجبار؟!». و هذه المعرفه-اعنى معرفه اطلاع اللّه على العباد و أعمالهم و سرائرهم و كونه رقيبا عليهم-اذا صارت يقينا-اى خلت عن الشك-ثم استولت على القلب سخرت القلب و قهرته على مراعاه جانب الرقيب و صرفت الهمه إليه،و الموقنون بهذه المعرفه مراقبتهم على درجتين: -إحداهما-

---

۱- ۱) النساء،الآيه:۱.

۲- ۲) العلق،الآيه:۱۴.

مراقبه المقربين،و هی مراقبه التعظیم و الاجلال،و هی أن یصیر القلب مستغرقا بملاحظه الجلال،،و منکسرا تحت الهیبه،فلا یبقی فیه متسع للالتفات إلی الغیر،و هذا هو الذی صار همه هما واحدا، و کفاه اللّه سائر الهموم،-و اخراهما-مراقبه الورعین من أصحاب الیمین،و هم قوم غلب علیهم یقین اطلاع اللّه علی ظهورهم و بواطنهم، و لکن لا تدهشهم ملاحظه الجلال و الجمال،بل بقیت قلوبهم علی حد الاعتدال متسعه للالتفات إلی الأحوال و الاعمال و المراقبه فیها،و غلب علیهم الحیاء من اللّه،فلا یقدمون و لا یجمحون إلا بعد التثبت و یمتنعون عن کل ما یفتضحون به فی القیامه،فانهم یرون اللّه مطلعا علیهم،فلا یحتاجون إلی انتظار القیامه.ثم ینبغی للعبد ألا یغفل عن مراقبه نفسه و التضییق علیها فی لحظه من حرکاتها و سکناتها و خطراتها و أفعالها.

و حالاته لا تخلو عن ثلاثه:لأنه إما أن تکون فی طاعه،أو معصیه، أو مباح.فمراقبته فی الطاعه،بالقربه،و الإخلاص،و الحضور،و الاکمال، و حراستها عن الآفات،و مراعاه الأدب. و مراقبته فی المعصیه:بالتوبه، و الندم،و الإقلاع،و الحیاء،و الاشتغال بالتکفیر. و مراقبته فی المباح:

بمراعاه الادب،بأن یأکل بعد التسمیه،و غسل الیدین،و سائر الآداب المقرره فی الشرع للأکل،و یقعد مستقبل القبله،و ینام بعد الوضوء علی الید الیمنی مستقبل القبله،و بالصبر عند ابتلائه بلیه و مصیبه،و بالشکر عند کل نعمه،و یتذکر شهود المنعم و حضوره،و یکف النفس عن الغضب و سوء الخلق عند حدوث أمر تمیل النفس عنده إلی الغضب و التضجر و التکلم بما لا یحسن من الأقوال،فان لکل واحد من أفعاله و أقواله حدودا لا بد من مراعاتها بدوام المراقبه،و من یتعد حدود اللّه فقد ظلم نفسه،و ینبغی ألا

يخلو عند اشتغاله بالمباحات عن عمل هو الأفضل،كالذكر و الفكر و تخليص النيه،فان الطعام الذى يتناوله من عجائب صنع اللّه،فلو تفكر فيه و تدبر فى فوائده و حكمه و ما فيه من غرائب قدره اللّه لكان ذلك أفضل من كثير من اعمال الجوارح،و الناس عند الأكل على أقسام: (قسم)ينظرون فيه بعين التبصر و الاعتبار،فينظرون فى عجائب صنعته و كيفيه ارتباط قوام الحيوانات به،و كيفيه تقدير اللّه لأسبابها و خلق الشهوه الباعثه عليها و خلق الآلات المسخره للشهوه و أمثال ذلك،و هؤلاء هم أولو الألباب. (و قسم) ينظرون فيه بعين المقت و الكراهه،و يلاحظون وجه الاضطرار إليها، و يتمنون الاستغناء عنه،و عدم كونهم مقهورين مسخرين بشهوته،و هؤلاءهم الزهاد. (و قسم)يرون فيه خالته،و يشاهدون فى الصنع الصانع،و يترقون منه إلى صفات الخالق،من حيث إن كل معلول اثر من العله،و رشحه من رشحات ذاته و صفاته،فمشاهدته تذكر العله،بل التأمل يرشدك إلى أن دلاله كل ذره ترى من ذرات العالم على ربك و خالقك و ايجابها لحضوره عندك و ظهوره لديک و توجهه إليك و قربه منك أشد و أقوى من دلاله مشاهدتک بدن زيد و صورته و حركاته و سكناته على وجوده و حضوره عندك،و سر ذلك ظاهر واضح.و هؤلاء المشاهدون الصانع فى كل مصنوع و الخالق فى كل مخلوق،هم العرفاء المحبون،اذ المحب إذا رأى صنعه حبيبه و تصنيفه و آثاره و ما ينتسب إليه اشتغل قلبه بالمحبوب،و كل ما يتردد العبد فيه و ينظر اليه من الموجودات هو صنع اللّه-تعالى-،فله فى النظر منها إلى الصانع مجال إن فتحت له أبواب الملكوت. (و قسم)ينظرون فيه بعين الحرص و الشهوه، و ليس نظرهم إلى الطعام الا من حيث يوافق شهوتهم و تلتذ به ذائقتهم، و لذلك يذمونه لو لم يوافق هواهم،و هؤلاء أكثر أهل الدنيا.

و ثالثها-أی ثالث مقامات المرابطه و اعمالها-هو(المحاسبه)

بعد العمل،فان العبد کما یختار وقتا فی أول کل یوم لیشارط فیه النفس علی سبیل التوصیه بالحق،ینبغی له أن یختار وقتا فی آخر کل یوم لیطالب النفس فیه بما أوصی به،و یحاسبها علی جمیع حرکاتها و سکناتها،کما یفعل التجار فی آخر کل سنه مع الشرکاء.و هذا أمر لازم علی کل سالک لطریق الآخره معتقد للحساب فی یوم القیامه.و قد ورد فی الأخبار:أن العاقل ینبغی أن یکون له اربع ساعات:ساعه یناجی فیها ربه،و ساعه یحاسب فیها نفسه و ساعه یتفکر فی صنع اللّه،و ساعه یخلو فیها للمطعم و المشرب.و لذلک کان الصدر الأول من الخائفین و من تقدّمنا من سلفنا الصالحین فی غایه السعی و الاهتمام فی محاسبه النفس،بحیث کانت عندهم من الطاعات الواجبه، و کانوا أشد محاسبه لنفوسهم من سلطان غاشم،و من شریک شحیح، و یعتقدون أن العبد لا یکون من أهل التقوی و الورع حتی یحاسب نفسه أتم من محاسبه شریکه،و أن من لا یحاسب نفسه إما معتوه أحمق أو لا یعتقد بحساب یوم القیامه،إذ العاقل المعتقد به مع اهواله و شدائده و ما یوجبه من الخجله و الحیاء و الافتضاح،إذا علم ان محاسبه النفس فی الدنیا تسقطه او توجب خفته،کیف یجوز له ان یترکها؟ ثم کیفیه المحاسبه بعد العمل:ان یطالب نفسه أولا بالفرائض التی هی بمنزله راس ماله،فان ادتها علی وجهها شکر اللّه علیه و رغبها فی مثلها،و ان فوتتها من أصلها طالبها بالقضاء،و إن ادتها ناقصه کلفها بالجبران بالنوافل، و ان ارتکب معصیه اشتغل بعتابها و تعذیبها و معاقبتها،و استوفی منها ما یتدارک به ما فرط،کما یصنع التاجر بشریکه.و کما انه یفتش فی حساب الدنیا عن الحبه و القیراط و النقیر و القطمیر،فیحفظ مداخل الزیاده و النقصان

حتی لاـ یغبن فی شیء منها،کذلک ینبغی ان یفتش من افعال النفس و یضیق علیها،و لیتق غائلتها و حیلتها،فانها خداعه مکاره ملبسه.فلیطالبها أولا بتصحیح الجواب عن جمیع ما تکلم به طول نهاره،و لیتکفل بنفسه من الحساب قبل ان یتولاه غیره فی صعید القیامه،ثم بتصحیح الجواب عن جمیع افعاله و أحواله:من نظره،و قیامه،و قعوده،و نومه،و اکله، و شربه،حتی عن سکوته لم سکت،و عن سکوته لم سکن،و عن خواطره، و افکاره،و صفاته النفسیه،و اخلاقه القلبیه،فان خرجت عن عهده الجواب عن الجمیع،بحیث ادت الحق فی الجمیع،و لم یترک شیئا مما یجب علیها و لم ترتکب شیئا من المعاصی:حصل لها الفراغ من حساب هذا الیوم،و لم یکن شیئا باقیا علیها،و ان ادت الحق فی البعض دون البعض،کان قدر ما ادت الحق فیه محسوبا لها،و یبقی غیره باقیا علیها فیثبته علیها،و لیکتب علی صحیفه قلبه کما یکتب الباقی علی شریکه علی قلبه و علی جریدته.ثم النفس غریم یمکن ان تستوفی منها الدیون،أما بعضها فبالغرامه و الضمان، و بعضها برد عینه،و بعضها بالعقوبه لها علی ذلک،و لا یمکن شیء من ذلک الا بعد تحقق الحساب و تمییز الباقی من الحق الواجب علیه،فإذا حصل ذلک اشتغل بعده بالمطالبه و الاستیفاء.

و رابعها—و هو آخر مقامات المرابطه—(معاتبه النفس)

اشاره

و معاقبتها علی تقصیرها،و المجاهده بتکلیفها الطاعات الشاقه،و الزامها الریاضات الشدیده،فانه إذا حاسب نفسه،فوجدها خائنه فی الأعمال،مرتکبه للمعاصی،مقصره فی حقوق اللّه،متوانیه بحکم الکسل و البطاله فی شیء من الفضائل،فلا ینبغی ان یهملها،اذ لو اهملها سهل علیه مقارفه المعاصی، و انس بها بحیث عسر بعد ذلک فطامها عنها. فینبغی للعاقل ان یعاتبها أولا

و يقول:اف لک يا نفس!اهلکتینی و عن قریب تعذبین فی النار مع الشیاطین و الاشرار،فیا أیتها النفس الأماره الخبیثه!اما تستحیین و عن عیبک لا- تنتهین؟!فما أعظم جهلک و حماقتک!اما تعرفین ان بین یدیک الجنه و النار و أنت صائره إلی أحداهما عن قریب؟فما لک تضحکین و تفرحین و باللهو و العصیان تشتغلین؟اما علمت ان الموت یأتی بغته من غیر اخبار،و هو أقرب إلیک عن کل قریب؟فما لک لا تستعدین له؟اما تخافین من جبار السماوات و الأرض،و لا تستحیین منه؟تعصین بحضرته و أنت عالمه بأنه مطلع علیک؟!ویحک یا نفس!جرأتک علی معصیه اللّه ان کانت لاعتقادک انه لا یراک فما أعظم کفرک،و ان کانت مع علمک باطلاعه علیک فما أشد و قاحتک و أقل حیاؤک،و ما اعجب نفاقک،و کثره دعاویک الباطله!فانک تدعین الایمان بلسانک،و أثر النفاق ظاهر علیک!فتنبهی عن رقدتک و خذی حذرک!لو ان یهودیا أخبرک فی الذ أطعمتک بأنه یضرک لصبرت و ترکتیه!و لو أخبرک طفل بعقرب فی ثوبک نزعتیه!فقول اللّه و قول أنبیائه المؤیدین بالمعجزات و قول الأولیاء و الحکماء و العلماء أقل تأثیرا عندک من قول یهودی أو طفل؟!...فلا- یزال یکرر علیها أمثال هذه المواعظ و التوبیخات و المعاتبات،ثم یعاقبها و یلزمها ما یشق علیها من وظائف العبادات و التصدق بما یحبه،جبرا لما فات منها و تدارکا لما فرط فیها،فإذا أکل لقمه مشتبهه ینبغی ان یعاقب البطن بالجوع،و إذا نظر إلی غیر محرم یعاقب العین بمنع النظر،و إذا اغتاب مسلما یعاقب اللسان بالصمت و الذکر مده کثیره، و کذلک یعاقب کل عضو من اعضائه إذا صدرت منه معصیه بمنعه من شهواته، و إذا استخف بصلاه الزم نفسه بصلاه کثیره بشرائطها و آدابها.و إذا استهان بفقیر أعطاه صفو ماله،و هکذا الحال فی سائر المعاصی و التقصیرات.

و طریق العلاج فی إلزام النفس-بعد تقصیرها فی العمل علی هذه العقوبات و ربطها علی تلک الطاعات الشاقه و الریاضات-أمران:

الأول-تذکر ما ورد فی الأخبار من فضیله ریاضه النفس و مخالفتها.

و الاجتهاد فی الطاعه و العباده و وظائف الخیرات، قال الصادق(ع):«طوبی لعبد جاهد فی اللّه نفسه و هواه!و من هزم جند هواه ظفر برضاء اللّه،و من جاوز عقله نفسه الاماره بالسوء بالجهد و الاستکانه و الخضوع علی بساط خدمه اللّه-تعالی-فقد فاز فوزا عظیما،و لا حجاب أظلم و أوحش بین العبد و بین اللّه-تعالی-من النفس و الهوی،و لیس لقتلهما و قطعهما سلاح و آله مثل الافتقار إلی اللّه،و الخشوع،و الجوع و الظماء بالنهار،و السهر باللیل،فان مات صاحبه مات شهیدا،و إن عاش و استقام اداه عاقبته الی الرضوان الأکبر،قال اللّه-عز و جل-:

وَ الَّذِینَ جٰاهَدُوا فِینٰا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنٰا وَ إِنَّ اللّٰهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِینَ

(۱)

.

و إذا رأیت مجتهدا ابلغ منک فی الاجتهاد فوبخ نفسک و لمها و عیرها، تحثیثا علی الازدیاد علیه،و اجعل لها زماما من الأمر،و عنانا من النهی، و سقها کالرابض للفاره الذی لا یذهب علیه خطوه من خطواته إلا و قد صح اولها و آخرها،و کان رسول اللّه(ص)یصلی حتی تورمت قدماه،و یقول:

(أ فلا أکون عبدا شکورا)،أراد أن یعتبر به أمته. فلا تغفلوا عن الاجتهاد و التعبد و الریاضه بحال.ألا و إنک لو وجدت حلاوه عباده اللّه،و رأیت برکاتها،و استضأت بنورها،لم تصبر عنها ساعه واحده و لو قطعت اربا

۱- ۱) العنکبوت،الآیه:۶۹.

اربا،فما أعرض عنها من اعرض إلا بحرمان فوائد السلف من العصمه و التوفيق» (۱).قیل لربیع بن خثیم:مالک لا تنام باللیل؟قال:

«لأنی أخاف البیات».و الأخبار الوارده فی فضل السعی و الاجتهاد و مخالفه النفس و الهوی أکثر من أن تحصی.

الثانی-مصاحبه أهل السعی،و الاجتهاد فی العباده،و مجالسه المجاهدین المرتاضین الذین لا ینفکون ساعه من مشاق الطاعات و العبادات و إلزام نفوسهم علی ضروب النکال و العقوبات،فملاحظه أحوالهم و مشاهده أعمالهم أقوی باعث للاقتداء بآثارهم و افعالهم،حتی قال بعضهم:«إذا اعترتنی فتره فی العبادات،نظرت إلی بعض العبّاد و اجتهاده فی العباده فکنت بعد ذلک اعمل أسبوعا».إلا أن ذلک غیر مرجو فی أمثال زماننا،إذ لم یبق فی عباد اللّه من یجتهد فی العباده اجتهاد الأولین،و لیس فینا من تقرب عبادته عباده أدنی رجل من سلفنا الصالحین.فینبغی أن یعدل عن المشاهده إلی سماع أحوالهم،و مطالعه حکایاتهم و اخبارهم،و من لا-حظ حکایاتهم و سمع أحوالهم و اطلع علی کیفیه اجتهادهم فی طاعه اللّه،یعلم أنهم عباد اللّه و احباؤه و انهم ملوک الجنه. قال بعض أصحاب أمیر المؤمنین-علیه الصلاه و السّلام-:

«صلینا خلفه الفجر،فلما سلم انتقل إلی یمینه و علیه کآبه،فمکث حتی طلعت الشمس،ثم قلب یده و قال:و اللّه لقد رأیت أصحاب محمد(ص)و ما أری الیوم شیئا شبههم،و کانوا یصبحون شعثا غبرا صفرا،فقد باتوا للّه سجدا و قیاما.یتلون کتاب اللّه-عز و جل-،و یراوحون بین أقدامهم و جباههم،و کانوا إذا ذکروا اللّه مادوا کما یمید الشجر فی یوم الریح،و هملت أعینهم حتی تبل ثیابهم،و کأن القوم باتوا غافلین» أو کان أویس القرنی یقول

۱- ۱) الحدیث بطوله مروی عن(مصباح الشریعه):باب ۸۱ ص ۱۸۴، مع اختلاف یسیر هنا،فصححناه علیه کما کان هناک.

فی بعض اللیالی:«هذه لیله الرکوع»فیحیی اللیل کله فی رکعه،و یقول فی بعضها:«هذه لیله السجود»فیحیی اللیل کله فی سجده.و قال ربیع بن خثیم:

«أتیت اویسا فوجدته جالسا قد صلی الفجر،فجلست موضعا،و قلت:

لا أشغله عن التسبیح.فمکث مکانه حتی صلی الظهر و لم یقم حتی صلی العصر، ثم جلس موضعه حتی صلی المغرب،ثم ثبت حتی صلی العشاء،ثم ثبت مکانه حتی صلی الصبح،ثم جلس فغلبته عیناه،فقال:اللهم إنی أعوذ بک من عین نوامه و بطن لا تشبع». و روی:«أن رجلا من العباد کلم امرأه و وضع یده علی فخذها.ثم ندم فوضع یده فی النار حتی نشت (۱)عقوبه لها.

و بعضهم نظر إلی امرأه فجعل علی نفسه ألا یشرب الماء البارد طول حیاته، فکان یشرب الماء الحار لینغص علی نفسه العیش.و مر بعضهم بغرفه فقال:

متی بنیت هذه الغرفه؟ثم أقبل علی نفسه و قال:تسألین عما لا یعنیک؟! لا عاقبنک بصوم سنه،فصامها».و روی:«أن ابا طلحه الأنصاری شغل قلبه فی الصلاه طین فی الحائطه،فتصدق بالحائطه جبرا لما فاته من الحضور فی الصلاه».و کان بعضهم اعتلت إحدی قدمیه فیصلی علی قدم واحده حتی یصلی الصبح بوضوء العشاء.و کان بعضهم یقول:«ما أخاف من الموت إلا من حیث یحول بینی و بین صلاه اللیل».و حکی رجل:«أنه نزل بعض أهل اللّه عندنا بالمحصب (۲)و کان له أهل و بنات،و فی کل لیل یقوم و یصلی إلی السحر،فإذا کان السحر ینادی بأعلی صوته:ایها الرکب المعرسون! (۳)أکل هذا اللیل تنامون فکیف ترحلون؟فیسمع صوته کل من کان بالمحصب،

۱- ۱) النشیش:صوت غلیان الماء.

۲- ۲) المحصب-بالمهملتین و ضم المیم و تشدید الصاد-:موضع بمکه علی طریق منی،و یسمی(بطحاء).

۳- ۳) التعریس:نزول المسافر آخر اللیل للنوم و الاستراحه،من قولهم:عرس القوم.

فیتواثبون بین باک و داع،و قارئ و متوضئ،و إذا طلع الفجر نادی بأعلی صوته:عند الصباح یحمد القوم السری»،و هکذا کان عمل عمال اللّه،و سلوک سالکی طریق الآخره،و حکایاتهم غیر محصوره خارجه عن الإحصاء، اشرنا إلی انموذج منها لیعلم الطالبون کیفیه سیره الرجال فی مرابطه النفس و مراقبتها،و یعلمون أن عباد اللّه لیسوا امثالنا،بل هم قوم آخرون.قال بعض الحکماء:«إن للّه عبادا انعم علیهم فعرفوه،و شرح صدورهم فأطاعوه و توکلوا علیه فسلموا الخلق و الأمر إلیه،فصارت قلوبهم معادن لصفاء الیقین، و بیوتا للحکمه،و توابیت للعظمه،و خزائن للقدره،فهم بین الخلائق مقبلون و مدبرون،و قلوبهم تجول فی الملکوت،و تلوز (۱)بحجب العیوب،ثم ترجع و معها طوائف من لطائف الفوائد ما لا یمکن لواصف أن یصفها، فهم فی باطن أمورهم کالدیباج حسنا،و فی الظاهر منادیل مبذولون لمن أرادهم تواضعا،و طریقهم لا یبلغ إلیها بالتکلیف،و إنما هو فضل اللّه یؤتیه من یشاء». فعلیک یا حبیبی بمطالعه أحوالهم و حکایاتهم،لینبعث نشاطک و تزید رغبتک،و إیاک أن تنظر إلی أهل عصرک،و لعمری!اقل فی أمثال زماننا من یذکرک اللّه رؤیته،و یعینک فی طریق الدین صحبته،فان تطع أکثر من فی بلدک و عصرک یضلوک عن سبیل اللّه.

و منها:

اشاره

الغفله

و هی فتور النفس عن الالتفات و التوجه إلی ما فیه غرضها و مطلبها، إما عاجلا أو آجلا و ضدها:النیه،و ترادفها:الاراده و القصد،و هی

۱- ۱) فی القاموس:اللوز-بالزای-:الملاذ و الملجأ.

انبعاث النفس و میلها و توجهها إلی ما فیه غرضها و مطلبها حالا او مآلا.

و الموافق لغرض النفس إن کان خیرا لها و سعاده فی الدنیا او الدین،فالغفله عنه و عدم انبعاث النفس إلی تحصیله رذیله،و النقصان و النیه له و القصد إلیه فضیله و کمال،و إن کان شرا و شقاوه،فالغفله عنه و کف النفس منه فضیله و النیه له و إرادته رذیله.ثم باعث النفس علی النیه او الغفله و الکف،إن کان من القوه الشهویه کانت النیه او الغفله متعلقه بها فضیله او رذیله،و إن کان من قوه الغضب کانت النیه او الغفله متعلقه بهذه القوه کذلک.فالنیه و العزم علی التزویج متعلقه بالقوه الشهویه،و علی دفع کافر یؤذی المسلمین متعلقه بقوه الغضب،و النیه فی العبادات مع انضمام التقرب إلیها تسمی اخلاصا،ثم المتبادر من الموافق المغرض و المطلوب لما کان ما هو کذلک عند العقلاء و أرباب البصیره،فیکون المراد منه ما هو مرغوب و مطلوب فی نفس الأمر و ما تحصیله خیر و سعاده،و بهذا الاعتبار تکون الغفله باطلاقها مذمومه و النیه ممدوحه،فلو ذمت الغفله باطلاقها و مدحت النیه کذلک،کان بهذا الاعتبار.و الآیات و الأخبار الوارده فی ذم الغفله خارجه بهذا الاعتبار کما وصف اللّه الغافلین و قال:

إِنْ هُمْ إِلاّٰ کَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِیلاً

(۱)

.و قال:

أُولٰئِکَ هُمُ الْغٰافِلُونَ

(۲)

.

[تنبیه]:الغفله بالمعنی المذکور أعم من ان یکون فتور النفس و خمودها عن الانبعاث إلی ما یراه موافقا للغرض مع الجهل بالموافق و الملائم، او مع العلم به و مع النسیان عنه،او مع التذکر له،و ربما خص فی عرف

۱- ۱) الفرقان،الآیه:۴۴.

۲- ۲) الأعراف،الآیه:۱۷۸.

أهل النظر بصوره الذهول و عدم التذكر.ثم الكساله و البطاله قريب من الغفله بالمعنى العام،و ربما فرق بينهما ببعض الاعتبارات.

تتميم (الغفله موجبه للحرمان)

الغفله و الكساله عما ينبغى تحصيله من أمور الدنيا و الدين توجب الحرمان عن سعاده الدارين،و تؤدى إلى شقاوه النشأتين،إذ الإهمال فى رعايه أمر المعيشه و مصالحها يؤدى إلى هلاكه الشخص و انقطاع النوع، و الغفله عن اكتساب المعارف و الأخلاق الفاضله و عن أداء الفرائض و النوافل تنجر إلى إبطال غايه الايجاد-اعنى بلوغ كل شخص إلى كماله المستعد له- و هو مع كونه صريح المضاده و المنازعه لخالق العباد يوجب الهلاكه و الشقاوه أبد الآباد.

وصل ضد الغفله النيه-

تأثير النيه على الاعمال-النيه روح الاعمال و الجزاء بحسبها-عباده الاحرار و الاجراء و العبيد-نيه المؤمن من العمل-النيه غير اختياريه-الطريق فى تخليص النيه.

قد عرفت أن ضد الغفله النيه،و هى انبعاث النفس و توجهها إلى ما يراه موافقا لغرضها،و قد عرفت أيضا ان النيه و الاراده و القصد عبارات متوارده على معنى واحد،و هى واسطه بين العلم و العمل،إذ ما لم يعلم أمر لم يقصد، و ما لم يقصد لم يفعل،فالعلم مقدم على النيه و شرطها،و العمل ثمرتها و فرعها، إذ كل فعل و عمل يصدر عن فاعل مختار فانه لا يتم إلا بعلم و شوق و إراده

و قدره،إذ كل انسان خلق بحيث يوافقه بعض الأمور و يلائم غرضه، و يخالفه بعض الأمور،فاحتاج إلى جلب الموافق و دفع المخالف المنافى،و هو موقوف على ادراك الملائم النافع،و المنافى الضار،إذ ما لم يعرف الشىء لم يعقل طلبه أو الهرب عنه،و هو العلم،و على الميل و الرغبه و الشهوه الباعثه عليه،و هو الشوق،إذ من أدرك الغذاء أو النار لا يكفيه ذلك للتناول و الهرب،ما لم يكن شوق إلى التناول و الهرب،و على القصد و الشروع و التوجه إليه،و هو النيه،إذ كم مشاهد للطعام راغب فيه شائق إليه لا يريده لكونه مؤذيا او حراما او لعذر آخر،و على القدره المحركه للأعضاء إليه -أى إلى جلب الملائم أو دفع المضار-و بها يتم الفعل،فهى الجزء الأخير للعله التامه التى بها يتم فعل الفاعل المختار،فالأعضاء لا تتحرك إلى جانب الفعل و لا توجده إلا بالقدره،و القدره تنتظر النيه،و النيه تنتظر الداعيه الباعثه-اعنى الشوق-،و الشوق ينتظر العلم أو الظن بكون ما يفعل موافقا له،فان كان الشوق صادرا عن القوه البهيميه،بأن يكون الفعل مما تقتضيه هذه القوه،كأكل،و شرب،و جماع،و كسب مال،و أمثال ذلك من الالتذاذات الشهويه،كانت النيه و القصد أيضا متعلقه بهذه القوه معدوده من فضائلها او رذائلها،و إن كان مما تقتضيه القوه السبعيه:من دفع موذ،أو طلب الاستعلاء،أو تفوق،و أمثال ذلك،كانت النيه أيضا متعلقه بهذه القوه معدوده من فضائلهما أو رذائلهما،و قد ظهر بما ذكر:أن المحرك الأول هو الغرض المطلوب-أعنى المقصود المنوى بعد تعلق العلم به-و هو الباعث الأول،و ينبعث منه الشوق و هو الباعث الثانى،و يتولد منه القصد و النيه و هو الباعث الثالث المحرك للقدره الباعث لانتهاضها على تحريك الأعضاء إلى جانب العمل.

ص :١٠٨

فصل (تأثير النيه على الأعمال)

العمل غرضه الباعث،أى باعثه الأول،إما واحد:كالقيام للاكرام، أو للهرب من السبع المتهجم عليه،أو متعدد مع استقلال كل واحد بالباعثيه متساويا او متفاوتا:كالتصدق للفقر و القرابه بالنظر إلى من ينتهض فيه كل واحد بانفراده سببا للاعطاء،او بدون استقلال واحد لو انفرد،بل المستقل المجموع،كالمثال المذكور بالنظر إلى من يعطى ماله قريبه الفقير و يمتنع عند الانفراد،أى لا يعطيه قريبه الغنى،و لا الأجنبى الفقير،أو مع استقلال بعض دون بعض،بأن يكون للثانى تأثير بالاعانه و التسهيل دون البعث و التحصيل،ثم يتعدد الجزاء بتعدد البواعث،إن خيرا فخير:

كالدخول فى المسجد لزياره اللّه،و لانتظار الصلاه،و الاعتكاف و الانزواء و التجرد للذكر،و ترك الذنوب،و ملاقاه الاتقياء و اخوانه المؤمنين،و استماع المواعظ و احكام الدين،و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر،و ان شرا فشر:كالقعود فيه للتحدث بالباطل،و ملاحظه النساء،و المناظره للمباهاه و المرآه،و ربما كان بعض البواعث خيرا و بعضها شرا:كالتصدق للثواب و الرياء،و دخول المسجد لبعض البواعث الأول،و بعض البواعث الثانيه، و العمل الذى باعثه من هذا القسم قد ظهر حكمه فى باب الإخلاص.ثم باعث العمل المباح ان كان خيرا بجعله عباده،كالتطيب يوم الجمعه لاقامه السنه، و تعظيم المسجد و اليوم،و دفع الاذى بالنتن،و الأكل لقوه العبادات، و الجماع للولد و تطييب خاطر الزوجه،و الترفه بنومه او دعابه مباحه لرد نشاط الصلاه،و ان كان شرا بجعله معصيه،كالتطيب للتفاخر بإظهار الثروه و التزين للزنا،و لا يؤثر فى الحرام،فلا يباح شرب الخمر لموافقه الاقران

و الاـخوان،فالمعاصـی لاـ تتغیر موضوعاتهـا بـالنیه،بخلاـف الطاعـات و المباحـات،فانهـا بالنیه الصـحیحه تصـیر أقرب القربات،و بالفاسده تصیر أعظم المهلکات،فما أعظم خسران من یغفل عن النیه،و یتعاطی الاعمال تعاطی البهائم المهمله علی قصد حظوظ النفس او علی السـهو و الغفله،و قد کانت غایه سـعی السلف ان یکون لهم فی کل شیء نیه صحیحه،حتی فی أکلهم و شربهم و نومهم و دخولهم الخلاء.

و لاـ ریب فی إمکـان تصـحیح النیه فی کـل مبـاح،بحیث یـترتب علیه الثـواب،بـل یمکن تصـحیح النیه فی کـل نقصـان مـالی و عرضـی،فـان من تلف له مـال،فـان قـال:هو فی سبیل اللّه،کان له أجر،و ان سـرقه أحـد او غصـبه یمکن أن ینوی کونه من ذخائر الآخره،و إذا بلغه اغتیاب غیره له فیمکن ان یطیب خاطره بأنه سـیحمل علیه سـیئاته و ینقل إلی دیوانه حسـناته،فإیاک أن تستحقر شیئـا من نیاتـک و خطرات قلبـک،و لاـ تقـدم علی عمـل الا بنیه صـحیحه،فان لم تحضـرک النیه توقف،اذ النیه لا تـدخل تحت الاختیار،و قـد قیل:«ان من دعا اخاه إلی طعام بدون رغبه باطنه فی اجابته،فان اجابه فعلیه وزران:النفاق،و تعریضه اخاه لما یکرهه لو علمه،و ان لم یجبه و لم یأکـل فعلیه وزر واحـد هو النفاق!».فلا بـد للعبـد من خالص النیه فی کل حرکه و سـکون،لانه إذا لم یکن کذلک کان غافلا،و الغافلون قد وصفهم اللّه-تعالی-فقال:

إِنْ هُمْ إِلاّ کَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِیلاً

(۱)

.

و صاحب خالص النیه صاحب القلب السلیم،قال الصادق(ع):

«صاحب النیه الصادقه صاحب القلب السلیم،لانه سلامه القلب من هواجس

۱- ۱) الفرقان،الآیه:۴۴.

المحذورات بتخليص النيه للّه فی الأمور کلها،قال اللّه-عز و جل-:

یَوْمَ لا یَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ، إِلّا مَنْ أَتَی اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ

(١)

.

ثم النیه تبدو من القلب علی قدر صفاء المعرفه و تختلف علی حسب اختلاف الأوقات فی معنی قوته و ضعفه،و صاحب النیه الخالصه نفسه و هواه مقهورتان تحت سلطان تعظیم اللّه-تعالی-و الحیاء منه،و هو من طبعه و شهوته و منیته نفسه،فی تعب،و الناس منه فی راحه» (٢).

فصل (النیه روح الاعمال،و الجزاء بحسبها)

النیه روح الاعمال و حقیقتها،و الجزاء یکون حقیقه علیها،فان کانت خالصه لوجه اللّه-تعالی-کانت ممدوحه،و کان جزاؤها خیرا و ثوابا،و ان کانت مشوبه بالاغراض الدنیویه کانت مذمومه،و کان جزاؤها شرا و عقابا، قال اللّه-سبحانه-:

وَ لا تَطْرُدِ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَ الْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ

(٣)

.

١- ١) الشعراء،الآیه:٨٨-٨٩.

٢- ٢) هذا بعض الحدیث المذکور فی مصباح الشریعه-الباب الرابع ص ١٣٥-و فی البحار-الجزء الثانی من المجلد الخامس عشر،باب النیه و شرائطها و مراتبها،ص٧٧.ط امین الضرب-.لکن المذکور فی البحار فیه اختلاف یسیر عما فی المصباح،فصححناه علی البحار،لکون المذکور فی البحار اصح مما فی المصباح.

٣- ٣) الانعام،الآیه:٥٢.

و المراد بالاراده:النيه،لترادفهما-كما تقدم-.و أوحى اللّه إلى داود:

«يا داود:لا تطاول على المريدين،و لو علم أهل محبتى منزله المريدين عندى لكانوا لهم ارضا يمشون عليها،يا داود!لئن تخرج مريدا من كربه هو فيها تستعده، كتبتك عندى حميدا،و من كتبته حميدا لا يكون عليه وحشه و لا فاقه إلى المخلوقين».و قال رسول اللّه(ص):«انما الاعمال بالنيات،و لكل امرئ ما نوى،فمن كانت هجرته إلى اللّه و رسوله فهجرته إلى اللّه و رسوله،و من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها او امرأه يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»،و انما قال ذلك حين قيل له:ان بعض المهاجرين إلى الجهاد ليست نيته من تلك الهجره الا أخذ الغنائم من الأموال و السبايا او نيل الصيت عند الاستيلاء، فبين(ص):أن كل أحد ينال فى عمله ما يبغيه،و يصل إلى ما ينويه،كائنا ما كان.دنيويا كان أو أخرويا.و هذا الخبر مما يعده المحدثون من المتواترات و هو اول ما يعلمونه أولادهم،و كانوا يقولون:انه نصف العلم.و قال -صلّى اللّه عليه و آله-:«ان اللّه لا ينظر إلى صوركم و اموالكم،و انما ينظر الى قلوبكم و أعمالكم،و انما ينظر إلى القلوب لأنها مظنه النيه».و قال(ص):

«ان العبد ليعمل اعمالا حسنه فتصعد بها الملائكه فى صحف مختتمه،فتلقى بين يدى اللّه-تعالى-،فيقول:القوا هذه الصحيفه،فانه لم يرد بما فيها وجهى،ثم ينادى الملائكه:اكتبوا له كذا و كذا،فيقولون:يا ربنا!انه لم يعمل شيئا من ذلك،فيقول اللّه-تعالى-انه نواه». و قال(ص):

«الناس أربعه:رجل آتاه اللّه-عز و جل-علما و مالا فهو يعمل بعلمه فى ماله،فيقول رجل:لو آتانى اللّه-تعالى-مثل ما آتاه لعملت كما يعمل،فهما فى الأجر سواء،و رجل آتاه اللّه مالا و لم يؤته علما،فهو يتخبط بجهله فى ماله،فيقول رجل:لو آتانى اللّه مثل ما آتاه لعملت كما يعمل،فهما فى الوزر

سواء،ألا ترى كيف شاركه بالنيه فى محاسن عمله و مساويه؟!».و لما خرج (ص)الى غزوه تبوك،قال:«ان بالمدينه اقواما،ما قطعنا واديا،و لا وطأنا موطئا يغيظ الكفار،و لا انفقنا نفقه،و لا أصابتنا مخمصه،إلا شاركونا فى ذلك و هم فى المدينه»،قالوا:و كيف ذلك يا رسول اللّه،و ليسوا معنا؟! فقال:«حسبهم العذر،فشاركونا بحسن النيه». و فى الخبر:ان رجلا من المسلمين قتل فى سبيل اللّه بأيدى بعض الكفار،و كان يدعى بين المسلمين قتيل الحمار،لأنه قاتل رجلا من الكافرين نيه أن يأخذ حماره و سلبه،فقتل على ذلك فاضيف إلى نيته. و هاجر رجل إلى الجهاد مع أصحاب النبى (ص)،كانت نيته من المهاجره ان يأخذ امرأه كانت فى عساكر الكفار و يتزوجها-و تسمى أم قيس-فاشتهر هذا الرجل عند أصحاب النبى بمهاجر أم قيس».و فى اخبار كثيره:«من هم بحسنه و لم يعملها كتبت له حسنه» كما تقدم،و قد ورد:أنه إذا التقى المسلمان بسيفهما.فالقاتل فى النار،و كذا المقتول،لأنه أراد قتل صاحبه.و قال(ص):«اذا التقى الصفان نزلت الملائكه تكتب الخلق على مراتبهم:فلان يقاتل للدنيا،فلان يقاتل حميه،فلان يقاتل عصبيه،ألا فلا تقولوا قتل فلان فى سبيل اللّه إلا لمن قاتل لتكون كلمه اللّه هى العليا».و قال(ص):«من تزوج امرأه على صداق هو لا ينوى أداءه فهو زان،و من استدان دنيا و هو لا ينوى قضاءه فهو سارق،و من تطيب للّه -تعالى-جاء يوم القيامه و ريحه أطيب من المسك،و من تطيب لغير اللّه جاء يوم القيامه و ريحه انتن من الجيفه» (1)،و كل ذلك مجازاه على حسب النيه.

و قال الصادق(ع):«ان العبد المؤمن الفقير ليقول:يا رب!ارزقنى حتى

ص:113

1- 1) صحجنا النبويات كلها على احياء العلوم:4-317،311،310،باب فضيله النيه.

أفعل كذا و كذا من البر و وجوه الخير،فإذا علم اللّه-عز و جل-ذلك منه بصدق النيه كتب له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله،إن اللّه واسع كريم».

و سئل(ع)عن حد العباده التى إذا فعلها فاعلها كان مؤديا،فقال:«حسن النيه بالطاعه».و قال(ع):«و إنما خلد أهل النار فى النار لأن نياتهم كانت فى الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا اللّه-تعالى-ابدا،و إنما خلد أهل الجنه فى الجنه لأن نياتهم كانت فى الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا اللّه أبدا، فبالنيات خلد هؤلاء و هؤلاء،ثم تلا قوله-تعالى-.

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شاكِلَتِهِ

(۱)

قال:على نيته» (۲).و أمثال هذه الأخبار أكثر من أن تحصى.و أى شبهه فى أن عماد الأعمال النيات،و العمل مفتقر إلى النيه ليصير خيرا، و النيه فى نفسها خير و ان تعذر العمل،و عون اللّه-تعالى-للعبد على قدر النيه،فمن تمت نيته تم عون اللّه له،و إن نقصت نقص بقدره،فرب عمل صغير تعظمه النيه،و رب عمل كبير تصغره النيه،و لذلك كان السلف يتعلمون النيه للعمل كما يتعلمون العمل،و نقل:«ان بعض المريدين كان يطوف على العلماء و يقول.من يدلنى على عمل لا ازال فيه عاملا للّه-تعالى-،فانى لا أحب أن تأتى على ساعه من ليل او نهار الا و أنا عامل من عمال اللّه-تعالى-.

فقال له بعض العلماء:أنت قد وجدت حاجتك،فاعمل الخير ما استطعت، فإذا فترت أو تركته فهم بعمله،اذ من هم بعمل الخير كمن يعمل به». ثم السر فى مجازاه الأعمال على حسب النيه،و كون النيه حقيقه العمل و عمادا و روحا له:ان العمل من حيث هو عمل لا فائده فيه،و انما فائدته للأثر الذى

۱- ۱) الاسراء،الآيه:۸۴.

۲- ۲) صححنا الاخبار كلها على أصول الكافى-الجزء الثانى،باب النيه.

یصل منه إلی النفس من النورانیه و الصفاء،و لا یزال یتکرر وصول هذا الأثر من الاعمال إلیها حتی تحصل لها غایه الضیاء و الصفاء،فیحصل لها التجرد التام و ینخرط فی سلک الملائکه،و لا ریب فی أن وصول هذا الأثر من الاعمال انما هو مع صحه النیه و خلوصها،و کونها للّه-سبحانه-من دون شوب الأغراض،بل التأمل یعطی ان هذا الأثر انما هو حقیقه من محض النیه،و ان کانت حادثه لأجل العمل.

فصل (عباده الاحرار و الاجراء و العبید)

قد ظهر مما ذکر:أنه لا یحسب من عباده اللّه و لا یعد من طاعه اللّه بحیث یترتب علیه الأجر فی الآخره إلا ما یراد التقرب إلی اللّه و الدار الآخره، أی یراد به وجه اللّه من حیث هو،من دون غرض آخر من الأغراض الدنیویه،أو یراد به التوصل إلی ثوابه،أو الخلاص من عقابه،فمن أراد بعبادته محض وجه اللّه،و اخلصها له لکونه أهلا للعباده،و لمحبته له لما عرفه بجلاله و جماله و عظمته و لطف فعاله،فاحبه و اشتاق إلیه،و لا یرید سواه، و لا یبتهج بغیر حبه و انسه و الاستغراق فی لجه شهوده،فیفرح بعبادته و توجیه قلبه إلیه بطاعته.فجزاؤه أن یحبه اللّه و یجتبیه،و یقربه إلی نفسه و بدنه قربا معنویا و دنوا روحانیا،کما قال فی حق بعض من هذا صفته:

وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنٰا لَزُلْفیٰ وَ حُسْنَ مَآبٍ

(۱)

و إلی هذه المرتبه أشار أمیر المؤمنین(ع)بقوله:«إلهی ما عبدتک خوفا من نارک و لا طمعا فی جنتک،و لکن وجدتک أهلا للعباده فعبدتک».

ص: ۱۱۵

۱- ۱) ص،الآیه:۴۰،۲۵.

و أما من غرضه نيل الثواب و الخلاص من العقاب،نظرا إلى انه لم يعرف من اللّه سوى كونه إلها صانعا للعالم قادرا قاهرا عالما،و ان له جنه ينعم بها المطيعين،و نارا يعذب بها العاصين،فعبده ليفوز بجنته أو يتخلص من ناره:فجزاؤه بمقتضى نيته ان يدخله جنته،و ينجيه من ناره،لأن جزاء الأعمال على حسب النيات،كما أخبر اللّه-تعالى-عنه فى غير موضع من كتابه،فان لكل امرئ ما نوى،و لا تصغ إلى قول من ذهب إلى بطلان العباده إذا قصد بفعلها الثواب أو الخلاص من العقاب زعما منه أن هذا القصد مناف للاخلاص الذى هو إراده وجه اللّه وحده،و ان من قصد ذلك إنما قصد جلب النفع إلى نفسه،و دفع الضرر عنها،لا وجه اللّه-سبحانه-، فان هذا قول من لا معرفه له بحقائق التكاليف و مراتب الناس فيها،بل و لا معرفه له بمعنى النيه و حقيقتها،فان حقيقه النيه عباره عن انبعاث النفس و ميلها و توجهها إلى ما فيه غرضها و مطلبها،إما عاجلا او آجلا،لا مجرد قول الناوى عند العباده:افعل كذا قربه إلى اللّه،و مجرد تصور هذا القول بخاطره و ملاحظته بقلبه و إن لم يكن لنفسه انبعاث إلى التقرب،هيهات هيهات!إنما هذا تحريك لسان و حديث نفس،و ما ذلك الا كقول الشبعان:

اشتهى هذا الطعام،قاصدا حصول الاشتهاء،و هذا الانبعاث إذا لم يكن حاصلا للنفس لا يمكنها اختراعه و اكتسابه بمجرد القول و التصور، و أكثر الناس تتعذر منهم العباده ابتغاء لوجه اللّه و تقربا إليه،لانهم لا يعرفون من اللّه-تعالى-الا المرجو و المخوف،فغايه مرتبتهم ان يتذكروا النار و يحذروا أنفسهم عقابها،و يتذكروا الجنه و يرغبوا أنفسهم ثوابها،و خصوصا من كان ملتفتا إلى الدنيا،فانه قلما تنبعث له داعيه إلى فعل الخيرات لينال بها ثواب الآخره،فضلا عن عبادته على نيه إجلال اللّه-تعالى-لاستحقاقه

الطاعه و العبوديه،فانه قل من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها،فلو كلف بها لكان تكليفا بما لا يطاق،و ليس معنى الإخلاص فى العباده الا عدم كونها مشوبه بشوائب الدنيا و الحظوظ العاجله للنفس،كمدح الناس،و نيل المال، و الخلاص من النفقه لعتق العبد و نحو ذلك،و ظاهر انه لا تنافيه إراده الجنه و الخلاص من النار بما وعد فى الآخره،و ان كان من جنس المألوف فى الدنيا،و لو كان مثل هذه النيات مفسده للعبادات لكان الترغيب و الترهيب و الوعد و الوعيد عبثا،اذ كل ما وعد به الجنه و اوعد عليه النار مما رغب و وعد به و رهب و اوعد عليه،و ما ورد فى الترغيب و الترهيب و الوعد و الوعيد من الآيات و الاخبار أكثر من ان يحصى،قال اللّه-سبحانه-:

وَ يَدْعُونَنٰا رَغَباً وَ رَهَباً

(۱)

ثم كيف يمكن للعبد الضعيف الذليل المهين الذى لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياتا و لا شيئا مما ينفعه و يؤذيه،أن يستغنى عن جلب النفع لنفسه أو دفع الضرر عنها من مولاه.و من تأمل يجد أن القائل ببطلان العباده بإحدى النيتين ترجع نيته الصحيحه فى عبادته إلى أحداهما و هو لا يشعر به.

و مما يدل صريحا على ما ذكرناه قول الصادق-عليه السّلام-:«العباد ثلاثه:قوم عبدوا اللّه-عز و جل-خوفا،فتلك عباده العبيد.و قوم عبدوا اللّه-تبارك و تعالى-طلب الثواب،فتلك عباده الاجراء،و قوم عبدوا اللّه-عز و جل-حبا له،فتلك عباده الاحرار،و هى أفضل العباده» (۲).و هذا يدل على ان العباده على الوجهين الأولين لا تخلو من فضل أيضا،فضلا عن أن تكون صحيحه.نعم،لا ريب فى أن العباده على

۱- ۱) الأنبياء،الآيه:۹۰.

۲- ۲) صححنا الروايه على أصول الكافى:الجزء الثانى،باب العباده.

الوجه الأخير لا نسبه لمنزلتها و درجتها إلى درجه العباده على الوجهين الأولين،فان من تنعم بلقاء اللّه و النظر إلى وجهه الكريم،يسخر ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر إلى وجه الحور العين بالملتفت الى الصور المصنوعه من الطين،و كما يسخر المتنعم بالنظر إلى وجوه النساء الجميله بالخنفساء التى تعرض عن النظر إلى وجوههن و تلتفت إلى صاحبتها و تألف بها،بل هذه أمثله أوردناها من باب الاضطرار،إذ التفاوت بين جمال الحضره الربوبيه و جمال الحور العين او النسوان الجميله أعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين و الصور المصنوعه من الطين و بين جمال النسوان الجميله و الخنفساء،كيف و التفاوت فى الثانى متناه و فى الأول غير متناه،و أى نسبه للمتناهى إلى غير المتناهى؟

فصل (نيه المؤمن خير من العمل)

لما عرفت ان النيه روح العمل و حقيقته،و توقف نفع العمل عليها دون العكس،و كون الغرض الأصلى من العمل تأثير القلب بالميل إلى اللّه -تعالى-و توقفه على النيه،فهى خير من العمل،بمعنى أن العمل إذا حلل الى جزئيه يكون جزؤه القلبى-اعنى النيه-خيرا من جزئه الجسمانى - اعنى ما يصدر من الجوارح-،و الثواب المترتب عليه أكثر من الثواب المترتب عليه،و لذا قال اللّه-سبحانه-:

لَنْ يَنٰالَ اللّٰهَ لُحُومُهٰا وَ لاٰ دِمٰاؤُهٰا وَ لٰكِنْ يَنٰالُهُ التَّقْوىٰ مِنْكُمْ

(١)

.

١- ١) الحج،الآيه:٣٧.

فان المقصود من اراقه دم القربان میل القلب عن حب الدنيا،و بذلها ايثارا لوجه اللّه،دون مجرد الدم و اللحم،و ميل القلب انما يحصل عند جزم النيه و الهم،و ان عاق عن العمل عائق،(فلن ينال اللّه لحومها و لا دماؤها و لكن يناله التقوى منكم)،و التقوى صفه القلب،و لذا ترى ان المجامع امرأته على قصد انها غيرها اثم،بخلاف المجامع غيرها على أنها امرأته،و لذا ورد:أن من هم بحسنه و لم يعملها كتبت له حسنه،لان هم القلب هو ميله إلى الخير و انصرافه عن الهوى،و هو غايه الاعمال الحسنه، و انما الاتمام بالعمل يزيدها تأكيدا.و بما ذكر ظهر معنى الحديث المشهور:

«نيه المؤمن خير من عمله،و نيه الكافر شر من عمله».و كل عامل يعمل على نيته.

و حاصله:أن كل طاعه تتضمن نيه و عملا،و كل منهما من جمله الخيرات،و له أثر فى المقصود،و تكون النيه خيرا من العمل و أثرها أكثر من اثره.و الغرض:أن للمؤمن اختيارا فى النيه و فى العمل، فهما عملان،و النيه من الجمله خيرهما،اى النيه التى هى جزء من طاعته خير من عمله الذى هو جزؤها الآخر.

فان قيل:ما ذكرت لا يفيد أزيد من ان العمل إذا كان مع النيه يكون كل من العمل و النيه خيرا و ذا ثواب.و إذا كان بدونها لا يكون خيرا و لا يكون له ثواب،و المقصود كون النيه خيرا من العمل فى الصوره الأولى و كون ثوابها أعظم،و لم يظهر وجه الخيريه مما ذكرت.

قلت:ذلک و ان ظهر إجمالا،الا انه لا بد لتوضيحه لتظهر جليه الحال،فنقول:

الوجه فى كون النيه خيرا من العمل و راجحه عليه فى الثواب:انه لا ريب فى ان المقصود من الطاعات شفاء النفس و سعادتها فى الآخره و تنعمها

بلقاء اللّه-سبحانه-،و الوصول إلى اللقاء موقوف على معرفه اللّه و حبه و انسه،و هى موقوفه على دوام الفكر و الذكر الموجبين لانقطاع النفس من شهوات الدنيا و توجهها إلى اللّه-سبحانه-،فإذا حصل بمجرد المعرفه الحاصله من الفكر ميل و توجه إلى اللّه-تعالى-كان ضعيفا غير راسخ، و انما يترسخ و يتأكد بالمواظبه على اعمال الطاعات و ترك المعاصى بالجوارح، لأن بين النفس و بين الجوارح علاقه يتأثر لأجلها كل واحد منها عن الآخر، فيرى أن العضو إذا أصابته جراحه تتألم بها النفس،و أن النفس إذا تألمت بعلمها بموت عزيز أو بهجوم أمر مخوف تأثرت الأعضاء و ارتعدت الفرائض، فالطاعات التى هى فعل الجوارح إنما شرعت للتوصل بها إلى صفه النفس-اعنى التوجه و الميل إلى اللّه-سبحانه-،فالنفس هو الأصل و المتبوع و الأمير، و الجوارح كالخدم و الأتباع،و صفات القلب هى المقصوده لذاتها،و افعال الجوارح هى المطلوبه بالعرض،لكونها مؤكده و موجبه لرسوخ النفس -اعنى الميل و النيه و التوجه-و لا ريب فى أن ما هو المقصود بالذات خير مما هو مقصود بالعرض،و ثوابه أعظم من ثوابه.

و من المعانى الصحيحه للحديث:أن المؤمن بمقتضى ايمانه ينوى خيرات كثيره لا يوفق لعملها،إما لعدم تمكنه من الوصول إلى أسبابها،أو لعدم مساعده الوقت على عملها،أو لممانعه رذيله نفسانيه عنها بعد الوصول إلى أسبابها،كالذى ينوى إن آتاه اللّه ما لا ينفقه فى سبيله،ثم لما آتاه يمنعه البخل عن الإنفاق،فهذا نيته خير من عمله،و أيضا المؤمن ينوى دائما أن تقع عباداته على أحسن الوجوه،لأن ايمانه يقتضى ذلک.ثم إذا اشتغل بها لا يتيسر له ذلک.و لا يأتى بها كما يريد،فما ينويه دائما خير مما يعمل به فى كل عباده.و إلى هذا أشار الباقر(ع)حيث قال:«نيه المؤمن خير من عمله،

و ذلك لأنه ينوى الخير ما لا يدركه،و نيه الكافر شرّ من عمله،و ذلك لأن الكافر ينوى الشر و يأمل من الشر ما لا يدركه». و قيل للصادق(ع):

سمعتك تقول:نيه المؤمن خير من عمله،فكيف تكون النيه خيرا من العمل؟ قال(ع):«لأن العمل إنما كان رياء للمخلوقين،و النيه خالصه لرب العالمين، فيعطى-عز و جل-على النيه ما لا يعطى على العمل»ثم قال:«إن العبد لينوى من نهاره أن يصلى بالليل فتغلبه عينه فينام،فيثبت اللّه له صلاته و يكتب نفسه تسبيحا و يجعل نومه صدقه».و بعض الأخبار المتقدمه يعضد ذلك و يؤكده أيضا. و قيل:معنى الحديث:«إن النيه بمجردها خير من العمل بمجرده بلا نيه».و فيه:أن العمل بدون النيه لا يتصف بالخيريه أصلا.

فلا معنى للترجيح فى الخيريه،و قيل:سبب الترجيح:«إن النيه سر لا يطلع عليه إلا اللّه،و العمل ظاهر،و فعل السر أفضل».و هذا و إن كان فى نفسه صحيحا،إلا أنه ليس مرادا من الحديث،لأنه لو نوى أحد أن يذكر اللّه -تعالى-بقلبه أو يتفكر فى مصالح المؤمنين،كانت نيته بمقتضى عموم الحديث خيرا من العمل الذى هو الذكر و التفكر،مع اشتراك النيه و العمل فى السريه،و بداهه كون الذكر و التفكر خيرا من نيتهما.

فصل (النيه غير اختياريه)

النيه غير داخله تحت الاختيار،و ذلك لما عرفت من أنها انبعاث النفس و توجهها و ميلها إلى ملائم ظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلا أو آجلا و هذا الميل إذا لم يكن حاصلا للنفس لم يكن اختراعه و اكتسابه بمجرد الاخطار بالبال و الاجراء على اللسان،بل ذلك كقول الشبعان:نويت أن اشتهى الطعام و أميل إليه،أو قول الفارغ:نويت أن أعشق فلانا و أحبه،

فلا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء و ميله إليه و توجهه نحوه،إلا باكتساب أسبابه،و ذلك مما قد يقدر عليه و قد لا يقدر عليه،و إنما قد تنبعث النفس إلى الفعل إجابه للغرض الباعث،الموافق المنفس الملائم لها،و ما لم يعتقد الإنسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه قصده نحوه، و ذلك مما لا يقدر على اعتقاد.دائما،و إذا اعتقد فانما يتوجه القلب إذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه،و ذلك لا يمكن فى كل وقت،و الدواعى و الصوارف لها أسباب كثيره بها،تجتمع و تختلف ذلك بالاشخاص و الأحوال و الاعمال،فإذا غلبت شهوه النكاح و لم يعتقد غرضا صحيحا فى الولد لم يمكنه أن يتزوج على نيه الولد،بل لا يمكن إلا على نيه قضاء الشهوه،إذ النيه إجابه الباعث،و لا باعث إلا الشهوه،فكيف ينوى الولد،و لذا كان أهل السلوك من السلف كثيرا ما يمتنعون عن جمله من الطاعات إذا لم تحضرهم النيه،و كانوا يقولون:ليس تحضرنى نيه،و ذلك لعلمهم بأن النيه روح الاعمال و قوامها،و أن العمل بغير نيه صادقه رياء و تكلف و سبب مقت لا سبب قرب. و روى:«أنه أتى الصادق(ع)مولى له،فسلم عليه و جلس،فلما انصرف(ع)انصرف معه الرجل،فلما انتهى إلى باب داره دخل و ترك الرجل،فقال له ابنه إسماعيل:يا أبه!ألا كنت عرضت عليه الدخول؟فقال:لم يكن من شأنى ادخاله،قال:فهو لم يكن يدخل، قال:يا بنى!إنى اكره أن يكتبنى اللّه عراضا».

تتميم (الطريق فى تخليص النيه)

اشاره

الطريق فى تخليص النيه فى الطاعات تقويه ايمانه بالشرع،و تقويه ايمانه يعظم ثواب الطاعات مع خلوص النيه،و إذا قوى ايمانه فربما انبعث من نفسه

رغبه إلى فعل الطاعه مع خلوص النيه،مثلا من لم تكن له نيه الولـد فى النكاح بل كانت نيته فيه مجرد قضاء الشـهوه،فينبغى له أن يقوى ايمـانه بعظم ثواب من سـعى فى تكثير أمه محمـد(ص)،و يـدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولـد،كثقـل المئونه و طول المتعب و غيره،و إذا فعل ذلك انبعثت من نفسه رغبه إلى تحصيل الولد للثواب.

و منها:

اشاره

الكراهه

و هى نفره الطبع عمـا لاـ يخلو عن ايلاـم و إتعاب،فإذا قويت سـميت مقتا،و ضـدها الحب،و هو ميل الطبع إلى الشـىء الملـذ،فان تأكد ذلك الميل و قوى سمى عشقا.

اعلم أن عدم الرغبه و الغفله و الكراهه و البعد أمور متناسبه مترتبه بعضها على بعض،و كذا اضدادها-اعنى الشوق و النيه و الحب و الانس- أمور متناسبه يترتب بعضها على بعض،فنحن هنا نشير إجمالا إلى معانيها و الفرق بينها،ثم نذكرها مفصله على الترتيب.

فنقول:قـد عرفت ان الغفله و النيه ضـدان،و هما عبارتان عن عدم انبعاث النفس و انبعاثها إلى ما فيه غرضـها الملائم اما عاجلا أو آجلا،و اما عدم الرغبه و الشوق فهما ضدان و مبدآن للغفله و النيه.

بيان ذلك:ان معنى عدم الرغبه ظاهر،و الشوق عباره عن الرغبه إلى الشىء الذى لم يصل إليه و كان مفقودا عنه بوجه،فالشوق لا يخلو عن ألم المفـارقه،و لو زالت المفـارقه و حصـل الوصـال انتفى الشوق.ثم فرق الشوق عن النيه ظاهر،فان الشوق مجرد الرغبه إلى الشىء من دون اعتبار انبعاث النفس إلى طلبه فى مفهومه،و النيه هى الانبعاث المذكور،فالشوق مبدأ

النيه،و النيه مترتبه عليه،و بذلك يظهر الفرق بين ضديهما أيضا-أعنى عدم الرغبه و الغفله.

و اما(الكراهه و الحب):فقد عرفت أنهما عبارتان عن نفره الطبع عن المؤلم،و عن ميله إلى الملذ،سواء انبعثت النفس عن طلبه أم لا-و بهذا يفترق الحب عن النيه،فان النيه هى انبعاث النفس،و هو مغاير لمجرد الميل، بل الميل منشأ للانبعاث،و سواء حصل الوصول إلى الملذ أم لا،و بهذا يفترق عن الشوق،فان الشوق يعتبر فى مفهومه عدم الوصول،فالشوق و النيه و الاراده لا ينفكان عن الحب،و الحب يكون مقارنا لهما البته،فإذا حصل الوصول إلى المطلوب زال الشوق و الاراده و بقى الحب بدونهما.و بما ذكر يظهر الفرق بين الكراهه و بين عدم الرغبه و الغفله.

و أما(الانس):فهو عباره عن استبشار النفس بما يلاحظه من المطلوب المحبوب بعد الوصول و استحكامه و رسوخه،و البعد عباره عن عدم الوصول إلى المحبوب او الوصول إلى ما لا يستبشر و لا يبتهج بملاحظته، لعدم الرغبه إليه او للتنفر عنه،فالحب منشأ الانس،و الانس يترتب عليه، و هو غايه المحبه،فلا يخلو انس عن المحبه،و المحبه قد تكون بدونه، ثم المطلوب المحبوب قد يكون مطلوبا للقوه العاقله،كالعلم بحقائق الأشياء،و قد يكون مطلوبا للقوه الغضبيه،كالاستيلاء و الغلبه،و قد يكون مطلوبا للقوه الشهويه،كالمال و الازواج،و على كل تقدير تكون الأمور المذكوره-اعنى عدم الرغبه و الغفله و الكراهه و البعد-و اضدادها-اعنى الشوق و الاراده و الحب و الانس-متعلقه بتلك القوه،معدوده من رذائلها او فضائلها.ثم المحبوب ان كان يستحسن حبه و طلبه شرعا و عقلا،كان ما يتعلق به من الشوق و الاراده و الحب و الانس من الفضائل و اضدادها من الرذائل،و ان

كان مما يذم حبه و طلبه شرعا و عقلا كان بالعكس.

الشوق-أفضل مراتب الشوق الشوق إلى اللّه-تعلق الحب بجميع القوى- أقسام الحب بحسب مباديه-لا محبوب حقيقه الا اللّه-الشهود التام هو نهايه درجات العشق-سريان الحب فى الموجودات-رد المنكرين لحب اللّه -معرفه اللّه أقوى سائر اللذات-تحقيق رؤيه اللّه فى الآخره و لذه لقائه -الطريق إلى الرؤيه و اللقاء-تفاوت المؤمنين فى محبه اللّه-الواجب اظهر الموجودات-علائم محبه اللّه-معنى حب اللّه لعبده-الحب فى اللّه و البغض فى اللّه-الوفاء فى الحب-الانس-الانس قد يثمر الإدلال.

قد تقدم تفصيل الكلام فى النيه و الغفله.

و اما الشوق

،فنقول فى بيانه:قد عرفت أن الشوق عباره عن الميل و الرغبه إلى الشىء عند غيبته،فان الحاصل الحاضر لا يشتاق إليه،اذ الشوق طلب يسوق إلى نيل امر،و الموجود لا يطلب،فالشوق لا يتصور الا إلى شىء أدرك من وجه و لم يدرك من وجه،فما لا يدرك أصلا لا يشتاق إليه، اذ لا يتصور ان يشتاق أحد إلى شخص لم يره و لم يسمع و صفه،و ما أدرك بكماله لا يشتاق إليه أيضا،اذ المداوم لمشاهده المحبوب و الوصل إليه من جميع الوجوه لا يتصور أن يكون له شوق،فالشوق يختص تعلقه بما أدرك من وجه دون وجه،و هذا انما يكون باحد وجهين:

(أحدهما)ان يتضح الشىء اتضاحا ما،و لم يستكمل الوضوح،فاحتاج الى استكماله.فيكون الشوق إلى ما بقى من المطلوب مما لم يحصل.مثال ذلک:

ان من غاب عنه معشوقه،و بقى فى قلبه خياله،يشتاق إلى استكمال خياله بالرؤيه،

و من رأی معشوقه فی ظلمه،بحیث لا ـ تنکشف له حقیقه صورته،یشتاق الی استکمال رؤیته باشراق الضوء علیه،فلو رآه بتمام الرؤیه انتفی الشوق، کما انه لو انمحی عن قلبه ذکره و خیاله و معرفته حتی نسیه لم یعقل وجوده.

(ثانیهما)أن یدرک بعض کمالات المحبوب،و وصل إلیه،و علم إجمالا ان له کمالات اخر،و لم یدرکها و لم یصل إلیها،فیکون له شوق إلی ادراک تلک الکمالات.مثال ذلک:ان یری وجه محبوبه،و لا یری شعره و لا سائر اعضائه،فیشتاق إلی رؤیه ذلک.

فصل (أفضل مراتب الشوق الشوق إلی اللّه)

أفضل مراتب الشوق هو الشوق إلی اللّه-سبحانه-و إلی لقائه،و هی المظنه إلی الوصول إلیه،و إلی حبه و انسه و التقرب لدیه،و هو رأس مال السالکین،و مفتاح ابواب السعاده للطالبین،و الوجهان الموجبان للشوق متصوران فی حق اللّه،بل هما ثابتان و ملازمان لجمیع العارفین،فلا یخلو عارف من الشوق إلی اللّه:

أما الوجه الأول،فلأن ما اتضح للعارفین من الأمور الإلهیه و إن بلغ غایه الوضوح،فکأنه من وراء ستر رقیق،فلا یکون متضحا غایه الاتضاح،بل یکون مشوبا بشوائب التخیلات المکدره للمعلومات و المانعه عن ظهورها الیقینی،(لا)سیما إذا انضاف إلیها شواغل الدنیا،فکمال الوضوح فی الأمور الإلهیه إنما هو بالمشاهده و اشراق التجلی،و لا ـ یکون ذلک فی هذا العالم،بل یکون فی الآخره،فهذا أحد الموجبین لشوق العارفین إلی اللّه -سبحانه-.و هو الشوق إلی استکمال الوضوح فیما اتضح اتضاحا ما.

و أما الثانی،فلأن الأمور الإلهیه لا نهایه لها،و إنما ینکشف لکل

عـارف بعضـها،و تبقى أمور غير متنـاهيه خفيه عنه،و العارف إجمالا وجودها، و كونها معلومه للّه-تعالى-،و يعلم أن ما غاب من علمه من المعلومـات أكثر ممـا حضـر،فلاـ يزال متشوقـا إلى أن يحصل له من المعلومات المتعلقه بعظمه اللّه و جلاله و صـفاته و أفعـاله بمـا لاـ يعرفهـا أصـلا،لا مع الوضوح و لا مع الإبهام و الاجمال، و الشوق الأول ربما انتهى فى الاخره إذا حصل الشـهود و اللقـاء المعنوى لأجـل اسـتخلاص النفس من موانع الطبيعه و قشوراتها و حصول التجرد التام لها،و أما الشوق الثانى فلا يمكن أن ينتهى فى الدنيا و لا فى الآخره،إذ نهايه ذلك أن ينكشف للعبد فى الآخره من عظمه اللّه و كبريائه و جلاله و صفاته و احكامه و افعاله ما هو معلوم للّه-تعالى-و هو محال،إذ معلومات اللّه المتعلقه بـذاته و صـفاته و افعاله غير متناهيه قوه و شـده و عده، فتمتنع إحـاطه الإنسـان بهـا،فلاـ يزال العبـد عالما بأنه قـد بقى من جلال اللّه و عظمته و من صـفته و فعله ما لم يتضـح له،فلا يسـكن قط شـوقه،و مـا من عبـد إلاـ و يرى فوق درجته درجـات كـثيره لاـ نهـايه لهـا،فيشـتاق إليهـا البته، و إذا كـان أصـل الوصـال و اللـذه حاصـلا،فربمـا كـان الشوق إلى المراتب التى فوق مرتبتهـا شوقـا لذيـذا لا يظهر فيه ألم،و ربما كانت لطائف الكشف و البهجه و درجاتهما متواليه إلى غير النهايه،و تحصل للعبد هذه الدرجات فى الآخره على التدريج،فلا يزال العبد يتصاعد و يترقى إليها،و لا يزال النعيم و اللـذه تتزايـد له أبد الآباد من غير انقطاع له،و تكون لذه ما يتجدد من لطائف النعيم شاغلا له عن الإحساس بالشوق إلى مـا لم يحصـل له المه،فـان امكن فى الآـخره حصول الكشف فيمـا لم يحصل فيه كشف فى الـدنيا،لكان حصول المعارف و الابتهاجات و الأنوار و تجددها فى الآخره ممكنا،و إن لم يكتسب اصلها فى الـدنيا فيتجـدد و يتوارد على العبـد فى الآخره على الدوام و الاستمرار

من دون أن ينتهى إلى حد.و ربما كان قوله-تعالى-:

نُورُهُمْ يَسْعىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمٰانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنٰا أَتْمِمْ لَنٰا نُورَنٰا

(۱)

:

إشاره إلى هذا المعنى، و يكون المراد به إتمام النور فى عين ما استنار فى الآخره استناره محتاجه إلى الظهور،ثم إلى زياده الاستكمال و الإشراق،و إن اختص حصول نعم الآخره و أنوارها و ابتهاجاتها على النعم التى تزود من أصلها و لم يحصل للعبد ما لم يكتسب فى الدنيا أصله من الأنوار و الابتهاجات فيكون ترقى العبد فى الآخره فى ازدياد الابتهاج و الإشراق فيما حصل له اصله،و على هذا،فربما انتهى إلى حد و وقف هناك و لا يتضاعف،و قوله -تعالى-:« نُورُهُمْ يَسْعىٰ ...الى آخر الآيه»يحتمل لهذا المعنى أيضا،بأن يكون المراد طلب إتمام نور تزود من الدنيا أصله.(قيل):و قوله تعالى:

اُنْظُرُونٰا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرٰاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً

(۲)

:

يدل على أن الأنوار لا بد من أن يتزود أصلها فى الدنيا،ثم يزداد فى الآخره اشراقا،فاما أن يتجدد نور لم يكتسب أصله فى الدنيا فلا.

ثم لا يخفى أن تعيين الأصل و الفرع للانوار و الابتهاجات و مراتب الآخره عندنا مشكل،و ليس لنا طريق إلى القطع بأن أى شىء أصل لاى نور و بهجه،و ربما كان المظنون عندنا:أن أصل كل نور و سعاده و بهجه هو اليقين القطعى الاجمالى بان الواجب-سبحانه-فى غايه العظمه و الجلال

۱- ۱) التحريم،الآيه:۸.

۲- ۲) الحديد،الآيه:۱۳.

و القـدره و الكمال،و أنه تام فوق التمام،و كل ما سواه من المهيات الموجوده صادره عنه على أشـرف أنحاء الصـدور و أقواها و أدلها على العظمه،و أنه لا موجود و لا شـىء إلا الواجب و صـفاته و أفعاله،و أن ذاته الاقـدس ذات لا يمكن أن يكون لذهن من الاذهان العاليه،و لا لمدرك من المدارك المتعاليه عقلا كان أو نفسا أو غيرهما،لو أمكن أن يكون مدركا،أن يدرك فى لحاظ التعقل ذاتا يمكن أن تكون فوقه أو مثله،بل كلما تصور إجمالا فهو فوقه،و كذا صـفاته الكماليه و افعاله،و أن صفاته الكماليه:من عظمتـه، و جلالـه،و قـدرته،و جمـاله،و علمه،و حكمته،و غير ذلـك غير متنـاهيه،و ليس لهـا حـدّ و غـايه،و مـا تعلق به علمه من مخلوقاته لا نهايه له كثره و قوه و كمالا،و أن له من المراتب الغير المتناهيه من العظمه و الجلال ما لا يطيق أشرف الموجودات و اقواها لادراك أولها،فمن عرف ذلك و تيقن به، و علم ان هـذا العالم و ما فيه لا نسـبه له إلى عالم الآخره و ما فيه،و أن الطافه و مزايـاه إلى عبـاده الـذين عرفوا نسـبتهم إليه،و تيقنوا بـأن لاشـرافه و لا كمـال للنفوس و العقول فوق معرفه ربهم و التقرب إليه و الوصول إلى حبه و انسه، فقـد وصـل إلى أصـل كـل سـعاده و نور و بهجه،لا سيما إذا دفع عن نفسه ذمـائم الأخلاق و اتصـف بفضائلهـا. و قـد ظهر مما ذكر:أنه لا ريب فى ثبوت الشوق للعباد إلى اللّه-سبحانه-.و العجب ممن أنكر حقيقه الشوق إلى اللّه - سبحانه-لانكاره المحبه له-كما يأتى-،إذ لا يتصور الشوق إلا إلى محبوب،و قـد عرفت ثبوته من حيث النظر و الاعتبار.و لا ريب فى ثبوته -أيضا-من الآيات و الاخبار:قال اللّه-سبحانه-:

فَمَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ... الى آخر آيه (۱)

ص: ۱۲۹

۱- ۱) الكهف،الآيه:۱۱۱.

فان الرجاء لا ینفک عن الشوق.و قال رسول اللّه(ص)فی دعائه:

«اللهم إنی أسألک الرضاء بعد القضاء،و برد العیش بعد الموت،و لذه النظر الی وجهک الکریم،و شوقا إلی لقائک».و فی بعض الکتب السماویه:

«طال شوق الأبرار إلی لقائی.و أنا إلی لقائهم لأشد شوقا». و فی أخبار داود(ع):«إنی خلقت قلوب المشتاقین من نوری،و نعمتها بجلالی».

و فیها أیضا:«أنه تعالی أوحی إلی داود:یا داود!إلی کم تذکر الجنه و لا تسألنی الشوق إلی؟قال:یا رب!من المشتاقون إلیک؟قال:إن المشتاقین إلی الذین صفیتهم من کل کدر،و نبهتهم بالحذر،و خرقت من قلوبهم إلی خرقا ینظرون إلی،و إنی لأحمل قلوبهم بیدی فأضعها علی سمائی،ثم ادعو بملائکتی،فإذا اجتمعوا سجدونی،فأقول:انی لم اجمعکم لتسجدونی، و لکن دعوتکم لا عرض علیکم قلوب المشتاقین إلی،و أباهی بهم إیاکم،فان قلوبهم لتضیء فی سمائی لملائکتی کما تضیء الشمس لاهل الأرض،یا داود! انی خلقت قلوب المشتاقین من رضوانی،و نعمتها بنور وجهی،فاتخذتهم لنفسی محدثین،و جعلت أبدانهم موضع نظری إلی الأرض،و قطعت من قلوبهم طریقا ینظرون به إلی،یزدادون فی کل یوم شوقا».و أوحی اللّه الیه أیضا:«یا داود!لو یعلم المدبرون عنی کیف انتظاری لهم و رفقی بهم و شوقی إلی ترک معاصیهم،لماتوا شوقا إلی،و تقطعت اوصالهم عن محبتی».

و فی بعض الاخبار القدسیه:«ان لی عبادا یحبوننی و احبهم،و یشتاقون إلی و اشتاق إلیهم،و یذکروننی و أذکرهم،و اول ما اعطیتهم ان اقذف من نوری فی قلوبهم،فیخبرون عنی کما أخبر عنهم،و لو کانت السماوات و الأرض و ما فیهما فی موازینهم لاستعد بها لهم،و أقبل بوجهی علیهم،لا یعلم أحد ما أرید أن أعطیه». و قال الصادق(ع):«المشتاق لا یشتهی طعاما،و لا یلتذ

شرابا،و لا يستطيب رقادا،و لا يأنس حميما،و لا يأوى دارا،و لا يسكن عمرانا،و لا يلبس ثيابا،و لا يقر قرارا،و يعبد اللّه ليلا و نهارا،و راجيا بأن يصل إلى ما يشتاق إليه،و يناجيه بلسان الشوق معبرا عما فى سريرته، كما أخبر اللّه-تعالى-عن موسى بن عمران فى ميعاد ربه بقوله:(و عجلت اليك رب لترضى)،و فسر النبى(ص)عن حاله:(أنه ما أكل و لا شرب و لا نام،و لا اشتهى شيئا من ذلك فى ذهابه و مجيئه أربعين يوما شوقا إلى ربه)،فإذا دخلت ميدان الشوق،فكبر على نفسك و مرادك من الدنيا، و ودع جميع المألوفات،و اصرفه عن سوى مشوقك،و لب بين حياتك و موتك:لبيك اللهم لبيك!أعظم اللّه أجرك،و مثل المشتاق مثل الغريق، ليس له همه إلا خلاصه،و قد نسى كل شىء دونه» (۱)،و ما ورد فى الأدعيه المعصوميه من طلب الشوق أكثر من أن يحصى،و الظواهر الآتيه المثبته للمحبه و الانس تثبت الشوق أيضا.

و أما(الكراهه و البغض و ضدهما-اعنى الحب-)فنقول:قد عرفت أن الكراهه و البغض عباره عن نفره الطبع عن المؤلم المتعب،و الحب الذى هو ضدهما عباره عن ميل الطبع إلى الملائم الملذ.

و توضيح ذلك:أنه لا يتصور حب إلا بعد معرفه و ادراک،و کذلک لا يتصف بالحب جماد و لا يحب الإنسان ما لا يعرفه و لم يدركه،فالحب من خاصيه الحى الدراك،بعد حصول الإدراك بالفعل.

ثم لما كانت المدركات منقسمه إلى ما يوافق طبع المدارك و يلذّه،و إلى ما يخالفه و يؤلمه،و إلى ما لا يؤثر فيه بالذاذ و ايلام،فالقسم الأول يكون مرغوبا عند المدرك،و يسمى رغبه،و ميله إليه حبا،و القسم الثانى يكون

۱- ۱) صححنا الحديث على مصباح الشريعه:باب ۹۹،ص ۱۹۳-۱۹۴.

منفورا عنده،و تسمى نفرته عنه كراهه و بغضا،و الثالث لا يوصف بميل و كراهه،فلا يوصف بكونه محبوبا،و لا مكروها.ثم اللذه لما كانت عباره عن ادراك الملائم اللذ و نيله،فالحب الذى هو الميل و الرغبه إليه لا يخلو عن لذه محققه أو خياليه،و على هذا فيمكن أن تعرف المحبه بأنها ابتهاج النفس بادراك الملائم و نيله،هذا فإنك قد عرفت أن المدارك إن كان مما يستحسن حبه شرعا و عقلا،كان كراهته و بغضه من الرذائل و حبه من الفضائل، و إن كان مما يذم حبه،كان بالعكس من ذلك.

فصل (تعلق الحب بجميع القوى)

الحب و الكراهه لما كانا تابعين للادراك،فينقسمان بحسب انقسام القوه المدركه،التى هى الحواس الظاهره،و الحواس الباطنه،و القوه العاقله.

فمن الحب ما يتعلق بالحواس الظاهره،بمعنى أن المحبوب مما هو مدرك و ملذ عندها،كالصور الجميله المرئيه،و النغمات الموزونه،و الروائح الطيبه، و المطاعم النفيسه،و الملبوسات اللينه بالنظر إلى الخمس الظاهره.و منه ما يتعلق بالحواس الباطنه،بمعنى أن المحبوب مما هو مدرك و ملذ عندها، كالصور الملائمه الخياليه،و المعانى الجزئيه الملائمه بالنسبه إلى المتخيله و الواهمه.و منه ما يتعلق بالعاقله،بمعنى أن المحبوب مما هو مدرك و ملذ عندها،كالمعانى الكليه،و الذوات المجرده.و لا ريب فى أن العقلى من الحب و اللذات أقوى اللذات و أبلغها،إذا البصيره الباطنه أقوى من البصيره الظاهره و العقل أقوى إدراكا و أشد غوصا و نفوذا فى حقائق الأشياء و بواطنها من الحس،و جمال المعانى المدركه بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهره الحسنه،فتكون لذه العقل و حبه بما يدركه من الأمور الشريفه الإلهيه التى

جلت عن ادراک الحواس أتم و ابلغ،و لذا جعل رسول اللّه(ص)الصلاه أبلغ المحبوبات عنده فی الدنیا،حیث قال:«حبب إلیّ من دنیاکم ثلاث:

الطیب،و النساء،و جعلت قره عینی فی الصلاه»،فان الالتذاذ بالصلاه لذه عقلیه،کما أن الالتذاذ بالطیب لذه شمیه،و بالنساء نظریه و لمسیه.

فان قیل:حقیقه الإنسان نفسه الناطقه،و لها ثلاث قوی،و هی:

العاقله،و الشهویه،و الغضبیه،و قوی أخری هی:الحواس الظاهره و الحواس الباطنه،و شأن العاقله-کما ذکرت-ادراک المعانی الکلیه،و الحقائق المجرده،و شأن الحواس الظاهره ادراک المبصرات و المسموعات و المشمومات و المذوقات و الملموسات،و شأن الحواس الباطنه ادراک المعانی الجزئیه، و الصور المدرکه بالحواس الظاهره و ضبطها،و من جمله ما یدرک بالحواس ما یتعلق بقوتی الغضب و الشهوه،من الغلبه و الاستیلاء و الوصول إلی المناکح و المطاعم و ضدهما،فالمحب لهذه المدرکات و الملتذ بها ما ذا من النفس و قواها المذکوره،و هل المحب و الملتذ هو المدرک بعینه أو غیره؟ قلنا:المحب و الملتذ أولا فی کل من هذه المدرکات هو المدرک،و ثانیا و بالواسطه هو النفس،إذ کل ادراک یتعلق بإحدی القوی لیصل بالآخره الی النفس،فیحدث فیها ما یقتضیه من اللذه و الألم،إلا أن ما یدرک بالحواس مما یتعلق بقوتی الشهوه و الغضب لا بد أن یصل إلیهما أیضا،فیحصل لهما اللذه أو الألم،و بواسطتهما یصل إلی النفس،فالمدرک أولا للغلبه أو العجز هو الوهم،فیلتذ أو یتألم،ثم یصل منه أثر الإدراک و الالتذاذ و الألم إلی القوه الغضبیه،و یصل منها الأثر إلی النفس فیلتذ أو یتألم،و المدرک للطعم و الریح و اللین و النعومه هی الذائقه و الشامه و اللامسه،فالالتذاذ و التألم لها أولا و بواسطتها للقوه الشهویه،و هذا إن کانت الشهویه قوه علی حده سوی

الذائقه و الشامه و اللامسه و سائر الحواس الظاهره،و إن كانت معنى جنسيا شاملا لجميعها فالامر ظاهر.و بما ذكر ظهر وجه تعلق الحب بجميع القوى.

فصل (اقسام الحب بحسب مباديه)

اعلم ان أسباب الحب و مباديها لما كانت متعدده مختلفه فينقسم الحب لاجلها على أقسام:

الأول-حب الإنسان وجود نفسه و بقاءه و كماله،

و هو أشد اقسام الحب و اقواها،لان المحبه إنما تكون بقدر الملاءمه و المعرفه،و لا شيء أشد ملاءمه لاحد من نفسه،و لا هو بشيء أقوى معرفه منه بنفسه،و لهذا جعلت معرفه نفسه مفتاحا لمعرفه ربه (۱).و كيف لا يكون حب الشيء لذاته أقوى المراتب،مع أن الحب كلما صار أشد جعل الاتحاد بين المحب و المحبوب أوكد و أبلغ؟و أي اتحاد أشد من الوحده و رفع الاثنينيه بالمره،كما بين الشيء و نفسه،فالمحب و المحبوب واحد،و سبب الحب غريزه في الطباع بحكم سنه اللّه:

وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّهِ اللّٰهِ تَبْدِيلاً

(۲)

.

و معنى حبه لنفسه كونه محبا لدوام وجوده،و مكرها لعدمه و هلاكه، فالبقاء و دوام الوجود محبوب،و العدم ممقوت،و لذا يبغض كل أحد الموت، لا بمجرد ما يخافه بعده،أو لمجرد ما يلزمه من سكراته،بل لظنه أنه يوجب انعدام كله أو بعضه،و لذا لو اختطف من غير الم و تعب،و اميت من غير ثواب و عقاب،كان كارها لذلك،و كما ان دوام الوجود محبوب فكذلك كمال

۱- ۱) كما قال أمير المؤمنين عليه الصلاه و السّلام:«من عرف نفسه فقد عرف ربه».

۲- ۲) الأحزاب،الآيه:۶۲.الفتح،الآيه:۲۳.

الوجود محبوب،لأن فاقد الكمال ناقص،و النقص عدم بالإضافه إلى القدر المفقود،فالوجود محبوب فی أصل الذات و بقائه و فی صفات كماله،و العدم ممقوت فيها جميعا.

و التحقيق:أن المحبوب ليس إلا الوجود،و المبغوض ليس إلا العدم، و جميع الصفات الكماليه راجعه إلى الوجود،و جميع النقائص راجعه إلى العدم،إلا أن كل فرد من الموجود لما كان له نحو خاص من الوجود،و كانت تماميه نحو وجوده بوجود بعض الصفات الكماليه التی هی من مراتب الموجودات،فكان وجوده مركب من وجودات متعدده،فإذا فقد بعضها فكأنه فاقد لبعض اجزاء وجوده،و بذلك يظهر:أن الموجود كلما كان أقوى و كان نحو وجوده أتم،كان اجمع لمراتب الوجودات فی القوه و الشده و العده، و كانت صفاته الكماليه أقوى و أكثر،لكونها من مراتب الوجودات، فالوجود الواجبی الذی هو التام فوق التمام و القائم بنفسه المقوم لغيره ينطوی فيه جميع الوجودات،و يكون محيطا بالكل،ثم محبه الأولاد من التحقيق يرجع إلى هذا القسم،لان الرجل إنما يحب ولده و يتحمل المشاق لاجله، و ان لم يصل منه إليه نفع و حظ،لعلمه بانه خليفته فی الوجود بعد عدمه، فكأن بقاءه نوع بقاء له،فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه و بمنزله جزء منه،لما عجز من الطمع فی بقاء نفسه،و لعدم كون بقائه هو بقاؤه بعينه يكون بقاء نفسه أحب إليه من بقاء ولده لو كان طبعه باقيا على اعتداله،و كذلك حبه لاقاربه و عشيرته يرجع إلى حبه لكمال نفسه،فانه يرى نفسه كبيرا قويا لاجلهم،متجملا بسببهم،إذ العشيره كالجناح المكمل للانسان (1).

ص:135

1- 1) كما قال أمير المؤمنين-عليه الصلاه و السّلام-فی جمله ما أوصی به ولده الامام المجتبی-عليهما الصلاه و السّلام-:«و أكرم عشيرتک، فانهم جناحک الذی به تطير،و اصلک الذی إليه تصير،و يدک التی بها تصول»نهج البلاغه:3-63،مطبعه الاستقامه،القاهره.

الثانی-حبه لغیره لأجل انه یلتذ منه لذه حیوانیه.

کحب کل من الرجل و المرأه للآخر لأجل الجماع،و حب الإنسان المأکولات و الملبوسات، و السبب الجامع فی هذا القسم هو اللذه،و هو سریع الحصول و سریع الزوال و اضعف المراتب،لخساسه سببه و سرعه زواله.

الثالث-حبه للغیر لأجل نفعه و إحسانه،

فان الإنسان عبد الإحسان، و قد جبلت النفوس علی حب من أحسن إلیها و بغض من أساء إلیها،و لذا قال رسول اللّه(ص):«اللهم لا تجعل لفاجر علیّ یدا فیحبه قلبی».

فالسبب الجامع فی هذا القسم هو النفع و الإحسان،و هذان القسمان عند التحقیق یرجعان إلی القسم الأول،لان المحسن من أمد بالمال و المعونه و سائر الأسباب الموصوله إلی دوام الوجود و کمال الوجود،و سبب اللذه باعث لحصول الحظوظ التی بها یتهیأ الوجود.

و الفرق أن الأعضاء،و الصحه،و العلم،و الطعام،و الشراب،و الجماع محبوبه لان بها کمال وجوده و هی عین الکمال،و أما الطبیب الذی هو سبب الصحه،و العالم الذی هو سبب العلم،و معطی الطعام و الشراب، و المرأه التی هی آله الوقاع:محبوبه لا لذواتها،بل من حیث انها وسائل إلی ما هو محبوب لذاته،فاذن یرجع الفرق إلی تفاوت الرتبه،و الکل یرجع إلی محبه الإنسان نفسه،فمن أحب المحسن لاحسانه فما أحب ذاته تحقیقا،بل أحب إحسانه،و لو زال إحسانه زال حبه مع بقاء ذاته،و لو نقص نقص الحب،و لو زاد زاد.و بالجمله:یتطرق إلی حبه الزیاده و النقصان بحسب زیاده الإحسان و نقصانه.

الرابع-أن یحب الشیء لذاته،

لا لحظ یناله منه وراء ذاته،بل تکون ذاته عین حظه،و هذا هو الحب الحقیقی البالغ الذی یوثق به،و ذلک

كحب الجمال و الحسن،فان كل جمال محبوب عند مدركه،و ذلك لعين الجمال، لأن ادراك الجمال عن اللذه،و اللذه محبوبه لذاتها لا لغيرها.و لا تظنن أن حب الصوره الجميله لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوه،فان قضاء الشهوه لذه حيوانيه قد يحب الإنسان الصور الجميله لأجلها،و أدراک نفس الجمال لذه أخرى روحانيه يكون محبوبا لذاتها.و لا ريب فى أن حب الصور الجميله بالجهه الأولى مذموم،و بالجهه الثانيه ممدوح،و العشق الذى يقع لبعض الناس من استحسان الصور الجميله يكون مذموما إن كان سببه اللذه الشهويه الحيوانيه،و يكون ممدوحا إن كان سببه الابتهاج بمجرد ادراک الجمال،و لأجل التباس السبب فى هذا العشق اختلف العقلاء فى مدحه و ذمه،و كيف ينكر حب الصور الجميله لنفس جمالها من دون قصد حظ آخر،مع أن الخضره و الماء الجارى محبوبان لا لتؤكل الخضره و يشرب الماء،أو ينال منهما حظ سوى نفس الرؤيه،و قد كان رسول اللّه(ص)تعجبه الخضره و الماء الجارى.و الطباع الصافيه السليمه قاضيه باستلذاذ النظر إلى الأنوار و الازهار و الأطيار المليحه الألوان الحسنه النفس المناسبه الشكل،حتى الإنسان لتنفرج عنه الغموم بمجرد النظر إليها من دون قصد حظ آخر منها.و بما ذكرناه ظهر ضعف ظن بعض ضعفاء العقول، حيث زعموا أنه لا يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته،ما لم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراک ذاته،و لم يعلموا أن الحسن و الجمال ليس مقصورا على مدركات البصر،و لا على تناسب الخلقه،إذ يقال:هذا صوت حسن،و هذا طعم حسن،و هذا ريح طيب،و ليس شىء من هذه الصفات مدركه بالبصر، و كذا ليس الحسن و الجمال مقصورا على مدركات الحواس،لوجودهما فى غيرها،فان أكثر خصال الخير يدرک بالعقل بنور البصيره الباطنه،إذ يقال:

هذا خلق حسن،و هذا علم حسن،و هذه سيره حسنه،و لا يدرک شىء من هذه

الصفات بالحواس،بل يدرک بالبصيره الباطنه،و کل هذه الخصال المدرکه حسنها بالعقل محبوبه بالطبع،و الموصوف بها أيضا محبوب عند من عرف صفاته.

و مما يدل على تحقق الجمال المدرک بالعقل و کونه محبوبا:أن الطباع السليمه مجبوله على حب الأنبياء و الأئمه-عليهم السّلام-مع أنهم لم يشاهدوهم،حتى أن الرجل قد تجاوز حبه لصاحب مذهبه حد العشق،فيحمله ذلک على أن ينفق جميع امواله فى نصره مذهبه و الذب عنه،و يخاطر بروحه فى قتال من يطعن فى إمامه أو متبوعه،مع أنه لم يشاهد قط صورته و لم يسمع کلامه،فما حمله على الحب هو استحسانه بصفاته الباطنه:من الورع، و التقوى،و التوکل،و الرضا،و غزاره العلم،و الإحاطه لمدارک الدين، و انتهاضه لافاضه علم الشرع،و نشره هذه الخيرات فى العالم،و جملتها ترجع الى العلم و القدره،اذ جميع الفضائل لا تخرج عن معرفه حقائق الأمور و القدره على حمل نفسه عليها بقهر الشهوات،و هما-اعنى العلم و القدره- غير مدرکين بالحواس،مع أنهما محبوبان بالطبع.و من الشواهد على المطلوب:

أن الناس لما و صفوا(حاتما)بالسخاء و(انو شيروان)بالعداله،أحبهما القلوب حبا ضروريا،من دون نظرهم إلى صورهما المحسوسه،و من غير حظ ينالونه منهما،بل کل من حکى عنه بعض خصال الخير و صفات الکمال غلب على القلوب حبه،مع عدم مشاهدته و يأس المحبين من انتشار خيره و إحسانه إليهم،و من کانت بصيرته الباطنه أقوى من حواسه الظاهره، و نور العقل اغلب عليه من آثار الحواس الحيوانيه،کان حبه للمعانى الباطنه أکثر من حبه للمعانى الظاهره،فشتان بين من يحب نقشا على الحائط لجمال صورته الظاهره،و بين من يحب سيد الرسل(ص)لجمال صورته الباطنه.

الخامس-محبته لمن بينه و بينه مناسبه خفيه،أو مجانسه معنويه،

فرب شخصین تتأکد المحبه بینهما عن غیر ملاحظه جمال،و لا طمع فی جاه و مال،بل بمجرد تناسب الأرواح،کما قال النبی(ص):«الأرواح جنود مجنده،فما تعارف منها ائتلف،و ما تناکر منها اختلف».

السادس-محبته لمن حصل بینه و بینه الألف و الاجتماع فی بعض المواضع،

لا سیما إذا کان من المواضع الغریبه،کالسفن و الاسفار البعیده.

و السبب فیه:کون افراد الإنسان مجبوله علی المؤانسه مع التلاقی و الاجتماع، و لکون المؤانسه مرکوزه فی طبیعه الإنسان سمی إنسانا،فهو مشتق من الانس دون النسیان-کما ظن-،و المؤانسه لا تنفک عن المحبه،و ربما کان حصول المؤانسه و الحب بین أهل البلد،أو بینهم و بین أهل القری،أو بین أهل البلاد المتباعده و المواضع المختلفه،من جمله أسرار الأمر بالجمعه و الجماعه و صلاه العیدین،و الحج الباعث لاجتماع عموم الخلائق فی موقف واحد.

السابع-محبته لمن یشارکه فی وصف ظاهر،

کمیل الصبی إلی الصبی لصباه،و الشیخ إلی الشیخ لشیخوخته،و التاجر إلی التاجر لتجارته، و هکذا...فان کل شخص مائل إلی من یشارکه فی وصفه و صنعته و شغله و حرفته،و السبب الجامع فیه هو الاشتراک فی الوصف و الصنعه.

الثامن-حب کل سبب و عله لمسببه و معلوله و بالعکس،

فان المعلول لما کان مثالا من العله،و مترشحا عنها و منبجسا منها،و مناسبا لها لکونه من سنخها،فالعله تحبه لأنه فرعها و بمنزله بعض اجزائها التی کانت منطویه فیها،و المعلول یحبها لأنها أصله و بمنزله کله الذی کان محتویا علیه، فکان کلا منهما فی حبه للآخر یحب نفسه.

ثم السبب ان کان عله حقیقیه موجده،تکون سببیه أقوی فی حصول المحبه و الاتحاد مما إذا کان عله معده.فأقوی اقسام المحبه ما یکون للواجب

ص:۱۳۹

-سبحانه-بالنسبه إلى عباده،و بعد ذلك لا محبه أقوى من محبه العباد العارفين بالنسبه إليه-سبحانه-،فان محبتهم له من حيث كونه موجدا مخرجا لهم من العدم الصرف إلى الوجود،و معطيا لهم ما احتاجوا إليه فى النشأتين، و من حيث إنه-تعالى-تام فوق التمام فى الذات و الصفات الكماليه،و النفس بذاتها مشتاقه إلى الكمال المطلق،و هذا المحبه فرع المحبه و لا تحصل بدونها، و لذا قال سيد الرسل(ص):«ما اتخذ اللّه وليا جاهلا قط».و حب الأب لابنه و بالعكس نسبه هذا القسم،من حيث إن الأب سبب ظاهر لوجود الابن،و إن لم يكن سببا حقيقيا،بل عله معده له،فيحبه لأنه يراه بمنزله نفسه، و يظنه مثالا من ذاته،و نسخه نقلتها الطبيعه من صورته،و يعد وجوده بمنزله البقاء الثانى لنفسه،فيظنه أنه جزؤه و فى الخلق و الخلق مثله،و كذا كل ما يريد لنفسه من الكمالات يريد أفضله له،و يفرح بترجيحه عليه،و تفضيله عليه عنده بمثابه أن يقال:انه فى الآن أفضل من السابق،و مما يؤكد محبته له:أنه يرجو منه انجاح مقاصده و مطالبه فى حياته و مماته،و ليست محبه الابن للأب كمحبه الأب للابن،بل هو أضعف،لفقد بعض الأسباب الباعثه له،و لذا أمر الاولاد فى الشريعه بحب الآباء دون العكس،و كذا المحبه التى بين المعلم و المتعلم من هذا القسم،لأن المعلم كالسبب القريب للحياه الروحانى للمتعلم و إفاضه الصوره الإنسانيه عليه،كما أن الأب كالسبب لحياته الجسمانيه و رتبته الصوريه،فهو والد روحانى له،و بقدر شرافه الروح على الجسم يكون المعلم أشرف من الأب،و على هذا ينبغى أن تكون محبه المعلم أدون من محبه الموجود الحقيقى و أكثر من محبه الأب،و قد ورد فى الحديث:«ان آباءك ثلاثه:

من ولدك،و من علمك،و من زوجك،و خير الاباء من علمك». و سئل من ذى القرنين:أن أباك أحب إليك أم معلمك؟قال:«معلمى أحب الى،لأنه

سبب لحیاتی الباقیه،و أبی سبب لحیاتی الفانیه».و قال أمیر المؤمنین(ع):

«من علمنی حرفا فقد صیرنی عبدا».و علی هذا ینبغی ان یکون حب النبی (ص)و اوصیائه الراشدین-علیهم السّلام-اوکد من جمیع اقسام الحب بعد محبه اللّه-سبحانه-،لأنه المعلم الحقیقی و المکمل الأول،و لذا قال(ص):

«لا یؤمن أحدکم حتی أکون أحب إلیه من نفسه و أهله و ولده».

التاسع-محبه المتشارکین فی سبب واحد بعضهم لبعض،

کمحبه الاخوان و الأقارب.و کلما کان السبب أقرب کانت المحبه اوکد،و لذا تکون محبه الاخوین أشد من محبه أبناء الاعمام مثلا،و من عرف اللّه و انتساب الکل إلیه،و بلغ مقام التوحید،و عرف النسبه و الربط الخاص الذی بین اللّه و بین مخلوقاته،یحب جمیع الموجودات من حیث اشتراکه معها فی الموجد الحقیقی. ثم قد یجتمع بعض أسباب المحبه أکثرها فی شخص واحد، فیتضاعف الحب،کما لو کان لرجل ولد جمیل الصوره،حسن الخلق،کامل العلم،حسن التدبیر،محسن إلی والده و إلی الخلق،کان حب والده له فی غایه الشده،لاجتماع أکثر أسباب الحب فیه،و ربما أحب شخصا آخر لوجود بعض أسباب الحب فیه من دون عکس،لعدم تحقق سبب من أسباب الحب فیه،و قد تختلف فیهما أسباب الحب،فیحب کل منهما الآخر من جهه،و تکون قوه الحب بقدر قوه السبب،فکلما کان السبب أکثر و أقوی کان الحب أشد و اوکد.

فصل (لا محبوب حقیقه الا اللّه)

اعلم انه لا مستحق للحب غیر اللّه-سبحانه-،و لا محبوب بالحقیقه عند ذوی البصائر الا هو،و لو کان غیره-تعالی-قابلا للحب و موضعا له فانما هو

من حيث نسبته إليه-تعالى-،فمن أحب غيره-تعالى-لا من حيث نسبته اليه،فذلك لجهله و قصوره فى معرفه اللّه،و كيف يكون غيره-سبحانه- من حيث هو،لا من جهه انتسابه إليه،مستحقا للحب،و هو فى نفسه مع قطع النظر عنه-تعالى-و عن انتسابه إليه ليس الا العدم،و العدم كيف يصلح للحب،فينبغى ان يكون حبه لعموم الخلق بعموم النسبه،اى من حيث أنها منه-تعالى-،و آثاره،و معلولاته،و اضوائه و اظلاله،و لخصوص بعض الخواص الذين لهم خصوصيه نسبه إليه-تعالى-،كالحب،و الانس، و المعرفه،و الاطاعه لخصوص النسبه أيضا.

و مما يوضح المطلوب:ان جميع أسباب الحب مجتمعه فى حق اللّه-تعالى-، و لا توجد فى غيره حقيقه،و وجودها فى حق غيره و هم و تخيل و مجاز محض لا حقيقه له.

اما السبب الأول-اعنى محبه النفس:فمعلوم ان وجود كل أحد فرع لوجود ربه و ظل له،و لا وجود له من ذاته،بل هو من حيث ذاته ليس محض و عدم صرف،فوجوده و دوام وجوده و كمال وجوده من اللّه و باللّه و إلى اللّه،فهو الموجد المخترع له،و هو المبقى له،و هو المكمل لوجوده بايجاد صفات الكمال فيه،فهو صرف العدم لولا فضل اللّه عليه بالايجاد، و هالك بعد وجوده لو لا فضله عليه بالابقاء،و ناقص بعد بقائه لولا فضله عليه بالتكميل،فليس فى الوجود شىء له قوام بنفسه الا القيوم المطلق الذى هو قائم بذاته و مقوم لغيره.و حينئذ،فمحبه كل شىء لنفسه ترجع إلى محبه ربه،و ان لم يشعر المحب به،و كيف يتصور ان يحب الإنسان نفسه و لا يحب ربه الذى به قوام نفسه؟مع ان من أحب الظل أحب بالضروره الأشجار التى بها قوام الظل،و من أحب النور أحب لا محاله

الشمس التى بها قوام النور،و كل ما فى الوجود بالإضافه إلى قدره اللّه-تعالى- كالظل بالإضافه إلى الشجر و النور بالإضافه إلى الشمس،اذ الكل من آثار قدرته،و وجوده تابع لوجوده،كما ان وجود الظل تابع لوجود الشخص، و وجود النور تابع لوجود الشمس،بل هذا المثال انما هو للتفهم،و بالإضافه إلى اوهام العوام،حيث يتوهمون ان الظل و النور تابعان للشخص و الشمس و فايضان عنهما،و عند التحقيق ليس الظل و النور أثرين للشخص و الشمس و موجودين بهما،بل هما فايضان من اللّه-تعالى-،موجودان به بعد حصول الشرائط، كما ان أصل الشخص و الشمس و شكلهما و صورتهما و سائر صفاتهما منه-تعالى- و اما السبب الثانى،و الثالث-اعنى الالتذاذ و الإحسان،سواء كان متعديا إلى المحب أم لا:فمعلوم انه لا لذه و لا إحسان الا من اللّه-تعالى-، و لا محسن سوى اللّه،فانه خالق الإحسان و ذويه،و فاعل أسبابه و دواعيه، و كل محسن فهو حسنه من حسنات قدرته و حسن فعاله،و قدره من بحار كماله و أفضاله.

و اما الرابع-اعنى الحسن و الجمال و الكمال:فلا ريب فى انه-تعالى- هو الجميل بذاته و الكامل بذاته،و هو الجمال الخالص،و الكمال المطلق، و حقيقتهما منحصره به-تعالى-،و ما يوجد فى غيره-تعالى-من الجمال و الكمال لا يخلو عن شوائب الخلل و النقصان،اذ النقص شامل لجميع الممكنات و انما تتفاوت فى درجات النقص.و قد عرفت ان الجمال المعنوى أقوى من الجمال الصورى،و من كان من أهل البصيره و الكمال يكون حبه للجمال الباطن المعنوى أكثر و أقوى من حبه للجمال الصورى،و حقيقه الجمال المعنوى الذى هو وجوب الوجود،و كمال العلم و القدره،و الاستيلاء على الكل،و استناد الجميع إليه،منحصر باللّه-تعالى-،فإذا كان الجمال

المشوب بالنقص محبوبا،فکیف لا یکون الجمال الخالص البحت الذی لا یتصور جمال فوقه محبوبا،بل المحبوب حقیقه لیس الا هو.

بادهٔ خاک آلودتان مجنون کند

صاف اگر باشد ندانم چون کند (۱)

علی ان کل جمیل بالجمال الظاهر الصوری،او بالجمال الباطن المعنوی، رشحه من رشحات جماله،و کل کامل فکماله فرع کماله،فکل من أحب جمیلا۔ أحب خالقه و ما أحب أحدا غیر اللّه-تعالی-،لکنه احتجب عنه تحت وجوه الاحباب و استار الأسباب،هذا مع ان عمده جمال المخلوقین انما هو علمهم باللّه و بصفاته و افعاله،و قدرتهم علی الصلاح نفوسهم بازاله الرذائل و الخبائث الشهویه المانعه عن التقرب إلی اللّه-تعالی-،و باتصافهم بمعالی الصفات و شرائفها المقربه إلی اللّه،و علی إصلاح عباد اللّه بالارشاد و السیاسه،و معلوم ان هذه الأمور اضافات إلی اللّه-سبحانه-،فحبها یرجع إلی حبه-تعالی-.

و اما الخامس-اعنی المناسبه الخفیه و المجانسه المعنویه:فلا ریب فی ان للنفس الناطقه الإنسانیه مناسبه مجهوله خفیه مع باریها و موجدها،اذ هی شعله من شعلات جلاله،و بارقه من بوارق جماله،و لذا قال اللّه-سبحانه-:

قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی

(۲)

.و قال: إِنِّی جٰاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَةً (۳).

اذ لم یستحق آدم خلافه اللّه لا بتلک المناسبه،و بهذه المناسبه ینقطع العبد إلی ربه،و یعرفه عند ابتلائه بمصیبه و بلیه،و هذه المناسبه لا تظهر

۱- ۱) ان خمرکم الملوث بالغبار یجننی!! فلست ادری ما هو مفعوله ان کان صافیا؟!!

۲- ۲) بنی أسرائیل،الآیه:۸۵.

۳- ۳) البقره:الآیه:۳۰.

ظهورا تاما إلا بالمواظبه على النوافل بعد احكام الفرائض،كما قال اللّه -تعالى-:«لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه،فإذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به،و بصره الذى يبصر به،و لسانه الذى ينطق به».و هذا موضع تزل فيه الاقدام،حتى وقع قوم فى التشبيه الظاهر،و آخرون فى الحلول و الاتحاد،و أهل الحق الذين انكشفت لهم استحاله التشبيه و الاتحاد، و فساد طرفى التفريط و الإفراط،و اتضحت لهم حقيقه السر،و عرفوا تلك المناسبه و استقاموا عليها:هم الاقلون.ثم من المناسبه الظاهره التى بين العبد و بين ربه هو قرب العبد من اللّه فى الصفات الربوبيه و الأخلاق الإلهيه:

كالعلم،و البر،و الإحسان،و اللطف،و إفاضه الخير و الحرمه على الخلق، و إرشادهم إلى الحق...الى غير ذلك من الصفات الإلهيه،و لذا قيل:

تخلقوا باخلاق اللّه.و لا ريب فى ان ذلك يقرب العبد إلى اللّه،و يصيره مناسبا له.و اما العليه و المعلوليه فالامر فيه ظاهر،و باقى الأسباب أسباب ضعيفه نادره،اعتبارها فى حق اللّه نقص.

و قد ظهر مما ذكر:أن أسباب الحب بجملتها متظاهره فى حق اللّه-تعالى- تحقيقا لا مجازا،و فى أعلى الدرجات لا ادناها.ثم كل من يحب أحدا من الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور ان يحب غيره لمشاركته إياه فى السبب.

و الشركه نقصان فى الحب،لا يتصف أحد بوصف محبوب إلا و يوجد شريك له فيه،و اللّه-سبحانه-هو الذى لا يشاركه غيره فى اوصاف الكمال و الجمال،لا وجودا و لا امكانا،فلا جرم لا يكون فى حبه شركه،فلا يتطرق إليه نقصان،كما لا تتطرق الشركه و النقصان إلى اوصاف كماله،فهو المستحق لاصل المحبه و كمالها،و لا متعلق للمحبه إلا هو،إلا انه لا يعرف ذلك إلا العارفون من أوليائه و احبائه،كما قال سيد الشهداء(عليه السّلام)

فی دعاء عرفه بقوله:«و أنت الذی ازلت الاغیار عن قلوب احبائک،حتی لم یحبوا سواک،و لم یلجأوا إلی غیرک».

تکمیل (الشهود التام هو نهایه درجات العشق)

قد صرح اساطین الحکمه:«ان الأشیاء المختلفه لا یمکن ان یحصل بینها تشاکل و تآلف تام حتی یحصل بینها الاتحاد و المحبه،و اما الأشیاء المتماثله المتشاکله فیشتاق بعضها إلی بعض و یسر بعضها ببعض،و یحصل بینها التآلف و الحب و الوحده و الاتحاد».

و التوضیح:ان الجواهر البسیطه لتشاکلها و تماثلها یحن بعضها إلی بعض فیحصل بینها التآلف التام،و التوحد الحقیقی فی الذوات و الحقائق،بحیث یرتفع عنها التغایر و الاختلاف،إذ التغایر من لوازم المادیه.و اما المادیات فلا یمکن ان یحصل بینها هذا التآلف و التوحد،و لو حصل بینهما تآلف و شوق،فانما هو بتلاقی السطوح و النهایات دون الحقائق و الذوات،و لیس یمکن ان یبلغ مثل هذه الملاقاه إلی درجه الاتحاد و الاتصال فیحصل بینها الانفصال.فالجوهر البسیط المودع فی الإنسان-اعنی النفس الناطقه-اذا صفی عن الکدورات الطبیعیه،و تطهر عن الاخباث الجسمانیه،و تخلی عن حب الشهوات و العلائق الدنیویه،انجذب بحکم المناسبه إلی عالم القدس، و حدث فیه شوق تام إلی اشباهه من الجواهر المجرده،و یرتفع منها إلی ما هو فوق الکل و منبع جمیع الخیرات،فیستغرق فی مشاهده الجمال الحقیقی، و مطالعه جمال الخیر المحض،و ینمحی فی أَنوار تجلیاته القاهره،و یصل إلی مقام التوحید الذی هو نهایه المقامات،فیفیض علیه من أَنواره ما لا عین رأت،و لا إذن سمعت،و لا خطر علی خاطر،فیحصل له من البهجه و اللذه

ما یضمحل عنده کل بهجه و لذه،و النفس التی بلغت هذا المقام لا یتفاوت حالها کثیرا فی حالتی التعلیق بالبدن و التجرد عنه،إذ استعمال القوی البدنیه لا یصدها عن ملاحظه الجمال المطلق،و ما یحصل لغیرها من السعاده فی الآخره یحصل لها فی هذه النشأه:

امروز در آن کوش که بینا باشی

حیران جمال آن دلارا باشی

شرمت بادا چو کودکان در شب عید

تا چند در انتظار فردا باشی؟

[۱] نعم،الشهود التام،و الابتهاج الصافی عن الشوب،یتوقف علی تجردها الکلی عن البدن،فانها و إن لا حظت بنور البصیره فی هذه النشأه جمال الوحده الصرفه،إلا أن ملاحظتها لا تخلو عن شوائب الکدره الناشیه من الطبیعه، فالصفاء التام یتوقف علی التجرد الکلی،و لذا تشتاق أبدا إلی رفع هذا الحجاب،و یقول:

حجاب چهرهٔ جان میشود غبار تنم

خوشا دمی که از این چهره پرده بر فکنم

چنین قفس نه سرای چو من خوش الحانی است

روم بروضهٔ رضوان که مرغ آن چمنم

[۲]

و هـذه المحبه نهـايه درجات العشق،و غايه الكمال المتصوره لنوع الإنسان،و ذروه مقامات الواصـلين،و غايه مراتب الكاملين،فما بعـدها مقام إلا و هو ثمره من ثمراتها،كالانس و الرضا و التوحيـد،و لا قبلها مقام إلا و هو مقدمه من مقدماتها،كالصبر و الزهد و سائر المقامات،و هذا العشق هو الذى افرط العرفاء و أرباب الذوق فى مدحه،و بالغوا فى الثناء عليه نثرا و نظما.

و صرحوا بأنه غايه الاتحاد و الكمال المطلق،و لا كمال إلا هو،و لا سعاده الا به،كما قيل:

عشق است هر چه هست بگفتيم و گفته اند

عشقت بوصل دوست رساند بضرب دست

[۱] و قيل:

جز محبت هر چه بردم سود در محشر نداشت

دين و دانش عرض كردم كس بچيزى بر نداشت[۲]

فصل (سريان الحب فى الموجودات)

أكثر اقسـام المحبـه فطريـه طـبيعيه،كمحبه المتنـاسبين و المتجانسـين،و العله و المعلـول،و محبه الجمـال و غير ذلـك،و الارادى الكسبى منهـا قليـل،كمحبه المتعلم للمعلم،و ربمـا أمكن ارجـاعه أيضـا إلى الطبيعى.و إذا كـان الحب طبيعيـا فالاتحاد الـذى من مقتضياته يكون أيضا طبيعيا،فيكون لذلك أفضل من

العداله التی تقتضی الاتحاد الصناعی.ثم مع وجود المحبه لا حاجه إلی العداله إذ هی فرع الکثره المحوجه إلی الاتحاد القشری،فمع وجود الاتحاد الطبیعی لا یقع الاحتیاج إلیه،و قد صرح قدماء الحکمه بأن قوام الموجودات و انتظامها بالمحبه،و المحبه الفطریه ثابته بینها،و لیس شیء من الموجودات خالیا عنها کما أنه لیس شیء منها خالیا عن الوجود و الوحده،و قد صرّحوا بأنه کل الوحده،فهو سار فی جمیع الکائنات:من الأفلاک و العناصر و المرکبات،إذ الحب و الشوق إلی التشبه بالفاعل رقص الأفلاک و ادار رحاها، (بسم اللّه مجراها و مرساها) و الحب هو سبب میل العناصر إلی اجسادها الطبیعیه، و میل المرکبات بعضها إلی بعض:

سرّ حب ازلی بر همه اشیا ساریست

ورنه بر گل نزدی بلبل بیدل فریاد

[۱] ثم لما کانت المحبه التی هی ظل الوحده مقتضیه للبقاء و الکمال،و ضدها موجبا للفساد و الاختلال،و لکل منهما مراتب و درجات،فتختلف الموجودات بحسبها فی درجات الکمال و النقصان.و المتأخرون خصصوا الحب بذوی العقول،فلا یطلقون اسم الحب علی میل العناصر إلی مراکزها و میل المرکبات بعضها إلی بعض،کمیل الحدید إلی المغناطیس،و لا اسم الکراهه و البغض علی المنافره التی بینها،کمنافره الحجر الباغض الحل من الحل،بل یسمونها بالمیل و الهرب،و کذا الموافقه و المعاداه اللتین بین العجم من الحیوانات،لا یطلقون علیها اسم الحب و البغض،بل یسمونها بالألف و النفره.

ص :۱۴۹

فصل (رد المنكرين لحب اللّه)

قد ظهر مما ذكر:ثبوت حقيقه المحبه و لوازمها من الشوق و الانس للّه -تعالى-،و أنه المستحق للحب دون غيره،و بذلك ظهر فساد زعم من أنكر إمكان حصول محبه العبد اللّه-تعالى-و قال:«لا معنى لها إلا المواظبه على طاعه اللّه،و اما حقيقه المحبه فمحال الا مع الجنس و المثل».

و لما أنكروا المحبه،أنكروا الأنس و الشوق و لذه المناجاه و سائر لوازم الحب و توابعه،و يدل على فساد هذا القول-مضافا إلى ما ذكر-إجماع الأمه على كون الحب للّه و لرسوله فرضا،و ما ورد في الآيات و الأخبار و الآثار من الأمر به و المدح عليه،و اتصاف الأنبياء و الأولياء به،و حكايات المحبين،و قد بلغت من الكثره و الصراحه حدا لا يقبل الكذب و التأويل، فمن شواهد القرآن قوله-تعالى-:

يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ

(۱)

.و قوله: وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ (۲).و قوله-تعالى-: قُلْ إِنْ كٰانَ آبٰاؤُكُمْ وَ أَبْنٰاؤُكُمْ وَ إِخْوٰانُكُمْ وَ أَزْوٰاجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ...

-الى قوله-: أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ... الى آخر الآيه (۳).

و أما الاخبار الوارده و الآثار،فقد قال رسول اللّه(ص):«لا يؤمن

۱- ۱) المائده،الآيه:۵۷.

۲- ۲) البقره،الآيه:۱۶۵.

۳- ۳) التوبه،الآيه:۲۵.

أحدکم حتی یکون اللّه و رسوله أحب إلیه مما سواهما».و قال(ص):«الحب من شروط الایمان».و قال(ص):«احبوا اللّه لما یغدوکم به من نعمه، و احبونی لحب اللّه».و قد نظر(ص)الی بعض أصحابه مقبلا و علیه اهاب کبش،فقال(ص):«انظروا إلی هذا الرجل الذی قد نور اللّه قلبه،لقد رأیته بین أبویه یغذوانه بأطیب الطعام و الشراب،فدعاه حب اللّه و حب رسوله إلی ما ترون». و قال(ص)فی دعائه:«اللهم ارزقنی حبک و حب من یحبک و حب من یقربنی إلی حبک،و اجعل حبک أحب الی من الماء البارد». و فی الخبر المشهور:«ان إبراهیم(ع)قال لملک الموت،اذ جاءه لقبض روحه:هل رأیت خلیلا یمیت خلیله؟فأوحی اللّه- تعالی-الیه:

هل رأیت محبا یکره لقاء حبیبه؟فقال:یا ملک الموت:الآن فاقبض».

و أوحی اللّه إلی موسی(ع):«یا ابن عمران!کذب من زعم انه یحبنی فإذا جنه اللیل نام عنی،الیس کل محب یحب خلوه حبیبه،ها انا ذا یا ابن عمران مطلع علی احبائی،اذا جنهم اللیل حولت أبصارهم إلی من قلوبهم،و مثلت عقوبتی بین أعینهم،یخاطبونی عن المشاهده،و یکلمونی عن الحضور،یا ابن عمران!هب لی من قلبک الخشوع،و من بدنک الخضوع،و من عینک الدموع فی ظلم اللیل،فانک تجدنی قریبا». و روی:«ان عیسی(ع)مرّ بثلاثه نفر قد نحلت أبدانهم و تغیرت الوانهم،فقال لهم:ما الذی بلغ بکم ما أری؟فقالوا:الخوف من النار،فقال:حق علی اللّه ان یؤمن الخائف.

ثم جاوزهم إلی ثلاثه أخری،فإذا هم أشدّ نحولا و تغیرا،فقال لهم:ما الذی بلغ بکم ما أری؟فقالوا:الشوق إلی الجنه،فقال:حق علی اللّه ان یعطیکم ما ترجون.ثم جاوزهم إلی ثلاثه أخری،فإذا هم أشد نحولا و تغیرا،کأن علی وجوههم المرایا من النور،فقال:ما الذی بلغ بکم ما أری؟قالوا:حب

اللّه-عز و جل-،فقال:انتم المقربون».و فی بعض الروایات:«انه(ع) قال للطائفتین الأولیین:مخلوقا خفتم،و مخلوقا رجوتم.و قال للطائفه الثالثه:

انتم أولیاء اللّه حقا،معکم أمرت ان أقیم». و قال رسول اللّه(ص):«ان شعیبا(ع)بکی من حب اللّه-عز و جل-حتی عمی،فرد اللّه علیه بصره،ثم بکی حتی عمی،فرد اللّه علیه بصره،فلما کانت الرابعه أوحی اللّه إلیه:یا شعیب! الی متی یکون هذا ابدا منک،ان یکن هذا خوفا من النار فقد أجرتک،و ان یکن شوقا إلی الجنه فقد أبحتک.فقال:إلهی و سیدی!أنت تعلم انی ما بکیت خوفا من نارک،و لا شوقا إلی جنتک،و لکن عقد حبک علی قلبی، فلست اصبر او اراک.فاوحی اللّه:اما إذا کان هذا هکذا سأخدمک کلیمی موسی بن عمران».و روی:«انه جاء اعرابی إلی النبی(ص)فقال:

یا رسول اللّه!متی الساعه؟فقال(ص):ما اعددت لها؟قال:ما اعددت لها کثیر صلاه و لا صیام،إلا انی أحب اللّه و رسوله،فقال له النبی:المرء مع من أحب». و فی اخبار داود:«قل لعبادی المتوجهین إلی محبتی:ما ضرکم إذا احتجبتم عن خلقی إذ رفعت الحجاب فیما بینی و بینکم حتی تنظروا الی بعیون قلوبکم،و ما ضرکم ما زویت عنکم من الدنیا إذ بسطت دینی لکم، و ما ضرکم مسخطه الخلق إذ التمستم رضای».و فیها أیضا:«یا داود!انک تزعم انک تحبنی،فان کنت تحبنی فاخرج حب الدنیا عن قلبک،فان حبی و حبها لا یجتمعان فی قلب».و قال أمیر المؤمنین(ع)فی دعاء کمیل:«فهبنی یا الهی و سیدی و مولای و ربی صبرت علی عذابک،فکیف اصبر علی فراقک؟». و قال -علیه السّلام-:«ان للّه-تعالی-شرابا لأولیائه،اذا شربوا سکروا،و إذا سکروا طربوا،و إذا طربوا طابوا،و إذا طابوا ذابوا،و إذا ذابوا خلصوا، و إذا خلصوا طلبوا،و إذا طلبوا وجدوا،و إذا وجدوا و صلوا،و إذا وصلوا

اتصلوا،و إذا اتصلوا لا ـ فرق بينهم و بين حبيبهم» (۱). و قال سيد الشهداء فی دعاء عرفه:«أنت الذی أزلت الأغيار عن قلوب احبائک حتی لم يحبوا سواک و لم يلجأوا إلی غيرک».و قال(ع):«يا من أذاق احباءه حلاوه المؤانسه فقاموا بين يديه متملقين».و فی المناجاه الانجيليه المنسوبه إلی سيد الساجدين(ع):«و عزتک!لقد أحببتک محبه استقرت فی قلبی حلاوتها، و انست نفسی ببشارتها،و محال فی عدل أقضيتک أن تسد أسباب رحمتک عن معتقدی محبتک».و فی مناجاته الأخری:«إلهی فاجعلنا من الذين توشحت اشجار الشوق إليک فی حدائق صدورهم،و أخذت لوعه محبتک بمجامع قلوبهم»...ثم قال:«و الحقنا بعبادک الذين هم بالبدار إليک يسارعون، و بابک علی الدوام يطرقون،و إياک فی الليل و النهار يعبدون،و هم من هيبتک مشفقون،الذين صفيت لهم المشارب،و بلغتهم الرغائب،و انجحت لهم المطالب،و قضيت لهم من وصلک المآرب،و ملأت لهم ضمائرهم من حبک، و رويتهم صافی شرابک،فبک إلی لذيذ مناجاتک وصلوا،و منک علی أقصی مقاصدهم حصلوا»...ثم قال:«فقد انقطعت إليک همتی،و انصرفت نحوک رغبتی،فأنت لا غيرک مرادی،و لک لا سواک سهری و سهادی.

و لقاؤک قره عينی،و وصلک منی نفسی،و إليک شوقی،و فی محبتک و لهی، و إلی هواک صبابتی،و رضاک بغيتی،و رؤيتک حاجتی،و جوارک طلبی، و قربک غايه مسألتی،و فی مناجاتک روحی و راحتی،و عندک دواء علتی، و شفاء غلتی،و برد لوعتی،و کشف کربتی»...ثم قال:«و لا تقطعنی عنک،و لا تباعدنی منک،يا نعيمی و جنتی!و يا دنيای و آخرتی!».

و قال(ع)أيضا:«إلهی!من ذا الذی ذاق حلاوه محبتک فرام منک بدلا،

۱- ۱) لم نعثر علی مصدر لهذه الروايه فی کتب أصحابنا الإماميه-رضوان اللّه عليهم-.

و من ذا الـذی أنس بقربـک فابتغی عنک حولا،إلهی!فاجعلنی ممن اصـطفیته لقربک و ولایتک،و أخلصـته لودک و محبتک،و شوقته إلی لقائک،و رضیته بقضائک،و منحته بالنظر إلی وجهک،و حبوته برضاک،و أعذته من هجرک»...ثم قال:«و هیمت قلبه لارادتک،و اجتبیته لمشاهـدتک، و اخلیت وجهه لک،و فرغت فؤاده لحبک»...ثم قال:«اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتیاح إلیک و الحنین،و دهرهم الزفره و الأنین،و جباهم ساجده لعظمتک،و عیونهم ساهره فی خدمتک،و دموعهم سائله من خشیتک و قلوبهم معلقه محبتک،و افئدتهم منخلعه من مهابتک.یا من أَنوار قدسه لأبصار محبیه رائقه،و سبحات نور وجهه لقلوب عارفیه شائقه!یا منی قلوب المشتاقین،و غایه آمال المحبین!أسألک حبک و حب من یحبک و حب کل عمل یوصل إلی قربک،و أن تجعلک أحب إلی ممن سواک». و قال(ع) أیضا:«إلهی!ما ألـذ خواطر الإلهام بذکرک علی القلوب،و ما أحلی المسیر الیک فی مسالک الغیوب،و ما أطیب طعم حبک،و ما أعذب شرب قربک».

و قال(ع)أیضا:«و غلتی لا یبردها إلا وصلک،و لوعتی لا یطفیها إلا لقاؤک و شوقی إلیک لا یبله إلا النظر إلی وجهک،و قراری لا یقر دون دنوی منک، و لهفتی لا یردها إلا روحک،و سقمی لا یشفیه الا طبک،و غمی لا یزیله لا قربک،و جرحی لا یبرؤه إلا صفحک،و رین قلبی لا یجلوه إلا عفوک، و وسواس صدری لا یزیحه إلا أمرک» (۱). و قال الصادق(ع):«حب اللّه إذا أضاء علی سر عبد أخلاه عن کل شاغل و کل ذکر سوی اللّه،و المحب أخلص الناس سرا للّه،و أصدقهم قولا،و أوفاهم عهدا،و أزکاهم عملا،

۱- ۱) صححنا فقرات المناجاه الانجیلیه و المناجاه الأخری علی(البحار) باب أدعیه المناجاه:مج ۱۹-۱۰۷-۱۱۴،ط امین الضرب.

و أصفاهم ذكرا،و اعبدهم نفسا،تتباهى الملائكه عند مناجاته،و تفتخر برؤيته،و به يعمر اللّه بلاده،و بكرامته يكرم اللّه عباده،و يعطيهم اذا سألوه بحقه،و يدفع عنهم البلايا برحمته،و لو علم الخلق ما محله عند اللّه و منزلته لديه ما تقربوا إلى اللّه إلا بتراب قدميه». و قال امير المؤمنين(ع):«حب اللّه نار لا يمر على شيء إلا احترق،و نور اللّه لا يطلع على شيء الا اضاء،و سماء اللّه ما ظهر من تحته شيء إلا غطاه، و ريح اللّه ما تهب فى شيء الا حركته،و ماء اللّه يحيى به كل شيء،و ارض اللّه ينبت منها كل شيء،فمن أحب اللّه أعطاه كل شيء من الملك و الملك».

و قال النبى(ص):«إذا أحب اللّه عبدا من أمتى قذف فى قلوب اصفيائه و ارواح ملائكته و سكان عرشه محبته ليحبوه،فذلك المحب حقا،طوبى له ثم طوبى له!و له عند اللّه شفاعه يوم القيامه» (۱).الى هنا كلام الصادق -عليه السّلام-.و ما ورد فى الحب من الاخبار و الأدعيه المعصوميه أكثر من أن يحصى،و حكايات العشاق و المحبين لم تبلغ من الكثره و التواتر حدا يمكن إنكاره، و قد روى:«أن داود-عليه السّلام-سأل ربه أن يريه بعض أهل محبته،فقال له:أنت جبل لبنان،فان فيه أربعه عشر نفسا،فيهم شبان و كهول و مشايخ،و إذا أتيتهم فاقرأهم منى السّلام،و قل لهم:يقول ربكم:ألا تسألونى حاجه،فانكم احبائى و اصفيائى و أوليائى،افرح لفرحكم و اسارع إلى محبتكم.فاتاهم داوود،فوجدهم عند عين من العيون، يتفكرون فى عظمه اللّه و ملكوته،فلما نظروا إلى داود،نهضوا ليتفرقوا عنه، فقال لهم داود:انا رسول اللّه إليكم،جئتكم لا بلغكم رساله ربكم.فاقبلوا

۱- ۱) صححنا الأحاديث الثلاثه على(مصباح الشريعه)-الباب السابع و التسعون،ص ۱۹۳.

نحوه،و القوا اسماعهم نحو قوله،و القوا أبصارهم إلى الأرض،فقال داوود:ربكم يقرؤكم السّلام،و يقول لكم:ألا- تسألونى حاجه،ألاّ- تنادونى فاسمع صوتكم و كلامكم؟فانكم احبائى و اصفيائى و أوليائى،افرح لفرحكم و اسارع إلى محبتكم،و انظر إليكم فى كل ساعه نظر الوالده الشفيقه الرفيقه.و لما قال داود ذلك جرت الدموع على خدودهم،و سبح اللّه كل واحد منهم و مجده،و ناجاه بكلمات تدل على احتراق قلوبهم من الحب و الشوق».

فصل (معرفه اللّه أقوى سائر اللذات)

قد عرفت ان الحب هو الميل إلى الشىء الملذ الملائم للمدرك و الابتهاج بادراك الملائم و نيله،و اللذه هى نفس ادراك الملائم الملذ و نيله،و هذا الإدراك إن كان متعلقا بالقوه العاقله-اى ان كان المدرك هو القوه العاقله- عبر عنه بالعلم و المعرفه،و قد عرفت انه أقوى و أشد و أشرف من الادراكات الحسيه،التى هى الابصار و الاستماع و الذوق و الشم و اللمس.

ثم هذا الإدراك-اعنى العلم و المعرفه-يختلف أيضا فى الشرافه و الكمال بحسب شرافه المدرك،أى المعلوم.فكلما كان المدرك اجل و أشرف كان الإدراك-اى المعرفه به-اجل و أعلى.و لا ريب فى ان الواجب -سبحانه-أشرف الموجودات و اجلها.فالمعرفه به أعلى المعارف و اشرفها.

و يثبت من ذلك:ان اجل اللذات و اعلاها هو معرفه اللّه-تعالى-و النظر الى وجهه الكريم،و لا يتصور ان يؤثر عليها لذه أخرى الا من حرم هذه اللذه. و بيان ذلك بوجه أوضح:ان اللذات تابعه للادراكات،و الإنسان جامع لجمله من القوى و الغرائز،و لكل قوه و غريزه لذه،و لذتها عباره عن نيلها مقتضى طبعها الذى خلقت له،فغريزه الغضب لما خلقت

للتشـفی و الانتقام،فلا جرم لذتها فی الغلبه و الانتقام،و غریزه الشـهوه لما خلقت لتحصیل الغذاء الذی به القوام،فلا جرم لذتها فی نیل الغذاء، و کذلک لذه السـمع و البصـر و الشم فی الاسـتماع و الابصار و الاستشـمام، و غریزه العقل المسـماه بالبصیره الباطنیه خلقت لتعلم بها حقائق الأشـیاء کلها،فلذتها فی العلم و المعرفه،و العلم لکونه منتهی الکمال و أخص صفات الربوبیه،یکون أقوی اللذات و الابتهاجات،و لذلک یرتاح الطبع إذا أثنی علیه بالذکاء و غزاره العلم،لأنه یستشـعر عند سـماع الثناء کمال ذاته و جمال علمه،فیعجب بنفسه،و یلتذ به.

و التحقیق:ان الإدراک و النیل الذی هو الکمال لیس إلا العلم،و سائر الادراکات-اعنی نیل الغلبه و الغذاء و الاسـماع و الابصار و الاستشـمام-لا تعـد کمالات.ثم لیست لـذه کل حلو واحده،فان لذه العلم بالحراثه و الخیاطه و الحیاکه لیست کلذه العلم بسیاسـه الملک و تدبیر أمور الخلق،و لا لذه العلم بالنحو و الشعر و التواریخ کلذه العلم باللّه و بصـفاته و ملائکته و ملکوت السماوات و الأرض،بل لـذه العلم بقـدر شـرف العلم،و شـرف العلم بقـدر شـرف المعلوم،فان کان فی المعلومات ما هو الأشـرف و الأجل و الأعظم و الأکمل، فالعلم به ألذ العلوم و اشـرفها و اکملها و اطیبها،و لیت شـعری هل فی الوجود شیء أعلی و أجمل و أشرف و اکمل من خالق الأشیاء کلها و قیومها،و مکملها و مربیها،و مبـدئها و معیدها،و مدبرها و مرتبها؟!و هل یتصور أن یکون أحد فی الملـک و الکمال و العظمه و الجلال و القـدره و الجمال و الکبریاء و البهاء أعظم ممن ذاته فی صـفات الکمال و نعوت الجلال فوق التمـام،و قـدرته و عظمته و ملکه و علمه غیر متنـاهیه؟فـان کنت لاـ تشک فی ذلک،فینبغی الا تشک فی أن لـذه المعرفه به أقوی من سائر اللذات لمن له البصیره الباطنه و غریزه

المعرفه،فان اللذات مختلفه بالنوع أولا،كمخالفه لذه الوقاع و لذه السماع، و لذه المعرفه و لذه الرئاسه،و كل نوع مختلف بالضعف و القوه،كمخالفه لذه الشبق المغتلم (۱)من الجماع،و لذه الفاتر الشهوه منه،و كمخالفه لذه النظر إلى الوجه الجميل و لذه النظر إلى الوجه الاجمل،و مخالفه لذه العلم باللغات و لذه العلم بالسماويات،و إنما يعرف أقوى اللذتين من اضعفهما بأن يؤثر عليه،فان المخير بين النظر إلى صوره جميله و بين استنشاق روايح طيبه، اذا اختار الأول كان عنده الذهن الثانى،و المخير بين الأكل و اللعب بالشطرنج،اذا اختار الثانى كانت لذه الغلبه فى الشطرنج أقوى عنده من لذه الأكل،و هذا معيار فى الكشف عن ترجيح اللذات.

و حينئذ نقول:لا ريب فى ان المعانى و اللذات الباطنه اغلب على ذوى الكمال من اللذات الظاهره،فلو خير الرجل بين لذه أكل المطاعم الطيبه و لذه الرئاسه و الاستيلاء،فان كان عالى الهمه كامل العقل،اختار الرئاسه و ترك الأكل،و صبر على الجوع أياما كثيره فضلا عن مده قليله.نعم،ان كان خسيس الهمه ميت القلب،ناقص العقل و البصيره،كالصبى و المعتوه، ربما اختار لذه الأكل،و فعل مثله ليس حجه.ثم كما ان لذه الرئاسه و الكرامه اغلب و أرجح من اللذات الحسيه عند من جاوز نقصان الصبى و السفاهه،فكذلك لذه المعرفه باللّه و مطالعه جمال الحضره الربوبيه الذعنده من لذه الرئاسه،بشرط أن يكون ممن ذاق اللذتين و ادركهما،فلو كان ممن لم يذق لذه المعرفه باللّه لم يكن أهلا للترجيح و محلا للكلام،لاختصاص لذه المعرفه بمن نال رتبتها و ذاقها،و لا يمكن إثبات ذلك عند من ليس له

۱- ۱) الغلمه-وزان غرفه-:شده الشهوه.و غلم غلما:من باب تعب، اذا اشتد شبقه.المغتلم:المنقاد للشهوه.

قلب،کما لا تثبت لـذه الابصار عنـد الأعمی،و لـذه الاسـتماع عنـد الأصم، و لـذه الوقاع عنـد العنین،و لـذه الرئاسه عنـد الصبی و المعتوه،و لیت شعری من لا- یفهم إلا- حب المحسوسات کیف یؤمر بلـذه النظر إلی وجه اللّه-تعالی- و لیس له شـبه و شـکل و صـوره؟فحقیقه الحـال کمـا قیـل:«من ذاق عرف»، فمن ذاق اللـذتین یـترک لـذه الرئـاسه قطعـا،و یسـتحقر أهلهـا لکونهـا مشـوبه بالکـدورات و مقطوعه بـالموت،و یختـار لـذه المعرفه بـاللّه،و مطـالعه صـفاته و افعـاله،و نظام مملکته من أعلی علیین إلی اسـفل السـافلین،فانهـا خالیه عن الانقطاع و المکـدرات،متسـعه للمتواردین علیها،لا تضـیق بکثرتهم دائما، و عرضـها من حیث التفهیم و التمثیل أعظم من السـماوات و الأرض،و من حیث الواقع و نفس الامر فلا نهایه لعرضـها،فلا یزال العارف بمطالعتها و مشاهـدتها فی جنه غیر متنـاهیه الأطراف و الاقطار،یرتع فی ریاضـها، و یکرع (۱)فی حیاضـها،و یقطع من اثمارها،و هو آمن من انقطاعها،إذ ثمارهـا غیر مقطـوعه و لا- ممنوعه،بـل هی أبـدیه سـرمدیه لا- یقطعهـا الموت،إذ الموت لا- یهـدم النفس النـاطقه الـتی هی محل المعرفه،و إنما یقطع شواغلها و عوائقها و یخلیها من جنسها،فاذن جمیع أقطار ملکوت السماوات و الأرض،بل أقطار عالم الربوبیه التی هی غیر متنـاهیه،میـدان للعارفین، یتبوءون منها حیث یشاؤن،من غیر حاجه إلی حرکه اجسامهم،و من غیر ان یضـیق بعضـهم علی بعض أصلا،إلا انهم یتفاوتون فی سعه میادینهم بحسب تفاوتهم فی اتساع الأنظار و سعه المعارف:

وَ لِکُلٍّ دَرَجٰاتٌ مِمّٰا عَمِلُوا

(۲)

.

ص :۱۵۹

۱- ۱) کرع-من باب نفع-:هو الشرب بفیه من موضعه.

۲- ۲) الانعام،الآیه:۱۳۲،الاحقاف،الآیه:۱۹.

و لا يدخل فى الحصر تفاوت درجاتهم،و من عرف هذه اللذه انمحت همومه و شهواته،و صار قلبه مستغرقا بنعيمها،و لا يشغله عن اللّه خوف النار و لا رجاء الجنه،فكيف تشغله عنه لذات الدنيا و علائقها،و كان فى الدنيا و الآخره مشغولا بربه،فلو القى فى النار لم يحسّ به لاستغراقه،و لو عرض عليه نعيم الجنه لم يلتفت إليه لكمال نعيمه و بلوغه الغايه التى ليس فوقها غايه،و لعل سيد الرسل(ص)عبر عن هذه اللذه-اى لذه مطالعه جمال الربوبيه-حيث قال حاكيا عن اللّه-سبحانه-:«أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت،و لا إذن سمعت،و لا خطر على قلب بشر».و هذه اللذه هى المراده من قوله-تعالى-:

فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْيُنٍ (1).

و ربما تعجل بعض هذه اللذات لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغايه،و مع ذلك لا يخلو عن توسط بعض الحجب المانعه عن الوصول إلى كنهها،ما لم يحصل التجرد الكلى و خلع البدن العنصرى،و لذلك قال بعضهم:إنى أقول:«يا رب يا اللّه!فاجد ذلك اثقل على قلبى من الجبال،لأن النداء يكون من وراء حجاب،و هل رأيت جليسا ينادى جليسه؟!».ثم من عرف اللّه و عرف حقيقه هذه اللذه،عرف أن اللذات المقرونه بالشهوات المختلفه منطويه تحت هذه اللذه،كما قيل:

كانت لقلبى أهواء مفرقه

فاستجمعت مذ رأتك العين اهوائى

فصار يحسدنى من كنت أحسده

و صرت مولى الورى مذ صرت مولائى

تركت للناس دنياهم و دينهم

شغلا بذكرك يا دينى و دنيائى

1- 1) السجده،الآيه:17.

فصل (تحقق رؤيه اللّه فى الآخره و لذه لقائه)

اعلم ان معرفه اللّه إذا حصلت فى الدنيا لم تكن خاليه عن كدره ما-كما أشير إليه-،إلا أنه إذا اكتسب أصلها فى الدنيا فيزيدها فى الآخره انكشافا و جلاء بقدر صفاء القلوب و زكائها و تجردها عن العلائق الدنيويه،الى أن يصير اجلى و اظهر من المشاهده بمراتب،فالاختلاف بين ما يحصل فى الدنيا من المعرفه و ما يحصل فى الآخره من المشاهده و اللقاء إنما هو بزياده الانكشاف و الجلاء.

مثال ذلك:ان من رأى إنسانا،ثم غض بصره،وجد صورته حاضره فى خياله كأنه ينظر إليها،و لكن إذا فتح العين و أبصر،أدرك تفرقه بين حالتى غض العين و فتحها،و لا ترجع التفرقه إلى اختلاف بين بين الصورتين لاتحادهما،بل الافتراق انما هو بمزيد الكشف و الوضوح،فالصوره المتخيله صارت بالرؤيه أتم انكشافا،فإذا الخيال اول الإدراك،و الرؤيه استكمال لادراك الخيال،و هى غايه الكشف،لا لأنها فى العين،بل لو خلق اللّه هذا الإدراك الكامل المتجلى فى الصدر او الجبهه او اى عضو فرض استحق ان يسمى رؤيه. و إذا فهمت هذا فى المتخيلات-أى المدركات التى تدخل فى الخيال من الصور و الاجسام-فقس عليه الحال فى المعلومات -اى ما يدرك بالعقل-،و لا يدخل فى الخيال كذات البارى،و كل ما ليس بجسم،كالعلم و القدره و الاراده و غيرها،فان لمعرفتها و ادراكها أيضا درجتين:إحداهما:اولى،و الثانيه:استكمال لها،و بينهما من التفاوت فى مزيد الكشف و الايضاح ما بين المتخيل و المرئى،فتسمى الثانيه بالإضافه الى الأولى لقاء و مشاهده و رؤيه،و هذه التسميه حق،لان الرؤيه سميت

رؤیه لأنها غایه الکشف،و کما ان سنه اللّه جاریه بأن تطبق الاجفان یمنع من تمام الکشف الذی هو الرؤیه فی المتخیلات،فکذلک سنته ان النفس ما دامت محجوبه بالبدن و عوارضه و شهواته،لم یحصل لها تمام الکشف الذی هی المشاهده و اللقاء فی المعلومات الخارجیه عن الخیال،فإذا ارتفع بالموت حجاب البدن،و خلصت النفس،لم یکن بعد فی غایه التنزه عن کدورات الدنیا،بل کانت ملوثه بها،الا ان النفوس مختلفه فی ذلک:فمنها:ما تراکم علیه الخبث و الصدی،فصار کالمرآه التی فسد بطول تراکم الخبث جوهرها، فلا تقبل الإصلاح و التصقیل.و هؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابد الآباد.

نعوذ باللّه من ذلک، و منها:ما لم ینته إلی حد الرین و الطبع،و لم یخرج عن قبول التزکیه و التصقیل،و هذه النفوس غیر متناهیه الدرجات و المراتب.

اذ المتلوث بالکدورات عرض عریض فی(الواقع)بین الرین و الطبع، و بین التزکیه التامه و التجرد الکلی الذی لم یکن فیه شوب من الکدورات.

و هذه النفوس المتلوثه علی اختلاف درجاتها و مراتبها تحتاج إلی التطهیر لتستعد للمشاهده و اللقاء بتجلی الحق فیها،و تطهیرها انما هو بنوع عقوبه من العقوبات الأخرویه.و هی کمراتب التلوث غیر متناهیه الدرجات اولها سکره الموت،و آخرها الدخول فی النار،و ما بینهما عقوبات البرزخ و أهوال القیامه بانواعها،فکل نفس لا بد لها من عقوبه من هذه العقوبات لتتطهر من کدورتها:فمنها:ما یتطهر بمجرد سکره الموت و شده النزع، و منها:ما یتطهر بها،و ینقص عقوبات البرزخ،و منها:ما لا یتطهر إلا بأن یذوق بعض عقوبات الآخره،و منها ما لا یحصل تطهیره إلا بالعرض علی النار عرضا یقمع منها الخبث الذی تدنست به.فربما کان ذلک لحظه حقیقه، و ربما کان سبعه آلاف سنه-کما وردت به الأخبار-و ربما کان أقل

أو أكثر،و لا يعلم تفصيل ذلک الا اللّه-سبحانه-،و المحجوبون الذين بلغوا حد الرين و الطبع يكونون مخلدين فی النار.

ثم النفوس القابله للتطهير إذا اكمل اللّه تطهيرها و تزكيتها،و بلغ الكتاب أجله،استعدت حينئذ لصفائها و نقائها عن الكدورات لأن تتجلى فيها جليه الحق،فتتجلى فيها تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافه إلى ما علمته و عرفته كانكشاف تجلی المرئيات بالإضافه إلى المتخيلات،و هذه المشاهده و التجلی تسمی رؤيه،لأنه فی الظهور و الجلاء و الوضوح و الانكشاف كالرؤيه بالبصر،بل هو فوقه بمراتب شتی،اذ الرائی فی الأول العقل، و فی الثانی البصر،و شتان ما بينهما،فان الاختلاف فی مراتب الإدراک و الرؤيه بحسب اختلاف نوريه المدرک،و أی نسبه لنوريه البصر إلى نوريه العقل و اشراقه،و ما للعقل من النفوذ فی حقائق الأشياء و بواطنها أنی يكون للبصر.

و قد ظهر مما ذكر:أنه لا يفوز بدرجه الرؤيه و المشاهده الا العارفون فی الدنيا،لان المعرفه هی البذر الذی ينقلب فی الآخره مشاهده،كما تنقلب النواه شجره و البذر زرعا،و من لا نواه له كيف يحصل له النخل،و من لم يلق البذر كيف يحصد الزرع،فمن لم يعرف اللّه فی الدنيا فكيف يراه فی الآخره،و من لم يجد لذه المعرفه فی الدنيا فلا يجد لذه النظر فی العقبی،اذ لا يستأنف لاحد فی الآخره ما لم يصحبه فی الدنيا،فلا يحصد المرء الا ما زرع،و لا يحشر الا على ما مات عليه،و لا يموت الا على ما عاش عليه.

و لما كانت المعرفه على درجات متفاوته،يكون التجلی أيضا على درجات متفاوته،فاختلاف التجلی بالإضافه إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافه إلى اختلاف البذور،اذ يختلف لا محاله،بكثرتها،و قلتها،

و جودتها،و رداءتها،و ضعفها.ثم كلما كان التجلى و المشاهده أقوى، كان ما يترتب عليه من حب اللّه و الانس به أشد و أقوى،و كلما كان الحب و الانس أزيد،كان ما يترتب عليه من البهجه و اللذه أعلى و أقوى،و تبلغ هذه اللذه مرتبه لا تؤثر عليها لذه أخرى من نعيم الجنه،بل ربما بلغت حدا تتأذى من كل نعيم سوى لقاء اللّه و مشاهدته،فالنعمه و البهجه فى الجنه بقدر حب اللّه،و حب اللّه بقدر معرفته،فاصل السعادات هى المعرفه التى عبر الشرع عنه ب(الايمان).

فان قيل:اللقاء و المشاهده ان كانت زياده كشف للمعرفه حتى تتحقق بين لذه الرؤيه و لذه المعرفه نسبه،لكانت لذه اللقاء و الرؤيه قليله،و ان كانت اضعاف لذه المعرفه،اذ هى فى الدنيا ضعيفه.فتضاعفها إلى أى حد فرض لا ينتهى فى القوه،الا ان يستحقر فى جنبها سائر لذات الجنه و نعيمها قلنا:هذا الاستحقار و التقليل للذه المعرفه باعثه عدم المعرفه أو ضعفها،فان من خلا عن المعرفه،أو كانت له معرفه ضعيفه و قلبه مشحون بعلائق الدنيا لا يدرك لذتها،فمن كملت معرفته و صفت عن علائق الدنيا سريرته،قويت بهجته و اشتدت لذته بحيث لا توازنها لذه،فان للعارفين فى معرفتهم و فكرتهم و مناجاتهم للّه-عز و جل-ابتهاجات و لذات لو عرضت عليهم الجنه و نعيمها فى الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوها بها.ثم هذه اللذه مع كمالها لا نسبه لها أصلا إلى لذه اللقاء و المشاهده،كما لا نسبه للذه خيال المعشوق إلى رؤيته،و لا للذه استنشاق روائح الأطعمه الطيبه إلى ذوقها و اكلها،و لا للذه اللمس باليد إلى لذه الوقاع.

و مما يوضح ذلك،ان لذه النظر إلى وجه المعشوق تتفاوت بامور:

أحدها-كمال جمال المعشوق و نقصانه.

و ثانيها-كمال قوه الحب و الشهوه و ضعفه.

و ثالثها-كمال الإدراك و ضعفه،فان الالتذاذ برؤيه المعشوق فى ظلمه،أو من بعد،أو من وراء ستر رقيق،ليس كالالتذاذ برؤيته على قرب من غير ستر عند كمال الضوء.

و رابعها-عدم الآلام الشاغله و العوائق المشوشه و وجودها،فان التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر إلى المعشوق ليس كالتذاذ الخائف المذعور او المريض المتألم،او المشغول قلبه بهم من المهمات،فلو كان العاشق ضعيف الحب،ناظرا إلى معشوقه على بعد و من وراء ستر رقيق، مشغول القلب بمهمات،مجتمعه عليه حيات و عقارب تؤذيه و تلذعه،لم يكن خاليا عن لذه ما فى هذه الحاله من مشاهده معشوقه،إلا أنه إذا فرض ارتفاع الستر و اشراق الضوء،و اندفاع الحيات و العقارب المؤذيه،و فراغ قلبه من المهمات،و حدوث عشق مفرط،و شهوه قويه،بحيث بلغت أقصى الغايات،تضاعفت لذته،بحيث لم تكن للذته الأولى نسبه إليها بحجه.

فكذلك الحال فى نسبه لذه المعرفه فى الدنيا مع حجاب البدن و الاشتغال بمهماته،و مع تسلط حيات الشهوات و عقاربها:من الجوع،و العطش، و الشبق،و الغضب،و الحزن،و الهم،و مع ضعف النفس و قصورها و نقصانها فى الدنيا عن التشوق إلى الملأ الأعلى لالتفاتها إلى اسفل السافلين إلى لذه اللقاء و المشاهده التى يندفع فيها جميع ذلك عن النفس،فالعارف لعدم خلوه فى الدنيا عن هذه العوائق و المشوشات و ان قويت معرفته لا يمكن ان تكمل لذته و تصفو بهجته،و ان ضعفت عوائقه و مشوشاته فى بعض الأحوال و بقى سالما،لاح له من جمال المعرفه ما تعظم لذته و بهجته و يدهش عقله، بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته،الا ان ذلك كالبرق الخاطف،و لا يمكن

ان یدوم،اذ الخلو عن العوائق و المشوشات لیس یمکن ان یدوم،بل هو آنی،و یعرض بعد الآن من الشواغل و الافکار و الخواطر ما یشوشه و ینقصه،و هذه ضروره قائمه فی هذه الحیاه الفانیه.فلا تزال هذه اللذه منقصه إلی الموت.و انما الحیاه الطیبه بعده،و انما العیش عیش الآخره، فان الدار الآخره لهی الحیوان لو کانوا یعلمون.و لذا کل عارف کملت معرفته فی الدنیا و أحب لقاء اللّه یحب الموت و لا یکرهه،الا من حیث إرادته زیاده استکمال فی المعرفه،فان المعرفه-کما عرفت-بمنزله البذر.و کلما کثرت المعرفه باللّه و بصفاته و بأفعاله و بأسرار مملکته قویت المشاهده و اشتدت،و کثر النعیم فی الآخره و عظم،کما انه کلما کثر البذر و حسن کثر الزرع و حسن،و لا ریب فی ان المعرفه لا تنتهی إلی مرتبه لا تکون فوقها مرتبه،اذ بحر المعرفه لا ساحل له.و الإحاطه بکنه جلال اللّه محال.فالعارف و ان قویت معرفته،ربما أحب طول العمر و کره الموت لتزداد معرفته.

ثم أهل السنه قالوا:«ان الرؤیه فی الآخره مع تنزهها عن التخیل و التصور و التقدیر بالشکل و الصوره و التحدید بالجهه و المکان:تکون بالعین دون القلب»:(و هو عندنا باطل):اذ الرؤیه بالعین محال فی حق اللّه -تعالی-،سواء کانت فی الدنیا او فی الآخره،فکما لا تجوز رؤیه اللّه -سبحانه-فی الدنیا بالعین و البصر،فکذلک لا تجوز فی الآخره،و کما تجوز رؤیته فی الآخره بالعقل و البصیره لاهل البصائر-اعنی غایه الانکشاف و الوضوح بحیث تتأدی إلی المشاهده و اللقاء-فکذلک تجوز رؤیته فی الدنیا بهذا المعنی،و الحجاب بینه و بین خلقه لیس إلا الجهل و قله المعرفه دون الجسد،فان العارفین و أولیاء اللّه یشاهدونه فی الدنیا فی جمیع أحوالهم

ص :۱۶۶

و منصرفاتهم،و إن كان الحاصل فى الآخره أزيد انكشافا و أشد انجلاء بحسب زياده صفاء النفوس و زكائها و مجردها عن العلائق الدنيويه-كما تقدم مفصلا-،و قد ثبت ذلك من أئمتنا الراشدين العارفين بأسرار النبوه، روى شيخنا الأقدم(محمد بن يعقوب الكلينى)و شيخنا الصدوق(محمد بن على بن بابويه)-رحمهما اللّه-باسنادهما الصحيح عن الصادق(ع):«أنه سئل عما يروون من الرؤيه،فقال:الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسى، و الكرسى جزء من سبعين جزء من نور العرش.و العرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب،و الحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر،فان كانوا صادقين فليملأوا أعينهم من نور الشمس ليس دونها سحاب» .و باسنادهما عن أحمد بن إسحاق قال:«كتبت إلى أبى الحسن الثالث(ع)أسأله عن الرؤيه و ما اختلف فيه الناس،فكتب:لا تجوز الرؤيه ما لم يكن بين الرائى و المرئى هواه ينفذه البصر،فإذا انقطع الهواء عن الرائى و المرئى لم تصح الرؤيه و كان فى ذلك الاشتباه،لأن الرائى متى ساوى المرئى فى السبب الموجب بينهما فى الرؤيه وجب الاشتباه،و كان ذلك التشبيه،لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات».

و عن أبى بصير عن الصادق(ع)قال:«قلت له:أخبرنى عن اللّه-عز و جل- هل يراه المؤمنون يوم القيامه؟قال:نعم!و قد رأوه قبل يوم القيامه.فقلت:

متى؟قال:حين قال لهم:ألست بربكم،قالوا:بلى...ثم سكت ساعه، ثم قال:و إن المؤمنين ليرونه فى الدنيا قبل يوم القيامه،ألست تراه فى وقتك هذا؟!قال أبو بصير:فقلت له:جعلت فداك!فاحدث بهذا عنك؟ فقال:لا!فانك إذا حدثت به فانكره منكر جاهل بمعنى ما تقوله،ثم قدر أن ذلك تشبيه كفر،و ليست الرؤيه بالقلب كالرؤيه بالعين،تعالى اللّه عما يصفه المشبهون و الملحدون». و سئل أمير المؤمنين(ع):«هل رأيت ربك حين

عبدته؟فقال:ویلک!ما کنت أعبد ربا لم أره.قیل:و کیف رأیته؟ قال:ویلک!لا تدرکه العیون فی مشاهده الأبصار،و لکن رأته القلوب بحقائق الایمان» (۱). و قال سید الشهداء(ع).«کیف یستدل علیک بما هو فی وجوده مفتقر إلیک،أ یکون لغیرک من الظهور ما لیس لک،حتی یکون هو المظهر لک،متی غبت حتی تحتاج إلی دلیل یدل علیک،و متی بعدت حتی تکون الآثار هی التی توصل إلیک؟عمیت عین لا تراک علیها رقیبا،و خسرت صفقه عبد لم تجعل من حبک نصیبا!»،و قال(ع)أیضا:«تعرفت لکل شیء فما جهلک شیء»،و قال:«و أنت الذی تعرفت إلی فی کل شیء، فرأیتک ظاهرا فی کل شیء،و أنت الظاهر لکل شیء» (۲).و أمال ذلک مما ورد عنهم-علیهم السّلام-أکثر من أن تحصی.

فصل (الطریق إلی الرؤیه و اللقاء)

الطریق إلی تحصیل محبه اللّه و تقویتها ثم استعداد الرؤیه و اللقاء أمران:

أحدهما-تطهیر القلب من شواغل الدنیا و علائقها،و التبتل إلی اللّه بالذکر و الفکر،ثم إخراج حب غیر اللّه من القلب،إذ القلب مثل الإناء الذی لا یسع الماء-مثلا-ما لم یخرج منه الخل.و ما جعل اللّه لرجل من قلبین فی جوفه،و کمال الحب فی أن یحب اللّه بکل قلبه،و ما دام یلتفت إلی غیره،فزاویه من قلبه مشغوله بغیره،و بقدر ما یشتغل بغیر اللّه ینقص منه حب اللّه،إلا أن یکون التفاته إلی الغیر من حیث إنه صنع اللّه-تعالی-و فعله،و مظهر

۱- ۱) صححنا الأحادیث کلها علی(أصول الکافی):الجزء الأول،باب إبطال الرؤیه.و علی(الوافی):۱-۶۹،باب إبطال الرؤیه.

۲- ۲) صححنا فقرات دعاء عرفه علی(مفاتیح الجنان):ص ۲۷۲-۲۷۴، طبعه الکراوری.

من مظاهر أسماء اللّه-تعالی-،و إلی هذا التجرید و التفرید الإشاره بقوله-تعالی-:

قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ

(۱)

و ثانیهما-تحصیل معرفه اللّه و تقویتها و توسیعها و تسلیطها علی القلب، و الأول،اعنی قطع العلائق،بمنزله تنقیه الأرض من الحشائش،و الثانی، أی المعرفه،بمنزله البذر فیها،لیتولد منه شجر المحبه.

ثم لتحصیل المعرفه طریقان:

أحدهما-الأعلی،و هو الاستدلال بالحق علی الخلق،و ذلک بأن یعرف اللّه باللّه،و به یعرف غیره،أی افعاله و آثاره،و إلی هذا أشیر فی الکتاب الإلهی بقوله:

أَ وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ

(۲)

.

و هذا الطریق غامض،و فهمه صعب علی الأكثرین.و قد اشرنا إلی کیفیته فی بعض کتبنا الالهیات.

و ثانیهما-و هو الادنی،الاستدلال بالخلق علی الحق-سبحانه-، و هذا الطریق فی غایه الوضوح،و أکثر الافهام یتمکن من سلوکه،و هو متسع الأطراف،و متکثر الشعوب و الاکناف،إذ ما من ذره من أعلی السماوات إلی تخوم الأرضین إلا و فیها عجائب آیات و غرائب بینات، تدل علی وجود الواجب و کمال قدرته و غایه حکمته و نهایه جلاله و عظمته، و ذلک مما لا یتناهی.

قُلْ لَوْ کٰانَ الْبَحْرُ مِدٰاداً لِکَلِمٰاتِ رَبِّی لَنَفِدَ

۱- ۱) الانعام،الآیه:۹۱.

۲- ۲) فصلت،الآیه:۵۳.

اَلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِمٰاتُ رَبِّی

(۱)

.

و عدم وصول بعض الافهام من هذا الطریق إلی معرفه اللّه مع وضوحه، انما هو للاعراض عن التفکر و التدبر و الاشتغال بشهوات الدنیا و حظوظ النفس.ثم سلوک هذا الطریق،أی الاستدلال علی اللّه-تعالی-و علی کمال قدرته و عظمته،بالتفکیر فی الآیات الآفاقیه و الأنفسیه،خوض فی بحار لا ساحل لها،إن عجائب ملکوت السماوات و الأرض مما لا یمکن أن تحیط به الأفهام،فان القدر الذی تبلغه افهامنا القاصره من عجائب حکمته الباهره تنقضی الاعمار دون إیضاحه،و لا نسبه لما أحاط به علمنا إلی ما أحاط به علم العلماء،و لا نسبه له إلی ما أحاط به علم الأنبیاء،و لا نسبه له إلی ما أحاط به الخلائق کلهم،و لا نسبه له إلی ما استأثر اللّه بعلمه،بل کلما عرفه الخلائق جمیعا لا یستحق أن یسمی علما فی جنب علم اللّه،و نحن قد اشرنا إلی لمعه یسیره من عجائب حکمته المودعه فی بعض مخلوقاته فی مبحث التفکر.

فصل (تفاوت المؤمنین فی محبه اللّه)

اعلم ان المؤمنین جمیعا مشترکون فی أصل محبه اللّه لاشتراکهم فی أصل الایمان،و لکنهم متفاوتون فی قدرها،و سبب تفاوتهم أمران:

أحدهما-اختلافهم فی المعرفه و حب الدنیا،فان أکثر الناس لیس لهم من معرفه اللّه إلا ما قرع اسماعهم من کونه متصفا بصفات کذا و کذا،من دون وصول إلی حقیقه معناها،و إلی اعتقادهم بأن الموجودات المشاهده

۱- ۱) الکهف،الآیه:۱۱۰.

صادره عنه،من غير تـدبر فى عجائب القـدره و غرائب الحكمه المودعه فيها و اما العارفون،فلهم الخوض فى بحر التفكر و التـدبر فى أنواع المخلوقات.

و استخراج ما فيها من الحكم الخفيه،و المصالح العجيبه،التى كل واحد منها كمشعله فى إزاله ظلمه الجهل،و الهدايه إلى كمال عظمه اللّه،و نهـايه جلاـله و كبريـائه،فمثل الأكثرين كمثل عامى أحب عالما بمجرد استماعه انه حسن التصـنيف،من دون علم و درايه بمـا فى تصـانيفه،فتكون له معرفه مجمله، و يكون له بحسـنه ميـل مجمـل،و مثـل العارفين كمثل عالم فتش عن تصانيفه، و اطلع على ما فيها من دقائق المعانى و بلاغه العبارات،و لا ريب فى أن العالم بجملته صـنع اللّه و تصـنيفه،فمن عرف ذلك مجملا تكون له بحسبه محبه مجمله، و من وقف على مـا فيه من عجـائب القـدره و دقائق الحكمه تكون له غايه الحب، و كلما ازدادت معرفته بوجوه الحكم و المصالـح المودعه فى كل مخلوق ازداد حبه، فمن اعتقـد أن ما تبنيه النحل من البيوت المسـدسه إنما هو بالهام اللّه-تعالى- اياها،من غير استعداد لفهم الحكمه فى اختيار الشـكل المسدس على سائر الأشـكال،لا يكون فى معرفه اللّه و ادراك عظمته و حكمته كمن يفهم ذلـك و يتيقنه.ثم كمـا أن دقـائق الحكم و عجائب القـدره غير متناهيه،و لا يمكن لاحـد ان يحيط بها،و إنما ينتهى كل إلى ما يستعد له،فينبغى أن تكون مراتب الحب أيضا غير متناهيه،و كل عبد ينتهى إلى مرتبه تقتضيها معرفته.

و ثانيهما-اختلافهم فى الأسـباب المـذكوره للحب،فان من يحب اللّه لكونه منعما عليه و محسـنا إليه،ضـعفت محبته لتغيرها بتغير الانعام و الإحسان و لا يكون حبه فى حاله البلاء كحبه فى حاله الرجاء و النعماء.و أما من يحبه لـذاته،أو بسـبب كماله و جماله و مجده و عظمته،فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الإحسان إليه.

فصل (الواجب اظهر الموجودات)

عجبا لاقوام عميت قلوبهم عن معرفه اللّه-سبحانه-،مع أن اللّه -تعالى-أظهر الموجودات و أجلاها،لان البديهه العقليه قاضيه بأنه يجب أن يكون فى الوجود موجود قائم بذاته،أى ما هو صرف الوجود،و لولاه لم يتحقق موجود أصلا،فتحقق صرف الوجود القائم بذاته المقوم لغيره أظهر و أجلى من تحقق كل موجود بغيره عند البصيره الصافيه،قال اللّه-سبحانه-:

اَللّٰهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ

(۱)

.

و النور هو الظاهر لنفسه المظهر لغيره،و مبدأ الإدراك من المدرك إنما هو الوجود،فكلما ادركته إنما تدرك أولا وجوده،و إن لم تشعر بذلك.و لا ريب فى أن الظاهر لنفسه أظهر من الظاهر بغيره،و أيضا كل موجود سوى اللّه-سبحانه-يعلم وجوده بقليل من الآثار،فان وجود الحياه لزيد-مثلا-لا يدل عليه إلا حركته و تكلمه و بعض أخر من اعراض نفسه،و لا يدل عليه شىء آخر من سائر الموجودات،و كذا وجود السماء-مثلا-لا يدل عليه سوى وجود ظهور جسمها و حركتها، و لا يدل عليه شىء آخر من الموجودات التى تحتها و فوقها.

و أما وجود الواجب-تعالى-فيدل عليه كل شىء،إذ ليس فى الوجود مدرك محسوس او معقول،و حاضر او غائب،إلا و هو شاهد و معرف لوجوده،فالسبب فى خفائه مع كونه أجلى و أظهر من كل شىء غايه وضوحه

۱- ۱) النور،الآيه:۳۵.

و ظهوره،فان شده ظهور الشیء قد یکون سببا لخفائه،لانه یکل المدارک و یحسرها،فشده ظهوره-سبحانه-بلغت حدا بهرت العقول و ادهشتها، فضعفت عن ادراکه.و هذا کما ان الخفاش یبصر باللیل و لا یبصر بالنهار، لا لخفاء النهار و استتاره،بل لشده ظهوره و ضعف بصر الخفاش،فان بصره ضعیف یبهره نور الشمس إذا اشرق،فتکون قوه ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره،فلا یری شیئا إلا إذا امتزج بالضوء الظلام و ضعف ظهوره،فکذلک عقولنا ضعیفه،و جمال الحضره الإلهیه فی نهایه الإشراق و الاستناره،و فی غایه الاستغراق و الشمول،حتی لم تشذ عن ظهوره ذره من ملکوت السماوات و الأرض،فصار ظهوره سبب خفائه،فسبحان من احتجب باشراق نوره،و اختفی عن العقول و البصائر بشده ظهوره!و لا تتعجب من اختفاء شیء بسبب شده ظهوره،فان الأشیاء إنما تستبان باضدادها،و ما عم وجوده حتی لا ضد له عسر ادراکه.فلو اختلفت الأشیاء،فدل بعضها علی اللّه-تعالی-دون بعض،ادرکت التفرقه علی قرب،و لما اشترکت فی الدلاله علی نسق واحد،اشکل الأمران،و مثاله نور الشمس المشرق علی الأرض فانا نعلم أنه عرض من الأعراض یحدث فی الأرض،و یزول عند غیبه الشمس،فلو کانت الشمس دائمه الإشراق لا غروب لها،لکنا نظن أن لا هیئه فی الأجسام إلا ألوانها،و هی السواد و البیاض و غیرهما،و أما الضوء فلا تدرکه وحده،لکن لما غابت الشمس و اظلمت المواضع أدرکنا تفرقه بین الحالتین،فعلمنا أن الاجسام قد استضاءت بضوء فارقها عند الغروب،فعرفنا وجود النور بعدمه.و ما کنا نطلع علیه لولا عدمه إلا بعسر شدید،و ذلک لمشاهدتنا الأجسام متشابهه غیر مختلفه فی النور و الظلام هذا مع أن النور أظهر المحسوسات،إذ به تدرک سائر المحسوسات،فما هو

ظاهر فی نفسه مظهر لغیره انظر کیف استبهم امره بسبب ظهوره لو لا طریان ضده، فاذن واجب الوجود لذاته هو اظهر الأشیاء،و به ظهرت الأشیاء کلها، و لو کان له عدم أو غیبه أو تغیر،لانهدت السماوات و الأرض،و بطل الملک و الملکوت،و ادرکت التفرقه بین الحالتین،و لو کان بعض الأشیاء موجودا به،و بعضها موجودا بغیره،لادرکت التفرقه بین الشیئین فی الدلاله،و لکن دلالته عامه فی الأشیاء علی نسق واحد،و وجوده دائم فی الأحوال یستحیل خلافه،فلا جرم أورثت شده ظهوره خفاء کما قیل:

خفیّ لافراط الظهور تعرضت

لادراکه أبصار قوم أخافش

و حظ عیون الزرق من نور وجهه

لشدته حظ العیون العوامش

قال أمیر المؤمنین(ع):«لم تحط به الاوهام،بل تجلی لها بها،و بها امتنع منها».و قال(ع):«ظاهر فی غیب،و غائب فی ظهور».و قال(ع):

«لا تجنه البطون عن الظهور،و لا تقطعه الظهور عن البطون،قرب فنأی، و علا فدنا،و ظهر فبطن،و بطن فعلن،و دان و لم یدن»:أی ظهر و غلب و لم یغلب.و من هناک قیل:«عرفت اللّه بجمعه بین الأضداد».

فصل (علائم محبه اللّه)

محبه العبد للّه-سبحانه-له علامات:

الأولی-أن یحب لقاءه بطریق المشاهده و العیان فی دار السّلام،و لتوقفه علی الموت یحب الموت و یتمنیه،إذ کل من یحب شیئا یحب لقاءه و وصله، و إذا علم أنه یمتنع الوصول إلیه إلا بالارتحال من الدنیا بالموت لاحب الموت لا محاله،و کیف یثقل علی المحب أن یسافر من وطنه إلی مستقر محبوبه لیتنعم بمشاهدته،و لذا قال(حذیفه)عند موته:«حبیب جاء علی فاقه،لا أفلح

اليوم من ندم».قال بعض الأكابر:«لا يكره الموت إلا مريب،لان الحبيب لا يكره لقاء الحبيب على كل حال».

ثم من يكره الموت،فان كانت كراهته له لحب الدنيا و التأسف على فراق الأهل و الاولاد و الأموال،و كان حبه للدنيا و تأسفه على مفارقتها فى غايه الكمال،بحيث لم يحب الموت و لم يسر قلبه أصلا بما يترتب عليه من لقاء اللّه -تعالى-،و لم يجد فى قلبه شوقا إليه مطلقا،فلا ريب فى كون مثل هذه الكراهه منافيا لاصل الحب،و لو لم يكن حبه للدنيا فى غايه الكمال،بحيث لم يجد فى قلبه ميلا- إلى ما يترتب على الموت من لقاء اللّه،بل كان محبا للدنيا إلا أنه كان له شوق إلى لقاء اللّه-تعالى-أيضا،او كان لذلك كراهته للموت ضعيفه،فمثل هذا الحب للدنيا ينافى كمال حب اللّه،لان الحب الكامل هو الذى يستغرق كل القلب،و لا يبعد أن تكون معه شائبه ضعيفه من حب اللّه، فان الناس متفاوتون فى حب اللّه،فمنهم من يحبه بكل قلبه،و منهم من لا يحبه بكل قلبه،بل يحب معه غيره أيضا من الأهل و الولد و المال،فلا جرم يكون فرحه بلقاء اللّه عند القدوم عليه على قدر حبه و كراهته لفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها،و إن كانت كراهته للموت لأجل إرادته الاستعداد و التهيؤ للقاء اللّه،و مشاهدته بتحصيل زياده العلم و العمل،لا لحب الأهل و المال، و لا للتأسف على فراق الدنيا،فهو لا يدل ضعف الحب و لا ينافى أصله،و هو كالمحب الذى وصل إليه خبر قدوم حبيبه،فأحب أن يتأخر قدومه ساعه ليعمر داره و يفرشها و يهيء أسبابها،ليلقاه فارغ القلب عن الشواغل،و علامه ذلك:الجد فى العمل،و استغراق الهم فى تحصيل المعرفه،و الاستعداد للآخره الثانيه-أن يؤثر مراد اللّه-سبحانه-على مراده،إذ المحب لا يخالف هوى محبوبه لهوى نفسه،كما قيل:

أريد وصاله و يريد هجرى

فاترک ما أريد لما يريد

فمن کان محبا للّه،يمتثل أوامره و يجتنب نواهيه،و يحترز عن اتباع الشهوات،و يدع الکساله و البطاله،و لا يزال مواظبا على طاعته و انقياده، و يکون مبتهجا متنعما بالطاعه و لا يشغلها،و يسقط عنه تعبها،و قد روى:

«أن زليخا لما آمنت،و تزوج بها يوسف(ع)،انفردت عنه،و تخلت للعباده،و انقطعت إلى اللّه-تعالى-،و کان يوسف يدعوها إلى فراشه نهارا فتدافعه إلى الليل،و إذا دعاها ليلا سوفت إلى النهار،فعاتبها فى ذلک، فقالت:يا رسول اللّه!إنما کنت أحبک قبل أن أعرف ربک،فاما إذ عرفته فلا أؤثر على محبته محبه من سواه،و ما أريد به بدلا».ثم الحق أن العصيان يضاد کمال المحبه لا أصلها،و لذا قد يأکل الرجل المريض ما يضره و يزيد فى مرضه مع أنه يحب نفسه،و يحب صحته،و السبب ضعف المعرفه،و غلبه الشهوه،فيعجز عن القيام بحق المحبه.

الثالثه-ألا يغفل عن ذکر اللّه-سبحانه-،بل يکون دائما مستهترا بذکره،إذ من أحب شيئا أکثر ضروره ذکره و ذکر ما يتعلق به،فمحب اللّه لا يخلو عن ذکر اللّه و ذکر رسوله و ذکر القرآن و تلاوته،لانه کلامه، و يکون محبا للخلوه ليتفرد بذکره و بمناجاته،و يکون له کمال الانس و الالتذاذ بمناجاته،و فى اخبار داود:«کذب من ادعى محبتى و إذا جنه الليل نام عنى،أ ليس کل محب يحب لقاء حبيبه؟فها أنا ذا موجود لمن طلبنى».

الرابعه-ألا يحزن و لا يتألم عن فقد شىء،و لا يفرح بوجود شىء، سوى ما يقرّبه إلى اللّه او يبعده عنه:فلا ينبغى ان يحزن و يجزع فى المصائب و لا يسر بنيل المقاصد الدنيويه،و لا يتأسف على ما يفوته إلا على ما فات منه من طاعه مقربه إلى محبوبه،او على صدور معصيه مبعده،او على ساعه

خلت عن ذکر اللّه و الانس به.

الخامسه-أن یکون مشفقا رءوفا علی عباد اللّه،رحیما علی أولیائه، و شدیدا علی اعداء اللّه،کارها لمن یخالفه و یعصیه،إذ مقتضی الحب الشفقه و المحبه لأحباء المحبوب و المنسوبین إلیه،و البغض لأعدائه و مخالفیه.

السادسه-أن یکون فی حبه خائفا متذللا تحت سلطان العظمه و الجلال، و لیس الخوف مضادا للحب،کما ظن،إذ ادراک العظمه یوجب الهیبه، و ادراک الجمال یوجب الحب،و لخصوص المحبین خوف الاعراض،و خوف الحجاب،و خوف الابعاد،و خوف الوقوف،و سلب المزید.و قال بعض العرفاء:«من عبد اللّه بمحض المحبه من غیر خوف هلک بالبسط و الإدلال، و من عبده من طریق الخوف من غیر محبه انقطع عنه بالبعد و الاستیحاش، و من عبده من طریقهما أحبه اللّه،فقربه و مکنه و علمه».

السابعه-کتمان الحب و الشوق من إظهاره و من إظهار الوجد و اجتناب الدعوی،تعظیما للمحبوب و اجلالا له،و هیبه منه و غیره علی سره،فان الحب سر من أسرار المحبوب،فلا ینبغی افشاؤه،و لأنه ربما یدخل فی الدعوی ما یجاوز حد الواقع،فیکون من الافتراء،و تعظم به العقوبه فی العقبی و البلیه فی الدنیا.نعم،ربما غشیته سکره فی حبه،حتی یدهش فیها،و تضطرب أحواله،فیظهر علیه حبه من دون اختیار و تمحل.فمثله معذور،لأنه تحت سلطان المحبه مقهور،و من عرف أن حصول حقیقه المعرفه و المحبه التی تنبغی أن تکون فی حق اللّه یستحیل أن یحصل لأحد، و أن یطلع علی ما اعترف عظماء الإنسان-أعنی الأنبیاء و الأولیاء-من العجز و القصور،و ان صنفا واحدا من الأصناف الغیر المتناهیه من ملائکته ملائکه بعدد جمیع ما خلق اللّه من شیء،هم أهل المحبه للّه،ما خطر علی

قلوبهم مذ خلقهم اللّه-و هو ثلاث مائه ألف سنه قبل خلق العالم-سوى اللّه -سبحانه-،و ما ذكروا غيره،لاستحيى منه حق الحياء أن يعدّ ما عليه من المعرفه و المحبه معرفه و محبه،و خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى. و روى فى بعض الأخبار:«ان بعض أهل اللّه سأل بعض الصديقين أن يسأل اللّه -تعالى-أن يعطيه ذره من معرفته،ففعل ذلک،فحار عقله،و ذهل لبه، و وله قلبه،و هام فى الجبال،و بقى شاخصا سبعه ايام،لا ينتفع بشىء و لا ينتفع به شىء،فسأل له الصديق ربه أن ينقص بعض الذره من المعرفه التى أعطاه،فأوحى اللّه-تعالى-اليه:(إنا اعطيناه جزءا من مائه ألف جزء من ذره من المعرفه،و ذلک ان مائه ألف عبد سألونى شيئا من المحبه فى الوقت الذى سألنى هذا،فأخرت اجابتهم إلى أن شفعت أنت لهذا، فلما أجبتک فيما سألت أعطيتهم كما اعطيته،فقسمت ذره من المعرفه بين مائه ألف عبد،فهذا ما أصابه من ذلک).فقال:سبحانک سبحانک! أقتصه مما أعطيته،فأذهب اللّه عنه جمله ما أعطاه،و أبقى فيه عشر معشاره و هو جزء من عشره آلاف جزء من مائه ألف جزء من ذره،فاعتدل خوفه و حبه و رجاؤه،و سكن،و صار كسائر الكمل من العارفين» (۱).

و الحق ان حقائق الصفات الإلهيه أجل و أعظم من ادراک العقول البشريه،و لا تطيق أحد من الكمل أن يتحمل لفهم جزء من الأجزاء الغير المتناهيه منها،فالوصول إلى ما عليه الحضره الربوبيه من العظمه و الجلال و سائر صفات الكمال فى حين المحال،(و ما قيل أو يقال فيه)و هم أو خيال، فاين يحصل لأحد ما يليق به من المعرفه و المخبه؟فلو امكن ان تدخل أمثال هذه العوالم المخلوقه من السماوات و الأرضين و ما فوقهما و اضعافهما بقدر

۱- ۱) صححنا الروايه على(احياء العلوم):۴-۲۸۸.

غير متناه فى جوف خردله،لامكن أن تدخل فى أعظم العقول ذره من عظمته و جلاله،و غايه المعرفه ان يعرف عظمته و قدرته و جلاله و عزته و سائر اوصافه الكماليه بأمثال هذه العنوانات و التمثيلات،و هى أيضا لو ضوعفت إلى غير النهايه فى ازمنه غير متناهيه،لكانت بيانات قاصره،بل و هميه خياليه،فسبحان من لا سبيل إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته! و من علامات المحبه الانس و الرضا-كما يأتى-.و قد جمع بعض العارفين علامات المحب فى أبيات،فقال:

لا تخدعن فللمحب دلائل

و لديه من تحف الحبيب وسائل

منها تنعمه بمر بلائه

و سروره فى كل ما هو فاعل

فالمنع منه عطيه مقبوله

و الفقر إكرام و بر عاجل

و من الدلائل ان ترى من عزمه

طوع الحبيب و ان ألح العاذل

و من الدلائل ان يرى متبسما

و القلب فيه من الحبيب بلابل

و من الدلائل ان يرى متفهما

لكلام من يحظى لديه سائل

و من الدلائل ان يرى متقشفا

متحفظا عن كل ما هو قائل

و من الدلائل ان تراه مشمرا

فى خرقتين على شطوط الساحل

و من الدلائل حزنه و نحيبه

خوف الظلام فما له من عاذل

و من الدلائل ان تراه باكيا

ان قد رآه على قبيح فاعل

و من الدلائل أن تراه راضيا

بمليكه فى كل حكم نازل

و من الدلائل زهده فيما ترى

من دار ذل و النعيم الزائل

و من الدلائل ان تراه مسلما

كل الأمور إلى المليك العادل

و من الدلائل ضحكه بين الورى

و القلب محزون كقلب الثاكل

و من الدلائل أن تراه مسافرا

نحو الجهاد و كل فعل فاضل

ص :١٧٩

فصل (معنی حب اللّه لعبده)

اعلم ان شواهد الكتاب و السنه ناطقه بأن اللّه-سبحانه-يحب العبد، كقوله-تعالى-:

يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ

(۱)

.و قوله-تعالى-: إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ (۲).و قوله-تعالى-:

إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ

(۳)

.

و قوله-تعالى-: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ (۴).

و قال رسول اللّه(ص):«ان اللّه يعطى الدنيا من يحب و من لا يحب، و لا يعطى الايمان الا من يحب».و قال(ص):«اذا أحب اللّه عبدا لم يضره ذنب».و قال(ص):«اذا أحب اللّه عبدا ابتلاه،فان صبر اجتباه،و ان رضى اصطفاه».و قال(ص):«من أكثر ذكر اللّه أحبه اللّه».و قال(ص) حاكيا عن اللّه:«لا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه،فإذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به،و بصره الذى يبصر به،و لسانه الذى ينطق به».و قال(ص):«اذا أحب اللّه عبدا،جعل له واعظا من نفسه، و زاجرا من قلبه،يأمره و ينهاه»...و أمثال ذلك أكثر من أن تحصى.

ثم حقيقه الحب-و هو الميل إلى موافق ملائم-غير متصور فى حق اللّه

۱- ۱) المائده،الآيه:۵۷.

۲- ۲) الصف،الآيه:۴.

۳- ۳) البقره،الآيه:۲۲۲.

۴- ۴) آل عمران،الآيه:۳۱.

-تعالی-،بل هذا انما یتصور فی حق نفوس ناقصه،و اللّه-سبحانه- صاحب کل جمال و کمال و بهاء و جلال،و کل ذلک حاضر له بالفعل أزلا و ابدا،اذ لا یتصور تجدده و زواله،فلا یکون له إلی غیره نظر من حیث إنه غیر،بل ابتهاجه بذاته و صفاته و افعاله.و لیس فی الوجود إلا ذاته و صفاته و افعاله،و لذلک قال بعض العرفاء-لما قرئ قوله-تعالی-: یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ -:«نحن نحبهم،فانه لیس یحب إلا نفسه»،علی معنی انه الکل و انه فی الوجود لیس غیره.فمن لا یحب إلا ذاته،و صفات ذاته،و افعال ذاته و تصانیف ذاته،فلا یجاوز حبه و ذاته و تواضع ذاته من حیث هی متعلقه بذاته، فهو إذا لا یحب إلا ذاته.و لیس المراد من محبه اللّه لعبده هو الابتهاج العام الذی له-تعالی-بافعاله له،إذ المستفاد من الآیات و الاخبار:أن له-تعالی- خصوصیه محبه لبعض عباده لیست لسائر العباد و المخلوقات،فمعنی هذه المحبه یرجع إلی کشف الحجاب عن قلبه حتی یراه بقلبه،و إلی تمکینه إیاه من القرب إلیه،و إلی إرادته ذلک به فی الازل،و إلی تطهیر باطنه عن حلول الغیر به،و تخلیته عن عوائق تحول بینه و بین مولاه،حتی لا یسمع إلا بالحق و من الحق،و لا یبصر إلا به،و لا ینطق إلا به-کما فی الحدیث القدسی- فیکون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه،و ارتفاع الحجاب عن قلبه،و حصوله فی درجه القرب من ربه،و کل ذلک من فضل اللّه-تعالی-و لطفه به.

ثم قرب العبد من اللّه لا یوجب تغیرا و تجددا فی صفات اللّه-تعالی-، اذ التغیر علیه-سبحانه-محال،لانه لا یزال فی نعوت الکمال و الجلال و الجمال علی ما کان علیه فی ازل الآزال،بل یوجب مجرد تغیر العبد بترقیه فی مدارج الکمال،و التخلق بمکارم الأخلاق التی هی الأخلاق الإلهیه، فکلما صار اکمل صفه و أتم علما و إحاطه بحقائق الأمور،و اثبت قوه فی

قهر الشياطين و قمع الشهوات،و أظهر نزاهه عن الرذائل،و أقوى تصرفا فى ملكوت الأشياء،صار أقرب إلى اللّه.و درجات القرب غير متناهيه، لعدم تناهى درجات الكمال،فمثل تقرب العبد إلى اللّه ليس كتقرب أحد المتقاربين إلى الآخر إذا تحركا معا،بل كتقرب أحدهما مع تحركه إلى الآخر الذى كان ساكنا،او كتقرب التلميذ فى درجات الكمال إلى أستاذه،فان التلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل إلى بقاع العلم،و يطلب القرب من أستاذه فى درجات العلم و الكمال،و الأستاذ ثابت واقف،و ان كان التلميذ يمكن ان يصل إلى مرتبه المساواه الأستاذه لتناهى كمالاته،و أما العبد، كائنا من كان،لا يمكن أن يصل إلى كمال يمكن أن يكون له نسبه إلى كمالاته -سبحانه-،لعدم تناهى كمالاته شده و قوه و عده،و علامه كون العبد محبوبا عند اللّه.أن يكون هو محبا له-تعالى-،مؤثرا إياه على غيره من المحاب،و ان يرى من بواطن أموره و ظواهره انه-تعالى-يهىء له أسباب السعاده فيها،و يرشده إلى ما فيه خيره،و يصده عن المعاصى باسباب يعلم حصولها منه-سبحانه-،انه-تعالى-يتولى امره،ظاهره و باطنه،و سره و جهره،فيكون هو المشير عليه،و المدبر لأمره،و المزين لأخلاقه،و المستعمل لجوارحه،و المسدد لظاهره و باطنه،و الجاعل لهمومه هما واحدا،و المبغض للدنيا فى قلبه،و الموحش له من غيره،و المونس له بلذه المناجاه فى خلواته و المكاشف له عن الحجب بينه و بين معرفته.

تذنيب (الحب فى اللّه و البغض فى اللّه)

اعلم ان الاخبار متظاهره فى مدح الحب فى اللّه و البغض فى اللّه و عظم فضيلته و ثوابه،و معناه لا يخلو عن إبهام،فلا بد أن نشير إلى بعض هذه

الاخبار،ثم نبين حقيقته و نكشف عن معناه.

أما الاخبار:كقول النبى(ص):«ودّ المؤمن للمؤمن فى اللّه أعظم شعب الايمان،الا و من أحب فى اللّه.و أبغض فى اللّه.و أعطى فى اللّه.و منع فى اللّه فهو من اصفياء اللّه».و قال(ص)لاصحابه:«أى عرى الايمان اوثق؟» فقالوا:اللّه و رسوله اعلم-فقال بعضهم:الصلاه،و قال بعضهم،الزكاه، و قال بعضهم:الصيام،و قال بعضهم:الحج و العمره،و قال بعضهم:الجهاد- فقال رسول اللّه(ص):«لكل ما قلتم فضل و ليس به،و لكن اوثق عرى الايمان الحب فى اللّه و البغض فى اللّه،و توالى أولياء اللّه و التبرى من اعداء اللّه».

و قال(ص):«المتحابون فى اللّه يوم القيامه على ارض زبرجده خضراء فى ظل عرشه عن يمينه-و كلنا يديه يمين-وجوههم أشد بياضا و أضوأ من الشمس الطالعه،يغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب و كل نبى مرسل،يقول الناس:من هؤلاء؟فيقال:هؤلاء المتحابون فى اللّه». و قال سيد الساجدين -عليه السّلام-:«اذا جمع اللّه-عز و جل-الأولين و الآخرين،قام مناد فنادى ليسمع الناس،فيقول:اين المتحابون فى اللّه؟قال:فيقوم عنق من الناس،فيقال لهم:اذهبوا إلى الجنه بغير حساب.قال:فتلقاهم الملائكه، فيقولون:الى اين؟فيقولون:الى الجنه بغير حساب،فيقولون:أى حزب انتم من الناس:فيقولون:نحن المتحابون فى اللّه.قال:فيقولون:و اى شىء كانت أعمالكم؟قالوا:كنا نحب فى اللّه و نبغض فى اللّه.قال:فيقولون:نعم اجر العاملين» .و قال الباقر(ع):«اذا ردت ان تعلم ان فيك خيرا فانظر الى قلبك،فان كان يحب أهل طاعه اللّه و يبغض أهل معصيته ففيك خير و اللّه يحبك،و إذا كان يبغض أهل طاعه اللّه و يحب أهل معصيته فليس فيك خير و اللّه يبغضك.و المرء مع من أحبه».و قال(ع):«لو ان رجلا أحب رجلا

للّه،لأثابه اللّه على حبه إياه،و ان كان المحبوب فى علم اللّه من أهل النار، و لو ان رجلا ابغض رجلا للّه،لاثابه اللّه على بغضه إياه،و ان كان المبغض فى علم اللّه من أهل الجنه». و قال الصادق(ع):«من أحب للّه،و ابغض للّه، و أعطى للّه،فهو ممن كمل ايمانه».و قال(ع):«ان المتحابين فى اللّه يوم القيامه على منابر من نور،قد اضاء نور وجوههم و نور اجسادهم و نور منابرهم كل شيء،حتى يعرفوا به،فيقال:هؤلاء المتحابون فى اللّه».و قال (ع):«و هل الايمان الا الحب فى اللّه و البغض فى اللّه؟ثم تلا هذه الآيه:

حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَ زَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيانَ أُولئِكَ هُمُ الرّاشِدُونَ

(۱)

.

و قال(ع):«ما التقى المؤمنان قط إلا كان افضلهما أشدهما حبا لأخيه».و قال(ع):«من لم يحب على الدين و لم يبغض على الدين فلا دين له».و الاخبار بهذه المضامين كثيره (۲).

و إذا عرفت ذلك،فلنشر إلى معنى الحب فى اللّه و البغض فى اللّه فنقول:

الحب الذى بين انسانين،اما يحصل بمجرد الصحبه الاتفاقيه،كالصحبه بحسب الجوار،او بحسب الاجتماع فى سوق،او مدرسه،او سفر،او باب سلطان،او أمثال ذلك،و معلوم ان مثل هذا الحب ليس من الحب فى اللّه بل هو الحب بحسب الاتفاق،أو لا يحصل بمجرد ذلك،بل له سبب و باعث آخر،و هذا على أربعه اقسام:

۱- ۱) الحجرات،الآيه:۷.

۲- ۲) صحتا الأحاديث كلها على(أصول الكافى):ج ۲،باب الحب فى اللّه و البغض فى اللّه.و على(الوافى):۳-۳۴۴،باب الحب فى اللّه و البغض فى اللّه.

الأول-أن يحب انسان إنسانا لـذاته،لا ليتوصل به إلى محبوب و مقصود وراءه،بأن يكون هو فى ذاته محبوبا عنـده،بمعنى انه يلتذ برؤيته و معصـيته و مشاهده اخلاقه،لاستحسانه له،فان كل جميل لذيذ فى حق من أدرك جماله،و كل لذيذ محبوب،و اللذه تتبع الاستحسان،و الاستحسان يتبع المناسبه و الموافقه و الملائمه بين الطباع.ثم ذلك المستحسن،اما أن يكون جمال الصوره،و كمال العقل،و غزاره العلم،و حسن الأخلاق و الافعال،و كل ذلك يستحسن عند الطباع السليمه،و كل مستحسن مستلذ به و محبوب،و من هـذا القسم أن يحبه لأجل مناسبه خفيه معنويه بينهما،فانه قد تستحكم الموده بين شخصين من غير حسن فى خلق و خلق،و من دون ملاحه فى صوره،و لا غيرها من الأعضاء،بل المناسبه باطنه توجب الألفه و الموافقه و المحبه،فان شبه الشىء ينجذب إليه بالطبع،و الأشياء الباطنه خفيه،و لها أسباب دقيقه ليس فى قوه البشر أن يطلع عليها،و إلى هـذا القسم من الحب و الموافقه أشار رسول اللّه(ص)بقوله:«الأرواح جنود مجنـده،فما تعارف منها ائتلف،و ما تناكر منها اختلف».فالحب نتيجه التناسب الـذى هو التعارف،و البغض نتيجه التناكر.و معلوم ان هـذا القسم من الحب لا يـدخل فى الحب للّه،بل هو حب بالطبع و شهوه النفس، لذا يتصور ممن لا يؤمن باللّه،إلا انه ان اتصل به غرض مذموم صار مذموما،و إلا فهو مباح لا يوصف بمدح و ذم.

الثانى-أن يحبه لا لـذاته،بل لينال منه محبوبا وراء ذاته،و كانت لهـذا المحبوب فائده دنيويه.و لا ريب فى أن كلما هو وسيله إلى المحبوب محبوب، و عدم كون هذا الحب من جمله الحب فى اللّه ظاهر.

الثالث-أن يحبه لا لذاته،بل لغيره،و ذلك الغير راجع إلى

حظوظه فی الآخره دون الدنیا،و ذلک کحب التلمیذ للاستاذ،لأن یتوسل به إلی تحصیل العلم و تحسین العمل،و مقصوده من العلم و العمل سعاده الآخره.

و هذا الحب من جمله الحب فی اللّه،و صاحبه من محبی اللّه،و کذلک حب الأستاذ للتلمیذ،لأنه یتلقف منه العلم،و ینال بواسطته مرتبه التعلیم، و یترقی به إلی درجه التعظیم فی ملکوت السماء.قال عیسی(ع):«من علم و عمل و علم،فذلک یدعی عظیما فی ملکوت السماء».و لا یتم التعلیم إلا بمتعلم،فهو إذن آله فی تحصیل هذا الکمال،فان أحبه لأنه آله إذ جعل صدره مزرعه لحرثه،فهو محب للّه.

بل التحقیق:أن کل من یحب أحدا لصنعته،أو فعله الذی یوجب تقربه إلی اللّه،فهو من جمله المحبین فی اللّه،کحب من یتولی له إیصال الصدقه الی المستحقین،و حب طباخ یحسن صنعته فی الطبخ لأجل طبخه لمن یضیفه تقربا إلی اللّه،و حب من ینفق علیه و یواسیه بکسوته و طعامه و مسکنه و جمیع مقاصده التی یقصده فی الدنیا،و مقصوده من ذلک الفراغ لتحصیل العلم و العباده،و حب من یخدمه بنفسه من غسل ثیابه و کنس بیته و طبخ طعامه و أمثال ذلک من حیث إنه یفرغه لتحصیل العلم و العمل...و قس علی ما ذکر أمثاله،و المعیار أن کل من أحب غیره من حیث توسله لأجله الی فائده أخرویه فهو محب اللّه و فی اللّه.

الرابع-أن یحبه للّه و فی اللّه،لا لینال منه علما أو عملا،أو یتوسل به إلی امر وراء ذاته،و ذلک بأن یحبه من حیث إنه متعلق باللّه و منسوب الیه،إما بالنسبه العامه التی ینتسب بها کل مخلوق إلی اللّه،أو لأجل خصوصیه النسبه أیضا،من تقربه إلی اللّه،و شده حبه و خدمته له-تعالی-.

و لا ریب فی أن من آثار غلبه الحب أن یتعدی من المحبوب إلی کل من یتعلق

به و يناسبه،و لو من بعد،فمن أحب إنسانا حبا شديدا،أحب محب ذلك الإنسان و أحب محبوبه و من يخدمه و من يمدحه و يثنى عليه أو يثنى محبوبه، و أحب أن يتسارع إلى رضاء محبوبه،كما قيل:

أمر على الديار ديار ليلى

أقبل ذا الجدار و ذا الجدارا

و ما حب الديار شغفن قلبى

و لكن حب من سكن الديارا

و اما البغض فى اللّه،فهو ان يبغض انسان إنسانا لأجل عصيانه للّه و مخالفته له-تعالى-،فان من يحب فى اللّه لا بد ان يبغض فى اللّه،فانك إن أحببت إنسانا لأنه مطيع للّه و محبوب عنده،فان عصاه لا بد ان تبغضه، لأنه عاص فيه و ممقوت عند اللّه،قال عيسى(ع):«تحببوا إلى اللّه ببغض أهل المعاصى،و تقربوا إلى اللّه بالتباعد عنهم،و التمسوا رضاء اللّه بسخطهم».

و روى:«انه-تعالى-اوحى إلى بعض أنبيائه،اما زهدك فى الدنيا فقد تعجلت الراحه،و اما انقطاعك إلى فقد تعززت بى،و لكن هل عاديت فى عدوا،او واليت وليا؟».

ثم للمعصيه درجات مختلفه،فانها قد تكون بالاعتقاد،كالكفر و الشرك و البدعه،و قد تكون بالقول و الفعل،و هذا إما ان يكون مما يتأذى به غيره،كالقتل و الغصب و الضرب و شهاده الزور و سائر أنواع الظلم،او لا يكون مما يتأذى به غيره،و هذا إما يوجب فساد الغير،كالجمع بين الرجال و النساء،و تهيئه أسباب الشر و الفساد على ما هو دأب صاحب الماخور،أو لا يوجب فساد الغير،كالزنا و شرب الخمر،و هذا أيضا إما كبيره أو صغيره. و إظهار البغض أيضا له درجات مختلفه،كالتباعد و الهجران،و قطع اللسان عن المكالمه و المحادثه،و التغليظ فى القول، و الاستخفاف و الاهانه،و عدم السعى فى إطاعته،و السعى فى اساءته

و افساد مآربه،و بعض هـذا أشـد من بعض،كما أن درجات الفسق و المعصـيه أيضا كـذلك،فينبغى أن يكون الأشد من درجات البغض بـإزاء الأشـد من درجـات المعصـيه و الفسق،و الوسـط بـإزاء الوسـط،و الأضـعف بإزاء الأضـعف، و ينبغى ألا يترك أولا النصـيحه،و الأمـر بـالمعروف،و النهى عن المنكر، و تغليـظ القول فى الوعـظ و الإرشاد،لا سـيما إذا كان العاصـى ممن بينه و بينه صحبه متأكده.ثم العاصى إن كان ممن له صفات محموده،كالايمان و العلم و السخاء و العباده و الطاعه أو أمثال ذلك،ينبغى أن يكون مبغوضا لأجل معصيته و محبوبا لأجل صفته المحموده،و هذا كما أن من وافقك فى غرض و خالفك فى آخر تكون معه على حـاله متوسـطه بين التردد إليه و التوحش عنه،فلا تبالغ فى إكرامه مبالغتك فى إكرام من يوافقك فى جميع اغراضك، و لا تبالغ فى اهانته مبالغتك فى إهانه من خالفك فى جميع اغراضك.

تتميم (الوفاء فى الحب)

اعلـم ان من تمـام الحب للاـخوان فى اللّه(الوفـاء)،و هـو الثبـات على الحب و لـوازمه و ادامته إلى المـوت و بعـده مع أولاـده و اصدقائه،و ضده(الجفاء)، و هو قطع الحب أو بعض لوازمه فى أيام الحياه او بعد الموت بالنسـبه إلى أولاده و أحبته،و لو لا الوفاء فى الحب لمـا كانت فيه فائـده،اذ الحب إنما يراد للآخره،فان انقطع قبل الموت لضاع السـعى و حبط العمل،و لـذلك قال رسول اللّه فى السـبعه الـذين يظلمهم اللّه يوم القيامه:«و اخوان تحابا فى اللّه اجتمعا على ذلك و تفرقا عليه». و روى:«أنه(ص)كان يكرم بعض العجـائز كلمـا دخلت عليه،فقيـل له فى ذلـك،فقـال:إنهـا كانت تأتينا أيام خـديجه،و ان كرم العهـد من الـدين».فمن الوفاء مراعاه جميع الاصدقاء

و الأقارب و المتعلقين،و مراعاتهم اوقع فى القلب من مراعاه الأخ المحبوب فى نفسه،فان فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر من فرحه بتفقد نفسه،اذ لا تعرف قوه المحبه و الشفقه الا بتعديها من المحبوب إلى كل من يتعلق به، حتى ان من قوى حبه لأخيه تميز فى قلبه كلبه الذى على باب داره من سائر الكلاب.و لا ريب فى ان المحبه التى تنقطع-و لو بعد الممات-لا تكون محبه فى اللّه،اذ المحبه فى اللّه دائمه لا انقطاع لها.فما قيل من ان(قليل الوفاء بعد الوفاه خير من كثيره حال الحياه)انما هو لدلالته على كون الحب فى اللّه.

و بالجمله:الوفاء بالمحبه تمامها.و من آثار الوفاء ان يكون شديد الجزع من مفارقته،و الا يسمع بلاغات الناس عليه،و ان يحب صديقه و يبغض عدوه، و ليس من الوفاء موافقه الأخ فيما يخالف الحق فى امر يتعلق بالدين،بل من الوفاء المخالفه له و إرشاده إلى الحق.

هذا و اما البعد و الانس،فقد عرفت ان الانس عباره عن استبشار القلب بما يلاحظه من المحبوب بعد الوصول،و البعد خلافه،و الأنس و الخوف و الشوق كلها من آثار المحبه،و كل واحد منها يرد على المحب بحسب نظره،و مما يغلب عليه فى وقته،فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجمال، و استشعر قصوره من الاطلاع على كنه الجلال،انبعثت النفس و انزعجت له و هاجت إليه،فسميت هذه الحاله فى الانزعاج(شوقا)،و هو بالإضافه إلى امر غايب،و إذا غلب عليه الفرح بالقرب و مشاهده الحضور بما هو حاصل من الكشف،و كان نظره مقصورا على مطالعه الجمال الحاضر المكشوف، غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد،استبشر القلب بما يلاحظه فيه.فيسمى استبشاره (انسا)،و ان كان نظره إلى صفات العز و الجلال و الاستغناء و عدم المبالاه،و استشعر إمكان الزوال و البعد،تألم قلبه بهذا الاستشعار،فيسمى

تألمه(خوفا)،و هذه الأحوال تابعه لهذه الملاحظات،فان غلب الأنس و تجرد عن ملاحظه ما غاب عنه و ما يتطرق إليه من خطر الزوال،عظم نعيمه و لذته،و غلب عليه الأنس باللّه،و لم تكن شهوته الا فى الانفراد و الخلوه،و ذلك لان الانس باللّه يلازمه التوحش من غير اللّه،بل كلما يعوق من الخلوه يكون اثقل الأشياء على القلب،كما روى:«ان موسى (ع)لما كلمه ربه،مكث دهرا لا يسمع كلامه أحد من الخلق الا أخذه الغشيان»،و لان الحب يوجب عذوبه كلام المحبوب و عذوبه ذكره،فيخرج عن القلب عذوبه ما سواه،فان خالط الناس كان كمنفرد فى جماعه،و مجتمع فى خلوه،و غريب فى حضر،و حاضر فى سفر،و شاهد فى غيبه،و غائب فى حضور،و مخالط بالبدن،متفرد بالقلب المستغرق فى عذوبه الذكر، قال أمير المؤمنين(ع)فى وصفهم:«هم قوم هجم بهم العلم على حقيقه الامر، فباشروا روح اليقين،و استلانوا ما استوعره المترفون،و انسوا بما استوحش منه الجاهلون،صحبوا الدنيا بابدان ارواحها متعلقه بالمحل الأعلى،أولئك خلفاء اللّه فى ارضه،و الدعاه إلى دينه».

فصل (الانس باللّه)

من أنكر وجود الحب و الشوق أنكر وجود الانس أيضا،ظنا انه يدل على التشبيه،و هو ناش عن الجهل بالابتهاجات العقليه و اللذات الحقيقيه، و عن القصور فى طريق المعرفه،و الجمود على احكام الحس،و الغفله عن عالم العقل و البصيره،و قد ظهر ثبوت الانس من بعض الاخبار السابقه، و يدل عليه ما ورد فى اخبار داود:«ان اللّه-عز و جل-اوحى إليه:

يا داود!ابلغ أهل ارضى:انى حبيب لمن احبنى،و جليس لمن جالسنى،

و مؤنس لمن أنس بـذكرى،و صـاحب لمن صـاحبنى،و مختار لمن اختارنى،و مطيع لمن اطاعنى،ما أحبنى عبـد اعلم ذلك يقينا من قلبه إلا قبلته لنفسـى،و احببته حبا لا يتقـدمه أحد من خلقى،من طلبنى بالحق وجدنى،و من طلب غيرى لم يجدنى،فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها،و هلموا إلى كرامتى و مصاحبتى و مجالستى،و آنسوا بى اؤانسكم،و اسارع إلى محبتكم».

فصل (الأنس قد يثمر الإدلال)

قـال أبو حامـد الغزالى:«الأنس إذا دام و غلب و اسـتحكم،و لم يشوشه قلق الشوق،و لم ينغصه خوف البعـد و الحجاب،فانه يثمر نوعـا من الانبسـاط فى الأقوال و الافعـال و المناجاه مع اللّه-سـبحانه-،و قـد يكون منكرا بحسب الصوره،لما فيه من الجراه و قله الهيبه،و لكنه محتمل ممن أقيم فى مقام الأنس،و من لم يقم فى ذلك المقام و تشبه بهم فى الفعل و الكلام،هلك و أشرف على الكفر.و مثاله مناجاه(برخ الأسود)الـذى أمر اللّه-تعالى- كليمه موسـى(ع)أن يسأله ليستسـقى لبنى أسـرائيل،بعـد أن قحطوا سـبع سنيـن،و خرج موسـى فى سـبعين الفـا،فـاوحى اللّه-عز و جـل-اليـه:كيـف اسـتجيب لهـم و قـد اظلـت عليهم ذنـوبهم؟سـرائرهم خبيثه،يـدعوننى على غير يقين،و يأمنون مكرى،ارجع إلى عبد من عبادى يقال له(برخ)،فقل له:يخرج حتى اسـتجيب له.فسأل عنه موسـى،فلم يعرف،فبينا موسـى ذات يوم يمشـى فى طريق،اذا بعبد اسود قد اسـتقبله،بين عينيه تراب من اثر السـجود،فى شـمله قد عقـدها على عنقه،فعرفه موسـى بنور اللّه-عز و جل-، فسـلم عليه و قال له:ما اسـمك؟فقال:اسـمى برخ،قال:فأنت طلبتنا منذ حين، اخرج فاستسق لنا،فخرج،فقال فى كلامه:ما هذا من فعالك،

و لا هذا من حلمك،و ما الذى بدا لك؟أ تعصت عليك غيومك؟ أم عاندت الرياح عن طاعتك؟أم نفد ما عندك؟أم اشتد غضبك على المذنبين؟ألست كنت غفارا قبل خلق الخاطئين؟خلقت الرحمه و أمرت بالعفو،أم تربنا انك ممتنع؟أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبه؟!...قال:

فما برح حتى اخضل بنو أسرائيل بالمطر،و أنبت اللّه-عز و جل-العشب فى نصف يوم حتى بلغ الركب،ثم رجع(برخ)،فاستقبله موسى،فقال:

كيف رأيت حين خاصمت ربى،كيف انصفنى؟!فهمّ به موسى،فاوحى اللّه اليه:إن برخا يضحكنى كل يوم ثلاث مرات»!! (۱).و لا ريب فى ان أمثال هذه الكلمات الصادره عن الانبساط و الإدلال يحتمل من بعض العباد دون البعض،فمن انبساط الانس قول موسى:

إِنْ هِيَ إِلاّٰ فِتْنَتُكَ

(۲)

و قوله فى التعلل و الاعتذار،لما قيل له.

اِذْهَبْ إِلىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغىٰ

(۳)

: وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخٰافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (۴).و قوله: وَ يَضِيقُ صَدْرِي (۵).و قوله: إِنَّنٰا نَخٰافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنٰا أَوْ أَنْ يَطْغىٰ (۶).

ص:۱۹۲

۱- ۱) هذا من عجائب المنقولات الخرافيه،و الغريب من(ابى حامد الغزالى) اين يركن إلى مثله،و قد أشار المصنف-قدس سره- الى بطلان ما نقله بقوله: (و لا ريب).

۲- ۲) الأعراف،الآيه:۱۵۴.

۳- ۳) طه،الآيه:۲۴.النازعات،الآيه:۱۷.

۴- ۴) الشعراء،الآيه:۱۴.

۵- ۵) الشعراء،الآيه:۱۳.

۶- ۶) طه،الآيه:۴۵.

و هذا من غير موسى سوء الادب،لان الذى أقيم مقام الأنس يلاطف و يحتمل منه ما لا يحتمل من غيره.كيف و لم يحتمل من يونس النبى(ع) ما دون هذا الحال،اقيم مقام القبض و الهيبه،فعوقب بالسجن فى بطن الحوت فى ظلمات ثلاث،فنودى عليه إلى يوم الحشر،لو لا ان تداركته نعمه من ربه لنبذ بالعراء و هو مذموم.و نهى نبينا ان يقتدى به،فقيل له:

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لاٰ تَكُنْ كَصٰاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نٰادىٰ وَ هُوَ مَكْظُومٌ

(۱)

.

و هذه الاختلافات بعضها لاختلاف المقامات و الأحوال،و بعضها لما سبق فى الازل من التفاضل و التفاوت فى القسمه بين العباد.قال اللّه-سبحانه-:

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنٰا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّٰهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجٰاتٍ

(۲)

.

فالانبياء و الأولياء مختلفون فى الصفات و الأحوال،ألا ترى ان عيسى بن مريم(ع)كان فى مقام الانبساط و الإدلال.و لا دلاله له سلم على نفسه،فقال:

وَ السَّلاٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا

(۳)

.

و هذا انبساط منه لما شاهد من اللطف فى مقام الانس.و اما يحيى(ع)

۱- ۱) القلم.الآيه:۴۸.

۲- ۲) البقره،الآيه:۲۵۳.

۳- ۳) مريم،الآيه:۳۳.

فانه أقیم مقام الهیبه و الحیاء،فلم ینطق حتی سلم علیه خالقه،فقال:

وَ سَلاٰمٌ عَلَیْهِ یَوْمَ وُلِدَ وَ یَوْمَ یَمُوتُ وَ یَوْمَ یُبْعَثُ حَیًّا

(۱)

.

و انظر کیف احتمل لاخوه یوسف ما فعلوا به،و قد قال بعض العلماء:

«قد عددت من أول قوله-تعالی-:

إِذْ قٰالُوا لَیُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلیٰ أَبِینٰا مِنّٰا

(۲)

إلی رأس العشرین آیه من اخباره-تعالی-عنهم،فوجدت به نیفا و أربعین خطیئه،بعضها أکبر من بعض،و قد یجتمع فی الکلمه الواحده الثلاث و الأربع،فغفر لهم و عفی عنهم،و لم یحتمل لعزیر فی مسأله واحده سأل عنها فی القدر،حتی قیل:لئن عاد محی اسمه عن دیوان النبوه».و من فوائد هذه القصص فی القرآن:ان تعرف بها سنه اللّه فی عباده الذین خلوا من قبل،فما فی القرآن شیء إلا و فیه أسرار و أَنوار یعرفها الراسخون فی العلم.

تذنیب (العزله)

اشاره

اعلم ان من بلغ مقام الانس،غلب علی قلبه حب الخلوه و العزله عن الناس.لان المخالطه مع الناس تشغل القلب عن التوجه التام إلی اللّه.فلا بد لنا من بیان ان الأفضل من العزله و المخالطه ایهما.فان العلماء فی ذلک مختلفون.و الاخبار أیضا فی ذلک مختلفه.و لکل واحد منها أیضا فوائد و مفاسد.فنقول:الظاهر من جماعه:تفضیل العزله علی المخالطه مطلقا.

۱- ۱) مریم.الآیه:۱۴.

۲- ۲) یوسف.الآیه:۸.

و الظاهر من الأخرى:عكس ذلک.

نظر الأولين إلى إطلاق ما ورد فى مدح العزله،و إلى فوائدها و ما ورد فى مدحها،كقول النبى(ص):«ان اللّه يحب العبد التقى الخفى»، و قوله(ص):«أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه و ماله فى سبيل اللّه،ثم رجل معتزل فى شعب من الشعاب»،و قوله(ص)لمن سأله عن طريق النجاه:

«ليسعک بيتک،و أمسک عليک دينک،و ابک على خطيئتک»، و قول الصادق(ع):«فسد الزمان،و تغير الاخوان،و صار الانفراد اسكن للفؤاد»،و قوله(ع):«اقلل معارفک،و أنكر من تعرف منهم»،و قوله -عليه السّلام-:«صاحب العزله متحصن بحصن اللّه- تعالى-،و متحرس بحراسته،فيا طوبى لمن تفرد به سرا و علانيه!و هو يحتاج إلى عشر خصال:

علم الحق و الباطل،و تحبب الفقر،و اختيار الشده،و الزهد،و اغتنام الخلوه، و النظر فى العواقب،و رؤيه التقصير فى العباده مع بذل المجهود،و ترک العجب، و كثره الذكر بلا غفله،فان الغفله مصطاد الشيطان و رأس كل بليه و سبب كل حجاب،و خلوه البيت عما لا يحتاج إليه فى الوقت.قال عيسى بن مريم عليهما السّلام:(اخزن لسانک لعماره قلبک،و ليسعک بينک،و احذر من الرياء و فضول معاشک،و استح من ربک،و ابک على خطيئتک،و فرّ من الناس فرارک من الأسد و الافعى،فانهم كانوا دواء فصاروا اليوم داء،ثم الق اللّه متى شئت)».قال ربيع بن خثيم:«إن استطعت أن تكون اليوم فى موضع لا تعرف و لا تعرف فافعل،ففى العزله صيانه الجوارح،و فراغ القلب، و سلامه العيش،و كسر سلاح الشيطان،و المجانبه من كل سوء،و راحه القلب،و ما من نبى و لا وصى إلا و اختار العزله فى زمانه،إما فى ابتدائه،

ص:١٩۵

و إما فی انتهائه» (۱).

و أما فوائد العزله،فکالفراغ للعباده،و الذکر،و الفکر، و الاستیناس بمناجاه اللّه،و الاشتغال باستکشاف أسرار اللّه فی ملکوت السماوات و الأرض،و التخلص عن المعاصی التی یتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطه:کالغیبه،و الریاء،و سائر آفات اللسان،و مسارقه الطبع الأعمال الخفیه و الأخلاق الردیه من الناس،و المداهنه فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،و الاستخلاص من الفتن و الخصومات و اخطارها،أو من شر الناس و ایذائهم قولا و فعلا،و قطع طمعه عن الناس،و قطع طمعهم عنه،و الخلاص من مشاهده الظلمه،و الفسقه،و الجهال،و الثقلاء، و الحمقی،و مقاساه أخلاقهم.

و نظر الآخرین-اعنی القائلین بتفضیل المخالطه علی العزله-الی إطلاق الظواهر الوارده فی مدح المخالطه و المؤالفه و المؤانسه و إلی فوائدها،أما ما ورد فی مدحها،کقول النبی(ص):«المؤمن إلف مألوف،و لا خیر فیمن لا یألف و لا یؤلف»،و قوله(ص):«من فارق الجماعه مات میته الجاهلیه» و کالاخبار الوارده فی ذم الهجره عن الاخوان،و قوله(ص):«إیاکم و الشعاب،و علیکم بالعامه و الجماعه و المساجد».

و أما فوائد المخالطه:کالتعلیم،و التعلم،و کسب الأخلاق الفاضله من مجالسه المتصفین بها،و استماع المواعظ و النصائح،و نیل الثواب بحضور الجمعه و الجماعه و الجنازه،و عیاده المرضی،و زیاره الاخوان،و قضاء حوائج المحتاجین،و رفع الظلم عن المظلومین،و إدخال السرور علی المؤمنین،

ص: ۱۹۶

۱- ۱) صححنا هذا القول،و کذا الحدیث السابق،علی(مصباح الشریعه): باب ۲۴،و علی(البحار):-باب العزله عن شرار الخلق-:مج ۲:۱۵-۵۱ ط أمین الضرب.

و الاستيناس بالاخوان،و بأهل الورع و العباده و التقوى،و هو يروح القلب،و يهيج داعيه النشاط فى العباده،و إيصال النفع إلى المسلمين بالمال و الجاه و اللسان،و استفاده مزيد الأجر و الثواب بتحصيل المعاش و الكد على العيال،و ارتياض النفس بمقاساه الناس فى تحمل أذاهم،و كسر النفس و شهواتها،و ادراک صفه التواضع لتوقفه على معاشره الناس و مخالطتهم و عدم حصوله فى الوحده،و استفاده التجارب و الكياسه فى مصالح الدنيا و الدين،فانها لا تحصل إلا من مخالطه الخلق و مشاهده مجارى أحوالهم.

هذه هى فوائد كل من العزله و المخالطه،و فوائد كل منهما مفاسد و غوائل للآخر،و أنت-بعد ما عرفت فوائد كل منهما و غوائله-تعلم أن الحكم بترجيح أحدهما على الآخر على الإطلاق خطأ،كيف يجوز أن يقال:ان العزله أفضل لشخص جاهل لم يتعلم شيئا من اصوله و فروعه،و لم يقرع سمعه علم الأخلاق،و لم يميز بين فضائل الصفات و رذائلها،فضلا عن أن تحصل له التخليه و التحليه،و مع ذلک يمكن أن يحصل ذلک بالمخالطه مع العلماء و أولى الأخلاق الفاضله؟و كيف يجوز أن يقال:إن المخالطه أفضل لمن حصل ما فى و سعه و قدرته من العلم و العمل،و وصل إلى مرتبه الابتهاج و الالتذاذ بالطاعات و المناجاه،و لم يترتب على مخالطته مع الناس شىء من الفوائد الدينيه و الدنيويه،بل تترتب عليه المفاسد الكثيره؟ فالصحيح أن يقال:إن الأفضليه فيهما تختلف بالنظر إلى الأشخاص و الأحوال و الأزمان و الأمكنه.فينبغى أن ينظر إلى كل شخص و حاله، و إلى خليطه،و إلى باعث مخالطته،و إلى ما يحصل بمخالطته من فوائد المخالطه،و ما يفوت لاجلها من فوائد العزله.و يوازن بين ذلک،حتى يظهر الأفضل و الارجح،و لاختلاف ذلک فى حق الأشخاص،

بملاحظه الأحوال و الفوائد و الآفات.و ربما يظهر-بعد التأمل-أن الأفضل لبعض الخلق العزله التامه،و لبعضهم المخالطه،و لبعضهم الاعتدال فى العزله و المخالطه.و بما ذكر يظهر أن الأفضل لمن بلغ مقام الانس و الاستغراق:

الخلوه و العزله،إذ لا ريب فى أن المخالطه توجب السقوط عن مرتبه الشهود و الانس،و لا يتصور من فوائدها شيء يقاوم ذلك.و لذلك كان المحبون المستأنسون باللّه يعتزلون عن الخلق و يؤثرون الخلوه. قال أويس القرنى:

«ما كنت أرى أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره»،و قال بعضهم:«إذا رأيت الصبح أدركنى استرجعت كراهيه لقاء الناس».و قال بعضهم:«سرور المؤمن و لذته فى الخلوه بمناجاه ربه». و قال بعض الصالحين:«رأيت فى بعض البلاد عابدا خرج من بعض قلل الجبال،فلما رآنى تنحى عنى و تستر بشجره.فقلت له:سبحان اللّه!أ تبخل على بالنظر إليك؟فقال:يا هذا! انى قمت فى هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبى فى الصبر عن الدنيا و أهلها، فطال فى ذلك تعبى و فنى فيه عمرى،فسألت اللّه-تعالى-أن يعطينى ذلك.فسكن قلبى عن الاضطراب،و ألف الوحده و الانفراد.فلما نظرت اليك خفت ان اوقع فى الأول.فانى أعوذ من شرك برب العالمين و حبيب القانتين.ثم صاح و قال:واغماه من طول المكث فى الدنيا!ثم حول وجهه عنى و قال:سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذه الخلود و حلاوه الانقطاع إليه!ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان و عن الحور الحسان». و قال بعض الأكابر:«إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيله.فبملاقاه الناس و مخالطتهم يفرح و يطرد الوحشه من نفسه.

فإذا كانت ذاته فاضله طلب الوحده ليستعين بها على الفكره و يستخرج العلم و الحكمه».و من هنا قيل:«الاستيناس بالناس من علامات الا فلاس».

فمن تیسر له منزله بدوام الذکر و الانس باللّه و بدوام الفکر و التحقیق فی معرفه اللّه،فالتجرد و الخلوه أفضل له من کل ما یتعلق بالمخالطه.فان غایه العبادات و ثمره المجاهدات أن یموت الإنسان محبا للّه عارفا باللّه،و لا محبه إلا بالأنس الحاصل بدوام الذکر،و لا معرفه إلا بدوام الفکر.و فراغ القلب شرط لکل منهما،و لا فراغ مع المخالطه.

فان قلت:لا منافاه بین المخالطه مع الناس و الانس باللّه،و لذا کان الأنبیاء مخالطین للناس مع غایه استغراقهم فی الشهود و الانس.

قلنا:لا یتسع للجمع بین مخالطه الخلق ظاهرا و الإقبال التام علی اللّه سرا إلا قوه النبوه.فلا ینبغی أن یغتر کل ضعیف بنفسه فیطمع فی ذلک. ثم بما ذکرناه یظهر وجه الجمع بین الاخبار الوارده من الطرفین.

فان ما ورد فی فضیله العزله إنما هو بالنظر إلی بعض الناس،و ما ورد فی فضیله المخالطه انما هو بالنظر إلی بعض آخر.

و منها:

اشاره

السخط

السخط فیما یخالف هواه من الواردات الإلهیه و التقدیرات الربانیه.

و یرادفه الإنکار و الاعتراض،و هو من شعب الکراهه لافعال اللّه.و هو ینافی الایمان و التوحید.و ما للعبد العاجز الذلیل المهین الجاهل بمواقع القضاء و القدر،و الغافل عن موارد الحکم و المصالح،الاعتراض و الإنکار.

و السخط لافعال الخالق الحکیم العلیم الخبیر.و انی للعبد ألا یرضی بما یرضی به ربه.و لعمری!أن من یعترض علی فعل اللّه فهو أشد الجهلاء،و من لم یرض بالقضاء فلیس لحمقه دواء.و قد ورد فی الخبر القدسی:«خلقت الخیر و الشر.فطوبی لمن خلقته للخیر و أجریت الخیر علی یدیه،و ویل

لمن خلقته للشر و أجريت الشر على يديه،و ويل ثم ويل لمن قال لم و كيف!». و فى خبر قدسى آخر:«أنا اللّه لا إله إلا انا،من لم يصبر على بلائى،و لم يشكر على نعمائى،و لم يرض بقضائى،فليتخذ ربا سواى» و فى مناجاه موسى:«أى رب!أىّ خلقك أحب إليك؟قال:من إذا أخذت منه المحبوب سالمنى.قال:فأى خلقك أنت عليه ساخط؟قال:من يستخيرنى فى الأمر،فإذا قضيت له سخط قضائى».و فى الخبر القدسى:«قدرت المقادير،و دبرت التدبير،و احكمت الصنع،فمن رضى فله الرضا منى حين يلقانى،و من سخط فله السخط منى حين يلقانى».و قال الباقر(ع):

«و من سخط القضاء مضى عليه القضاء،و احبط اللّه أجره».و قال الصادق(ع):

«كيف يكون المؤمن مؤمنا،و هو يسخط قسمته،و يحقر منزلته،و الحاكم عليه اللّه،و أنا الضامن لمن لم يهجس فى قلبه الا الرضا ان يدعو اللّه فيستجاب له».و فى بعض الاخبار:«أن نبيا من الأنبياء شكى إلى اللّه-عز و جل-الجوع و الفقر و العرى عشر سنين،فما أجيب إليه،ثم أوحى اللّه-تعالى-اليه:كم تشكو؟و هكذا كان بدؤك عندى فى أم الكتاب قبل ان اخلق السماوات و الأرض،و هكذا سبق لك منى،و هكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا،أ فتريد أن اعيد خلق الدنيا من اجلك؟ام تريد ان أبدل ما قدرته عليك،فيكون ما تحب فوق ما أحب،و يكون ما تريد فوق ما أريد؟ و عزتى و جلالى!لئن تلجلج هذا فى صدرك مره أخرى،لأـ محونك من ديوان النبوه» (1). و روى انه:«اوحى اللّه-تعالى-الى داود(ع):تريد و أريد و انما يكون ما أريد،فان اسلمت لما أريد كفيتك ما تريد،و ان لم تسلم

1- 1) صححنا هذا الحديث،و كذا الاخبار القدسيه السابقه،على (احياء العلوم):۴-۲۹۵-۲۹۶.

لما أريد أتعبتك فيما تريد،ثم لا يكون إلا ما أريد» (۱).

و بالجمله:من عرف أن العالم بجميع اجزائه،من الجواهر و الاعراض، صادره عنه على وجه الحكمه و الخيريه،و انها النظام الاصلح الذى لا يتصور فوقه نظام،و لو تغير جزء منه على ما هو اختلت الاصلحيه و الخيريه،و عرف اللّه بالربوبيه،و عرف نفسه بالعبوديه،يعلم ان السخط و الاعراض و عدم الرضا بشىء مما يرد،و يكون غايه الجهل و الخطر،و لذلك لم يكن أحد من الأنبياء ان يقول قط فى أمر:ليست كان كذا،حتى قال بعض أصحاب النبى (ص):«خدمت رسول اللّه(ص)عشر سنين،فما قال لى لشىء فعلته:لم فعلت،و لا لشىء لم افعله:لم لم تفعله،و لا قال فى شىء كان:ليته لم يكن، و لا فى شىء لم يكن:ليته كان،و كان إذا خاصمنى مخاصم من أهله،يقول:

دعوه،لو قضى شىء لكان». و روى:«ان آدم(ع)كان بعض أولاده الصغار يصعدون على بدنه و ينزلون،و يجعل أحدهم رجليه على اضلاعه كهيئه الدرج فيصعد إلى رأسه،ثم ينزل على اضلاعه كذلك،و هو مطرق إلى الأرض لا ينطق،و لا يرفع رأسه،فقال له بعض ولده:يا أبت!أما ترى ما يصنع هذا بك؟لو نهيته عن هذا،فقال:يا بنى!انى رأيت ما لم تروا، و علمت ما لم تعلموا،انى تحركت حركه واحده فأهبطت من دار الكرامه إلى دار الهوان،و من دار النعيم إلى دار الشقاء،فاخاف ان أتحرك حركه أخرى فيصيبنى ما لا اعلم» (۲).

۱- ۱) صححنا هذا الحديث،و كذا ما روى قبله عن أهل البيت-عليهم السّلام- على(أصول الكافى):ج ۲-باب الرضا بالقضاء.و على(سفينه البحار):۱-۲۲۴.

۲- ۲) صححنا الحديث على(احياء العلوم):۴-۲۹۵.

الرضا-فضيله الرضا-رضا اللّه-رد إنكار تحقيق الرضا- هل يناقض الدعاء و نحوه الرضا؟-طريق تحصيل الرضا-التسليم.

ضد السخط(الرضا)

،و هو ترك الاعتراض و السخط باطنا و ظاهرا، قولا و فعلا،و هو من ثمرات المحبه و لوازمها،اذ المحب يستحسن كلما يصدر عن محبوبه،و صاحب الرضا يستوى عنده الفقر و الغنى،و الراحه و العناء، و البقاء و الفناء،و العز و الذل،و الصحه و المرض،و الموت و الحياه،و لا يرجح بعضها على بعض،و لا يثقل شىء منها على طبعه،اذ يرى صدور الكل من اللّه-سبحانه-،و قد رسخ حبه فى قلبه،بحيث يحب افعاله، و يرجح على مراده مراده-تعالى-،فيرضى لكل ما يكون و يرد. و روى:

«ان واحدا من أرباب الرضا عمر سبعين سنه،و لم يقل فى هذه المده لشىء كان:ليته لم يكن،و لا لشىء لم يكن:ليته كان».و قيل لبعضهم:

«ما وجدت من آثار الرضا فى نفسك؟فقال:ما فى رائحه من الرضا، و مع ذلك لو جعلنى اللّه جسرا على جهنم،و عبر عليه الأولون و الآخرون من الخلائق و دخلوا الجنه،ثم يلقونى فى النار،و ملأ بى جهنم،لاحببت ذلك من حكمه،و رضيت به من قسمه،و لم يختلج ببالى أنه لم كان كذا،و ليت لم يكن كذا،و لم هذا حظى و ذاك حظهم».و صاحب الرضا ابدا فى روح و راحه،و سرور و بهجه،لأنه يشاهد كل شىء بعين الرضا،و ينظر فى كل شىء إلى نور الرحمه الإلهيه،و سر الحكمه الأزليه،فكأن كل شىء حصل على وفق مراده و هواه.و فائده الرضا،عاجلا،فراغ القلب للعباده و الراحه من الهموم،و آجلا،رضوان اللّه و النجاه من غضبه-تعالى-.

فصل (فضيله الرضا)

الرضا بالقضاء أفضل مقامات الدين،و أشرف منازل المقربين،و هو باب اللّه الأعظم،و من دخله دخل الجنه.قال اللّه-سبحانه-:

رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ

(۱)

.

و عن النبى(ص):«أنه سأل طائفه من أصحابه:ما أنتم؟فقالوا:

مؤمنون،فقال:ما علامه ايمانكم؟فقالوا:نصبر على البلاء،و نشكر عند الرخاء،و نرضى بمواقع القضاء،فقال:مؤمنون و رب الكعبه!»،و فى خبر آخر،قال:«حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء».و قال -صلّى اللّه عليه و آله-:«اذا أحب اللّه عبدا ابتلاه،فان صبر اجتباه،فان رضى اصطفاه».و قال(ص):«أعطوا اللّه الرضا من قلوبكم،تظفروا بثواب فقركم.و قال(ص):«إذا كان يوم القيامه،أنبت اللّه-تعالى- لطائفه من أمتى اجنحه،فيطيرون من قبورهم إلى الجنان،يسرحون فيها، و يتنعمون فيها كيف شاءوا،فتقول لهم الملائكه:هل رأيتم الحساب؟ فيقولون:ما رأينا حسابا،فتقول لهم:هل جزتم الصراط؟فيقولون:

ما رأينا صراطا،فتقول لهم:هل رأيتم جهنم؟فيقولون:ما رأينا شيئا، فتقول الملائكه:من أمه من أنتم؟فيقولون:من أمه محمد(ص)،فتقول:

ناشدناكم اللّه!حدثونا ما كانت أعمالكم فى الدنيا؟فيقولون:خصلتان كانتا فينا،فبلغنا اللّه هذه المنزله بفضل رحمته،فيقولون:و ما هما؟فيقولون:

كنا إذا خلونا نستحيى ان نعصيه،و نرضى باليسير مما قسم لنا،فتقول

۱- ۱) المائده،الآيه:۱۲۲.التوبه،الآيه:۱۰۱.المجادله،الآيه:۲۲. البينه،الآيه:۸.

الملائکه:یحق لکم هذا». و قال الصادق(ع).«ان اللّه بعدله و حکمته و علمه،جعل الروح و الفرح فی الیقین و الرضا عن اللّه-تعالی-،و جعل الهم و الحزن فی الشک و السخط».و روی:«أن موسی(ع)قال:یا رب!دلنی علی امر فیه رضاک.فقال-تعالی-:إن رضای فی رضاک بقضائی».و روی:

«ان بنی أسرائیل قالوا له(ع):سل لنا ربک أمرا إذا نحن فعلناه یرضی عنا،فقال موسی(ع):إلهی!قد سمعت ما قالوا،فقال:یا موسی!قل لهم یرضون عنی حتی ارضی عنهم» (۱). و قال سید الساجدین(ع):

«الصبر و الرضا رأس طاعه اللّه،و من صبر و رضی عن اللّه فیما قضی علیه فیما أحب او کره،لم یقض اللّه-عز و جل-له فیما أحب او کره إلا ما هو خیر له».و قال-صلوات اللّه علیه-:«الزهد عشره اجزاء،أعلی درجه الزهدادنی درجه الورع،و أعلی درجه الورع أدنی درجه الیقین،و أعلی درجه الیقین أدنی درجه الرضا».و قال الباقر(ع):«أحق خلق اللّه أن یسلم لما قضی اللّه-عز و جل-.من عرف اللّه-عز و جل-و من رضی بالقضاء،اتی علیه القضاء و عظم اللّه أجره». و قال الصادق(ع):«اعلم الناس باللّه أرضاهم بقضاء اللّه».و قال(ع):«قال اللّه-عز و جل-:عبدی المؤمن،لا أصرفه فی شیء الا جعلته خیرا له،فلیرض بقضائی،و لیصبر علی بلائی،و لیشکر نعمائی، اکتبه یا محمد من الصدیقین عندی».و قال(ع):«عجبت للمرء المسلم لا یقضی اللّه-عز و جل-له قضاء الا کان خیرا له،إن قرض بالمقاریض کان خیرا له،و إن ملک مشارق الأرض و مغاربها کان خیرا له».و قال(ع):

«ان فیما أوحی اللّه-عز و جل-الی موسی بن عمران-علیه السّلام-:

یا موسی بن عمران!ما خلقت خلقا أحب إلی من عبدی المؤمن،و إنی انما ابتلیته لما هو خیر له،و اعافیه لما هو خیر له،و ازوی عنه لما هو خیر له،

۱- ۱) صححنا الأحادیث علی(احیاء العلوم):۴-۲۹۵-۲۹۶.

و أنا اعلم بما يصلح عليه عبدى،فليصبر على بلائى،و ليشكر نعمائى،و ليرض بقضائى،اكتبه فى الصديقين عندى،إذا عمل برضاى و أطاع امرى».

و قيل له(ع):بأى شىء يعلم المؤمن أنه مؤمن؟قال:«بالتسليم للّه، و الرضا فيما ورد عليه من سرور أو سخط».و قال الكاظم-عليه السّلام-:

«ينبغى لمن غفل عن اللّه،ألا يستبطئه فى رزقه،و لا يتهمه فى قضائه» (۱).

وصل (رضا اللّه)

قد ظهر من بعض الأخبار المذكوره:أن رضا اللّه-سبحانه-من العبد يتوقف على رضا العبد عنه-تعالى-،فمن فوائد رضا العبد بقضاء اللّه و ثمراته رضا اللّه-سبحانه-عنه،و هو أعظم السعادات فى الدارين،و ليس فى الجنه نعيم فوقه،كما قال-سبحانه-:

وَ مَسٰاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّٰاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوٰانٌ مِنَ اللّٰهِ أَكْبَرُ

(۲)

.

و فى الحديث:«إن اللّه يتجلى للمؤمنين فى الجنه،فيقول لهم:سلونى، فيقولون:رضاك يا ربنا!»،فسؤالهم الرضا بعد التجلى،يدل على أنه أفضل كل شىء،و ورد فى تفسير قوله-تعالى-:«و لدينا مزيد»:أنه يؤتى لأهل الجنه فى وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين ليس فى الجنان مثلها:

احداها:هديه اللّه،ليس عندهم فى الجنان مثلها،و ذلك قوله-تعالى-:

۱- ۱) صححنا الأحاديث على(أصول الكافى)ج ۲-باب الرضا بالقضاء. و على(سفينه البحار)۱-۵۲۴.

۲- ۲) التوبه،الآيه:۷۳.

فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْيُنٍ

(۱)

.

و الثانیه:السّلام علیهم من ربهم،فتزید ذلک علی الهدیه،و هو قوله -تعالی-:

سَلاٰمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِیمٍ

(۲)

.

و الثالثه:یقول اللّه-تعالی-:«إنی عنکم راض»،و هو أفضل من الهدیه و التسلیم،و ذلک قوله -تعالی-:

وَ رِضْوٰانٌ مِنَ اللّٰهِ أَکْبَرُ

(۳)

:أی من النعیم الذی هم فیه.

و معنی رضا اللّه عن العبد قریب من معنی حبه له،إلا أنه فی الآخره سبب لدوام النظر و التجلی فی غایه ما یتصور من اللقاء و المشاهده.و لهذا لیست رتبه فی الجنه فوقه.و یروه أهل الجنه اقصی الأمانی،و غایه الغایات.

فصل (رد إنکار تحقق الرضا)

من الناس من أنکر إمکان تحقیق الرضا فی أنواع البلاء و فیما یخالف الهوی،و قال المتمکن فیهما:هو الصبر دون الرضا،و هو انما أتی من ناحیه إنکار المحبه،إذ بعد ثبوت إمکان الحب للّه و استغراق الهم به لا یخفی ایجابه للرضا بافعال المحبوب.و ذلک یکون من وجهین:

أحدهما-ان یوجب الاستغراق فی الحب إبطال الإحساس بالالم،حتی یجری علیه المؤلم و لا یحس به،و تصیبه جراحه و لا یدرک المها.و لا تستبعدن ذلک،فان المحارب عند خوضه فی الحرب،و عند شده غضبه أو

۱- ۱) السجده،الآیه:۱۷.

۲- ۲) یس،الآیه:۵۸.

٣- ٣) التوبه،الآيه:٧٣.

خوفه،قد تصيبه جراحه و هو لا يحس بها،فإذا رأى الدم استدل به على الجراحه،بل الذى يعدو فى شغل مهم قد تصيبه شوكه فى قدمه،و لا يحس بألمها لشغل قلبه.و السر:أن القلب إذا صار مستغرقا بامر من الأمور،لم يدرك ما عداه،فالعاشق المستغرق الهم بمشاهده المعشوق أو بحبه،قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتم،لولا عشقه،و لا يدرك المه و غمه لاستيلاء الحب على قلبه،و هذا إذا أصابه من غير حبيبه،فكيف إذا أصابه من حبيبه.و لا ريب فى ان حب اللّه-تعالى-أشد من كل حب،و شغل القلب به أعظم الشواغل،إذ جمال الحضره الربوبيه و جلالها لا يقاس به جمال،فمن يتكشف له شىء منها،فقد يبهره بحيث يدهش و يغشى عليه،و لا يحس بما يجرى عليه.

و ثانيهما-الا يبلغ الاستغراق فى أحب بحيث لا يحس بالالم و لا يدركه و لكن يكون راضيا به،بل راغبا فيه،مريدا له بعقله،و ان كان كارها له بطبعه،كالذى يلتمس من الفصاد الفصد و الحجامه،فانه يدرك المه،الا انه راض به و راغب فيه،فالمحب الخالص للّه،اذا اصابته بليه من اللّه، و كان على يقين بأن ثوابها الذى ادخر له فوق ما فاته،رضى بها و رغب فيها و أحبها و شكر اللّه عليها.هذا إن كان نظره إلى الثواب و الاجر الذى يجازى به على ابتلائه بالمصائب و البلايا،و ربما غلب الحب بحيث يكون حظ المحب و لذته و ابتهاجه فى مراد حبيبه و رضاه لا ـ لمعنى آخر،فيكون مراد حبيبه و رضاه محبوبا عنده و مطلوبا،و كل ذلك مشاهد محسوس فى حب الخلق،فضلا عن حب الخالق و الجمال الازلى الابدى الذى لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيره التى لا يعتريها الغلط و الخطأ،فان القلوب إذا وقفت بين جماله و جلاله،فإذا لا حظوا جلاله هابوا،و إذا لا حظوا جماله تاهوا:

و يشهد بذلک حکایات المحبین،علی ما هو فی الکتب مسطور،و فی الالسنه و الافواه مذکور.فان للحب عجائب،من لم یذق طعمها لا یعرفها.

و قد روینا:ان أهل مصر مکثوا أربعه أشهر لم یکن لهم غذاء إلا النظر إلی وجه یوسف الصدیق(ع)،کانوا إذا جاعوا نظروا إلی وجهه،فشغلهم جماله عن الإحساس بألم الجوع.بل فی القرآن ما هو أبلغ من ذلک،و هو قطع النسوه ایدیهنّ لاشتهارهن بملاحظه جماله،حتی ما احسسن بذلک.

و روی:«أن عیسی(ع)مر برجل أعمی و أبرص،مقعد مفلوج،و قد تناثر لحمه من الجذام،و هو یقول:الحمد للّه الذی عافانی مما ابتلی به کثیرا من الناس!فقال عیسی:یا هذا!أی شیء من البلاء تراه مصروفا عنک؟فقال:

یا روح الله!انا خیر ممن لم یجعل اللّه فی قلبه ما جعل فی قلبی من معرفته، فقال:صدقت!هات یدک،فناوله یده،فإذا هو أحسن الناس وجها، و افضلهم هیئه،قد اذهب اللّه عنه ما کان به،و صحب عیسی و تعبد به».

فصل (هل یناقض الدعاء و نحوه الرضا)

اعلم ان الدعاء غیر مناقض للرضا،و کذلک کراهیه المعاصی،و مقت أهلها،و حسم أسبابها،و السعی فی ازالتها بالامر بالمعروف و النهی عن البطاله و الغرور:أن جمیع ذلک یخالف الرضا،إذ کل ما یقصد رده بالدعاء و أنواع المعاصی و الفجور و الکفر من قضاء اللّه و قدره،فیجب للمؤمن أن یرضی به.و قد رأوا السکوت علی المنکرات مقاما من مقامات الرضا،و سموه حسن الخلق،و هذا جهل بالتأویل،و غفله من أسرار الشریعه و دقائقها.

أما الدعاء،فلا ریب فی أنا قد تعبدنا به،و قد کثرت أدعیه الأنبیاء

و الأئمه،و کانوا علی أعلی مقامات الرضا،و تظاهرت الآیات و تواترت الأخبار فی الأمر بالدعاء و فوائده و عظم مدحه،و اثنی اللّه-سبحانه-علی عباده الداعین،حیث قال:

وَ یَدْعُونَنا رَغَباً وَ رَهَباً

(۱)

.و قال: اُدْعُونِی أَسْتَجِبْ لَکُمْ (۲).و قال: أُجِیبُ دَعْوَهَ الدّاعِ إِذا دَعانِ (۳).

و هو یوجب صفاء الباطن،و خشوع القلب،و رقه النظر،و تنور النفس و تجلیها.و قد جعله اللّه-تعالی-مفتاحا للکشف،و سببا لتواتر مزایا اللطف و الإحسان.و هو أقوی الأسباب لافاضه الخیرات و البرکات من المبادی العالیه.

فان قیل:ما یرد علی العبد من المکاره و البلایا یکون بقضاء اللّه و قدره،و الآیات و الأخبار ناطقه بالرضا بقضاء اللّه مطلقا،فالتشمر لرده بالدعاء یناقض الرضا.

قلنا:إن اللّه-سبحانه-بعظیم حکمته،أوجد ال.شیاء علی التسبیب و الترتیب بینهما،فربط المسببات بالأسباب،و رتب بعضها علی بعض، و جعل بعضها سببا و واسطه لبعض آخر،و هو مسبب الأسباب.و القدر عباره عن حصول الموجودات فی الخارج من أسبابها المعینه بحسب اوقاتها، مطابقه لما فی القضاء،و القضاء عباره عن ثبوت صور جمیع الأشیاء فی العالم العقلی علی الوجه الکلی.مطابقه لما فی العنایه الإلهیه المسماه بالعنایه الأولی،

۱- ۱) الأنبیاء،الآیه:۹۰.

۲- ۲) المؤمن،الآیه:۶۰.

۳- ۳) البقره،الآیه:۱۸۶.

و العنايه عباره عن إحاطه علم اللّه-تعالى-بالكل على ما هو عليه إحاطه تامه، فنسبه القضاء إلى العنايه كنسبه القدر إلى القضاء. ثم،من جمله الأسباب لبعض الأمور الدعاء و التصدق و امثالهما،فكما أن شرب الماء سبب رتبه مسبب الأسباب لإزاله العطش،و لو لم يشربه لكان عطشه باقيا إلى أن يؤدى إلى هلاكه،و شرب المسهل سبب لدفع الاخلاط الرديه،و لو لم يشربه لبقيت على حالها،و هكذا فى سائر الأسباب،و كذلك الدعاء سبب رتبه اللّه-تعالى- لدفع البلايا و رفعها،و لو لم يدع لنزل البلاء و لم يندفع.

فلو قيل:لو كان فى علم اللّه-تعالى-و فى قضائه السابق،أن زيدا -مثلا-يدعو اللّه،أو يتصدق،عند ابتلائه ببليه كذا،و تندفع به بليته لدعاء أو تصدق،و دفع بليته،و لو كان فيهما أنه لا يدعو اللّه و لا يتصدق و يبتلى بتلك البليه،و لم يدع اللّه،و لم يتصدق،لم تندفع عنه البليه،و الحاصل:

ان كل ما تعلقت به العنايه الكليه و القضاء الازلى يحصل مقتضاه فى الخارج و عالم التقدير،إن خيرا فخير،و إن شرا فشر،فأى فائده فى سعى العبد و اجتهاده؟ قلنا:هذه من جمله شبهات الجبريه على كون العبد مجبورا فى فعله و نفى الاختيار عنه،و لا مدخليه لها بكون الدعاء غير مناقض للرضا،و كونه من جمله الأسباب المرتبه منه-تعالى-لحصول مسبباتها.كالتزويج لتحصيل الولد،و الأكل و الشرب لدفع الجوع و العطش،و لبس الثياب لدفع الحر و البرد،و غير ذلك.ثم الجواب من الشبهه المذكوره و أمثالها مذكور فى موضعها.

و أما إنكار المعاصى و كراهتها،و الفرار من أهلها و من البلد الذى شاعت فيه،فقد تعبد اللّه به عباده و ذمهم على الرضا بها،فقال:

وَ رَضُوا بِالْحَیاهِ الدُّنْیا وَ اطْمَأَنُّوا بِها

(۱)

.و قال:

رَضُوا بِأَنْ یَکُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ وَ طَبَعَ اللّٰهُ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ

(۲)

.

و فی بعض الاخبار:«من شهد منکرا و رضی به فکأنه قد فعله».

و فی آخر:«لو أن عبدا قتل بالمشرق و رضی بقتله آخر بالمغرب،کان شریکا فی قتله».و فی آخر:«إن العب لیغیب عن المنکر و یکون علیه مثل وزر صاحبه»،قیل و کیف ذلک؟قال:«فیبلغه فیرضی به».

و أما بعض الکفار و الفجار و الفساق،و مقتهم و الإنکار علیهم،فما ورد فیه من شواهد الکتاب و السنه أکثر من أن یحصی.قال اللّٰه-سبحانه-:

لاٰ یَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْکافِرِینَ أَوْلِیاءَ

(۳)

.و قال:

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا الْیَهُودَ وَ النَّصاریٰ أَوْلِیاءَ

(۴)

.

و فی الخبر:«إن اللّٰه أخذ المیثاق علی کل مؤمن أن یبغض کل منافق».

و قال(ص):«أوثق عری الایمان الحب فی اللّٰه و البغض فی اللّٰه».و قد تقدمت جمله من شواهد هذا فی باب الحب فی اللّٰه و البغض فی اللّٰه.

فان قیل:المعاصی ان لم تکن بقضاء اللّٰه و قدره فهو محال و قادح فی التوحید،و إن کانت بقضاء اللّٰه مطلقا فکراهتها و مقتها

کراهه لقضاء اللّه، و الآیات و الاخبار مصرحه بوجوب الرضا بقضاء اللّه مطلقا،و ذلک تناقض،

ص :۲۱۱

۱- ۱) یونس،الآیه:۷.

۲- ۲) التوبه،الآیه۹۴،۸۸۶.

۳- ۳) آل عمران،الآیه:۲۸.

۴- ۴) المائده،الآیه:۵۴.

فکیف السبیل إلی الجمع؟و أنی یتأتی الجمع بین الرضا و الکراهه فی شیء واحد؟ قلنا:المقرر عند بعض الحکماء:أن الشرور الواقعه فی العالم،من المعاصی و غیرها،راجعه إلی الاعدام دون الموجودات،فلا تکون مراده له -تعالی-،و لا داخله فی قضائه،و عند بعضهم أنها داخله فی قضائه بالعرض لا بالذات،و لا ضیر فی کراهه ما لیس فی قضاء اللّه-تعالی-بالذات.و عند بعضهم:أنها شرور قلیله باعثه لخیرات کثیره.و علی هذا،فینبغی أن تکون مکروهه من حیث ذاتها،و بهذه الحیثیه لا تکون من قضاء اللّه و الرضا به، و فرضه من حیث کونها باعثه لخیرات کثیره. و التحقیق:أن الاوصاف الثلاثه ثابته المشرور الواقعه فی العالم،اعنی انها راجعه إلی الاعدام و داخله فی قضائه-تعالی-بالعرض،و شرور قلیله باعثه لخیرات کثیره.و علی هذا فوجه الجمع أظهر.ثم،لابی حامد الغزالی هنا وجه جمع آخر، لا یروی الغلیل و لا یشفی العلیل.

فان قیل:بغض أهل المعاصی و مقتهم موقوف علی ثبوت الاختیار لهم و تمکنهم من ترکهم،و إثبات ذلک مشکل.

قلنا:لا اشکال فیه،إذ البدیهه قاضیه بثبوت نوع اختیار للعباد فی افعالهم،و لا سیما فیما یتعلق به التکلیف.و الخوض فی هذه المسأله مما لا ینبغی فالأولی فیها السکوت،و التأدب بآداب الشرع،و الرجوع إلی ما ورد من العتره الطاهره.و ما یمکن أن یقال فیها قد ذکرناه فی کتابنا المسمی ب(جامع الافکار).

فصل (طریق تحصیل الرضا)

الطریق إلی تحصیل الرضا،أن یعلم أن ما قضی اللّه-سبحانه-له هو الاصلح

بحاله،و إن لم يبلغ فهمه إلى سيره فيه.مع ان السخط و الكراهه لا يفيد شيئا و لا يتبدل به القضاء.فان ما قدر يكون،و ما لم يقدر لم يكن،و حسره الماضى و تدبير الآتى يذهبان بتركه الوقت بلا فائده،و تبقى تبعه السخط عليه.

فينبغى أن يدهشه الحب لخالقه عن الإحساس بالالم،كما للعاشق،و ان ان يهون عليه العلم بعظم الثواب التعب و العناء-كما للمريض و التاجر المتحملين شده الحجامه و السفر-فيفوض امره إلى اللّه،ان اللّه بصير بالعباد.

تتميم (التسليم)

اشاره

اعلم ان التسليم،و يسمى تفويضا أيضا،قريب من الرضا،بل هو فوق الرضا،لانه عباره عن ترك الاعراض فى الأمور الوارده عليه،و حوالتها باسرها إلى اللّه،مع قطع تعلقه عليها بالكليه،بمعنى ألا يكون طبعه متعلقا بشىء منها.فهو فوق الرضا،إذ فى مرتبه الرضا كلما يفعل اللّه به يوافق طبعه،فالطبع ملحوظ و منظور له،و فى مرتبه التسليم يجعل الطبع و موافقته و مخالفته كلها موكوله إلى اللّه-سبحانه-،و فوق مرتبه التوكل أيضا،إذ التوكل-كما يأتى-عباره عن الاعتماد فى أموره على اللّه،فهو بمنزله توكيل اللّه فى أموره،و كأنه يجعل اللّه-تعالى-بمثابه وكيله،فيكون تعلقه باموره باقيا،و فى مرتبه التسليم يقطع العلاقه من الأمور المتعلقه به بالكليه.

و منها:

اشاره

الحزن

و هو التحسر و التألم،لفقد محبوب،او فوت مطلوب.و هو أيضا كالاعتراض و الإنكار،مترتب على الكراهه للمقدرات الإلهيه.

ص:۲۱۳

و الفرق:ان الکراهه فی الاعتراض أشد من الکراهه فی الحزن،کما ان ضد الکراهه-اعنی الحب فی ضدهما-بعکس ذلک،ای ظهوره فی السرور الذی ضد الحزن أشد من ظهوره فی الرضا الذی هو ضد الاعتراض.

فان الرضا هو منع النفس فی الواردات من الجزع مع عدم کراهه و فرح، و السرور هو منعها فیها عن الجزع مع الابتهاج و الانبساط.فالسرور فوق الرضا فی الشرافه،کما أن الحزن تحت الاعتراض فی الخسه و الرذاله،و سبب الحزن و شده الرغبه فی المشتهیات الطبیعیه،و المیل إلی مقتضیات قوتی الغضب و الشهوه،و توقع البقاء للأمور الجسمانیه. و علاجه:ان یعلم ان ما فی عالم الکون و الفساد من:الحیوان،و النبات،و الجماد،و العروض، و الأموال،فی معرض الفناء و الزوال،و لیس فیها ما یقبل البقاء،و ما یبقی و یدوم هو الأمور العقلیه،و الکمالات النفسیه المتعالیه عن حیطه الزمان و حوزه المکان و تصرف الاضداد و تطرق الفساد،و إذا تیقن بذلک زالت عن نفسه الخیالات الفاسده،و الامانی الباطله.فلا یتعلق قلبه بالأسباب الدنیویه،و یتوجه بشراشره إلی تحصیل الکمالات العقلیه،و السعادات الحقیقیه الموجبه للاتصال بالجواهر النوریه الباقیه،و المجاوره للانوار القادسه الثابته،فیصل إلی مقام البهجه و السرور،و لا تلحقه احزان عالم الزور،کما أشیر إلیه فی الکتاب الإلهی بقوله:

أَلاٰ إِنَّ أَوْلِیٰاءَ اللّٰهِ لاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ

(۱)

.

و فی اخبار داود(ع):«یا داود!ما لاولیائی و الهمّ بالدنیا؟ان الهم یذهب حلاوه مناجاتی من قلوبهم،ان محبی من اولیائی ان یکونوا روحانیین لا یغتمون».و الحاصل:ان حب الفانیات و التعلق بما من شأنه

۱- ۱) یونس،الآیه:۶۲.

الفوات خلاف مقتضی العقل،و حرام علی العاقل أن یفرح بوجود الأمور الفانیه،أو یحزن بزوالها.و لقد قال سید الأوصیاء-علیه آلاف التحیه و الثناء-:«ما لعلی و زینه الدنیا،و کیف افرح بلذه تفنی،و نعیم لا یبقی؟!» بل ینبغی أن یرضی نفسه بالموجود،و لا یغتم بالمفقود،و یکون راضیا بما یرد علیه من خیر و شر.و قد ورد فی الآثار:«ان اللّه-تعالی-بحکمته و جلاله،جعل الروح و الفرح فی الرضا و الیقین»،و من رضی بالموجود و لا یحزن بالمفقود،فقد فاز بأمن بلا فزع،و سرور بلا جزع،و فرح بلا حسره،و یقین بلا حیره،و ما لطالب السعاده أن یکون أدون حالا من سائر طبقات الناس،فان کل حزب بما لدیهم فرحون،کالتاجر بالتجاره، و الزارع بالزراعه،بل الشاطر بالشطاره،و القواد بالقیاده،مع أن ما هو السبب و الموجب المفرّح فی الواقع و نفس الامر لیس إلا لأهل السعاده و الکمال،و ما لغیرهم محض التوهم و مجرد الخیال.فینبغی لطالب السعاده أن یکون فرحانا بما عنده من الکمالات الحقیقیه،و السعادات الأبدیه، و لا یحزن علی فقد الزخارف الدنیویه،و الحطام الطبیعیه،و یتذکر ما خاطب اللّه به نبیه(ص):

وَ لاٰ تَمُدَّنَّ عَیْنَیْکَ إِلیٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ زَهْرَهَ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا لِنَفْتِنَهُمْ فِیهِ وَ رِزْقُ رَبِّکَ خَیْرٌ وَ أَبْقیٰ

(١)

.

و من تصفح فرق الناس،یجد أن کل فرقه منهم فرحهم بشیء من الأشیاء،و به اهتزازهم و قوامهم و نظام امرهم.فالصبیان فرحهم باللعب

١- ١) طه،الآیه:١٣١.

و تهیئه أسبابه،و هو فی غایه القبح و الرکاکه عند من جاوز مرتبتهم.

و البالغون حد الرجولیه،بعضهم فرحان بالدرهم و الدینار،و بعضهم بالضیاع و العقار،و آخر بالاتباع و الأنصار،و فرقه بالنسوان و الأولاد،و طائفه بالحرف و الصنایع،و بعضهم بالحسب و النسب،و الآخر بالجاه و المنصب، و بعضهم بالقوه الجسمانیه،و آخر بالجمال الصوری،و طائفه بالکمالات الدنیویه:کالخط،و الشعر،و حسن الصوت،و الطب،و العلوم الغریبه، و غیر ذلک،حتی ینتهی إلی من لا یفرح إلا بالکمالات النفسیه و الریاسات المعنویه،و هم أیضا مختلفون،فبعضهم غایه فرحه بالعباده و المناجاه،و آخر بمعرفه حقائق الأشیاء،حتی یصل إلی من لیس فرحه إلا بالأنس بحضره الربوبیه،و الاستغراق فی لجه أنواره،و سائر المراتب عنده فیء زائل و خیال باطل.و لا ریب فی أن العاقل یعلم أن ما ینبغی أن یفرح و یبتهج به حصول هذه المرتبه،و سائر الأمور کسراب بقیعه یحسبه الظمآن ماء.فلا ینبغی للعاقل أن یحزن بفقدها و یفرح بوجودها. ثم،من تأمل،یجد أن الحزن لیس أمرا وجودیا لازما،بل هو أمر اختیاری یحدثه الشخص فی نفسه بسوء اختیاره.إذ کلما یفقد من شخص و یحزن لأجله لیس موجودا لکثیر من الناس،بل ربما لم یملکوه فی مده عمرهم أصلا،و مع ذلک لا تجدهم محزونین علی عدمه،بل فرحون راضون،و لو کان الحزن لازما لفقد هذا الامر لکان کل من فقده محزونا،و لیس کذلک.و أیضا کل حزن یعرض لأجل مصیبته یزول بعد زمان و یتبدل بالسرور،و لو کان الحزن لاجلها أمرا ضروریا لازما لما زال أصلا.

ثم العجب من العاقل أن یحزن من فقد الأمور الدنیویه،مع أنه یعلم ان الدنیا دار الفناء،و زخارفها متنقله بین الناس،و لا یمکن بقاؤها

لأحد،و جميع الأسباب الدنيويه ودائع اللّه ينتقل إلى الناس على سبيل التبادل و التناوب.و مثلها مثل شمامه تدار فى مجلس بين أهله على التناوب، يتمتع بها فى كل لحظه واحد منهم،ثم يعطيها غيره.فطامع البقاء للحطام الدنيويه كمن طمع فى ملكيه الشمامه و اختصاصها به،إذا وصلت إليه نوبه الاستمتاع،و إذا استردت منه عرض له الحزن و الخجله.و ما المال و الأهلون الا ودائع،و لا بد يوما أن ترد الودائع.فلا ينبغى للعاقل أن يغتم و يحزن لأجل رد الوديعه،كيف و الحزن بردها كفران للنعمه؟اذ أقل مراتب الشكر ان ترد الوديعه إلى صاحبها على طيب النفس،لا سيما اذا استرد الاخس-اعنى الخبائث الدنيويه-،و بقى الأشرف-اعنى النفس و كمالاتها العلميه و العمليه-،فينبغى لكل عاقل الا يعلق قلبه بالأمور الفانيه،حتى لا يحزن بفقدها.قال سقراط:«إنى لم أحزن قط،إذ ما أحببت قط شيئا حتى أحزن بفوته،و من سره الا يرى ما يسوؤه،فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا».

و منها:

اشاره

عدم الاعتماد

أو ضعفه فى أموره على اللّه،و الوثوق بالوسائط،و النظر إليها فيها.

و سببه:اما ضعف اليقين،أو ضعف القلب،أو كلاهما.فهو من رذائل قوتى العاقله و الغضب.و لا ريب فى أنه من المهلكات العظيمه و ينافى الايمان،بل هو من شعب الشرك.و لذا ورد فى ذمه من الآيات و الأخبار ما ورد،قال اللّه-سبحانه-:

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ عِبٰادٌ أَمْثٰالُكُمْ

(۱)

.

و قال: إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لاٰ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ (۲).و قال: وَ لِلّهِ خَزٰائِنُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لٰكِنَّ الْمُنٰافِقِينَ لاٰ يَفْقَهُونَ (۳).

و فى اخبار داود(ع):«ما اعتصم عبد من عبادى بأحد من خلقى عرفت ذلك من نيته،إلا قطعت أسباب السماوات من يديه،و اسخطت الأرض من تحته،و لم أبال بأى واد هلك».قال رسول اللّه(ص):

«من اغتر بالعبيد أذله اللّه».و قيل:«مكتوب فى التوراه:ملعون من ثقته بانسان مثله».فينبغى للمؤمن ان يتخلى عنه باكتساب ضده،أعنى التوكل،كما يأتى.

وصل

اشاره

التوكل-فضيله التوكل-درجات التوكل-السعى لا ينافى التوكل-الأسباب التى لا ينافى السعى إليها التوكل-اعقل و توكل-درجات الناس فى التوكل-تفنيد زعم-طريق تحصيل التوكل.

التوكل اعتماد القلب فى جميع الأمور على اللّه.و بعباره أخرى:حواله العبد جميع أموره على اللّه،و بعباره أخرى:هو التبرى من كل حول و قوه،

۱- ۱) الأعراف،الآيه:۱۹۳.

۲- ۲) العنكبوت،الآيه:۱۷.

۳- ۳) المنافقون،الآيه:۷.

و الاعتماد على حول اللّه و قوته.و هو موقوف على أن يعتقد اعتقادا جازما بأنه لا فاعل الا اللّه،و انه لا حول و لا قوه الا باللّه،و ان له تمام العلم و القدره على كفايه العباد،ثم تمام العطف و العنايه و الرحمه بجمله العباد و الآحاد،و أنه ليس وراء منتهى قدرته قدره،و لا وراء منتهى علمه علم، و لا وراء منتهى عنايته عنايه.فمن اعتقد ذلك اتكل قلبه لا محاله على اللّه وحده،و لم يلتفت إلى غيره،و لا إلى نفسه أصلا.و من لم يجد ذلك من نفسه فسببه،إما ضعف اليقين،أو ضعف القلب،و مرضه باستيلاء الجبن عليه و انزعاجه بسبب الأوهام الغالبه عليه.فان القلب الضعيف ينزعج تبعا للوهم،و طاعه له من غير نقصان فى اليقين،كانزعاجه أن يبيت مع ميت فى قبر أو فراش،مع يقينه بأنه جماد فى الحال لا يتصور منه إضرار،فلا ينبغى أن يخاف منه و يفرّ عنه،كما لا يفر من سائر الجمادات.و كذا من كان ضعيف القلب و تناول العسل-مثلا-، فشبه العسل بين يديه بالعذره،فربما نفر طبعه لضعف قلبه،و تعذر عليه ان يتناوله،مع يقينه بأنه عسل و لا مدخليه للعذره فيه.

فالتوكل لا يتم الا بقوه اليقين و قوه القلب جميعا،إذ بهما يحصل سكون القلب و طمأنينته،فالسكون فى القلب شيء آخر،و اليقين شيء آخر.فكم من يقين لا طمأنينه معه،كما قال-تعالى-:

أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ؟قٰالَ:بَلىٰ!وَ لٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي

(1)

.

فالتمس أن يشاهد إحياء الميت بعينه ليثبت اليقين فى خياله،فان النفس تتبع الخيال و تطمئن به،و لا تطمئن باليقين فى ابتداء امره إلى ان تبلغ

1- 1) البقره،الآيه:260.

درجه النفس المطمئنه،و ذلک لا یکون فی البدایه.و کم من مطمئن لا یقین له،کأرباب الملل و المذاهب الباطله.فان الیهودی مطمئن القلب إلی تهوده، و کذا النصرانی،و لا یقین لهما أصلا،و إنما یتبعون الظن و ما تهوی الأنفس.و إذا توقف التوکل علی الیقین و قوه القلب،و ارتفع بضعف أحدهما،یظهر أن التوکل من الفضائل المتعلقه بقوتی العاقله و الغضبیه معا،و ضده-اعنی عدم التوکل-من رذائل أحدهما أو کلیهما.ثم،إنک قد عرفت فی باب التوحید،أن عماد التوکل و ما یبتنی علیه،هو المرتبه الثالثه من التوحید،و هی أن تنکشف للعبد باشراق نور الحق بأنه لا فاعل إلا هو،و أن ما عداه من الأسباب و الوسائط مسخرات مقهورات تحت قدرته الازلیه.فطالب التوکل یلزم علیه أن یحصل هذه المرتبه من التوحید لیحصل له التوکل.و قد عرفت-أیضا-أن المرتبه الثانیه منه-أعنی التوحید الاعتقادی-إذا قویت ربما اورثت حال التوکل،الا ان التوکل کما ینبغی موقوف علی المرتبه الثالثه منه.

فصل (فضیله التوکل)

التوکل منزل من منازل السالکین و مقام من مقامات الموحدین،بل هو أفضل درجات الموقنین.و لذا ورد فی مدحه و فضله و فی الترغیب فیه ما ورد من الکتاب و السنه،قال اللّه-تعالی-:

وَ عَلَی اللّٰهِ فَتَوَکَّلُوا إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ

(۱)

.و قال:

۱- ۱) المائده،الآیه:۲۶.

وَ عَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

(۱)

.و قال: إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (۲).و قال: وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (۳).و قال: وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۴).

أی عزيز لا يذلّ من استجار به،فلا يضع من لاذ بجنابه،و حكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره.و قال رسول اللّه(ص):«من انقطع إلى اللّه،كفاه اللّه كل مؤنه،و رزقه من حيث لا يحتسب.و من انقطع إلى الدنيا،و كله اللّه إليها».و قال(ص):«من سره ان يكون اغنى الناس،فليكن بما عند اللّه اوثق منه بما فی يده».و قال(ص):«لو انكم تتوكلون على اللّه حق توكله،لرزقتم كما ترزق الطيور،تغدو خماصا و تروح بطانا». و عن على بن الحسين-عليهما السلام-قال:«خرجت حتى انتهيت الى هذا الحائط،فاتكأت عليه،فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر فی تجاه وجهی،ثم قال:يا على بن الحسين!مالی أراك كئيبا حزينا؟أعلى الدنيا؟ فرزق اللّه حاضر للبر و الفاجر.قلت:ما على هذا أحزن،و إنه لكما تقول.

قال:فعلى الآخره؟فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر قادر.قلت:ما على هذا احزن،و إنه لكما تقول.فقال:مم حزنك؟قلت:مما نتخوف من فتنه ابن الزبير و ما فيه للناس.قال:فضحك،ثم قال:يا على بن الحسين!

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۱۶۰،۱۲۲.المائده،الآيه:۱۲.التوبه، الآيه:۵۲.إبراهيم،الآيه:۱۱.المجادله،الآيه:۱۰.التغابن،الآيه:۱۳.

۲- ۲) آل عمران،الآيه:۱۵۹.

۳- ۳) الطلاق،الآيه:۳.

۴- ۴) الانفال،الآيه ۵۰.

هـل رأیت أحـدا دعا اللّه فلم یجبه؟قلت:لا!قال:فهل رأیت أحـدا توکل علی اللّه فلم یکفه؟قلت:لا!قال:فهل رأیت أحـدا سأل اللّه فلم یعطه؟قلت:لا...!ثم غـاب عنی»،و لعـل الرجـل کان هو الخضـر-علی نبینا و علیه السـلام-. و قال الصادق(ع):«أوحی اللّه إلی داوود:مـا اعتصم بی عبـد من عبـادی دون أحـد من خلقی،عرفت ذلـک من نیته،ثم تکیـده السـماوات و الأـرض و من فیهن،إلا جعلت له المخرج من بینهن».

و قال(ع):«إن الغنی و العز یجولان،فإذا ظفرا بموضع التوکل اوطنا».

و قـال(ع):«من أعطی ثلاثـا لا یمنع ثلاثا:من أعطی الـدعاء أعطی الإجابه، و من أعطی الشـکر أعطی الزیاده،و من أعطی التوکل أعطی الکفایه.ثم قال:أ تلوت کتاب اللّه-عز و جل-(و من یتوکل علی اللّه فهو حسـبه)، و قال:(و لئن شـکرتم لازیـدنکم)،و قال:(ادعونی استجب لکم)؟».

و قال(ع):«أیما عبـد أقبل قبل ما یحب اللّه-تعالی-أقبل اللّه قبل ما یحب و من اعتصم باللّه عصـمه اللّه،و من أقبل علی اللّه قبله و عصـمه،لم یبال لو سـقطت السـماء علی الأرض،أو کانت نازله نزلت علی أهل الأرض فتشـملهم بلیه، کان فی حزب اللّه بالتقوی من کـل بلیه،أ لیس اللّه-تعالی-یقول:(إن المتقین فی مقام امین)؟».و قال(ع):«ان اللّه-تعالی-یقول:و عزتی و جلالی و مجـدی و ارتفاعی علی عرشـی!لأقطعن امل کل مؤمل من الناس فی غیری بالیأس،و لأکسونه ثوب المـذله عند الناس،و لا نحینه من قربی، و لأبعدنه من وصـلی،أ یؤمل غیری فی الشدائد و الشدائد بیدی و یرجو غیری؟و یقرع بالفکر باب غیری،و بیدی مفاتیح الابواب و هی مغلقه؟ و بـابی مفتوح لمن دعـانی،فمن ذا الـذی املنی لنوائبه فقطعته دونهـا،و من ذا الـذی رجـانی لعظیمه فقطعت رجـاءه منی؟جعلت آمال عبادی محفوظه،

فلم يرضوا بحفظى،و ملأت سماواتى ممن لا يمل من تسبيحى،و أمرتهم الا يغلقوا الأبواب بينى و بين عبادى،فلم يثقوا بقولى،ألم يعلم من طرقته نـائبه من نوائبى أنه لاـ يملـك كشـفها أحـد غيرى إلاـ من بعـد إذنى؟فما لى اراه لاهيا عنى؟اعطيته بجودى ما لم يسـألنى،ثم انتزعته عنه فلم يسـألنى رده،و سـأل غيرى،أ فترانى ابـدأ بالعطـاء قبـل المسـأله؟ثم اسـأل فلاـ أجيب سائلى؟أ بخيل أنا فيبخلنى عبـدى؟او ليس الجـود و الكرم لى؟أو ليس العفـو و الرحمـه بيـدى؟أو لست أنـا محـل الآمـال؟فمن يقطعهـا دونى؟أ فلا يخشـى المؤملـون أن يؤملوا غيرى؟فلو أن أهـل سـماواتى و أهـل ارضـى أملوا جميعـا،ثم أعطيت كـل واحـد منهم مثـل مـا امل الجميع،مـا انتقص من ملكى مثـل عضو ذره،و كيف ينقص ملـك انا قيمه؟فيا بؤسا للقانطين من رحمتى!و يا بؤسا لمن عصانى و لم يراقبنى!» (۱).

فصل (درجات التوكل)

للتوكل فى الضعف و القوه ثلاث درجات:

الأولى-أن يكون حاله فى حق اللّه و الثقه بعنايته و كفالته كحاله بالثقه بالوكيل،و هذه اضـعف الدرجات،و يكثر وقوعها و يدوم مده مديده،و لا ينافى أصل التدبير و الاختيار،بل ربما زاول كثيرا من التدبيرات بسعيه

۱- ۱) صححنا الأحاديث على(أصول الكافى):ج ۲،باب التفويض إلى اللّه و التوكل عليه.و على(البحار):باب التوكل و التفويض و الرضا:مـج ۱۵ ۲-۱۵۳،ط(امين الضـرب).و للعلامه(المجلسـى)-قدس سره-فـى الموضع المذكور،فى الحديث الخامس،تحقيق دقيق و بيان لطيف،لا يسع المقام ذكره هنا،فمن أراد الوقوف عليه فعليه بمراجعه الموضع المذكور.

و اختیاره.نعم ینافی بعض التدبیرات،کالتوکل علی وکیله فی الخصومه، فانه یترک تدبیره من غیر جهه الوکیل،و لکن لا یترک الذی أشار إلیه وکیله،و لا التدبیر الذی عرفه من عادته و سنته دون تصریح اشارته.

الثانیه-أن تکون حاله مع اللّه کحال الطفل مع أمه،فانه لا یعرف غیرها،و لا یفزع إلا إلیها،و لا یعتمد إلا علیها.فان رآها تعلق فی کل حال بذیلها،و ان ورد علیه امر فی غیبتها کان اول سابق لسانه یا اماه!.و الفرق بین هذا و سابقه،ان هذا متوکل قد فنی فی موکله عن توکله،أی لیس یلتفت قلبه إلی التوکل،بل التفاته إنما هو إلی المتوکل علیه فقط،فلا مجال فی قلبه لغیر المتوکل علیه.و أما الأول فتوکل بالکسب و التکلف، و لیس فانیا عن توکله،ای له التفات إلی توکله،و ذلک شغل صارف عن ملاحظه المتوکل علیه وحده.و هذا أقل وقوعا و دواما من الأول،إذ حصوله إنما هو للخواص،و غایه دوامه أن یدوم یوما أو یومین،و ینافی التدبیرات،إلا تدبیر الفزع إلی اللّه بالدعاء و الانتهال،کتدبیر الطفل فی التعلق بامه فقط.

الثالثه-و هی أعلی الدرجات،أن یکون بین یدی اللّه فی حرکاته و سکناته مثل المیت بین یدی الغاسل،بأن یری نفسه میتا،و تحرکه القدره الأزلیه کما یحرک الغاسل المیت.و هو الذی قویت نفسه،و نال الدرجه الثالثه من التوحید.و الفرق بینه و بین الثانی،أن الثانی لا یترک الدعاء و التضرع کما ان الصبی یفزع إلی أمه،و یصیح و یتعلق بذیلها،و یعدو خلفها،و هذا ربما یترک الدعاء و السؤال ثقه بکرمه و عنایته،فهذا مثال صبی علم أنه إن لم یرص بامه فالأم تطلبه،و إن لم یتعلق بذیلها فهی تحمله،و إن لم یسأل اللبن فهی تسقیه.و من هذا القسم توکل إبراهیم الخلیل-علیه السلام-

لما وضع فی المنجنیق لیرمی به إلی النار،و أشار إلیه روح الأمین بسؤال النجاه و الاستخلاص من اللّه-سبحانه-فقال:«حسبی من سؤالی علمه بحالی».و هذا نادر الوقوع،عزیز الوجود،فهو مرتبه الصدیقین،و إذا وجد فدوامه لا یزید علی صفره الوجل،أو حمره الخجل،و هو ینافی التدبیرات ما دام باقیا،إذ یکون صاحبه کالمبهوت.ثم،توکل العبد علی اللّه قد یکون فی جمیع أموره،و قد یکون فی بعضها.و تختلف درجات ذلک بحسب کثره الأمور المتوکل فیها و قلتها.و قال الکاظم(ع)فی قوله-عز و جل-:

وَ مَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ

(۱)

.

«التوکل علی اللّه درجات،منها أن تتوکل علی اللّه فی أمورک کلها،فما فعل بک کنت عنه راضیا،تعلم انه لا یألوک خیرا و فضلا،و تعلم ان الحکم فی ذلک له،فتوکل علی اللّه بتفویض ذلک إلیه،وثق به فیها و فی غیرها».

و لعل سائر درجات التوکل أن یتوکل علی اللّه فی بعض أموره دون بعض، و تعدد الدرجات حینئذ بحسب کثره الأمور المتوکل فیها و قلتها.

فصل (السعی لا ینافی التوکل)

اعلم أن الأمور الوارده علی العباد طما أن تکون خارجه عن قدره العباد و وسعهم،بمعنی أنه لا تکون لها أسباب ظاهره قطعیه أو ظنیه لجلبها أو دفعها،أو تکون لها أسباب جالبه لها أو دافعه إیاها،إلا أن العبد لا یتمکن منها.

فمقتضی التوکل فیها ترک السعی بالتمحلات و التدبیرات الخفیه، و حوالتها علی رب الأرباب،و لو دبر فی تغییرها بالتمحلات و التکلفات،

۱- ۱) الطلاق،الآیه:۳.

لکان خارجا عن التوکل رأسا، او لا تکون خارجه عن قدرتهم،بمعنی أن لها أسبابا قطعیه أو ظنیه یمکن للعبد أن یحصلها و یتوصل بها إلی جلبها أو دفعها.فالسعی فی مثلها لا ینافی التوکل،بعد أن یکون وثوقه و اعتماده باللّه دون الأسباب.فمن ظن ان معنی التوکل ترک الکسب بالبدن،و ترک التدبیر بالعقل رأسا،و السقوط علی الأرض کالخرقه الملقاه،فقد أبعد عن الحق،لان ذلک محرم فی الشرع الاقدس.فان الشارع کلف الإنسان بطلب الرزق بالأسباب التی هداه اللّه إلیها،من زراعه،او تجاره،او صناعه،او غیر ذلک مما أحله اللّه،و بابقاء النسل بالتزویج،و کلفه بأن یدفع عن نفسه الأشیاء المؤذیه بالتوسل إلی الأسباب المعینه لدفعها.و کما ان العبادات أمور امر اللّه-تعالی-عباده بالسعی فیها،لیحصل لهم بها التقرب إلیه و السعادات فی دار الآخره،فکذلک طلب الحلال و دفع الضرر و الالم عن النفس و الأهل و العیال أمور امرهم اللّه-تعالی-،لیحصل لهم بها التوسل إلی العبادات و ما یؤدی إلی التقرب و السعاده.و لکنه -سبحانه-کلفهم أیضا بألا یثقوا إلا به،و لا یعتمدوا علی الأسباب.

کما انه-سبحانه-کلفهم بألا یتکلوا علی أعمالهم الحسنه،بل علی فضله و رحمته. فمعنی التوکل المأمور به فی الشریعه:اعتماد القلب علی اللّه فی الأمور کلها،و انقطاعه عما سواه.و لا ینافیه تحصیل الأسباب إذا لم یسکن الیها،و کان سکونه إلی اللّه-سبحانه-دونها مجوزا فی نفسه أن یؤتیه اللّه مطلوبه من حیث لا یحتسب،دون هذه الأسباب التی حصلها،و أن یقطع اللّه هذه الأسباب عن مسبباتها.

ص :۲۲۶

فصل (الأسباب التی لا ینافی السعی إلیها التوکل)

الأسباب التی لا ینافی تحصیلها و مزاولتها للتوکل،هی الأسباب القطعیه او الظنیه،و هی التی یقطع او یظن بارتباط المسببات بها بتقدیر اللّه و مشیته ارتباطا مطردا لا یتخلف عنها،سواء کانت لجلب نفع او لدفع ضر منتظر او لإزاله آفه واقعه،و ذلک کمد الید إلی الطعام للوصول إلی فیه،و حمل الزاد للسفر،و اتخاذ البضاعه للتجاره،و الوقاع لحصول الاولاد،و أخذ السلاح للعدو،و الادخار لتجدد الاضطرار،و التداوی لإزاله المرض، و التحرز عن النوم فی ممر السیل و مسکن السباع و تحت الحائط المائل،و غلق الباب،و عقل البعیر،و ترک الطریق الذی یقطع او یظن وجود السارقین او السباع الضاره فیه...و قس علیها غیرها.

و اما الأسباب الموهومه،کالرقیه،و الطیره،و الاستقصاء فی دقائق التدبیر،و إبداء التمحلات لأجل التبدیل و التغییر،فیبطل بها التوکل، لان أمثال ذلک لیست باسباب عند العقلاء،و لیست مما امر اللّه-تعالی- بها،بل ورد النهی عنها،علی ان المأمور به الاجمال فی الطلب و عدم الاستقصاء.

قال رسول اللّه(ص):«ألا إن الروح الأمین نفث فی روعی:انه لا تموت نفس حتی تستکمل رزقها،فاتقوا اللّه-تعالی-،و اجملوا فی الطلب».و قال -صلّی اللّه علیه و آله-:«ما أجمل فی الطلب من رکب البحر». و قال الصادق(ع):

«لیکن طلب المعیشه فوق کسب المضیع،و دون طلب الحریص،الراضی بدنیاه،المطمئن إلیها،و لکن أنزل نفسک من ذلک بمنزله المنصف المتعفف، ترفع نفسک عن منزله الواهن الضعیف،و تکتسب ما لا بد منه،إن الذین

أعطوا المال ثم لم يشكروا لا مال لهم».و قال(ع):«اذا فتحت بابک، و بسطت بساطک،فقد قضیت ما علیک».

فصل (اعقل و توکل)

اعلم ان التوکل لا یبطل بالأسباب المقطوعه و المظنونه،مع ان اللّه قادر علی إعطاء المطلوب بدون ذلک،لان اللّه-سبحانه-ربط المسببات بالأسباب،و ابی ان یجری الأشیاء إلا بالأسباب.و لذا لما أهمل الأعرابی بعیره،و قال:توکلت علی اللّه،قال له النبی(ص):«اعقلها و توکل».

و قال الصادق(ع):«أوجب اللّه لعباده أن یطلبوا منه مقاصدهم بالأسباب التی سببها لذلک و امرهم بذلک».و قال اللّه-تعالی-:

خُذُوا حِذْرَکُمْ

(۱)

.و قال فی کیفیه صلاه الخوف:

وَ لْیَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ

(۲)

.و قال: وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ وَ مِنْ رِبٰاطِ الْخَیْلِ (۳).

و قال لموسی: «فَأَسْرِ بِعِبٰادِی لَیْلاً (۴)،و التحصن باللیل اختفاء عن أعین الأعداء دفعا للضرر.

و فی الإسرائیلیات:«ان موسی بن عمران(ع)اعتل بعله،فدخل علیه بنو أسرائیل،فعرفوا علته،فقالوا له:لو تداویت بکذا لبرئت،فقال:

لا أتداوی حتی یعافینی اللّه من غیر دواء.فطالت علته،فاوحی اللّه إلیه:

۱- ۱) النساء،الآیه:۷۰.

۲- ۲) النساء،الآیه:۱۰۱.

۳- ۳) الانفال،الآیه:۶۱.

۴- ۴) الدخان،الآیه:۲۳.

و عزتی و جلالی!الا- أبرؤك حتی تتداوی بما ذكروه لك.فقال لهم:داوونی بما ذكرتم.فداووه،فبرىء.فاوجس فی نفسه من ذلك،فاوحی اللّه -تعالی-اليه:أردت أن تبطل حكمتی بتوكلك علی،فمن أودع العقاقير منافع الأشياء غيری؟». و روی:«أن زاهدا من الزهاد،فارق الامصار و أقام فی سفح جبل،فقال:لا اسأل أحدا شيئا حتی يأتينی ربی برزقی، فقعد سبعا،فكاد يموت،و لم يأته رزق،فقال:يا رب!إن احييتنی فأتنی برزقی الذی قسمت لی،و إلا فاقبضنی إليك.فاوحی اللّه-تعالی-اليه:

و عزتی و جلالی!لا أرزقك حتی تدخل الامصار،و تقعد بين الناس.

فدخل المصر فأقام،فجاء هذا بطعام،و هذا بشراب،فاكل و شرب.

فاوجس فی نفسه ذلك،فاوحی اللّه إليه:أردت أن تذهب حكمتی بزهدك فی الدنيا،أما علمت انی ارزق عبدی بايدی عبادی أحب الی من أن ارزقه بيد قدرتی؟».

فصل (درجات الناس فی التوكل)

اعلم أن درجات الناس-كما عرفت-فی التوكل مختلفه،بحسب تفاوت مراتبهم فی قوه اليقين و ضعفه،و فی قوه التوحيد و ضعفه:

فمنهم:من كمل ايمانه و يقينه،بحيث سقط وثوقه عن الأسباب بالكليه، و توجه بشراشره إلی الواحد الحق،و لا يری مؤثرا إلا هو،و ليس نظره الی غيره أصلا،و قلبه مطمئن ساكن بعنايته،بحيث لا يختلج بباله احتمال أن يكله ربه إلی غيره،و لا يعتری نفسه اضطراب أصلا،فلا بأس لمثله أن يعرض عن الأسباب المقطوعه أو المظنونه بالكليه،لان اللّه سبحانه يحفظه و يحرسه و يصلح أموره،و يرزقه من حيث لا يحتسب،سواء

حسب الأسباب أم لا،و سواء كسب أم لم يكتسب،إلا أنه ربما لم يترك السبب و الكسب و يتبع امر اللّه فيه،إلا أنه ليس وثوقه إلا باللّه دون السبب و الكسب.و ما ورد من حكايات بعض الكمل من الأولياء،من انهم يسافرون فى البوادى التى لا يطرقها الناس بغير زاد ثقه باللّه،و يصل اليهم الرزق،أو لا يتحرزون من السباع الضاره،أو يغلظون القول بالنسبه الى أهل الاقتدار من الملوك و السلاطين من دون خوف و مبالاه،اعتمادا على اللّه،و اللّه-سبحانه-ينجيهم منهم،كانوا منهم:أى من الكاملين فى التوكل. قال الصادق(ع):«أبى اللّه-عز و جل-أن يجعل أرزاق المؤمنين إلا من حيث لا يحتسبون».و إنما خصه بالمؤمنين،لان كمال الايمان يقتضى ألا يثق صاحبه بالأسباب و أن يتوكل على اللّه-عز و جل- وحده.و كمال الايمان إنما يكون لصاحب العلم المكنون من الأنبياء و الأولياء،و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء.

و منهم:من لم يبلغ قوه ايمانه و يقينه حدا تغيب عن نظره الأسباب و الوسائط،و يكون مقصور الالتفات إلى جناب الحق.فهذا هو الذى لا ينبغى له أن يعرض عن الأسباب و يتركها،لان مثله ليس له المظنه التى توصله إلى المقصد بدون الوسائط:اعنى قوه التوكل على اللّه و اليقين به سبحانه.

فصل (تفنيد زعم)

بعض الناس زعم:أن حق التوكل أن يكتفى بالأسباب الخفيه عن الأسباب الجليه،كأن يسافر فى البوادى التى لا يطرقها الناس بغير زاد، بعد أن راض نفسه على جوع الأسبوع و ما يقاربه،بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب،و اضطراب نفس،و تشويش خاطر،و فتور فى ذكر اللّه،

و بعد أن یکون بحیث یقوی علی التقوت بالحشیش و ما یتفق له،و أن یوطن نفسه علی أنه إن مات جوعا کان خیرا له فی الآخره.

و کأن یجلس فی مسجد أو بیته و یترک الکسب،و یتفرغ للعباده، و الفکر و الذکر،و استغرق وقته بها،بحیث لا یستشرف نفسه إلی الناس فی انتظاره و من یدخل فیحمل إلیه شیئا،بل یکون قوی القلب فی الصبر و الاتکال علی اللّه.و هذا محض الخطأ،إذ من جاهد نفسه و راضها بحیث یصبر علی جوع الأسبوع،و یمکنه التقوت بالحشیش،صارت الأسباب له جلیه.فان عدم الحاجه أحد الغنائین.ثم إن کان اعتماده-حینئذ-علی صبره و تمکنه من التقوت بالحشیش،فاین التوکل؟و إن کان وثوقه باللّه وحده، فلیقم فی بلده مع الأسباب،کما أمر اللّه به فی الشرع.و أما توطین نفسه باختیاره علی الموت فممنوع عقلا،و محرم شرعا،قال اللّه-سبحانه-:

وَ لاٰ تُلْقُوا بِأَیْدِیکُمْ إِلَی التَّهْلُکَهِ

(۱)

.

و اما الجالس فی بیته،التارک لکسبه،یعبد اللّه من دون طلب، فهو أیضا قد ترک متابعه امر اللّه.قال الصادق-علیه السلام-:«إن من یقوته أشد عباده منه».و ربما یکون مثله کلا علی الناس،فان حاله ینادی بالبؤس و الیأس،بل هو ضرب علی تواطن الناس و تعرض للذل.و بالجمله لا مدخل لخفاء الأسباب و جلائها فی التوکل،بعد ما تقرر ان معناه الثقه باللّه وحده،لا بالأسباب،فسواء وجود الأسباب و فقدها و جلاؤها و خفاؤها.

فصل (طریق تحصیل التوکل)

اشاره

الطریق إلی تحصیل التوکل-بعد تقویه التوحید و الاعتماد بأن

۱- ۱) البقره،الآیه:۱۹۵.

الأمور باسرها مستنده إليه سبحانه،و ليس لغيره مدخليه فيها-أن يتذكر الآيات و الاخبار المذكوره الداله على فضيلته و مدحه،و كونه باعث النجاه و الكفايه،ثم يتذكر أن اللّه-سبحانه-خلقه بعد أن لم يكن موجودا، و اوجده من كتم العدم،و هيأ له ما يحتاج إليه،و هو أرأف بعباده من الوالده بولدها،و قد ضمن بكفاله من توكل عليه،فيستحيل أن يضيعه بعد ذلك و لا يكفيه مؤنته،و لا يوصل إليه ما يحتاج إليه،و لا يدفع عنه ما يؤذيه، لتقدسه من العجز و النقص و الخلف و السهو.و ينبغى أن يتذكر الحكايات التى فيها عجائب صنع اللّه فى وصول الأرزاق إلى صاحبها،و فى دفع البلايا و الاسواء عن بعض عبيده،و الحكايات التى فيها عجائب قهر اللّه فى إهلاك أموال الأغنياء و إذلال الاقوياء،و كم من عبد ليس له مال و بضاعه و يرزقه اللّه بسهوله،و كم من ذى مال و ثروه هلكت بضاعته او سرقت و صار محتاجا،و كم من قوى صاحب كثره و عده و سطوه صار عاجزا ذليلا بلا سبب ظاهر،و كم من ذليل عاجز صار قويا و استولى على الكل.و من تأمل فى ذلك يعلم أن الأمور بيد اللّه،فيلزم الاعتماد عليه و الثقه به.و المناط أن يعلم أن الأمور لو كانت بقدره اللّه-سبحانه-من غير مدخليه للاسباب و الوسائط فيها،فعدم التوكل عليه-سبحانه-و الثقه بغير غايه الجهل،و إن كانت لغيره-سبحانه-من الوسائط و الأسباب مدخليه، فالتوكل من جمله أسباب الكفايه و انجاح الأمور،إذ السمع و التجربه شاهدان بأن من توكل على اللّه و انقطع إليه كفاه اللّه كل مؤنه.فكما ان شرب الماء سبب لإزاله العطش،و أكل الطعام سبب لدفع الجوع،فكذا التوكل سبب رتبه مسبب الأسباب لانجاح المقاصد و كفايه الأمور. و علامه حصول التوكل،ألا يضطرب قلبه،و لا يبطل سكونه بفقد أسباب نفسه

و حدوث أسباب ضره.فلو سرقت بضاعته،أو خسرت تجارته،أو تعوق أمر من أموره،کان راضیا به،و لم تبطل طمأنینته،و لم تضطرب نفسه، بل کان حال قلبه فی السکون قبله و بعده واحدا.فان من لم یسکن إلی شیء لم یضطرب بفقده،و من اضطرب لفقد شیء فقد سکن إلیه و اطمأن به.

و منها.

اشاره

الکفران (و ضده الشکر)

الشکر-فضیله الشکر-الشکر نعمه یجب شکرها-المدارک لتمییز محاب اللّه عن مکارهه-اقسام النعم و اللذات-الأکل-لا فائده فی الغذاء ما لم یکن بشهوه و میل-عجائب المأکولات-حاجه تحضیر الطعام إلی آلاف الأسباب-تسخیر اللّه التجار لجلب الطعام-نعم اللّه فی خلق الملائکه للانسان -الأسباب الصارفه للشکر-طریق تحصیل الشکر-الصحه خیر من السقم.

و بعد ما تعرف حقیقه الشکر،و کونه متعلقا بأی القوی،تعرف بالمقایسه حقیقه الکفران و کونه من رذائل القوی.

فنقول:الشکر هو عرفان النعمه من المنعم،و الفرح به،و العمل بموجب الفرح باضمار الخیر،و التحمید للمنعم،و استعمال النعمه فی طاعته.

أما المعرفه،فبأن تعرف أن النعم کلها من اللّه،و أنه هو المنعم،و الوسائط مسخرات من جهته.و لو انعم علیک أحد،فهو الذی سخره لک،و القی فی قلبه من الاعتقادات و الارادات ما صار به مضطرا إلی الایصال إلیک، فمن عرف ذلک،حصل أحد ارکان الشکر للّه،و ربما کان مجرد ذلک

شکرا،و هو الشکر بالقلب.کما روی:«أن موسی قال فی مناجاته:إلهی! خلقت آدم بیدک،و اسکنته جنتک،و زوجته حواء أمتک،فکیف شکرک؟ فقال:علم ان ذلک منی فکانت معرفته شکرا».

ثم هذه المعرفه فوق التقدیس و فوق بعض مراتب التوحید،و هما داخلان فیها.إذ التقدیس تنزیهه-سبحانه-عن صفات النقص،و التوحید قصر المقدس علیه،و الاعتراف بعدم مقدس سواه،و هذه المعرفه هی الیقین بأن کل ما فی العالم موجود منه،و الکل نعمه منه،فینطوی فیها مع التقدیس و التوحید کمال القدره و الانفراد بالفعل،و لذلک قال رسول اللّه (ص):«من قال:سبحان اللّه،فله عشر حسنات،و من قال:لا إله إلا اللّه،فله عشرون حسنه،و من قال:الحمد للّه،فله ثلاثون حسنه».

فسبحان اللّه:کلمه تدل علی التقدیس،و لا إله إلا اللّه:کلمه تدل علی التوحید،و الحمد للّه:کلمه تدل علی معرفه النعم من الواحد الحق.و لا تظنن ان هذه الحسنات بإزاء تحریک اللسان بهذه الکلمات من غیر عقد القلب بمعانیها،بل هی بإزاء الاعتقاد بمعانیها التی هی المعارف المعدوده من ابواب الایمان و الیقین. و اما الفرح بالمنعم،مع هیئه الخضوع و التواضع،فهو أیضا من ارکان الشکر.بل کما ان المعرفه شکر قلبی برأسه،فهو أیضا فی نفسه شکر بالقلب،و انما یکون شکرا إذا کان فرحه بالمنعم او بالنعمه لا من حیث إنه نعمه و مال ینتفع به و یلتذ منه فی الدنیا،بل من حیث إنه یقدر بها علی التوصل إلی القرب من المنعم،و النزول فی جواره،و النظر إلی وجهه علی الدوام،و امارته الا یفرح من الدنیا إلا بما هو مزرعه الآخره و معینه علیها، و یحزن بکل نعمه تلهیه عن ذکر اللّه و تصده عن سبیله،لأنه لیس یرید النعمه لذاتها،بل من حیث انها توصله إلی مجاوره المنعم و قربه و لقائه. و اما

العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفه المنعم،فهو القيام بما هو مقصود المنعم و محبوبه،و هو يتعلق بالقلب و اللسان و الجوارح.اما المتعلق بالقلب فقصده الخير و اضماره لكافه الخلق.و اما المتعلق باللسان فاظهار الشكر للّه بالتحميدات الداله عليه.و اما المتعلق بالجوارح،فاستعمال نعم اللّه فى طاعته و التوقى من الاستعانه بها على معصيته،حتى ان من جمله شكر العينين أن يستر كل عيب يراه من مسلم،و من جمله شكر الاذنين أن يستر كل عيب يسمعه من مسلم،فيدخل هذا و أمثاله فى جمله شكر نعمه هذه الأعضاء.

بل قيل:من كفر نعمه العين و لم يستعملها فيما خلقت لأجله كفر نعمه الشمس أيضا،إذ الابصار انما يتم بها،و انما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه فى دينه و دنياه،و يقى بهما ما يضره فيهما.بل المراد من خلق السماء و الأرض و خلق الدنيا و أسبابها أن يستعين الخلق بها على الوصول إلى اللّه،و لا وصول اليه إلا بمحبته و الانس به فى الدنيا،و التجافى عن الدنيا و غرورها و لذاتها و علائقها،و لا انس الا بدوام الذكر و لا محبه إلا بالمعرفه الحاصله بدوام الفكر،و لا يمكن الذكر و الفكر إلا ببقاء البدن،و لا يبقى البدن إلا بالارض و الماء و الهواء و النار،و لا يتم ذلك إلا بخلق الأرض و السماء و خلق سائر الأشياء،و كل ذلك لأجل البدن.و البدن مطيه النفس.و النفس الراجعه إلى اللّه هى المطمئنه بطول العباده و المعرفه.فكل من استعمل شيئا فى غير طاعه اللّه فقد كفر نعمه اللّه فى جميع الأسباب التى لا بد منها لاقدامه على تلك المعصيه. و إذا عرفت حقيقه الشكر،تعرف بالمقايسه حقيقه الكفران،فانه عباره عن الجهل بكون النعم من اللّه،أو عدم الفرح بالمنعم و النعمه من حيث ايصالها إلى القرب منه،أو ترك استعمال النعمه فيما يحبه المنعم،او استعمالها فيما يكرهه.

ثم،بما ذکرناه،و إن ظهر أن حقیقه الشکر ملتئمه من الأمور الثلاثه، إلا أنه قد یطلق الشکر علی کل واحد أیضا،کما قال الصادق(ع):«شکر کل نعمه،و إن عظمت،أن تحمد اللّه»،و قال(ع):«شکر النعم اجتناب المحارم،و تمام الشکر قول الرجل:الحمد للّه رب العالمین».و سئل عنه(ع):

«هل للشکر حد إذا فعله العبد کان شاکرا؟قال:نعم!قیل:ما هو؟قال:

یحمد اللّه علی کل نعمه علیه فی أهل و مال،و إن کان فیما انعم علیه فی ماله حق أداه.و منه قوله-جل و عز-:

سُبْحانَ الَّذِی سَخَّرَ لَنا هٰذا وَ ما کُنّا لَهُ مُقْرِنِینَ

(۱)

.و منه قوله-تعالی-: رَبِّ أَنْزِلْنِی مُنْزَلاً مُبارَکاً وَ أَنْتَ خَیْرُ الْمُنْزِلِینَ (۲).و قوله: رَبِّ أَدْخِلْنِی مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِی.مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِی مِنْ لَدُنْکَ سُلْطاناً نَصِیراً (۳).

و قال(ع):«کان رسول اللّه(ص)إذا ورد علیه أمر یسره،قال:

الحمد للّه علی هذه النعمه.و إذا ورد علیه أمر یغتم به،قال:الحمد للّه علی کل حال».و قال(ع):«اذا أصبحت و أمسیت،فقل عشر مرات:اللهم ما أصبحت بی من نعمه أو عافیه فی دین او دنیا،فمنک وحدک لا شریک لک، لک الحمد و لک الشکر بها علی یا رب.حتی ترضی و بعد الرضا.فانک إذا قلت ذلک،کنت قد أدیت شکر ما أنعم اللّه به علیک فی ذلک الیوم و فی

۱- ۱) الزخرف،الآیه:۱۳.

۲- ۲) المؤمنون،الآیه:۲۹.

۳- ۳) الاسراء،الآیه:۸۰.

تلک اللیله».و فی روایه:«کان نوح(ع)یقول ذلک إذا أصبح،فسمی بذلک عبدا شکورا».و قال(ع):«اذا ذکر أحدکم نعمه اللّه،فلیضع خده علی التراب شکرا للّه،فان کان راکبا فلیزل و لیضع خده علی التراب، و ان لم یکن یقدر علی النزول للشهره فلیضع خده علی قربوسه (۱)،و ان لم یقدر فلیضع خده علی کفه،ثم لیحمد اللّه علی ما انعم علیه». و روی:«أن الصادق(ع)قد ضاعت دابته،فقال:لئن ردها اللّه علی لا شکرن اللّه حق شکره».قال الراوی:فما لبث أن أوتی بها،فقال:«الحمد للّه».فقال قائل له:جعلت فداک!أ لیس قلت لا شکرن اللّه حق شکره؟فقال أبو عبد اللّه (ع):«ألم تسمعنی قلت:الحمد للّه؟» (۲).ثم الشکر باللسان لإظهار الرضا من اللّه،و لذا امر به.و قد کان السلف یتساءلون بینهم،و نیتهم استخراج الشکر للّه،لیوجر کل واحد من الشاکر و السائل.و قد روی:«أن رسول اللّه(ص)قال لرجل:کیف أصبحت؟فقال:بخیر.فأعاد علیه السؤال، فأعاد علیه الجواب،فأعاد السؤال ثالثه،فقال:بخیر،أحمد اللّه و اشکره.

فقال(ص):هذا الذی أردت منک».

«تنبیه»لا ریب فی ان الجزء الأول من الشکر-اعنی معرفه النعم من اللّه-من متعلقات العاقله و فضائلها.و الثانی-اعنی الفرح للنفس-ان کان من النعم العقلیه الروحانیه،یکون متعلقا بالعاقله أیضا،و ان کان لأجل وصول نعمه الغلبه و الاستیلاء-مثلا-علی عدو ظالم،یکون متعلقا بالقوه الغضبیه،و ان کان من نعمه المال و الاولاد،یکون متعلقا بالقوه الشهویه.

۱- ۱) القربوس-بفتحتین-:حنو السرج،ای قسمه المقوس المرتفع من قدام المقعد و من مؤخره.

۲ - ۲) هذه الروایه مذکوره فی(أصول الکافی):ج ۲-باب الشکر.و فی (الوافی):۳-۳۲۴-باب الشکر.الا ان المنقول فی نسخ(جامع السعادات) فیه اختلاف کثیر عما فی الموضعین،فصححناها علیهما.

و الجزء الثالث-اعنی العمل بمقتضی الفرح الحاصل من معرفه المنعم-فهو من ثمرات الحب للمنعم و الخوف من زوال نعمته.و بهذا یظهر:أن الشکر و الکفران من متعلقات القوی الثلاث،و الأول من فضائلها إذا امتزجت و تسالمت،و الثانی.من رذائلها.

فصل (فضیله الشکر)

الشکر أفضل منازل الأبرار،و عمده زاد المسافرین إلی عالم الأنوار، و هو موجب لدفع البلاء و ازدیاد النعماء،و قد ورد به الترغیب الشدید، و جعله اللّه سببا للمزید.قال اللّه-سبحانه-:

مٰا یَفْعَلُ اللّٰهُ بِعَذٰابِکُمْ إِنْ شَکَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ

(۱)

.و قال: لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ (۲).

و قال: فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ وَ اشْکُرُوا لِی وَ لاٰ تَکْفُرُونِ (۳).و قال: وَ سَنَجْزِی الشّٰاکِرِینَ (۴).

و لکونه غایه الفضائل و المقامات،لیس لکل سالک أن یصل إلیه، بل لیس الوصول إلیه الا لأوحدی من کمل السالکین.و لذا قال اللّه رب العالمین:

وَ قَلِیلٌ مِنْ عِبٰادِیَ الشَّکُورُ

(۵)

.و کفی به شرفا

ص: ۲۳۸

۱- ۱) النساء،الآیه:۱۴۶.

۲- ۲) إبراهیم،الآیه:۷.

۳- ۳) البقره،الآیه:۱۵۲.

۴- ۴) آل عمران،الآیه:۱۴۵.

۵- ۵) سبأ،الآیه:۱۳.

و فضلا،أنه خلق من أخلاق الربوبيه،کما قال اللّه-سبحانه-:

وَ اللّٰهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ

(۱)

.و هو فاتحه کلام أهل الجنه و خاتمته،کما قال اللّه-تعالی-: وَ قٰالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي صَدَقَنٰا وَعْدَهُ (۲).و قال: وَ آخِرُ دَعْوٰاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ (۳).

و قال رسول اللّه(ص).«الطاعم الشاکر،له من الاجر کأجر الصائم المحتسب.و المعافی الشاکر،له من الاجر کأجر المبتلی الصابر.و المعطی الشاکر،له من الاجر کأجر المحروم القانع».و قال(ص):«ان للنعم أو ابد کأوابد الوحش،فقیدوها بالشکر».و قال(ص):«ینادی مناد یوم القیامه:لیقوم الحامدون!فیقوم زمره.فینصب لهم لواء فیدخلون الجنه».فقیل:من الحمادون؟فقال:«الذین یشکرون اللّه علی کل حال».

و قال السجاد(ع):«إن اللّه-سبحانه-یحب کل عبد حزین،و یحب کل عبد شکور». و قال الباقر(ع):«کان رسول اللّه(ص)عند عائشه لیلتها، فقالت:یا رسول اللّه!لم تتعب نفسک و قد غفر اللّه لک ما تقدم من ذنبک و ما تأخر؟فقال:یا عائشه!ألا أکون عبدا شکورا؟...قال:و کان یقوم علی أطراف اصابع رجلیه،فأنزل اللّه-تعالی-:طه!ما أنزلنا علیک القرآن لتشقی». و قال الصادق(ع):«ما انعم اللّه علی عبد من نعمه فعرفها بقلبه و حمد اللّه ظاهرا بلسانه،فتم کلامه،حتی یؤمر له بالمزید».و قال

۱- ۱) التغابن،الآیه:۱۷.

۲- ۲) الزمر،الآیه:۷۴.

۳- ۳) یونس،الآیه:۱۰.

(ع):«ثلاث لا يضر معهن شیء:الدعاء عند الكرب،و الاستغفار عند الذنب،و الشكر عند النعمه» (۱).و قال(ع):«فی كل نفس من انفاسک شكر لازم لک،بل الف أو أكثر،و أدنی الشكر رؤيه النعمه من اللّه -تعالی-من غير عله يتعلق القلب بها دون اللّه-عز و جل-،أو الرضا بما أعطی،و الا تعصيه بنعمته و تخالفه بشیء من امره و نهيه بسبب نعمته.

فكن للّه عبدا شاكرا علی كل حال،تجد اللّه ربا كريما علی كل حال،و لو كان عند اللّه-تعالی-عباده تعبد بها عباده المخلصون أفضل من الشكر علی كل حال،لا طلق لفظه منهم عن جميع الخلق بها،فلما لم يكن أفضل منها خصها من بين العبادات،و خص اربابها،فقال:(و قليل من عبادی الشكور).و تمام الشكر الاعتراف بلسان السر،خاضعا لله بالعجز عن بلوغ ادنی شكره،لان التوفيق للشكر نعمه حادثه يجب الشكر عليها،و هی أعظم قدرا و أعز وجودا من النعمه التی من اجلها وفقت له،فيلزمک علی كل شكر شكر أعظم منه،الی ما لا نهايه له،مستغرقا فی نعمه،قاصرا عاجزا عن درک غايه شكره،و انی يلحق العبد شكر نعمه الله،و متی يلحق صنيعه بصنيعه،و العبد ضعيف لا قوه له ابدا الا بالله-عز و جل-،و الله غنی عن طاعه العبد قوی علی مزيد النعم علی الابد،فكن لله عبدا شاكرا علی هذا الأصل،تری العجب» (۲).ثم كما ان الشكر من المنجيات الموصله إلی سعاده الابد و زياده النعمه فی الدنيا،فضده-اعنی الكفران-من المهلكات المؤديه إلی شقاوه السرمد و عقوبه الدنيا و سلب النعم.قال الله-سبحانه-:

۱- ۱) صححنا الأحاديث علی(أصول الكافی):ج ۲،باب الشكر.و علی (البحار)مج ۱۵:۲-۱۳۲-۱۳۵،باب الشكر.

۲- ۲) صححنا الحديث علی(مصباح الشريعه):الباب السادس.و علی (سفينه البحار)۱-۷۱۰.

فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذاقَهَا اللّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ

(۱)

.و قال-تعالی-: «إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ (۲).

و قال الصادق(ع):«اشکر من أنعم عليک،و انعم علی من شکرک، فانه لا زوال للنعماء إذا شکرت و لا بقاء لها إذا کفرت.الشکر زياده فی النعم،و امان من الغير»أی من التغيير.

فصل (الشکر نعمه يجب شکرها)

لما کانت حقيقه الشکر عباره عن عرفان کل النعم من اللّه مع صرفها فی جهه محبه اللّه،فالشکر علی کل نعمه أن تعرف کونها من اللّه و تصرفها فی جهه محبته.و لا ريب فی أن هذه المعرفه و الصرف أيضا نعمه من اللّه، إذ جميع ما نتعاطاه باختيارنا نعمه من اللّه،لان جوارحنا،و قدرتنا، و إرادتنا،و دواعينا،و إفاضه المعارف علينا،و سائر الأمور التی هی أسباب حرکاتنا،بل نفس حرکاتنا،من اللّه.و علی هذا فالشکر علی کل نعمه نعمه أخری من اللّه يحتاج إلی شکر آخر.و هو ان يعرف ان هذا الشکر أيضا نعمه من اللّه-سبحانه-.فيفرح به و يعمل بمقتضی فرحه.

و هذه المعرفه و الفرح تحتاج إلی شکر آخر،و هکذا.فلا بد من الشکر فی کل حال.و ليس يمکن ان تنتهی سلسله الشکر إلی ما لا يحتاج إلی شکر.

فغايه شکر العبد ان يعرف عجزه عن أداء حق شکره-تعالی-.اذ عرفان

ص: ۲۴۱

۱- ۱) النحل،الآيه:۱۱۱.

۲- ۲) الرعد،الآيه:۱۲.

عجزه مسبب عن عرفان جميع النعم،حتى شكره من اللّه،و هذا غايه ما يمكن للعبد.و يشهد بذلك ما روى:«أن اللّه-عز و جل-اوحى إلى موسى(ع):

يا موسى!اشكرنى حق شكرى.فقال:يا رب!كيف اشكرك حق شكرك و ليس من شكر أشكرك به الا-و أنت أنعمت به على؟قال:يا موسى!الآن شكرتنى،حيث علمت ان ذلك منى».و كذلك أوحى ذلك إلى داود،فقال:

«يا رب!كيف اشكرك و انا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمه ثانيه من نعمك».و فى لفظ آخر:«و شكرى لك نعمه أخرى منك،و يوجب على الشكر لك،فقال:اذا عرفت هذا فقد شكرتنى».و فى خبر آخر:«اذا عرفت ان النعم منى،رضيت عنك بذلك شكرا». و روى:«أن السجاد-عليه السلام-كان إذا قرأ هذه الآيه(و إن تعدوا نعمه اللّه لا تحصوها) يقول:سبحان من لم يجعل فى أحد من معرفه نعمه الا-المعرفه بالتقصير عن معرفتها!كما لم يجعل فى أحد من معرفه ادراكه أكثر من العلم بانه لا يدركه»،فشكره-تعالى-معرفه العارفين بالتقصير عن معرفه شكره،فجعل معرفتهم بالتقصير شكرا،كما علم العارفين بأنهم لا يدركونه،فجعله ايمانا،علما منه أنه فقد وسع العباد فلا يتجاوز ذلك،فان شيئا من خلقه لا يبلغ مدى عبادته،فكيف يبلغ مدى عبادته من لا مدى له و لا كيف؟ تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا.و قال أبو الحسن(ع):«من حمد اللّه على النعمه فقد شكره،و كان الحمد للّه أفضل من تلك النعمه» (۱)،يعنى أنه نعمه فوق تلك النعمه،يستدعى شكرا آخر.

۱- ۱) صححنا الروايات الثلاث على(أصول الكافى)ج ۲،باب الشكر، و على(الوافى):۳-۳۲۴ باب الشكر.

فصل (المدارک لتمییز محاب اللّه عن مکارهه)

لما عرفت أن الشکر عباره عن استعمال نعم اللّه فیما یحبه،و الکفران عباره عن نقیض ذلک-اعنی ترک استعمالها فیه أو استعمالها فیما یکرهه- فلا بد من معرفه ما یحبه و ما یکرهه،و تمییز محابه عن مکارهه،حتی یتمکن من أداء الشکر و ترک الکفران،لتوقفهما علی معرفتهما و تمیزهما.و هذا التمییز و التعریف له مدرکان:

أحدهما-الشرع،فانه کشف عن جمیع ما یحبه و ما یکرهه،و عبر عن الأول بالواجبات و المندوبات،و عن الثانی بالمحرمات و المکروهات.

فمعرفه ذلک موقوفه علی معرفه جمیع احکام الشرع فی افعال العباد،فمن لم یطلع علی حکم فی جمیع افعاله،لم یمکنه القیام بحق الشکر.

و ثانیهما-العقل و النظر بعین الاعتبار،فان العقل متمکن-فی الجمله- من أن یدرک بعض وجوه الحکم فی بعض الموجودات.فان اللّه-سبحانه- ما خلق شیئا فی العالم إلا و فیه حکم کثیره،و تحت کل حکمه مقصود و مصلحه،و هذا المقصود و المصلحه هو محبوب اللّه-تعالی-.فمن استعمل کل شیء علی النحو الذی یؤدی إلی المقاصد المطلوبه و علی الجهه التی خلق لها فقد شکر نعم اللّه-تعالی-،و إن استعمل شیئا علی النحو الذی لم یؤد الی المقصوده منه أو فی جهه غیر الجهه التی خلق لها،فقد کفر نعمه اللّه.

ثم العقل لا یتمکن من معرفه کل حکمه مطلوبه من کل شیء،إذ الحکم المقصوده من الأشیاء،طما جلیه او خفیه.أما الجلیه:کحکمه حصول اللیل و النهار فی وجود الشمس،و حکمه انتشار الناس و سکونهم فی وجود اللیل و النهار،و حکمه انشقاق الأرض بانواع النبات فی وجود الغیم و نزول

الأمطار،و حكمه الابصار فى العين،و البطش فى اليد،و المشى فى الرجل، و حصول الأولاد و بقاء النسل فى آلات التناسل و خلق الشهوه،و حكمه المضغ و الطحن فى خلق الأسنان و أمثال ذلك.و أما الحكم الخفيه:كالحكم التى فى خلق الكواكب السياره و الثابته،و اختصاص كل منها بقدر معين و موضع خاص،و الحكم التى فى بعض الأعضاء الباطنيه للحيوان،من الامعاء و المراره و الكليه و آحاد العروق و الاعصاب و العضلات،و ما فيها من التجاويف و الالتفاف و الاشتباك و الانحراف و الدقه و الغلظه و غير ذلك.

فهذه الحكم و أمثالها لا يعرفها كل أحد،و من يعرف منها شيئا فلا يعرف إلا قدرا يسيرا.فان جميع اجزاء العالم،سماءه و كواكبه،و ما فيها من الاوضاع و الحركه و الاختصاصات،و عناصره من كثره النار و الهواء و الماء و الأرض،و ما فيها من البحار و الجبال و الرياح،و المعادن و النبات و الحيوان،لا تخلو ذره من ذراته من حكم كثيره من عشره إلى الف او أكثر،و قليل منها جليه،و أكثرها دقيقه خفيه،و بعضها متوسط فى الجلاء و الخفاء،يعرفها المتفكرون فى خلق السماوات و الأرض،و أكثر الحكم الدقيقه مما لا يعرفها غير خالقها و موجدها.ثم ما عدا الإنسان من الأشياء المجرده و الماديه،و الروحانيه و الجسمانيه،جاريه على وفق الحكمه، و مستعمله ذواتها و اجزاؤها و ما يتعلق بها على الوجه الذى هو مقتضى المصلحه المقصوده منها.و أما الإنسان،فلكونه محل الاختيار و مجراه،فقد يجرى و يستعمل الأشياء التى يتمكن من استعمالها على خلاف ذلك،فيكون كافرا بنعمه اللّه-سبحانه-.فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمه اللّه فى اليد، اذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يؤذيه،و يأخذ ما ينفعه،لا ليهلك به غيره،و من نظر إلى وجه غير المحرم فقد كفر نعمه العين،لانها خلقت

ليبصر بها ما ينفعه فى دينه و دنياه،و يتقى بها ما يضره فيهما،و من ادخر الدراهم و الدنانير و حبسهما فقد كفر نعمه اللّه فيهما،لانهما حجران لا منفعه و لا عوض فى اعيانهما،و انما خلقهما اللّه-تعالى-ليكونا حاكمين يحصل بهما التعديل و المساواه و التقدير بين سائر الأموال من الأعيان المتنافره المتباعده، فهما عزيزان فى أنفسهما.و لا غرض فى اعينهما.و نسبتهما إلى سائر الأموال نسبه واحده.فمن ملكهما فكأنه ملك كل شىء،لا كمن ملك ثوبا،فانه لا يملك الا الثوب.فان احتاج إلى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام فى الثوب،اذ لا غرض له فى ذاته،بخلاف النقدين،فانهما من حيث الصوره كأنهما ليسا بشىء،و من حيث المعنى كأنهما كل شىء.و الأشياء انما تستوى نسبتها إلى المختلفات-اذا لم يكن لها صوره خاصه تقيدها بخصوصها-كالمرآه لا لون لها و تحكى كل لون،و كالحرف لا معنى لها فى نفسها،بل تظهر لها المعانى فى غيرها،و كذلك النقدان،لا غرض فيهما مع كونهما وسيله إلى كل غرض.فالحكمه فى خلقهما أن يحكما بين الأموال بالعدل،و تعرف بهما المقادير المختلفه،و تقوم بهما الأشياء المتباينه،و يحصل التوسل بهما إلى سائر الأموال.فيلزم اطلاقهما لتداولهما الايدى،و تحصل بهما التسويه فى تبادل الأعيان و المنافع المتخالفه،فمن ادخرهما و حبسهما فقد ظلمهما،و أبطل الحكمه فيهما،و كفر نعمه اللّه فيهما،و كان كمن حبس حاكم المسلمين فى سجن،و من لم يدخرهما و لم يتصرف أزيد مما يحصل به التوصل إلى ما يحتاج و انفق الزائد فى سبيل اللّه،فهو الذى استعملهما على وفق الحكمه و شكر نعمه اللّه فيهما.و لما عجز أكثر الناس عن قراءه الاسطر الإلهيه المكتوبه على صفحاتهما فى فائدتهما و حكمتهما بخط إلهى لا حرف فيه و لا صوت، أخبرهم اللّه عن ذلك بقوله:

وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لاٰ يُنْفِقُونَهٰا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذٰابٍ أَلِيمٍ

(۱)

.

و بما ذكرنا من وجه الحكمه فيهما،يظهر أن من اتخذ الأوانى منهما فقد كفر نعمه اللّه فيهما أيضا،و كذا من عامل معامله الربا فيهما فقد كفر النعمه و ظلم،لأنهما طنما خلقا لغيرهما لا لأنفسهما،إذ لا غرض فى عينهما،فإذا اتجر فى عينهما فقد اتخذهما مقصودا لأنفسهما على خلاف وضع الحكمه، و كذلك الحكمه فى خلق الأطعمه أن يغتذى بها،فلا ينبغى أن تصرف عن جهتها و تقيد فى الايدى،بل اللازم أن تخرج عن يدى المستغنى عنها الى المحتاج.و لذا ورد فى الشرع حرمه الاحتكار و المنع عن معامله الربا فى الأطعمه،لان ذلك يوجب صرفها عن الحكمه المقصوده منها. و إذا عرفت ذلك،فقس عليه جميع افعالك و اعمالك و حركاتك و سكناتك،فان كل فعل يصدر منك إما شكر أو كفران لا يتصور أن ينفك عنهما،مثلا لو استنجيت باليمين،فقد كفرت نعمه اليدين،اذ خلق اللّه اليدين و جعل أحداهما أقوى و استحق الاقوى لرجحانه التفضيل،و تفضيل الناقص عليه عدول عن العدل،و هذا التفضيل انما يتصور بأن تصرف الاقوى فى الافعال الشريفه،كأخذ المصحف و أكل الطعام،و تصرف الاضعف فى الاعمال الخسيسه،كازاله النجاسه،فمن خالف ذلك فقد عدل عن العدل و أبطل الحكمه و كفر النعمه.و كذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقايه للرجل،فللرجل فيه حظ،و البداء فى الحظوظ ينبغى أن تكون بالاشرف،و هو العدل و العمل على وفق الحكمه،فخلافه ظلم و كفران.

۱- ۱) التوبه،الآيه:۳۵.

و كذلك ان استقبلت القبله عند قضاء الحاجه،فقد كفرت نعمه اللّه فى خلق الجهات و خلق سعه العالم،لانه خلق الجهات متعدده متسعه،و شرف بعضها بأن وضع فيه بيته،فينبغى استقباله بالأفعال الشريفه،كالصلاه و الجلوس للذكر و الاغتسال و الوضوء،دون الافعال الخسيسه،كقضاء الحاجه و رمى البزاق،فمن قضى حاجته أو رمى بزاقه إلى جهه القبله فقد ظلمها و كفر نعمه اللّه، و كذلك من كسر غصنا من شجره من غير حاجه مهمه،و من غير غرض صحيح،فقد كفر نعمه اللّه فى خلق الأشجار و فى خلق اليد.أما اليد فلأنها لم تخلق للعبث،بل للطاعه المعينه عليها.و أما الشجر، فلان اللّه-تعالى-خلقه،و خلق له العروق و ساق إليه الماء،و خلق فيه قوه الاغتذاء و النماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده،فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفه لمقصود الحكمه و عدول عن العداله.

نعم ان كان له غرض صحيح فى كسره فله ذلك.اذ الشجر و الحيوان جعلا فداءين لأغراض الإنسان،فانهما جميعا فانيان هالكان،فافناء الأخس فى بقاء الأشرف مده ما أقرب إلى العدل من تضييعهما جميعا.و إليه الإشاره بقوله-تعالى-:

وَ سَخَّرَ لَكُمْ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً

(۱)

.

ثم هذه الافعال المتصفه بالكفران،بعضها يوجب نقصان القرب و انحطاط المنزله،و بعضها يخرج بالكليه عن حدود القرب إلى عالم البعد الذى هو أفق الشياطين.و لذلك يوصف بعضها-فى لسان الفقه- بالكراهه و بعضها بالحظر.و قد سومح فى الفقه حيث جعل فيه بعض هذه المكاره مكروهه غير محظوره،مع ان جميعها عدول عن العدل،و كفران

۱- ۱) الجاثيه،الآيه:۱۲.

للنعمه،و نقصان عن الدرجه المبلغه إلى القرب،لأن الخطاب به انما هو الى العوام الذين تقرب درجتهم من درجه الأنعام،و قد انغمسوا فى ظلمات أعظم من ان تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافه إليها.فان المعاصى كلها ظلمات،الا أن بعضها فوق بعض،فيتمحق بعضها فى جنب البعض. و لذا ترى أن السيد يعاتب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه،و لكن لو قتل بهذا السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير إذنه حكم و نكايه فى نفسه.و لذا جميع هذه المكاره موصوفه عند أرباب القلوب بالحظر،و لا يتسامحون فى شىء مما راعاه الأنبياء و الأولياء من الآداب.حتى نقل:«ان بعضهم جمع اكرارا من الحنطه ليتصدق بها،فسئل عن سببه فقال:لبست المداس مره فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا،فأريد ان أكفره بالصدقه».

فصل (اقسام النعم و اللذات)

اشاره

اعلم ان النعمه عباره عن كل خير و لذه و سعاده،بل كل مطلوب و مؤثر. و هى تنقسم إلى مؤثر لذاته لا لغيره،اى تكون غايه مطلوبه لذاتها ليس فوقها غايه أخرى،و هى مخصوصه بسعاده الآخره التى لا انقضاء لها، اعنى لذه النظر إلى وجه اللّه،و سعاده لقائه،و سائر لذات الجنه،من البقاء الذى لا فناء له،و السرور الذى لا غم فيه،و العلم الذى لا جهل معه، و الغنى الذى لا فقر بعده،و غير ذلك.فانها لا تطلب ليتوصل بها إلى غايه أخرى مقصوده وراءها،بل تطلب لذاتها،و هذه هى النعمه الحقيقيه و اللذه الواقعيه،و لذلك قال رسول اللّه(ص):«لا عيش الا عيش الآخره»، و غالب هذه النعمه و السعاده و اقواها و اشرفها هى اللذه و البهجه المرضيه العقليه دون الجسمانيه-كما لا يخفى-،فيختص بادراكها العقل،

ص:۲۴۸

و لا ـ حظ للسمع و البصر و الشم و البطن و الفرج فيها. و إلى ما يقصد لغيره، أى تكون مطلوبه لأجل الغايه المطلوبه لذاتها و وسيله إليها،سواء أ كانت مقصوده لذاتها أيضا أم لا.و هى تنقسم إلى أربعه اقسام:

القسم الأول–و هو الأقرب الأخص:الفضائل النفسيه

المذكوره فى هذا الكتاب،و يجمعها العلم و العفه و الشجاعه و العداله،و هذه مع كونها لذيذه فى نفسها،تكون وسيله إلى النعمه التى هى غايه الغايات بلا توسط وسيله أخرى.و لذلك قلنا:هى أقرب الوسائل و اخصها.و اشرفها العلم،و أشرف افراد العلم:العلم باللّه و صفاته و ملائكته و رسله،و أحوال النشأه الآخره،و سائر افعاله،و علم المعامله الراجع إلى علم الأخلاق، إذ هو الذى يؤدى إلى السعاده الحقيقيه بلا توسط شىء آخر،و سائر العلوم إنما هى مقصوده من حيث كونها وسائل إلى هذا العلم،و هذه الفضائل لذيذه فى الدنيا و الآخره نافعه فيهما،اى تؤدى إلى الراحه فيهما،و جميله على الإطلاق،اى تستحسن فى جميع الأحوال.و ضدها-اعنى الجهل و الأخلاق السيئه-ضاره مؤلمه فى الدارين،قبيحه على الإطلاق.و سائر الصفات ليست جامعه لهذه الاوصاف.فان أكل لذائذ الأطعمه و طيباتها يوجب اللذه و النفع،أى حصول الراحه فى الحال،و لكنه ضار فى المآل، و ترك الشهوات بعكس ذلك.

ثم لذه المعرفه و فضائل الأخلاق دائمه لازمه لا تزول ابدا،لا فى الدنيا و لا فى الآخره،و عقليه يختص بادراكها العقل دون سائر الحواس.

و اما غيرها من اللذات،فبعضها مما يشترك فيه الإنسان و بعض الحيوانات، كلذه الرئاسه و الغلبه و الاستيلاء،و هذه اللذه موجوده فى الأسد و النمر و بعض اخر من الحيوانات.و بعضها مما يشترك فيه الإنسان و سائر

الحيوانات،كلذه البطن و الفرج،و هى اخس اللذات،و لذلك اشترك فيها كل ما دب و درج،حتى الديدان و الحشرات.فمن جاوز هذه اللذه، تشبثت به لذه الغلبه و الاستيلاء،فان جاوزها أيضا ارتقى إلى اللذه العقليه فصار أقرب اللذات عليه لذه المعرفه،لا سيما لذه معرفه اللّه و معرفه صفاته و افعاله.و هذه مرتبه الصديقين،و لا ينال تمامها إلا بخروج حب الرئاسه من القلب،و آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الرئاسه و الجاه، و لذلك قمعها بالكليه،بحيث لا يقع بها الإحساس قط،يشبه ان يكون خارجا عن مقدره البشر. نعم ربما غلبت لذه المعرفه فى أحوال،بحيث لا يقع معها الإحساس بلذه الجاه و الرئاسه،إلا أن ذلك لا يدوم،بل تعتريه الفترات،فتعود إلى الحاله البشريه.و على هذا،تنقسم القلوب إلى أربعه أقسام:قلب:لا يحب إلا اللّه،و لا يستريح إلا إليه،و ليس فرحه إلا بزياده المعرفه و الفكر فيه،و لا يسكن إلا بحبه و أنسه،و قلب:أغلب أحواله الأنس باللّه و التلذذ بمعرفته و الفكر فيه،و لكن فى بعض الأوقات و الأحوال يعتريه الرجوع إلى أوصاف البشريه.و قلب:أغلب أحواله التلذذ بالجاه و الرئاسه و المال و سائر الشهوات البدنيه،و فى بعض الأوقات يتلذذ بالعلم و المعرفه و حب اللّه و الانس به.و قلب:لا يدرى ما لذه المعرفه و ما معنى الأنس باللّه،و انما لذته بالرئاسات و الشهوات. و الأول-إن كان ممكنا فى الوجود فهو فى غايه الندور.و الثانى-أيضا نادر.و السر فى ندور هذين القسمين:ان من انحصرت لذاته بمعرفه اللّه و حبه و انسه،أو غلب عليه ذلك،فهو من ملوك الآخره،و الملوك هم الأقلون و لا يكثرون.

فكما لا يكون الفائق فى الملك و الاستيلاء فى الدنيا الا نادرا،و أكثر الناس دونهم،فكذا فى ملك الآخره فان الدنيا مرآه الآخره.إذ الدنيا عالم

الشهاده و فی الآخره عالم الغیب،و عالم الشهاده تابع لعالم الغیب،کما أن الصوره فی المرآه تابعه لصوره الناظر فی المرآه،و هی و إن کانت الثانیه فی رتبه الوجود،إلا انها فی أمر الرؤیه أولی،لأنک تری صورتک فی المرآه أولا،ثم تری نفسک،فتعرف بالصوره القائمه بالمرآه صورتک التی هی قائمه بک ثانیا علی سبیل المحاکاه،فانقلب التابع فی الوجود متبوعا فی حق الرؤیه و المعرفه،و انقلب المتأخر متقدما.و هذا النوع من الانعکاس و الانتکاس ضروره هذا العالم.و کذا عالم الملک و الشهاده یحاکی عالم الغیب و الملکوت،فمن الناس من لا ینظر فی مرآه عالم الشهاده إلا بنظر الاعتبار، فلا ینظر فی شیء من عالم الملک إلا و یعبر به إلی عالم الملکوت،فیسمی عبوره عبره،و قد امر الخلق به،فقیل:

فَاعْتَبِرُوا یا أُولِی الْأَبْصارِ

(۱)

و منهم من عمیت بصیرته،فلم یعتبر،فاحتبس فی عالم الملک و الشهاده، و ستفتح إلی حبسه له أبواب جهنم.و أما الثالث-فاکثر وجودا منه.

و أما الرابع-فدار الدنیا طافحه به،لقصور أکثر الناس عن ادراک لذه العلم،إما لعدم الذوق،إذ من لم یذق لم یعرف و لم یشتق،إذ الشوق فرع الذوق،و ذلک إما لقصور فطرتهم و عدم اتصافهم بعد بالصفه التی بها یستلذ العلم،کالطفل الرضیع الذی لا یدرک لذه العسل،و لا یستلذ إلا باللبن،فهؤلاء ممن یحیی باطنهم بعد کالطفل.و إما لمرض قلوبهم او موتها بسبب اتباع الشهوات،کالمریض الذی لا یدرک لذه الشکر،أو المیت الذی سقط عنه الإدراک،و هؤلاء کالمرضی او الأموات بسبب اتباع الشهوات.

القسم الثانی-الفضائل البدنیه:

و هی أربعه:الصحه،و القوه، و طول العمر،و الجمال.

۱- ۱) الحشر،الآیه:۲.

الثالث-النعم الخارجه المضيفه بالبدن:

و هى:المال،و الجاه، و الأهل،و كرم العشيره.

الرابع-الأسباب التى تناسب من وجه الفضائل النفسيه،و يعبر عنها بالنعم التوفيقيه:

اشاره

و هى:هدايه اللّه،و رشده،و تسديده،و تأييده.و هذه الجمله مما يتوقف بعضها على بعض،الى ان ينتهى إلى السعاده التى هى مطلوبه لذاتها.و التوقف إما على سبيل اللزوم و الضروره،كتوقف سعاده الآخره على الفضائل النفسيه و البدنيه،و توقف الفضائل النفسيه على صحه البدن،او على سبيل النفع و الإعانه،كتوقف الفضائل النفسيه و البدنيه على النعم الخارجه.

و وجه كونها معينه نافعه فى تحصيل العلم و تهذيب الأخلاق و صحه البدن ظاهر.و اعانه الجمال فى كسب الفضائل النفسيه و البدنيه مبنى على أن القبيح مذموم،و الطباع عنه نافره،فحاجات الجميل إلى الإجابه أقرب،و جاهه فى الصدور أوسع.و أيضا الغالب دلاله الجمال على فضيله النفس،لان نور النفس إذا تم اشراقه تأدى إلى البدن.و لذلك عول أصحاب الفراسه فى معرفه مكارم النفس على هيئات البدن.ثم انا لا نعنى بالجمال ما يحرك الشهوه،فان ذلك انوثه،بل نعنى به البراءه عن العيوب و النقص و الزياده،و ارتفاع القامه على الاستقامه،مع الاعتدال فى اللحم،و تناسب الأعضاء،و تناسب خلقه الوجه،بحيث لا تنبو الطباع عن النظر إليه.و اما احتياج الفضائل الخلقيه و الجسميه الخارجيه إلى النعم التوفيقيه،فلأن المراد بالتوفيقيه هو التآلف بين إراده العبد و بين قضاء اللّه و قدره،بشرط كون المراد و المقضى سعاده.و بعباره أخرى:هو توجيه الأسباب نحو المطلوب.

و أما الهدايه،فلها مراتب: اولاها:الهدايه العامه،و هى إراده طريق الخير و تعريفه. و ثانيتها:الخاصه،و هى الافاضات المتتاليه الوارده من

اللّه على بعض عبيده،نظرا إلى مجاهدتهم. و ثالثتها:الهدايه المطلقه،و هى النور الذى يشرق فى عالم النبوه و الولايه،فيهتدى بهما إلى ما لا يهتدى إليه بالعقل.و توقف تحصيل كل خير و فضيله،كائنا ما كان،على مساعده القضاء و القدر،و على العلم بطريق الخير،ظاهر.

و اما الرشد،فالمراد به العنايه الآلهيه،التى تعين الإنسان عند توجهه الى مقاصده،فيقويه على ما فيه صلاحه،و يفتره عما فيه فساده،و يكون ذلك من الباطن.و بعباره أخرى:هو هدايه باعثه إلى وجهه السعاده محركه اليها.و قد ظهر احتياج تحصيل الخير و السعاده إليه من مفهومه.

و اما التسديد،فهو توجيه حركاته إلى صوب المطلوب و تيسرها عليه، ليصل إليه فى أسرع وقت.فالهدايه محض التعريف،و الرشد هو تنبيه الداعيه لتستيقظ و تتحرك،و التسديد اعانه و نصره بتحريك الأعضاء إلى صوب الصواب و السداد.و قد ظهر وجه كون التسديد معينا فى طلب الخير أيضا من حاق معناه.

و اما التأييد،فانه جامع للكل،اذ هو عباره عن تقويه امره بالبصيره،فكأنه من داخل،و بقوه البطش و مساعده الأسباب من خارج.

و تقرب منه العصمه،و هى عباره عن وجود الهى يسنح فى الباطن،يقوى به الإنسان على تحرى الخير و تجنب الشر،حتى يصير كمانع باطنى غير محسوس يمنع عن الشر،و هو المراد من برهان الرب فى قوله-تعالى-:

وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهٰا لَوْ لاٰ أَنْ رَأىٰ بُرْهٰانَ رَبِّهِ

(١)

.

١- ١) يوسف،الآيه:٢۴.

تنبیه

اشاره

اعلم ان النعم الأخرویه،التی هی الغایات المطلوبه لذواتها،و تفصیلها و أسبابها و ما یتوقف وجودها علیه،الی ان ینتهی إلی مسبب الأسباب، مما لا یمکن درکها،و العقول البشریه قاصره عن درک قلیلها فضلا عن کثیرها.

و اما الوسائل الأربعه من النعم التی انقسم کل منها أیضا إلی أربعه اقسام،و صار مجموعها سته عشر قسما،فیستدعی کل قسم من السته عشر اسبابا،و تلک الأسباب اسبابا،حتی تنتهی بالآخره إلی مسبب الأسباب و موجد الکل.و المتفکر یعلم،ان کلا منها یتوقف علی نعم و أسباب أخری متسلسله خارجه عن حد الإحصاء.فان نعمه الصحه التی من النعم الواقعه فی المرتبه المتأخره تتوقف علی أسباب و نعم من جملتها نعمه الأکل،فان احصاءها و ان لم یکن ممکنا،الا انا نشیر إلی بعضها علی سبیل التلویح دون الاستقصاء، لتقاس علیها البواقی.فنقول:

نعمه الأکل تتوقف علی ادراک الغذاء و أسبابه،و علی شهوه الطعام و میله و إرادته و أسبابه،و علی القدره إلی تحصیله و أسبابه،و علی وجود أصل الغذاء المأکول و تکونه،و علی إصلاحه بعد وجوده و تکونه،و علی الأسباب الموصله له إلی کل انسان لو کان بعیدا عنه،و علی أسباب الطحن و الجذب و الهضم و الدفع و سائر الافعال الباطنه إلی ان یصیر جزء للبدن، و علی الملائکه الموکلین علی فعل من الافعال المذکوره.فها هی نذکرها إجمالا و تلویحا فی فصول:

فصل (الأكل)

الأكل يتوقف أولا على ادراك الغذاء المأكول رؤيه و لمسا و استشماما و ذوقا،اذ ما لم يبصره لم يمكنه تمييزه و طلبه،و ما لم يلامسه لم يتمكن من دركك بعض اوصافه اللازمه فى الأكل،و ما لم يشمه لم يتشخص ما يكره رائحته عما تطيب رائحته،و ربما توقف تحصيله على استشمام رائحته من بعد، لا سيما لبعض الحيوانات،و ما لم يذقه لم يدرك انه موافق او مخالف له، و بذلك ظهر توقفه على خلق الحواس المدركه الظاهره،فخلقها اللّه-سبحانه-.

ثم،الأسباب التى يتوقف عليها خلق هذه الحواس مما لا تتناهى،فلا نتعرض لبيانها.و بعد ادراك الغذاء-على ما ذكر-لا بد له من قوه أخرى يعرف بها كون الغذاء الذى ذاقه سابقا و رآه مره أخرى موافقا او مخالفا، و هذه القوه هى الحس المشترك الذى يتأدى إليه جميع المحسوسات و يجتمع فيه،فانك إذا اكلت شيئا اصفر-مثلا-فوجدته مرا مخالفا لك فتركته، فإذا رأيته مره أخرى فلا تعرف انه مر ما لم تذقه،لو لا الحس المشترك.

اذ العين تبصر الصفره و لا تدرك المراره،و الذوق يدرك المراره و لا يدرك الصفره،فلا بد من حاكم يجتمع عنده الصفره و المراره جميعا،حتى إذا أدرك الصفره حكم بأنه مر،فيمتنع عن تناوله ثانيا.و هذه القوه-اعنى الحس المشترك-يتوقف خلقه على أسباب و نعم لا يمكن احصاؤها،فلتذرها على سنابلها.

ثم الإدراك بالحواس الظاهره و الحس المشترك،مما تشترك فيه سائر الحيوانات،و لو انحصر ادراك الإنسان أيضا به لكان ناقصا.اذ البهيمه

تأكل ما تستلذ به فى الحال و يضرها فى ثانى الحال،فتمرض و تموت،اذ ليس لها الا الإحساس بالحاضر،و اما ادراك العواقب فليس لها إليه سبيل.

فيتوقف تمييز صلاح العواقب و فسادها على قوه أخرى.فخلق اللّه للانسان العقل،به يدرك مضره الأطعمه و منفعتها فى المآل،و به يدرك كيفيه طبخ الأطعمه و تركيبها و اعداد أسبابها،فينتفع بعقله فى الأكل الذى هو سبب صحته،و هو اخس فوائد العقل و أقل الحكم فيه،اذ الحكم و الفوائد المترتبه عليه أكثر من ان تحصى،و أعظم الحكم فيه معرفه اللّه و معرفه صفاته و افعاله.و العقل بمنزله السلطان فى مملكه البدن،و الحواس الخمس كالجواسيس و أصحاب الاخبار و الموكلين بنواحى المملكه،و قد وكل كل واحد منها بامر خاص.فواحده بأخبار الالوان،و أخرى بأخبار الأصوات،و أخرى بأخبار الروائح،و أخرى بأخبار الطعوم،و أخرى بأخبار الحر و البرد و الخشونه و الملاسه و اللين و الصلابه.فهذه الجواسيس يقتنصون الاخبار من أقطار المملكه،و يسلمونها إلى الحس المشترک،و هو قاعد فى مقدمه الدماغ، مثل صاحب الكتب و القصص على باب الملک،يجمع القصص و الكتب الوارده من نواحى العالم،و يأخذها و يسلمها إلى العقل الذى هو السلطان مختومه،اذ ليس له الا أخذها و حفظها،و اما معرفه حقائق ما فيها فليس اليه.و لكن إذا صادف القلب العاقل الذى هو الأمير و الملک،سلم،لانها آتيه إليه مختومه،فيفتشها الملک و يطلع على أسرار المملكه،و يحكم فيها بأحكام عجيبه لا يمكن استقصاؤها.و بحسب ما يلوح له من الاحكام و المصالح يحول الجنود-اعنى الأعضاء-فى الطلب او الهرب او إتمام التدبيرات التى تعن له.ثم عجائب حكم العقل و الأسباب التى يتوقف خلقه عليها ليس دركها فى مقدره البشر،و هذه ما يتوقف عليه الأكل من الادراكات و أسبابها.

فصل (لا فائده فی الغذاء ما لم یکن بشهوه و میل)

اذا أدرک الغذاء،لم یفد فائده ما لم تکن شهوه له و میل و شوق إلیه.اذ لو لا ـ المیل إلیه لکان ادراکه بأی حس و قوه فرضا معطلا.ألا ـ تری أن المریض یری الطعام و یدرک انه انفع الأشیاء له،و قد سقطت شهوته،فلا یتناوله،فیبقی البصر و الإدراک معطلا فی حقه؟فیتوقف الأکل علی میل الی الموافق،و یسمی شهوه،و نفره عن المخالف،و یسمی کراهه.فخلق اللّه شهوه الطعام و سلطها علی الإنسان کالمتقاضی الذی یضطره إلی التناول، و هذه الشهوه لو لم تسکن بعد أخذ قدر الحاجه لأسرفت و أهلکت نفسه، فخلق اللّه الکراهه عند الشبع لترک الأکل بها،و لم یجعلها کالزرع الذی لا یزال یجتذب الماء إذا انصب فی اسفله حتی یفسد،و لذلک یحتاج إلی آدمی یقدّر غذاءه بقدر الحاجه،فیسقیه مره و یقطع عنه الماء أخری، ثم مجرد المیل و الشهوه لا یکفی،ما لم تنبعث الداعیه إلی تناول الغذاء.فخلق اللّه-تعالی-له الاراده-أعنی انبعاث النفس إلی تناوله.و ربما حصل الاحتیاج إلی قوه الغضب-أیضا-لیدفع عن نفسه المؤذی و ما یضاده و یخالفه،و من أراد ان یأخذ منه ما حصله من الغذاء.ثم لکل واحد من الشهوه،و الکراهه،و الاراده،و الغضب،أسباب لا یمکن احصاؤها، ثم بعد ادراک الغذاء و میله و شهوته و إرادته،لا یفید شیئا من ذلک ما لم یتحقق الطلب و الأخذ بالفعل بآلاتهما.فکم من زمن شائق إلی شیء بعید منه مدرک له مائل إلیه مرید له،لا یمکنه أن یمشی إلیه لفقد رجله،او لا یمکنه أن یتناوله لفقد یده او لفلج أو عذر فیهما.فلا بد من آلات للحرکه،و قدره فی تلک الآلات علی الحرکه،لتکون حرکتها بمقتضی الشهوه طلبا.فلذلک

خلق اللّه-تعالى-لک الأعضاء التی تنظر إلی ظاهرها و لا تعرف أسرارها.

فمنها ما هو آله للطلب،کالرجل للانسان،و الجناح للطیر،و القوائم للدواب.و منها ما هو آله لدفع المؤذی و المانع من طلب الغذاء،کالقرن لبعض الحیوانات،و الانیاب لبعض أخر منها،و المخلب لبعض آخر منها، و الاسلحه للانسان القائمه مقام هذه الآله.و منها ما هو آله للأخذ و التناول کالیدین للانسان.ثم لهذه الأعضاء أسباب و حکم خارجه عن الحد و الحصر و قد تقدم قلیل من حکمها و عجائبها فی باب التفکر.

فصل (عجائب المأکولات)

عمده ما یتوقف علیه الأکل و أصله و مناطه،هی الاغذیه و الأطعمه المأکوله،و للّه-تعالی-فی خلقها عجائب کثیره لا تحصی،و أسباب متوالیه لا تتناهی.و الاغذیه و الادویه من الأطعمه لم یبلغ عددها من الکثره حدا یمکن احصاؤها و حصرها،فضلا عن بیان عجائبها و أسبابها،فنحن نترک الجمیع،و تأخذ من جملتها حبه من الحنطه،و نبین بعض أسبابها و حکمها و عجائبها.فنقول:

قد خلق اللّه فی حبه الحنطه من القوی ما یغتذی به کما خلق فیک.فان النبات انما یفارقک فی الحس و الحرکه دون الاغتذاء،لانه یغتذی بالماء.

و لا نتعرض لذکر آلات النبات فی اجتذاب الغذاء إلی نفسه،بل نشیر إلی لمعه من کیفیه اغتذاء الحبه.فنقول:

ان الحبه لا تغتذی بکل شیء،بل یتوقف اغتذاؤها علی ارض فیها ماء.

و لا بد ان تکون ارضها رخوه متخلخله یتغلغل الهواء إلیها،فلو ترکتها فی ارض ندیه صلبه متراکمه لم تنبت لفقد الهواء.ثم الهواء لا یتسرب إلیها

بنفسه،فلا بد من حصول أسباب الريح حتى تحرك الهواء و تضربه و ينفذ فيها بقهر و عنف،و إليه الإشاره بقوله-تعالى-:

وَ أَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ

(۱)

.

و القاحها انما هو ايقاعها الازدواج بين الهواء و الماء و الأرض.ثم لا يكفى ذلک فى انباته فى برد مفرط،فيحتاج إلى حراره الصيف و الربيع.

فهذه أربعه أسباب،فان الماء لا بد ان ينساق إلى ارض الزراعه من البحار و الشطوط و الانهار و العيون و السواقى،فانظر كيف خلق اللّه جميع ذلک.

ثم الأرض ربما تكون مرتفعه لا ترتفع إليها مياه العيون و القنوات،فخلق اللّه الغيوم،و هى سحب ثقال حاملات للماء،و سلط عليها الرياح لتسوقها باذنه إلى أقطار العالم من المرتفعات و المنخفضات،و ترسلها مدرارا على الاراضى فى وقت الربيع و الخريف على حسب الحاجه،ثم خلق الجبال حافظه للمياه تنفجر منها العيون تدريجا على قدر الحاجه،و لو خرجت دفعه لغرقت البلاد،و هلک الزرع و المواشى.و نعم اللّه-تعالى-و عجائب صنعه و حكمته فى السحاب و البحار و الجبال و الامطار لا يمكن احصاؤها و اما الحراره،فانها لا يمكن أن تحصل فى الماء و الأرض،لكونهما باردين.

فخلق اللّه الشمس،و سخرها،و جعلها-مع بعدها عن الأرض- مسخنه لها فى وقت دون وقت،ليحصل الحر عند الحاجه إليه،و البرد عند الافتقار إليه،و هذه اخس حكم الشمس،و الحكم فيها أكثر من ان تحصى. ثم النبات ان ارتفع على الأرض كان فى الفواكه انعقاد و صلابه، فتفتقر إلى رطوبه تنضجها،فخلق اللّه القمر،و جعل من خاصيته الترطيب، كما يظهر لک ذلک إذا كشفت رأسک له فى الليل،فانه تغلب على رأسک

۱- ۱) الحجر،الآيه:۲۲.

الرطوبه المعبر عنها:(الزكام)،فهو بترطيه ينضج الفواكه و يرطبها، و يصبغها بتقدير الخالق الحكيم،و هذا أيضا أخس فوائد القمر و حكمه، و ما فيه من الحكم و الفوائد لا مطمع فى استقصائه،بل كل كوكب فى السماء فقد سخر لفوائد كثيره لا تفى القوى الشريه باحصائها.و كما أنه ليس فى اعضاء البدن عضو لا فائده فيه،فكذلك ليس عضو من اعضاء بدن العالم لا تكون فيه فائده أو فوائد كثيره.و العالم كله كشخص واحد،و آحاد أجسامه كالأعضاء له،و هى متفاوته تفاوت اعضاء البدن،و شرح ذلك ليس فى مقدره البشر،و كلها مسخرات للّه-سبحانه-،و آثار من قدرته الكامله، و رشحات من أبحر عظمته الباهره،و ليست فى انفسها إلا اعدام صرفه.

فأرباب القلوب العارفون باللّه المحبون له،إذا نظروا إلى ملكوت السماوات و الأرض،و الآفاق و الأنفس،و الحيوانات و النباتات،لا ينظرون إليها إلا من حيث إنها آثار قدره ربهم،و رشحات صفاته،و يكون تفكرهم و سعيهم فى العثور على عجائبها و حكمها،و ابتهاجهم و شغفهم لأجل ذلك.كما أن من أحب عالما لم يزل مشغوفا بطلب تصانيفه،فيزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له.فكذلك الامر فى عجائب صنع اللّه،فان العالم كله من تصنيفه-تعالى-،بل جميع المصنفين أيضا من تصنيفه الذى صنفه بواسطه قلوب عباده،فان تعجبت من تصنيف،فلا تتعجب من المصنف، بل من الذى سخر المصنف لتأليفه بما انعم عليه من هدايته و تسديده و تعريفه.

كما إذا رأيت لعب المشعوذ (۱)يترقص و يتحرك حركات موزونه متناسبه، فلا تتعجب من اللعب،فانها خرق محركه لا متحركه،و لكن تعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقه عن الابصار.و قد ظهر أن غذاء النبات

۱- ۱) المشعوذ:الرجل الحيال،الذى يصنع الشعبذه.

لا- يتم الا- بالماء و الهواء و الشمس و القمر و الكواكب،و لا يتم ذلك إلا بالافلاك التى هى مركوزه فيها،و لا تتم الأفلاك إلا بحركاتها،و لا تتم حركاتها إلا بملائكه سماويه يحركونها،و كذلك تتسلسل الأسباب إلى أن تنتهى إلى مسبب الأسباب و غايه الكل،و ليس لنا سبيل إلى ادراك تفاصيلها و استنباط عجائب حكمها و دقائق مصالحها.

فصل (حاجه تحضير الطعام إلى آلاف الأسباب)

ثم ما ينبت من الأرض من النبات،و ما يحصل من الحيوانات،لا يمكن أن تقضم و تؤكل كذلك،بل لا بد فى كل واحد من إصلاح و طبخ و تركيب و تنظيف،بإلقاء البعض و إبقاء البعض،إلى غير ذلك من الأعمال التى لا تحصى،و كل من الأطعمه يتوقف إصلاحها على أمور خاصه كثيره، و استقصاء ذلك فى كل طعام طويل.فلنأخذ رغيفا واحدا،و ننظر إلى بعض ما يحتاج إليه حتى يستدير و يصلح للأكل،اذ بيان جميع ما يحتاج إليه حتى يستدير الرغيف الواحد ليس ممكنا،فنقول:

أول ما يتوقف عليه هذا الرغيف الأرض،ثم إلقاء البذر فيها،ثم الثور الذى يثير الأرض مع آلاته،كالفدان و غير ذلك،ثم تنقيه الأرض من الحشائش،و التعهد بسقى الماء إلى أن يعقد الحب و يبدو صلاحه،ثم الحصاد،ثم الفرك،ثم التنقيه و التصفيه،ثم الطحن،ثم العجن،ثم الخبز.

فتأمل عدد هذه الافعال،و استحضر سائر الافعال التى لم نذكرها،ثم تذكر عدد الأشخاص القائمين بها،و عدد الآلات التى يحتاج إليها من الحديد و الخشب و الحجر و غيرها.و انظر إلى اعمال الصناع فى إصلاح آلات الحراثه و التصفيه و الطحن و الخبز من نجاره و حداده و غيرهما،و احتياج

کل منها إلى آلات کثیره.ثم انظر کیف ألف اللّه-سبحانه-بین قلوب هؤلاء الصناع المصلحین،و سلط علیهم الانس و المحبه،حتى ائتلفوا و اجتمعوا و بنوا المدن و البلاد،و رتبوا المساکن و الدور متجاوره متقاربه،و بنوا الأسواق و الخانات و سائر أصناف البقاع،و لو تفرقت آراؤهم،و تنافرت طباعهم تنافر طباع الوحوش،لتبددوا و تباعدوا،و لم ینتفع بعضهم ببعض، ثم لما کان فی جبله الإنسان الغیظ و العداوه،و الحسد و المنافسه، و الانحراف عن الحق،و ربما زالت المحبه بین البعض لاعراض،فیزدحمون علیها،و یتنافسون فیها،و ربما أدى إلى التنافر و التقابل.فبعث اللّه الأنبیاء بالشرائع و القوانین لیرجعوا إلیها عند التنازع،فیرتفع نزاعهم.

ثم بعث العلماء الذین هم ورثه الأنبیاء لحفظ هذه الشرائع و العلم بها.و بعث اللّه السلاطین حتى یقیموا الناس قهرا علیها لو أرادوا التخلف عنها،فسلط اللّه السلاطین أولی القوه و العده على الناس،و ألقى رعبهم فی قلوبهم، و الهمهم إصلاح العباد،بأن رتبوا الرؤساء و القضاه و الحکام و السجن و الأسواق،و اضطروا الخلق إلى قانون الشرع و العدل،و ألزموهم التآلف و التعاون،و منعوهم عن التفرق و التباغض.فاصلاح الرعایا و الصناع بالسلاطین،و إصلاح السلاطین بالعلماء،و إصلاح العلماء بالانبیاء، و إصلاح الأنبیاء بالملائکه،و إصلاح الملائکه بعضهم ببعض،الى ان ینتهی إلى حضره الربوبیه،التی هی ینبوع کل نظام،و مطلع کل حسن و جمال،و منشأ کل ترتیب و تألیف.و قد ظهر مما ذکر:أن من فتش یعلم:ان رغیفا واحدا لا یستدیر بحیث یصلح للاکل ما لم یعمل علیه آلاف الوف من الملائکه و صناع الانس.

ص :۲۶۲

فصل (تسخير اللّه التجار لجلب الطعام)

ثم جميع الأطعمه لما لم يمكن أن يوجد فى كل مكان و بلد،إذ لكل واحد شروط مخصوصه لأجلها،لا يمكن إلا أن يوجد فى بعض الأماكن دون بعض،و الناس منتشرون على وجه الأرض،و قد يبعد عنهم بعض ما يحتاجون إليه من الأطعمه،بحيث تحول بينهم و بينها البرارى و البحار، فسخر اللّه-تعالى-التجار،و سلط عليهم حرص المال و شره الربح،حتى يقاسوا الشدائد،و يركبوا الأخطار فى قطع المفاوز و ركوب البحار، فيحملون الأطعمه و أنواع الحوائج من الشرق إلى الغرب،و من الغرب إلى الشرق.فانظر كيف علمهم اللّه صناعه السفن و كيفيه الركوب فيها،و كيف خلق الحيوانات و سخرها للحمل و الركوب فى البوادى و الجبال،من الجمال و كيفيه قطعها البرارى و المراحل تحت الأعباء الثقيله و صبرها على الجوع و العطش،و من الخيل و كيفيه سرعه سيرها و حركاتها،و من الحمار و صبره على التعب،و انظر كيف خلق اللّه ما يحتاج إليه السفن و هذه الحيوانات من الأسباب و الغذاء،و ينتهى إلى حد لا يمكن تحديده.

فصل (نعم اللّه فى خلق الملائكه للانسان)

ثم مجرد وجود الغذاء و حضوره و إصلاحه لا يفيد فائده ما لم يؤكل و يصير جزء للبدن.و هذا موقوف على اعمال كثيره،محتاجه إلى أسباب كثيره،من الطحن،و الجذب،و الهضم المعدى و الكبدى،و غير ذلك من الأفعال التى يحتاج كل منها إلى أسباب كثيره.و قد أشرنا إلى لمعه من

کیفیه ذلک فی باب التفکر،فارجع إلیه.و هنا نشیر إلی أنموذج من نعمه اللّه فی خلق الملائکه.فنقول:

إن کثره الملائکه لم تبلغ حدا یمکن تصوره تفصیلا أو إجمالا،و لهم طبقات و أصناف:منها:طبقات الملائکه الأرضیه.و منها:الملائکه السماویه.و منها:حمله العرش العظیم.و منها:المسلسلون.و منها:

المهیمنون...و غیر ذلک مما لم نسمع اسمهم و رسمهم،و لا یحیط بهم إلا اللّه -سبحانه-.فکل صنع من صنائع اللّه فی الأرض و السماء لا یخلو عن ملک أو ملائکه موکلین به.فانظر کیف و کلهم اللّه بک فیما یرجع إلی الأکل و الاغتذاء الذی کلامنا فیه،دون ما یجاوز،و ذلک من صنائع اللّه و افعاله، و من الوحی إلی الأنبیاء و الهدایه و الإرشاد و غیرها،فان استقصاء ذلک لیس من مقدورات البشر.فنقول:إن کل جزء من اجزاء بدنک،بل من اجزاء النبات،لا یغتذی إلا بأن یوکل به سبعه من الملائکه،هم أقل الأعداد،الی عشره إلی مائه،الی أکثر من ذلک بمراتب.

بیان ذلک:ان معنی الاغتذاء:أن یقوم جزء من الغذاء مقام جزء تلف من بدنک.و هذا موقوف علی حرکات و تغیرات و استحالات للغذاء، حتی یصیر جزء للبدن،کالجذب و الهضم و صیرورته لحما و عظما.و معلوم أن الغذاء و الدم و اللحم اجسام لیست لها قدره و معرفه و اختیار حتی تتحرک و تتغیر بانفسها.و مجرد الطبع لا یکفی فی ترددها فی اطوارها،کما أن البر بنفسه لا یصیر طحینا و عجینا و خبزا مطبوخا إلا بصناع،و الصناع فی الباطن هم الملائکه،کما أن الصناع فی الظاهر هم أهل البلد.فالغذاء،بعد وضعه فی الفم إلی أن یصیر دما،لا بد له من صناع من الملائکه،و لا نتعرض لهم و لبیان عددهم، و نقول:بعد صیرورته دما إلی أن یصیر جزء للبدن،یتوقف علی سبعه من

الملائکه،إذ لا بد من ملک یجذب الدم إلی جوار اللحم و العظم،إذ الدم لا یتحرک بنفسه،و لا بد من ملک آخر یمسک الغذاء فی جواره،و لا بد من ثالث یخلع عنه صوره الدم،و من رابع یکسوه صوره اللحم و العظم و العرق،و من خامس یدفع الفضل الزائد من الحاجه،و من سادس یلصق ما اکتسب صفه اللحم باللحم،و ما اکتسب صفه العظم بالعظم،و ما اکتسب صفه العرق بالعرق حتی لا یکون منفصلا،و لا بد من سابع یراعی المقادیر فی الالصاق،فیلحق بالمستدیر علی ما لا یبطل استدراته، و بالعریض علی ما لا یبطل عرضه،و بالمجوف علی ما لا یبطل تجویفه، و هکذا...و یراعی فی الالصاق لکل عضو ما یلیق به و یحتاج إلیه.فلو جمع لانف الصبی-ملا-من الغذاء ما یجمع علی فخذه،لکبر أنفه،و بطل تجویفه،و تشوهت صورته،بل ینبغی أن یسوق إلی الاجفان مع رقتها و إلی الافخاذ مع غلظهتا،و إلی الحدقه مع صفائها،و إلی العظم مع صلابته، ما یلیق بکل واحد منها من حیث القدر و الشکل،و یراعی العدل فی القسمه و التقسیط،و إلا بطلت الصوره،و تشوهت الخلقه،و رق بعض المواضع و ضعف البعض.فمراعاه هذه الهندسه مفوضه إلی ملک من الملائکه.و إیاک و أن تظن ان الدم بطبعه یهندس شکل نفسه،فان من احال هذه الأمور الی الطبع جاهل و لا یدری ما یقول،فان أراد من الطبع قوه عدیمه الشعور، و یقول:ان کل فعل من هذه الافعال موکول إلی قوه لا شعور لها،فنقول:

ذلک أدل علی عظمه اللّه و حکمته و قدرته،اذ لا ریب فی ان ما لا شعور له لیس فی نفسه أن یفعل فعلا ما،فضلا عن ان یفعل أفعالا متقنه محکمه، مشتمله علی الحکم الدقیقه و المصالح الجلیه و الخفیه.فتکون هذه شروطا ناقصه لایجاد اللّه-سبحانه-هذه الأفعال بلا واسطه،أو بواسطه عدد هذه

القوی من الملائکه.و علی أی تقدیر،لا بد من سبعه اشخاص من سبعه اشخاص من مخلوق اللّه-سبحانه-مسخرین فی باطنک،موکلین بهذه الافعال،قد شغلوا بک، و أنت فی النوم تستریح،و فی الغفله تتردد،و هم یصلحون الغذاء فی باطنک و لا خبر لک منهم،و کذلک فی کل جزء من اجزائک التی لا تتجزأ،حتی یفتقر بعض الأجزاء-کالعین و القلب-الی أکثر من مائه ملک.ثم الملائکه الأرضیه مددهم من الملائکه السماویه علی ترتیب معلوم،لا یحیط بکنهه الا اللّه،و مدد الملائکه السماویه من حمله العرش،و المنعم علی جمیعهم بالتأیید و التسدید و الهدایه المهیمن القدوس،المتفرد بالملک و الملکوت و العز و الجبروت.و من أراد ان یعلم-إجمالا-کثره الملائکه الموکلین بالسماوات و الأرضین،و أجزاء النبات و الحیوانات،و السحب و الهواء و البحار و الجبال و الامطار و غیر ذلک،فلیرجع فی ذلک إلی الاخبار الوارده من الحجج-علیهم السلام-. ثم لا بد أن یفوض کل فعل من الافعال السبعه المذکوره إلی ملک من الملائکه،و یکون الموکل به ملکا واحدا علی حده،و لا یمکن أن یفوض جمیعها إلی ملک واحد،کما لا یمکن أن یتولی انسان واحد سبعه أعمال فی الحنطه،کالطحن و تمییز النخاله،و دفع الفضله عنه،و صب الماء علیه،و العجن،و قطعها کسرات مدوره،و ترقیقها رغفانا عریضه،و الصاقها بالتنور.اذ الملک وحدانی الصفه،لیس فیه خلط و ترکیب من المتضادات.فلا یکون لکل واحد منهم الا فعل واحد،کما أشیر إلیه بقوله-تعالی-:

وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ

(۱)

.

۱- ۱) الصافات،الآیه:۱۶۴.

و لـذلک،لیس بینهم تحاسـد و تنافس.و مثالهم فی تعیین مرتبه کل واحـد منهم و عدم مزاحمه الآخر له مثال الحواس الخمس،و لیس کالانسان الذی یتولی بنفسه أمورا مختلفه،و سـبب ذلک اختلاف صـفاته و دواعیه،فانه لما لم یکن وحدانی الصفه لم یکن وحـدانی الفعل،و لـذلک تری أنه یطیع اللّه تاره و یعصـیه أخری.و ذلک غیر موجود فی الملائکه،فانهم مجبولون علی الطاعه لم تتصور فی حقهم معصیه،و لکل منهم طاعه خاصه معینه.

فالراکع منهم راکع أبـدا،و الساجـد منهم ساجـد دائما،و القائم منهم قائم أبدا،لا اختلاف فی افعالهم و لا فتور،و لکل واحد منهم مقام معلوم.

و إذ قـد ظهر لک عدد ما یحتاج إلیه بعض افعال مجرد الاغتذاء من الملائکه الارضـیه المسـتمدین من الملائکه السـماویه،فقس علیه سائر افعال الاغتذاء، و سائر افعالک الباطنه و الظاهره،فان بیان ذلک لیس ممکنا.ثم قس علی ذلک إجمالا جمله صـنائع اللّه و افعـاله الـواقعه فی عـالمی الجـبروت و الملکـوت،و عـالم الملـک و الشـهاده،فسـماواته و ارضه و مـا بینهمـا و مـا تحتهمـا و ما فوقهما،فان اعداد الملائکه و الموکلین بها غیر متناهیه،کیف و مجامع طبقات الملائکه و انواعهم خارجه عن الإحصاء،فضـلا عن الآحاد الداخله تحت الطبقات؟ و قد ظهر مما عرفت من توقف کل نعمه علی نعم کثیره متسلسـله،الی أن ینتهی إلی اللّه،و اتصال البعض بـالبعض و وقوع الارتبـاط و الترتب بینهمـا:أن من کفر نعمه اللّه فقـد کفر کل نعمه فی الوجود،فمن نظر إلی غیر محرم- مثلا-فقـد کفر،ففتح العین نعمه اللّه فی الأجفان،و لا تقوم الأجفان الا بالعین،و لا العین الا بالرأس،و لا الرأس إلا بجمیع البدن،و لا البدن الا بالغذاء،و لا غذاء الا بالماء و الأرض و الهواء و المطر و الغیم و الشـمس و القمر و سائر الکواکب،و لا یقوم شیء من ذلک الا

بالسماوات و لا السماوات إلا بالملائکه.فان الکل کالشیء الواحد،یرتبط البعض منه بالبعض ارتباط اعضاء البدن بعضها ببعض.فاذن قد کفر کل نعمه فی الوجود،من ابتداء الثری إلی منتهی الثریا.و حینئذ لا یبقی جماد و لا نبات و لا حیوان،و لا ماء و لا هواء،و لا کوکب و لا فلک و لا ملک،إلا یلعنه.

و لذلک ورد فی الأخبار:«ان البقعه التی یجتمع فیها الناس،إما تلعنهم إذا تفرقوا،أو تستغفر لهم».و کذلک ورد:«أن الملائکه یلعنون العصاه».

و ورد:«ان العالم یستغفر له کل شیء،حتی الحوت فی البحر».و أمثال هذه الأخبار الداله علی ما یفید المراد خارجه بطرفه عن الإحصاء،و کل ذلک إشاره إلی أن العاصی بتطریفه واحده یجنی علی جمیع الملک و الملکوت.

ثم جمیع ما ذکرناه إنما یتعلق بجزء من المطعم،فاعتبر ما سواه.ثم تأمل هل یمکن أن یخرج أحد عن عهده الشکر؟کیف و للّه فی کل طرفه علی کل عبد من عبیده نعم کثیره خارجه عن الإحصاء؟فان فی کل نفس ینبسط و ینقبض نعمتین،إذ بانبساطه یخرج الدخان المحترق من القلب،و لو لم یخرج لهلک،و بانقباضه یجتمع روح الهواء إلی القلب،و لو لم یدخل نسیم الهواء فیه لانقطع قلبه و هلک.و لما کان الیوم و اللیله أربعا و عشرین ساعه،و فی کل ساعه یوجد الف نفس تخمینا،و إذا اعتبرت ذلک و قست علیه سائر النعم،یکون علیک فی کل یوم و لیله آلاف الوف نعمه فی کل جزء من اجزاء بدنک،بل فی کل جزء من اجزاء العالم،و کیف یمکن احصاء ذلک، و لذلک قال اللّه-تعالی-:

وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَهَ اللّهِ لا تُحْصُوها

(۱)

و ورد:«ان من لم یعرف نعمه اللّه إلا فی مطعمه و مشربه،فقد قل

۱- ۱) إبراهیم،الآیه:۳۴.النحل،الآیه:۱۸.

علمه و حضر عذابه».فالبصير لا تقع عينه فى العالم على شىء،و لا يلم خاطره بموجود،إلا و يتحقق أن للّه فيه نعمه عليه.و لذلک قال موسى بن عمران:

«إلهى!کيف أشکرک و لک على فى کل شعره من جسدى نعمتان:أن لينت اصلها،و ان طمست رأسها».

فصل (الأسباب الصارفه للشکر)

اعلم أن السبب الصارف لأکثر الخلق عن الشکر،إما قصور معرفتهم بأن النعم کلها من اللّه-سبحانه-،أو قصور معرفتهم و أحاطتهم بصنوف النعم و آحادها،او جهلهم بحقيقه الشکر و کونه استعمال النعمه فى إتمام الحکمه التى أريدت بها و ظنهم ان حقيقه الشکر مجرد ان يقولوا بلسانهم:الحمد للّه،أو الشکر للّه،أو الغفله الناشئه عن غلبه الشهوه و استيلاء الشيطان، بحيث لا يتنبهون للقيام بالشکر،کما فى سائر الفضائل و الطاعات،او عدم احتسابهم للجهل ما يعم الخلق و يشملهم فى جميع الأحوال من النعم نعمه.

و لذلک لا يشکرون على جمله من النعم،لکونها عامه للخلق،مبذوله لهم فى جميع الحالات.فلا يرى کل واحد لنفسه اختصاصا بها،فلا يعدها نعمه.و تأکد ذلک بألفهم و اعتيادهم بها،فلا يتصورون خلاف ذلک، و يظنون ان کل انسان يلزم ان يکون على هذه الأحوال.فلذلک تراهم لا يشکرون اللّه على روح الهواء،و وفور الماء،و صحه البصر و السمع، و أمثال ذلک.و لو أخذ يمحقهم،حتى انقطع عنهم الهواء،و حبسوا فى بيت حمام فيه هواء حار،او بئر فيها هواء تقبل رطوبه الماء،ماتوا.فان ابتلى واحد بشىء من ذلک،ثم نجى منه،ربما قدر ذلک نعمه و شکر اللّه

علیه.و کذا البصیر،اذا عمیت عینه،ثم اعید علیه بصره،عده نعمه و شکره،و لو لم یبتل بالعمی و کان بصیرا دائما کان غافلا عن الشکر.و هذا غایه الجهل،إذ شکرهم صار موقوفا علی ان تسلب منهم النعمه ثم ترد علیهم فی بعض الأحوال،مع ان النعمه فی جمیع الأحوال أولی بالشکر.فلما کانت رحمه اللّه واسعه قد عمت الخلق فی جمیع أحوالهم لم یعدها الجاهلون نعمه.و مثلهم کمثل العبد السوء الذی لو لم یضرب بطرو ترک الشکر،و إذا ضرب فی غالب الأحوال ترک ساعه شکر المولی علی ذلک. و من تأمل یعلم ان نعمه اللّه علیه فی شربه ماء عند عطشه أعظم من ملک الأرض کلها.کما نقل:«أن بعض العلماء دخل علی بعض الخلفاء،و فی یده کوز ماء یشربه، فقال له:عظنی.فقال:لو لم تعط هذه الشربه إلا ببذل أموالک و ملکک کله،و لو لم تعطه بقیت عطشانا،فهل تعطیه؟قال:نعم!قال:فکیف تفرح بملک لا یساوی شربه ماء؟!». هذا مع أن کل عبد لو أمعن النظر فی حاله،لرأی من اللّه نعمه أو نعما کثیره تخصه لا یشارکه فیها أحد،أو یشارکه یسیر من الناس،إما فی العقل،أو فی الخلق،أو فی الورع و التقوی، أو فی الدین،أو فی صورته و شخصه،أو أهله و ولده،أو مسکنه و بلده، أو رفقائه و أقاربه،أو عزه و جاهه،أو طول عمره و صحه جسمه،أو غیر ذلک من محابه.بل نقول:لو کان أحد لا یکون مخصوصا بشیء من ذلک، فلا ریب فی أنه یعتقد فی نفسه اختصاصه و مزیته فی بعض هذه علی سائر الخلق.فان أکثر الناس یعتقدون کونهم اعقل الناس،أو أحسن أخلاقا منهم،مع أن الامر لیس کذلک.و لذلک لا یشکون من نقصان العقل کما یشکون من قله المال،و لا یسألون اللّه أن یعطیهم العقل کما یسألون منه زیاده المال،و یری من غیره عیوبا یکرهها و اخلاقا یذمها،و لا یری ذلک من نفسه.

و بالجمله:کل أحد یقدر فی نفسه من المحاب و صفه الکمال ما لا یراه فی غیره،و إن لم یکن مطابقا للواقع.و لذلک لو خیر بأن یسلب منه ماله و یعطی ما خصص به غیره،لکان لا یرضی به.بل التأمل یعطی:أن کل واحد من أکثر الناس لا یرضی أن یکون فی جمیع الصفات و الافعال و الدین و الدنیا مثل شخص آخر من الناس کائنا من کان،بل لو و کل إلیه الاختیار،و قیل له:أنت مخیر فی صیرورتک مثل من شئت و أردت من أفراد الناس،لم یخیر إلا نفسه.و إلی هذا أشار اللّه-سبحانه-بقوله:

کُلُّ حِزْبٍ بِمٰا لَدَیْهِمْ فَرِحُونَ

(۱)

و إذا کان الأمر هکذا،فانی له لا یشکر اللّه علی ذلک مع قطع النظر عن النعم العامه؟و لو لم یکن لشخص من نعم اللّه إلا الأمن و الصحه و القوه، لعظمت النعمه فی حقه و لم یخرج عن عهده الشکر.قال رسول اللّه (ص):«من أصبح آمنا فی سربه،معافی فی بدنه،و عنده قوت یومه، فکأنما خیرت له الدنیا بحذافیرها». و مهما فتشت الناس،لوجدتهم یشکون عن أمور وراء هذه الثلاث،مع أنها و بال علیهم.بل لو لم تکن للانسان نعمه سوی الایمان الذی به وصوله إلی النعیم المقیم و الملک العظیم، لکان جدیرا به أن یستعظم النعمه و یصرف فی الشکر عمره.بل ینبغی للعاقل ألا یفرح إلا بالمعرفه و الیقین و الایمان.و نحن نعلم من العلماء من لو سلم إلیه جمیع ما دخل تحت ملوک الأرض من الشرق إلی الغرب،من أموال و اتباع،و أنصار و بلدان و ممالک،بدلا عن عشر عشیر من علمه لم یأخذه، لرجائه أن نعمه العلم تفضی به إلی قرب اللّه-تعالی-فی الآخره.بل لو سلم الیه جمیع ذلک عوضا عن لذه العلم فی الدنیا،مع نیله فی الآخره إلی ما یرجوه،

۱- ۱) المؤمنین،الآیه:۵۴.الروم،الآیه:۳۲.

لم یأخذه و لم یرض به،لعلمه بأن لذه العلم دائمه لا تنقطع،و ثابته لا تسرق و لا تغصب،و صافیه لا کدوره فیها،بخلاف لذات الدنیا.

فصل (طریق تحصیل الشکر)

الطریق إلی تحصیل الشکر أمور:

الأول-المعرفه و التفکر فی صنائعه-تعالی-،و ضروب نعمه الظاهره و الباطنه و العامه و الخاصه.

الثانی-النظر إلی الادنی فی الدنیا و إلی الأعلی فی الدین.

الثالث-أن یحضر المقابر،و یتذکر أن أحب الأشیاء إلی الموتی و أهم سؤالهم و دعواهم من اللّه أن یردوا إلی الدنیا،و یتحملوا ضروب الریاضات و مشاق العبادات فی الدنیا،لیتخلصوا فی الآخره من العذاب، أو یزید ثوابهم و ترتفع درجاتهم.فلیقدر نفسه منهم مع إجابه دعوته و رده الی الدنیا،فلیصرف بقیه عمره فیما یشتهی أهل القبور العود لأجله.

الرابع-أن یتذکر بعض ما ورد علیه فی بعض أیام عمره من المصائب العظیمه و الأمراض الصعبه التی ظن هلاک نفسه بها،فلیتصور أنه هلک بها،و یغتنم الآن حیاته و ماله من النعم،فلیشکر اللّه علی ذلک،و لا یتألم و لا یحزن من بعض ما یرد علیه مما ینافی طبعه.

الخامس-أن یشکر فی کل مصیبه و بلیه من مصائب الدنیا من حیث إنه لم تصبه مصیبه أکبر منها،و إنه لم تصبه مصیبه فی الدین.و لذلک قال عیسی(ع)فی دعائه:«اللهم لا تجعل مصیبتی فی دینی!».و قال رجل لبعض العرفاء:«دخل اللص فی بیتی و أخذ متاعی»فقال له:«اشکر اللّه لو

كان الشيطان يدخل بدله فى قلبك و يفسد توحيدك،ما ذا كنت تصنع؟».

و من حيث إن كل مصيبه إنما هى عقوبه لذنب صدر منه،فإذا حلت به هذه العقوبه حصلت له النجاه من عقوبه الآخره،كما قال رسول اللّه(ص):

«إن العبد إذا أذنب ذنبا فاصابته شده أو بلاء فى الدنيا.فاللّه أكرم من ان يعذبه ثانيا».و قد ورد هذا المعنى بطرق متعدده من أئمتنا-عليهم السلام-أيضا، فليشكر اللّه على تعجيل عقوبته و عدم تأخيرها إلى الآخره.و من حيث إن هذه المصيبه كانت مكتوبه آتيه إليه البته،فقد أتيت و فرغ منها. و من حيث إن ثوابها أكثر منها و خير له،لما يأتى فى باب الصبر من عظم مثوبات الابتلاء بالمصائب فى الدنيا.و من حيث انها تنقص فى القلب حب الدنيا و الركون إليها،و تشوق إلى الآخره و إلى لقاء اللّه سبحانه.اذ لا ريب فى أن من أتاه النعم فى الدنيا على وفق المراد،من غير امتزاج ببلاء و مصيبه،يورث طمأنينه للقلب إلى الدنيا و أنسابها،حتى تصير كالجنه فى حقه،فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته،و إذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا و لم يأنس بها،و صارت الدنيا سجنا عليه،و كانت نجاته منها كالخلاص من السجن.

و لذلك قال رسول اللّه(ص):«الدنيا سجن المؤمن و جنه الكافر».فمحن الدنيا و مصائبها و رياضاتها توجب انزعاج النفس عنها،و التفاتها إلى عالمها الأصلى، و تشوقها إلى الخروج عنها إليه و رغبتها إلى لقاء اللّه و ما أعد فى الدار الآخره لأهلها.

فان قلت:غايه ما يتصور فى البلاء أن يصبر عليه،و أما الشكر عليه فغير متصور،إذ الشكر إنما يستدعى نعمه و فرحا،و البلاء مصيبه و ألم، فكيف يشكر عليه؟و على هذا ينبغى ألا يجتمع الصبر و الشكر على شىء واحد، إذ الصبر يستدعى بلاء و ألما،و الشكر يستدعى نعمه و فرحا،فهما متضادان غير مجتمعين،فكيف حكمتم باجتماعهما فى المصائب و البلايا الدنيويه؟

قلنا:کل واحد من النعمه و البلاء ینقسم إلی مطلق و مقید.فالنعمه المطلقه کسعاده الآخره و العلم و الایمان و الأخلاق الحسنه فی الدنیا،و النعمه المقیده فی الدنیا-ای ما هو نعمه و صلاح من وجه و بلاء و فساد من وجه- کالمال الذی یصلح الدین من وجه و یفسده من وجه.و البلاء المطلق، کشقاوه الآخره و الکفر و الجهل و الأخلاق السیئه و المعاصی فی الدنیا، و البلاء المقید،کمصائب الدنیا،من الفقر و الخوف و المرض و سائر اقسام المحن و المصائب،فانها و إن کانت بلاء فی الدنیا،و لکنها نعم فی الآخره.

و عند التحقیق لا تخلو عن تکفیر الخطیئه،او ریاضه النفس،او زیاده التجرد،او رفع الدرجه. فالنعمه المطلقه بإزائها الشکر المطلق،و لا معنی لاجتماع الصبر معه،و الصبر الذی یجتمع معه لا ینافیه،کما یأتی.و البلاء المطلق لم یؤمر بالصبر علیه،إذ لا معنی للصبر علی الکفر و المعصیه،بل یجب عدم الصبر علیه و السعی فی ترکه.و اما البلاء المقید،فهو الذی یجتمع فیه الصبر و الشکر،و لیس اجتماعهما من جهه واحده حتی یلزم اجتماع الضدین،بل الصبر من حیث ایجابه الاغتمام و الألم فی الدنیا،و الشکر من حیث ادائه إلی سعاده الآخره و غیرها مما ذکر.

ثم لو لم یصبر علی جهه شریفه،و لم یشکر علی جهه خیریته،صار بلاء مطلقا لزم ترکه بالرجوع إلی الصبر و الشکر.و اما النعمه المقیده،کالمال و الثروه،فان ادت إلی إصلاح الدین کانت نعمه مطلقه یجب علیها الشکر و لم یکن محلا للصبر،و إن ادت إلی فساده کانت بلاء مطلقا واجب الترک،و ان ادت الی بلاء الدنیا،کأن یصیر ماله سببا لهلاک أولاده و فساد مزاجه،و یصیر فوته باعثا لابتلائه ببعض المصائب الدنیویه،کان حکمه حکم البلاء المقید.ثم یأتی فی باب الصبر:ان الصبر قد یکون علی الطاعه و علی المعصیه،و فیهما

يتحقق الشكر و الصبر،إذ الشكر-كما عرفت-هو عرفان النعمه من اللّه و الفرح به،و صرف النعمه إلى ما هو المقصود منها بالحكمه،و الصبر-كما يأتى- هو ثبات باعث الدين،اعنى العقل النظرى،فى مقابله باعث الهوى،أعنى القوه الشهويه.و لا ريب فى انه فى أداء الطاعه و ترك المعصيه يتحقق الثبات المذكور،إذ هو صرف النعمه إلى ما هو المقصود،اذ باعث الدين انما خلق لحكمه دفع باعث الهوى،و قد صرفه إلى مقصود الحكمه.و أنت خبير بأنه و ان تحقق الشكر و الصبر فى هذه الطاعه و ترك هذه المعصيه،الا ان ما تصبر عليه هو هذه الطاعه و ترك هذه المعصيه،اذ الصبر انما هو عليهما،و اما الشكر فعلى باعث الدين،اعنى العقل الباعث لهذه الطاعه و ترك هذه المعصيه، فالمشكور عليه هو باعث الدين دون نفس الطاعه و ترك هذه المعصيه،فاختلف فيهما الصبر و الشكر فى المتعلق،اى ما يصبر عليه و ما يشكر عليه،و اتحدا فى فعل الصبر و الشكر،اذ فعل الصبر هو الثبات و المقاومه،و هو عين الطاعه و ترك المعصيه،و فعل الشكر هو صرف النعمه فى مقصود الحكمه،و هو أيضا عين الطاعه و ترك المعصيه.و يمكن ان يقال:ان من فعل هذه الطاعه،و ترك هذه المعصيه،عرف كونهما من اللّه و فرح به،و يعمل طاء أخرى شكرا له.

و على هذا فيتحد متعلقا الشكر و الصبر فى هذه الطاعه و ترك هذه المعصيه، اعنى المشكور عليه و ما يصبر عليه،اذ هما نفس هذه الطاعه و ترك هذه المعصيه بعينها،و يختلف فعلاهما.اذ فعل الصبر هو هذه الطاعه و ترك هذه المعصيه، و فعل الشكر تحميد او طاعه أخرى.

فصل (الصحه خير من السقم)

اشاره

لا تظنن مما قرع سمعك من فضيله البلاء و ادائه إلى سعاده الأبد انه خير من العافيه فى الدنيا،بل مع ذلک كله العافيه فى الدنيا خير من البلاء و المصيبه

فیها،فإیاک ان تسأل من اللّه البلایا و المصائب فی الدنیا،فان رسول اللّه(ص) کان یستعیذ فی دعائه من بلاء الدنیا و بلاء الاخره،و کان یقول هو و الأنبیاء و الأوصیاء-علیهم السلام-:«ربنا آتنا فی الدنیا حسنه،و فی الآخره حسنه»،و کانوا یستعیذون من شماته الأعداء و سوء القضاء.و قال(ص).

«سلوا اللّه العافیه،فما أعطی عبد أفضل من العافیه الا الیقین»،و أشار بالیقین الی عافیه القلب من الجهل و الشک،و هو أعلی و أشرف من عافیه البدن.و قال (ص)فی دعائه:«و العافیه أحب الی».

و بالجمله:هذا اظهر من ان یحتاج إلی الاستشهاد.اذ البلاء انما یصیر نعمه بالإضافه إلی ما هو أکثر منه فی الدنیا و الآخره،و بالإضافه إلی ما یرجی من الثواب فی الآخره،و من حیث یوجب تجرد النفس و انقطاعها من الدنیا و میلها إلی الآخره.فینبغی ان یسأل تمام النعمه فی الدنیا،و الثواب فی الآخره علی شکر المنعم،و التجافی عن دار الغرور،و الإنابه إلی دار الخلود، فانه قادر علی إعطاء الکل، و ما نقل عن بعض العارفین،من سؤالهم المصائب و البلاء،کما قال بعضهم:«اود ان أکون جسرا علی النار یعبر علی الخلق کلهم فینجون،و أکون انا فی النار»،و قال سمنون المحب:«و لیس لی فی سواک حب،فکیفما شئت فاختبرنی»،فمبناه علی غلبه الحب،بحیث یظن المحب بنفسه انه یحب البلاء.و مثل ذلک حاله تعتریه،و لیس لها حقیقه.فان من شرب کأس المحبه سکر،و من سکر توسع فی الکلام،و لما زال سکره علم ان ما غلب علیه کانت حاله لا حقیقه. فما تسمعه من هذا القبیل فهو کلام العشاق الذین افرط حبهم،و کلام العشاق یستلذ سماعه و لا یعول علیه.و قد روی:

«ان فاخته کان یراودها زوجها فتمنعه،فقال:ما الذی یمنعک عنی،و لو اردت ان اقلب لک ملک سلیمان ظهرا لبطن لفعلته لاجلک؟فسمع ذلک

سليمان(ع)،فطلبه و عاتبه فى ذلک،فقال.یا نبى اللّه کلام العشاق لا یحکى».

و نقل:«ان سمنون المحب بعد ما قال البیت المذکور،ابتلى بمرض الحصر، فکان یصیح و یجزع،و یسأل اللّه العافیه،و یظهر الندامه مما قال،و یدور على ابواب المکاتب،و یقول للصبیان:ادعوا لعمکم الکذاب».و الحاصل:ان صیروره البلاء أحب عند بعض المحبین من العافیه،لاستشعارهم رضا المحبوب لأجله،و کون رضاه عندهم أحب و الذ من العافیه انما یکون فى غلیان الحب، فلا یثبت و لا یدوم.و مع ذلک کله،فاعلم ان الظاهر من بعض الاخبار الآتیه فى باب الصبر:ان فى الجنان درجات عالیه لا یبلغها أحد الا بالمصائب الدنیویه و الصبر و الشکر علیها،و یؤیده ابتلاء أکابر النوع،من الأنبیاء و الأولیاء، بالمصائب العظیمه فى الدنیا،و ما ورد من ان أعظم البلاء موکل بالانبیاء ثم بالأولیاء،ثم بالأمثل فالامثل فى درجات العلاء و الولاء.و على هذا،فالظاهر اختلاف اصلحیه کل من البلاء و العافیه باختلاف مراتب الناس.فمن کان قوى النفس صابرا شاکرا فى البلاء،و لم یصده عن الذکر و الفکر و الحضور و الانس و الطاعات و الإقبال علیها،و لم یصر باعثا لنقصان الحب للّه،فالبلاء فى حقه أفضل فى بعض الأوقات،اذ بإزائه فى الآخره من عوالى الدرجات ما لا یبلغ بدونه،و من کان له ضعف نفس یوجب ابتلاءه بالمصائب جزعا أو کفرانا،او منعه عن شىء مما ذکر،فالعافیه اصلح فى حقه،و ربما کان البلاء مما منعه من الوصول إلى المراتب العظیمه،فلا ریب فى ان العافیه و عدم هذا البلاء أفضل و أعلى منه.فان البصیر الذى توسل بعینیه إلى النظر إلى عجائب صنع اللّه،و توصل به إلى معرفه اللّه،و تمکن لأجل العینین إلى مطالعه العلوم و تصنیف الکتب الکثیره من أنواع العلوم،و تبقى آثاره العلمیه على مر الدهور،و ینتفع من علومه الناس ابدا،و ربما بلغ لأجل العینین إلى غایه

درجات المعرفه و القرب و الحب و الانس و الاستغراق،و لو لا وجود العينين له لم يبلغ إلى شىء من ذلك،فلا ريب فى أن وجود البصر لمثله أفضل و اصلح من عدمه،و لو لا ذلك لكانت رتبه شعيب مثلا-و قد كان ضريرا من بين الأنبياء-فوق رتبه موسى و إبراهيم و غيرهما-عليهم السلام-لأنه صبر على فقد البصر،و موسى لم يصبر عليه،و لكان الكمال فى ان يسلب الإنسان الأطراف كلها و يترك كلحم على و ضم.و هذا باطل،فان كل واحد من الأعضاء آله فى الدين،فيفوت بفواتها ركن من الدين.و يدل على ذلك ما ورد فى عده من الاخبار:«أن كل ما يرد على المؤمن من بلاء أو عافيه أو نعمه أو بليه،فهو خير له و اصلح فى حقه»،و ما ورد فى بعض الأحاديث القدسيه:«إن بعض عبادى لا يصلحه إلا الفقر و المرض،فاعطيته ذلك، و بعضهم لا يصلحه إلا الغنى و الصحه،فاعطيته ذلك».و بذلك يجمع بين اخبار العافيه و اخبار البلاء.

و منها:

اشاره

الجزع

و هو إطلاق دواعى الهوى،من الاسترسال فى رفع الصوت،و ضرب الخدود،و شق الجيوب،او ضيق الصدر و التبرم و التضجر.و هو و ان كان من نتائج ضعف النفس و صغرها الذى من رذائل القوه الغضبيه فقط،الا انه لما كان ضده الصبر،و له اقسام بعضها من متعلقات القوه الشهويه-كما يأتى- فلذلك لم نذكره فى متعلقات قوه الغضب فقط،بل ذكرناه هنا. ثم الجزع فى المصائب من المهلكات،لأنه فى الحقيقه إنكار لقضاء اللّه،و اكراه لحكمه، و سخط على فعله.و لذا قال رسول اللّه(ص):«الجزع عند البلاء تمام المحنه».

و قال(ص):«ان عظم الجزاء مع عظم البلاء،و ان اللّه إذا أحب قوما ابتلاهم،فمن رضى فله الرضا،و من سخط فله السخط».و فى الخبر القدسى:

«من لم يرض بقضائى،و لم يشكر على نعمائى،و لم يصبر على بلائى،فليطلب ربا سواى».و روى:«ان زكريا لما هرب من الكفار،و اختفى فى الشجره، و عرفوا ذلك،جاءوا بالمنشار فنشرت الشجره حتى بلغ المنشار رأس زكريا، فان أنه،فأوحى اللّه إليه:يا زكريا!لئن صعدت منك أنه ثانيه لأمحونك من ديوان النبوه!فعض زكريا(ع)على اصبعه حتى قطع شطرين» .و بالجمله:

العاقل يعلم ان الجزع فى المصائب لا فائده فيه،اذ ما قدر يكون،و الجزع لا يرده.و لا ريب فى أنه يترك الجزع بعد مضى مده،فليتركه أولا حتى لا يضيع أجره.و قد نقل:«انه مات ابن لبعض الأكابر،فعزاه مجوسى، و قال له:ينبغى للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسه ايام.فقال:

اكتبوه عنه». و قال الصادق(ع):«الصبر يظهر ما فى بواطن العباد من النور و الصفاء،و الجزع يظهر ما فى بواطنهم من الظلمه و الوحشه.و الصبر يدعيه كل أحد و ما يثبت عنده الا المخبتون،و الجزع ينكره كل أحد و هو أبين على المنافقين،لأن نزول المحنه و المصيبه يخبر عن الصادق و الكاذب.

و تفسير الصبر ما يستمر مذاقه،و ما كان عن اضطراب لا يسمى صبرا.

و تفسير الجزع اضطراب القلب و تحزن الشخص،و تغير اللون و الحال.و كل نازله خلت اوائلها من الاخبات و الإنابه و التضرع إلى اللّه فصاحبها جزوع غير صابر.و الصبر ما أوله مر و آخره حلو،من دخله من أواخره فقد دخل،و من دخله من اوائله فقد خرج.و من عرف قدر الصبر لا يصبر عما منه الصبر،قال اللّه-تعالى-فى قصه موسى و الخضر-عليهما السلام-:

فكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا،فمن صبر كرها،و لم يشكك إلى الخلق،

و لم یجزع بهتک ستره،فهو من العام،و نصیبه ما قال اللّه-عز و جل-:

وَ بَشِّرِ الصّابِرِینَ :ای بالجنه و المغفره.و من استقبل البلاء بالرحب،و صبر علی سکینه و وقار،فهو من الخاص،و نصیبه ما قال اللّه-عز و جل-:

إِنَّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِینَ»

(۱)

.

الصبر-مراتب الصبر-اقسام الصبر-فضیله الصبر-الصبر علی السراء-اختلاف مراتب الصبر فی الثواب-طریق تحصیل الصبر-التلازم بین الصبر و الشکر-القانون الکلی فی معرفه الفضائل-تفضیل الصبر علی الشکر.

ضد الجزع(الصبر)،

و هو ثبات النفس و عدم اضطرابها فی الشدائد و المصائب،بأن تقاوم معها،بحیث لا تخرجها عن سعه الصدر و ما کانت علیه قبل ذلک من السرور و الطمأنینه،فیحبس لسانه عن الشکوی،و اعضاءه عن الحرکات الغیر المتعارفه.و هذا هو الصبر علی المکروه،و ضده الجزع.

و له اقسام اخر لها أسماء خاصه تعد فضائل اخر:کالصبر فی الحرب، و هو من أنواع الشجاعه،و ضده الجبن.و الصبر فی کظم الغیظ،و هو الحلم،و ضده الغضب.و الصبر علی المشاق،کالعباده،و ضده الفسق، أی الخروج عن العبادات الشرعیه.و الصبر علی شهوه البطن و الفرج من قبائح اللذات،و هی العفه،و إلیه أشیر فی قوله-سبحانه-:

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(مصباح الشریعه):باب ۹۲.و علی(البحار): باب الصبر و الیسر بعد العسر،مج ۲:۱۵-۱۴۳.

وَ أَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّهَ هِيَ الْمَأْوىٰ

(۱)

.

و ضده الشره.و الصبر عن فضول العيش،و هو الزهد،و ضده الحرص.و الصبر فى كتمان السر،و ضده الاذاعه،و الأولان،كالصبر على المكروه من فضائل قوه الغضب.و الرابع،من نتائج المحبه و الخشيه.

و البواقى،من فضائل قوه الشهوه-كما يأتى-.و بذلك يظهر:أن من عد الصبر مطلقا من فضائل القوه الشهويه أو القوه الغضبيه إنما أراد به بعض أقسامه.

و يظهر من ذلك:أن أكثر أخلاق الايمان داخل فى الصبر.و لذلك لما سئل رسول اللّه(ص)عن الايمان،قال:«هو الصبر،لأنه أكثر أعماله و أشرفها»،كما قال:«الحج عزم».و قد عرّف مطلق الصبر بأنه مقاومه النفس مع الهوى،و بعباره أخرى:أنه ثبات باعث الدين فى مقابله باعث الهوى.و المراد بباعث الدين هو العقل النظرى الهادى إلى طريق الخير و الصلاح،و العقل العملى المنفذ لأحكامه المؤديه إلى الفوز و الفلاح.و المراد بباعث الهوى هو قوه الشهوه الخارجه عن إطاعه العقل.و القتال دائما بين الباعثين قائم،و الحرب بينهما أبدا سجال (۲)،و قلب العبد معركته، و مدد باعث الدين من الملائكه الناظرين لحزب اللّه،و مدد باعث الهوى من الشياطين الناصرين لأعداء اللّه،فان ثبت باعث الدين بامداد الملائكه حتى قهر باعث الهوى و استمر على مخالفته،غلب حزب اللّه و التحق بالصابرين، و إن تحاول و ضعف حتى غلب باعث الهوى بامداد الشياطين و لم يصبر على

۱- ۱) النازعات،الآيه:۴۰-۴۱.

۲- ۲) «الحرب بينهم سجال»:مثل مشهور،أى تاره لهم و تاره عليهم.

دفعه،التحق باتباع الشياطين.و عمده ما يثبت به باعث الدين هى قوه المعرفه،أى اليقين بكون الهوى عدوا قاطعا لطريق الوصول إلى اللّه مضادا لأسباب السعادات فى الدنيا و الاخره.ثم باعث الدين اما يقهر داعى الهوى بالكليه،بحيث لا تبقى له قوه المنازعه،فيدوم الصبر،و تستقر النفس فى مقام الاطمئنان،و تنادى من وراء سرادقات الجمال بخطاب:

«يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ! ارْجِعِى إِلىٰ رَبِّكِ رٰاضِيَةً مَرْضِيَّةً» ،فتدخل فى زمره الصديقين السابقين،و تنسلك فى سلك عباده الصالحين.أو يغلب داعى الهوى و ينقهر باعث الدين،بحيث لا تبقى له قوه المنازعه،و ييأس عن المجاهده و المقاومه،فتسلم نفسه الشريفه الملكوتيه التى هى سر اللّه و وديعته إلى حزب الشيطان.و مثله مثل من أخذ أعز أولاده المتصف بجميع الكمالات،و يسلمه إلى الكفار من اعدائه،فيقتلونه لديه، و يحرقونه بين يديه،بل هو أسوا حالا منه بمراتب-كما لا يخفى-.إذ لا يكون لأحدهما الغلبه التامه،بل يكون بينهما تنازع و تجاذب،فتاره يغلب هذا،و تاره يغلب ذاك،فتكون النفس فى مقام المجاهده إلى أن يغلب أحد الباعثين،فتدخل فى حزب اللّه أو حزب الشيطان.ثم غلبه أحد الباعثين على الآخر إما أن تكون فى جميع مقتضياته أو بعضها،و تخرج من القسمين ثلاثه أحوال:

الأولى-أن يغلب باعث الدين على جميع الشهوات فى جميع الأوقات.

الثانيه-أن يغلب عليه الجميع فى الجميع.

الثالثه-أن يغلب على بعض دون بعض فى الجميع،أو يغلب عليها كلا أو بعضا دون بعض.

و قد أشير إلى أهل الحاله الأولى فى الكتاب الإلهى بقوله-تعالى-:

يٰا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ... الى آخر الآيه (۱).

و إلى الثانيه بقوله: وَ لٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّهِ وَ النّٰاسِ أَجْمَعِينَ (۲).و إلى الثالثه بقوله: خَلَطُوا عَمَلاً صٰالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّٰهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ (۳).

فصل (مراتب الصبر)

اشاره

الصبر على المكروه و مشاق العبادات و عن ترك الشهوات إن كان بيسر و سهوله فهو الصبر حقيقه،و إن كان بتكلف و تعب فهو التصبر مجازا.و إذا أدام التقوى و قوى التصديق بما فى العاقبه من الحسنى،تيسر الصبر و لم يكن له تعب و مشقه،كما قال اللّه-سبحانه-:

فَأَمّٰا مَنْ أَعْطىٰ وَ اتَّقىٰ، وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنىٰ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ

(۴)

.

و متى تيسر الصبر و صار ملكه راسخه أورث مقام الرضا،و إذا أدام مقام الرضا أورث مقام المحبه.و كما ان مقام المحبه أعلى من مقام الرضا، فكذلك مقام الرضا أعلى من مقام الصبر.و لذلك قال رسول اللّه(ص):

«اعبد اللّه على الرضا،فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير».

۱- ۱) الفجر،الآيه:۲۷-۲۸.

۲- ۲) السجده،الآيه:۱۳.

۳- ۳) التوبه،الآيه:۱۰۳.

۴- ۴) الليل،الآيه:۵-۷.

قال بعض العارفين:«أهل الصبر على ثلاث مقامات:الأول:ترک الشکوی،و هـذه درجه التائبين.الثانی:الرضا بالمقدر،و هذه درجه الزاهدين.الثالث:المحبه لما يصنع به مولاه،و هذه درجه الصديقين».

و کأن هذا الانقسام مخصوص بالصبر على المکروه من المصائب و المحن.ثم باعث الصبر إما إظهار الثبات و طمأنينه القلب عند الناس،ليکون عندهم مرضيا،کما نقل عن معاويه:أنه أظهر البشاشه،و ترک الشکوی فی مرض موته،و قال:

و تجلدی للشامتين أريهم

انی لريب الدهر لا أ تزعزع

و هذا صبر العوام،و هم الذين يعملون ظاهرا من الحياه الدنيا و هم عن الآخره هم غافلون. أو توقع الثواب و نيل الدرجات الرفيعه فی دار الآخره،و هذا صبر الزهاد و المتقين،و إليه الإشاره بقوله-تعالی-:

إِنَّمٰا يُوَفَّى الصّٰابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسٰابٍ

(۱)

.

أو الالتذاذ و الابتهاج بورود المکروه من اللّه-سبحانه-.اذ کل ما يرد من المحبوب محبوب،و المحب يشتاق إلى التفات محبوبه و يرتاح به،و ان کان ما يؤذيه ابتلاء و امتحانا له،و هذا صبر العارفين،و إليه الإشاره بقوله-تعالی-:

وَ بَشِّرِ الصّٰابِرِينَ، اَلَّذِينَ إِذٰا أَصٰابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قٰالُوا إِنّٰا لِلّٰهِ وَ إِنّٰا إِلَيْهِ رٰاجِعُونَ، أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوٰاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ

(۲)

.

ص :۲۸۴

۱- ۱) الزمر،الآيه:۱۰.

۲- ۲) البقره،الآيه:۱۵۵-۱۵۷.

و قـد ورد:ان الامـام محمـد بن علی البـاقر-علیهمـا السـلام-قال لجابر ابن عبـد اللّه الأنصاری-و قـد اکتنفته علل و اسـقام،و غلبه ضعف الهرم-:

«کیـف تجـد حالـک؟»قـال:أنـا فی حـال الفقر أحـب إلیّ مـن الغنی،و المرض أحـب الیّ مـن الصـحه،و المـوت أحـب إلی من الحیاه.فقال الامام(ع):

«أما نحن أهل البیت،فما یرد علینا من اللّه من الفقر و الغنی و المرض و الصحه و الموت و الحیاه،فهو أحب إلینا».فقام جابر،و قبل بین عینیه،و قال:

صدق رسول اللّه(ص)حیث قال لی:«یا جابر!ستدرک واحدا من أولادی اسمه اسمی،یبقر العلوم بقرا».

تذنیب (أقسام الصبر)

الصبر باعتبار حکمه ینقسم إلی الاقسام الخمسه،فالصبر عن الشـهوات المحرمه و علی مشاق العبادات الواجبه فرض،و علی بعض المکاره و أداء المنـدوبات نفل،و علی الأذیه التی یحرم تحملها حرام،کالصبر علی قطع یـده،أو یـد ولـده،أو قصد حریمه بشـهوه محظوره،و علی أذی تنـاله بجهه مکروهه فی الشـرع.و بـذلک یظهر ان کـل صبر لیس محمودا،بل بعض أنواعه ممـدوح و بعض انواعه مذموم،و الشرع محکم،فما حسنه حسن، و ما قبحه قبیح.

فصل (فضیله الصبر)

الصبر منزل من منازل السالکین،و مقام من مقامات الموحدین.

و به ینسلک العبد فی سلک المقربین،و یصل إلی جوار رب العالمین.و قد أضاف اللّه أکثر الدرجات و الخیرات إلیه،و ذکره فی نیف و سبعین موضعا

من القرآن و وصف اللّه الصابرين بأوصاف،فقال-عز من قائل-:

وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا

(١)

.

و قال: وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنىٰ عَلىٰ بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا (٢).و قال: وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (٣).و قال: أُولٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا (۴).فما من فضيله إلا و أجرها بتقدير و حساب إلا الصبر،و لذا قال: إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ (۵).و وعد الصابرين بأنه معهم،فقال: وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصّابِرِينَ (۶).

و علق النصره على الصبر،فقال: بَلىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هٰذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (٧).و جمع للصابرين الصلوات و الرحمه و الهدى.فقال: أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (٨).

ص: ٢٨۶

١- ١) السجده،الآيه:٢۴.

٢- ٢) الأعراف،الآيه:١٣٧.

٣- ٣) النحل،الآيه:٩۶.

۴- ۴) القصص،الآيه:۵۴.

۵- ۵) الزمر،الآيه:١٠.

۶- ۶) الانفال،الآيه:۴۶.

٧- ٧) آل عمران،الآيه:١٢۵.

٨- ٨) البقره،الآيه:١۵٧.

و الآیات الوارده فی مقام الصبر خارجه عن حد الاستقصاء،و الاخبار المادحه له أکثر من أن تحصی.قال رسول اللّه(ص):«الصبر نصف الایمان». و قال(ص):«من أقل ما أوتیتم الیقین و عزیمته الصبر،و من أعطی حظه منهما لم یبال ما فاته من قیام اللیل و صیام النهار،و لئن تصبروا علی مثل ما أنتم علیه أحب الی من ان یوافینی کل امرئ منکم بمثل عمل جمیعکم،و لکنی أخاف أن یفتح علیکم الدنیا بعدی فینکر بعضکم بعضا، و ینکرکم أهل السماء عند ذلک،فمن صبر و احتسب ظفر بکمال ثوابه»...

ثم قرأ قوله-تعالی-:

مٰا عِنْدَکُمْ یَنْفَدُ وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ بٰاقٍ

(۱)

.

و قال(ص):«الصبر کنز من کنوز الجنه».و قال(ص):«أفضل الاعمال ما أکرهت علیه النفوس».و لا ریب فی ان الصبر مما تکرهه النفوس، و لذا قیل:«الصبر صبر».و قال(ص):«فی الصبر علی تکرّه خیر کثیر».

و قال(ص):«الصبر من الایمان بمنزله الرأس من الجسد،و لا جسد لمن لا رأس له،و لا ایمان لمن لا صبر له».و سئل(ص)عن الایمان،فقال:

«الصبر و السماحه».و قال(ص):«ما تجرع عبد قط جرعتین أحب إلی اللّه من جرعه غیظ ردها بحلم و جرعه مصیبه یصبر الرجل لها،و لا قطرت بقطره أحب إلی اللّه-تعالی-من قطره دم اهریقت فی سبیل اللّه و قطره دمع فی سواد اللیل و هو ساجد و لا یراه إلا اللّه،و ما خطا عبد خطوتین احب إلی اللّه-تعالی-من خطوه إلی الصلاه الفریضه و خطوه إلی صله الرحم».و روی:«أنه-تعالی-أوحی إلی داود(ع):یا داود!تخلق باخلاقی،و إن من اخلاقی انی انا الصبور». و روی:«أن المسیح قال

۱- ۱) النحل،الآیه:۹۶.

للحواريين:إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون» (۱).

و قال(ص):«ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبه فقال-كما امره اللّه-:إنا للّه و انا إليه راجعون،اللهم أجرنى فى مصيبتى و اعقبنى خيرا منها،إلا-و فعل اللّه ذلك».و قال(ص):«قال اللّه-عز و جل-:اذا وجهت إلى عبد من عبيدى مصيبه فى بدنه أو ماله أو ولده،ثم استقبل ذلك بصبر جميل، استحييت منه ان انصب له ميزانا و انشر له ديوانا» (۲). و قال(ص):

«الصبر ثلاثه:صبر عند المصيبه،و صبر على الطاعه،و صبر عن المعصيه.

فمن صبر على المصيبه حتى يردها بحسن عزائها كتب اللّه له ثلاثمائه درجه، ما بين الدرجه إلى الدرجه كما بين السماء إلى الأرض،و من صبر على الطاعه كتب اللّه له ستمائه درجه،ما بين الدرجه إلى الدرجه كما بين تخوم الأرض إلى العرش،و من صبر على المعصيه كتب اللّه له تسعمائه درجه،ما بين الدرجه الى الدرجه كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش».و قال(ص):«سيأتى على الناس زمان لا ينال الملك فيه إلا بالقتل و التجبر،و لا الغنى إلا بالغصب و البخل،و لا المحبه إلا باستخراج الدين و اتباع الهوى،فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر و هو يقدر على الغنى،و صبر على البغضه و هو يقدر على المحبه،و صبر على الذل و هو يقدر على العز،آتاه اللّه ثواب خمسين صديقا ممن صدق بى» (۳).و قال(ص):«ان اللّه-تعالى-قال لجبرئيل:ما جزاء من سلبت كريمته؟فقال:سبحانك!لا علم لنا الا ما علمتنا.قال:جزاؤه

۱- ۱) صححنا النبويات على(احياء العلوم):۴-۵۳،كتاب الصبر،

۲- ۲) صححنا الروايه على(البحار):مج ۲:۱۵-۱۴۸،باب الصبر و اليسر بعد العسر.

۳- ۳) صححنا الروايه،و كذا ما قبلها،على(أصول الكافى):ج ۲، باب الصبر.و على(الوافى):۳-۳۲۱-۳۲۳،باب الصبر.

الخلود فی داری،و النظر إلی وجهی».و قال(ص)لرجل قال له:ذهب مالی و سقم جسمی:«لا خیر فی عبد لا یذهب ماله و لا یسقم جسمه،ان اللّه إذا أحب عبدا ابتلاه،و إذا ابتلاه صبره».و قال(ص).«إن الرجل لیکون له الدرجه عند اللّه-تعالی-لا یبلغها بعمل حتی یبتلی ببلاء فی جسمه فیبلغها بذلک». و قال(ص):«اذا أراد اللّه بعبد خیرا،و أراد ان یصافیه،صب علیه البلاء صبا و ثجه علیه ثجا،فإذا دعاه،قالت الملائکه:

صوت معروف،و إذا دعاه ثانیا،فقال:یا رب!قال اللّه-تعالی-:

لبیک عبدی و سعدیک!الا تسألنی شیئا إلا اعطیتک،او رفعت لک ما هو خیر،و ادخرت لک عندی ما هو أفضل منه.فإذا کان یوم القیامه جیء بأهل الاعمال فوزنوا أعمالهم بالمیزان،أهل الصلاه و الصیام و الصدقه و الحج،ثم یؤتی باهل البلاء،فلا ینصب لهم میزان،و لا ینشر لهم دیوان، یصب علیهم الأجر صبا کما کان یصب علیهم البلاء صبا،فیود أهل العافیه فی الدنیا لو انهم کانت تقرض اجسادهم بالمقاریض لما یرون ما یذهب به أهل البلاء من الثواب،فذلک قوله-تعالی-:إنما یوفی الصابرون أجرهم بغیر حساب».و قال(ص):«إذا رأیتم الرجل یعطیه اللّه ما یحب،و هو مقیم علی معصیته،فاعلموا أن ذلک استدراج»...ثم قرأ قوله-تعالی-:

فَلَمّٰا نَسُوا مٰا ذُکِّرُوا بِهِ فَتَحْنٰا عَلَیْهِمْ أَبْوٰابَ کُلِّ شَیْءٍ

(۱)

.

یعنی:لما ترکوا ما أمروا به فتحنا علیهم أبواب الخیرات،حتی إذا فرحوا بما أوتوا-أی بما أعطوا من الخیر-اخذناهم بغته. و روی:

«أن نبیا من الأنبیاء شکی إلی ربه،فقال:یا رب،العبد المؤمن یعطیک

۱- ۱) الانعام،الآیه:۴۴.

و یجتنب معاصیک تزوی عنه الدنیا و تعرضه للبلاء،و یکون العبد الکافر لا یعطیک و یجتری علی معاصیک تزوی عنه البلاء و تبسط له الدنیا!فاوحی اللّه-تعالی-الیه:ان العباد الی و البلاء لی،و کل یسبح بحمدی.فیکون المؤمن علیه من الذنوب،فازوی عنه الدنیا و اعرض له البلاء،فیکون کفاره لذنوبه حتی یلقانی،فاجزیه بحسناته،و یکون الکافر له من الحسنات فابسط له فی الرزق و ازوی عنه البلاء،فأجزیه بحسناته فی الدنیا حتی یلقانی فأجزیه بسیئاته» (1). و عن أبی عبد اللّه(ع)قال:«قال رسول اللّه(ص):قال اللّه-عز و جل-:انی جعلت الدنیا بین عبادی قرضا،فمن اقرضنی منها قرضا اعطیته بکل واحده منهن عشرا إلی سبعمائه ضعف و ما شئت من ذلک،و من لم یقرضنی منها قرضا فاخذت منه شیئا قسرا،اعطیته ثلاث خصال لو أعطیت واحده منهن ملائکتی لرضوا بها منی.قال:ثم تلا ابو عبد اللّه(ع)قوله-عز و جل-(الذین إذا أصابتهم مصیبه قالوا إنا للّه و إنا الیه راجعون،أولئک علیهم صلوات من ربهم)،فهذه واحده من ثلاث خصال،(و رحمه)اثنتان،(و أولئک هم المهتدون)ثلاث.ثم قال أبو عبد اللّه (ع):هذا لمن أخذ اللّه منه شیئا قسرا».و قال أمیر المؤمنین(ع):«بنی الایمان علی اربع دعائم:الیقین،و الصبر،و الجهاد،و العدل».و قال أمیر المؤمنین (ع)«الصبر صبران:صبر عند المصیبه حسن جمیل،و أحسن من ذلک الصبر عند ما حرم اللّه-عز و جل-علیک».و قال علی(ع):«الصبر و حسن الخلق و البر و الحلم من أخلاق الأنبیاء».و قال أمیر المؤمنین(ع):

«أیما رجل حبسه السلطان ظلما فمات،فهو شهید،و ان ضربه فمات،فهو

۱- ۱) صححنا الأحادیث الأربع علی(احیاء العلوم):۴-۱۱۴،باب الصبر.

شهید» (۱).و قال أمیر المؤمنین(ع):«من إجلال اللّه و معرفه حقه ألا تشکو وجعک ،و لا تذکر مصیبتک».و قال أمیر المؤمنین(ع):«ألا أخبرکم بأرجی آیه فی کتاب اللّه؟قالوا:بلی!فقرأ علیهم:

وَ مٰا أَصٰابَکُمْ مِنْ مُصِیبَهٍ فَبِمٰا کَسَبَتْ أَیْدِیکُمْ وَ یَعْفُوا عَنْ کَثِیرٍ

(۲)

.

فالمصائب فی الدنیا بکسب الأوزار،فإذا عافاه اللّه فی الدنیا فاللّه أکرم من ان یعذبه ثانیا،و ان عفی عنه فی الدنیا فاللّه أکرم من ان یعذبه یوم القیامه». و قال الباقر(ع):«الجنه محفوفه بالمکاره و الصبر،فمن صبر علی المکاره فی الدنیا دخل الجنه.و جهنم محفوفه باللذات و الشهوات، فمن أعطی نفسه لذتها و شهوتها دخل النار».و قال(ع):«مروه الصبر فی حال الفاقه و الحاجه و التعفف و الغنی أکثر من مروه الإعطاء» (۳).

و قال(ع):«لما حضرت أبی علی بن الحسین-علیهما السلام-الوفاه، ضمنی إلی صدره،ثم قال:یا بنی!أوصیک بما اوصانی به أبی حین حضرته الوفاه،و بما ذکر ان أباه أوصاه به،قال:یا بنی!اصبر علی الحق و ان کان مرا».و قال الصادق(ع):«اذا دخل المؤمن قبره،کانت الصلاه عن یمینه و الزکاه عن یساره،و البر مطل علیه،و یتنحی الصبر ناحیته.فإذا دخل علیه لملکان اللذان یلیان مساءلته،قال الصبر للصلاه و الزکاه و البر:

۱- ۱) صححنا الروایات الثلاث علی(أصول الکافی):ج ۲،باب الصبر.و علی (الوافی):۳-۳۲۱-۳۲۳،باب الصبر.

۲- ۲) الشوری،الآیه:۳۰.

۳- ۳) قال العلامه(المجلسی)-قدس سره-فی(بحار الأنوار):مج ۱۵ ج ۲،فی باب الصبر علی المعصیه،فی ذیل هذا الخبر:«بیان المروه:هی الصفات التی بها تکمل انسانیه الإنسان».

دونکم صاحبکم،فان عجزتم عنه فانا دونه».و قال(ع):«إذا کان یوم القیامه، یقوم عنق من الناس،فیأتون باب الجنه،فیضربونه،فیقال لهم:من انتم؟فیقولون:نحن أهل الصبر،فیقال لهم:علی ما صبرتم؟فیقولون:کنا نصبر علی طاعه اللّه و نصبر عن معاصی اللّه،فیقول اللّه-تعالی-:صدقوا! ادخلوهم الجنه.و هو قول اللّه-تعالی-:إنما یوفی الصابرون أجرهم بغیر حساب».و قال(ع):«من ابتلی من المؤمنین ببلاء فصبر علیه،کان له مثل اجر الف شهید».و قال(ع):«إن اللّه-عز و جل-انعم علی قوم فلم یشکروا،فصارت علیهم و بالا،و ابتلی قوما بالمصائب فصبروا،فصارت علیهم نعمه».و قال(ع):«من لا یعد الصبر لنوائب الدهر یعجز».و قال(ع):

«إن من صبر صبر قلیلا-و إن من جزع جزع قلیلا-..ثم قال:علیک بالصبر فی جمیع أمورک،فان اللّه-عز و جل-بعث محمدا(ص)فأمره بالصبر و الرفق،فقال:

وَ اصْبِرْ عَلیٰ مٰا یَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِیلاً

(۱)

.

و قال أبو الحسن(ع)لبعض أصحابه:«ان تصبر تغتبط،و الا تصبر یقدر اللّه مقادیره،راضیا کنت أم کارها» (۲).و الاخبار فی فضیله الصبر علی البلاء و عظم ثوابه و أجره أکثر من ان تحصی.و لذلک کان الانقیاء و الأکابر محبین طالبین له،حتی نقل:«ان واحدا منهم دخل علی ابن مریض له،فقال:یا بنی!لئن تکن فی میزانی أحب إلی من ان أکون فی میزانک.

۱- ۱) المزمل،الآیه:۱۰.

۲- ۲) صححنا الأحادیث الوارده عن أهل البیت-علیهم السلام-فی باب الصبر،علی الجزء الثانی من(أصول الکافی)باب الصبر،و علی(الوافی): ۳-۳۲۱-۳۲۳،کتاب الصبر.

فقال:یا أبه!لئن یکن ما تحب أحب إلی من أن یکون ما أحب».و قال بعضهم:«ذهبت عینی منذ ثلاثین سنه،ما علم به أحد».

فصل (الصبر علی السراء)

اشاره

کل ما یلقی العبد فی الدنیا،و ما یوافق هواه،أو لا یوافقه،بل یکرهه،و هو فی کل منهما محتاج إلی الصبر.اذ ما یوافق هواه،کالصحه الجسمیه،و اتساع الأسباب الدنیویه،و نیل الجاه و المال،و کثره الأولاد و الاتباع،لو لم یصبر علیه،و لم یضبط نفسه عن الانهماک فیه و الاغترار به،أدرکه الطغیان و البطر.(فان الإنسان لیطغی ان رآه استغنی).و قال بعض الأکابر:«البلاء یصبر علیه المؤمن،و العوافی لا یصبر علیها الا الصدیق».و قال بعض العرفاء:«الصبر علی العافیه أشد من الصبر علی البلاء».و لذا لما توسعت الدنیا علی الصحابه و زال عنهم ضیق المعاش،قالوا:

«ابتلینا بفتنه الضراء فصبرنا،و ابتلینا بفتنه السراء فلا نقدر علی الصبر علیها».و من هنا قال اللّه-سبحانه-:

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُلْهِکُمْ أَمْوالُکُمْ وَ لا أَوْلادُکُمْ عَنْ ذِکْرِ اللّهِ

(۱)

.و قال: إِنَّ مِنْ أَزْواجِکُمْ وَ أَوْلادِکُمْ عَدُوًّا لَکُمْ (۲).

و معنی الصبر علی متاع الدنیا:ألا یرکن إلیه،و یعلم أنه مستودع عنده،و عن قریب یسترجع عنه،فلا ینهمک فی التنعم و التلذذ،و لا یتفاخر

۱- ۱) المنافقون،الآیه:۹.

۲- ۲) التغابن،الآیه:۱۴.

به على فاقده من اخوانه المؤمنين،و يرعى حقوق اللّه فى ماله بالانفاق،و فى بدنه ببذل المعونه للخلق،و فى منصبه باعانه المظلومين،و كذلك فى سائر ما أنعم اللّه به عليه.

و السر فى كون الصبر عليها أشد من الصبر على البلاء:انه ليس مجبورا على ترك ملاذ الدنيا،بل له القدره و التمكن على التمتع بها،بخلاف البلاء، فانه مجبور عليه،و لا يقدر على دفعه،فالصبر عليه أسهل.و لذا ترى أن الجائع إذا لم يقدر على الطعام أقدر على الصبر منه إذا قدر عليه.

و أما ما لا يوافق هواه و طبعه،فله ثلاثه اقسام:

الأول-ما يكون مقدورا للعبد،كالطاعات و المعاصى.أما الطاعه، فالصبر عليها شديد،لأن النفس بطبعها تنفر عنها،و تشتهى التقهر و الربوبيه، كما يأتى وجهه.و مع ذلك يثقل عليها بعض العبادات باعتبار الكسل،و بعضها باعتبار البخل،و بعضها باعتبارهما،كالحج و الجهاد،فلا تخلو طاعه من اعتبار يشق على النفس ان تصبر عليه،و مع ذلك يحتاج المطيع فيها إلى الصبر فى حالات ثلاثه تتضاعف لأجلها الصعوبه،إذ يحتاج إليها قبل العمل فى تصحيح النيه و الإخلاص،و تطهيرها عن شوائب الرياء،و فى حاله العمل لئلا يغفل عن اللّه فى اثنائه،و لا يخل بشىء من وظائفه و آدابه،و يستمر على ذلك إلى الفراغ و بعد الفراغ عنه،لئلا يتطرق إليه العجب،و لا يظهر رياء و سمعه.

و النهى عن إبطال العمل و عن إبطال الصدقات بالمن و الاذى امر بهذا القسم من الصبر. و أما المعاصى،فلكون جميعها مما تشتهيها النفس،فصبرها عليها شديد،و على المألوفه المعتاده أشد،إذ العاده كالطبيعه الخامسه،و لذا ترى أن كل معصيه شاعت و تكررت ثقل استنكارها،فان الاستبعاد فى مثل لبس الحرير أكثر من الاستبعاد فى إطلاق اللسان طول النهار فى اعراض الناس،مع ان الغيبه أشد من الزنا،كما نطقت به الاخبار.فإذا انضافت

العاده إلی الشهوه،ظهر جندان من جنود الشیطان علی جند اللّه،فیصعب ترکها.

ثم المعصیه ان کانت مما یسهل فعلها،کان الصبر عنها أشد،کمعاصی اللسان من الغیبه و الکذب،و لو کانت مع ذلک مشتمله علی تمام ما تقتضیه جبله النفس من الاستعلاء و الربوبیه،کالکلمات التی توجب نفی الغیر و القدح فیه،و الثناء علی ذاتها تصریحا أو تعریضا،کان الصبر عنها أشد.

اذ مثل ذلک-مع کونها مما تیسر فعله و صار مألوفا معتادا-انضافت إلیه شهوتان للنفس فیه:إحداهما نفی الکمال من غیرها،و اخراهما اثباته لذاتها.

و میل النفس إلی مثل تلک المعصیه فی غایه الکمال،إذ به یتم ما تقتضیه جبلتها من التوفق و العلو،فصبرها عنها فی غایه الصعوبه. و قد ظهر مما ذکر:أن أکثر ما شاع و ذاع من المعاصی انما یصدر من اللسان.فینبغی لکل أحد ان یجتهد فی حفظ لسانه بتقدیم التروی علی کلام یرید أن یتکلم به،فان لم یکن معصیه تکلم به،و إلا ترکه،و لو لم یقدر علی ذلک، و کان لسانه خارجا عن اطاعته فی المحاورات،وجبت علیه العزله و الانفراد و ترکه التکلم مع الناس،حتی تحصل له ملکه الاقدار علی حفظه،ثم صعوبه الصبر و سهولته لما کانت تختلف فی آحاد المعاصی باختلاف داعیه تلک المعاصی قوه و ضعفا،فینبغی لکل طالب السعاده أن یعلم ان داعیه نفسه الی أی معصیه أشد،فیکون سعیه فی ترکها أکثر.ثم حرکه الخواطر باختلاج الوساوس ایسر بکثیر من حرکه اللسان بقبائح الکلمات،فلا یمکن الصبر عنها أصلا،إلا بأن یغلب علی القلب هم آخر فی الدین یستغرفه، کمن أصبح و همومه هم واحد.و أکثر جولان الخاطر إنما یکون فی فائت لا تدارک له،او فی مستقبل لا بد و ان یحصل منه ما هو مقدور.و کیف کان فهو تصور باطل،و تضییع وقت.إذ آله استکمال

العبد قلبه،فإذا غفل القلب فی لحظه من ذکر یستفید به انسا باللّه،او فکر یستفید به معرفه باللّه،و یستفید بالمعرفه حب اللّه،فهو مغبون.

الثانی-ما لیس حصوله مقدورا للعبد،و لکنه یقدر علی دفعه بالتشفی،کما لو أوذی بفعل او قول،او جنی علیه فی نفسه او ماله،فان حصول الاذیه و الجنایه و ان لم یرتبط باختیاره،إلا انه یقدر علی التشفی من المؤذی او الجانی بالانتقام منه،و الصبر علی ذلک بترک المکافاه.و هو قد یکون واجبا،و قد یکون فضیله،و هو أعلی مراتب الصبر.و لأجل ذلک خاطب اللّه نبیه(ص)بقوله:

فَاصْبِرْ کَمٰا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ

(۱)

.

و بقوله: وَ اصْبِرْ عَلیٰ مٰا یَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِیلاً (۲).و بقوله: وَ دَعْ أَذٰاهُمْ وَ تَوَکَّلْ عَلَی اللّٰهِ (۳).و قال: وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتٰابَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ مِنَ الَّذِینَ أَشْرَکُوا أَذیً کَثِیراً وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذٰلِکَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (۴).و قال:

«وَ إِنْ عٰاقَبْتُمْ فَعٰاقِبُوا بِمِثْلِ مٰا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَیْرٌ لِلصّٰابِرِینَ

(۵)

.

۱- ۱) الاحقاف،الآیه:۳۵.

۲- ۲) المزمل،الآیه:۱۰.

۳- ۳) الأحزاب،الآیه:۴۸.

۴- ۴) آل عمران،الآیه:۱۸۶.

۵- ۵) النحل،الآیه:۱۲۶.

و قـال رسول اللّه(ص):«صـل من قطعـك،و اعـط من حرمـك،و اعف عمن ظلمـك».و روى:«أنه(ص)قسم مره مالاـفقال بعض الاـعراب من المسـلمين:هـذه قسـمه مـا أريـد بها وجه اللّه!فاخبر به رسول اللّه، فاحمرت وجنتاه،ثم قال:رحم اللّه أخى موسـى،قد أوذى باكثر من هذا فصبر».

الثالث-ما ليس مقدورا للعبد مطلقا،كالمصائب و النوائب.و الصبر عليه شديد فى غايه الصـعوبه،و لا ينال إلا ببضاعه الصديقين،و الوصول اليه يتوقف على اليقين التـام.و لـذا قـال النبى(ص):«أسألـك من اليقين مـا يهون على مصائب الـدنيا».و قـد تقـدم بعض الاخبار الوارده فى فضـيله هذا القسم من الصبر.و قال(ص):«قال اللّه:اذا ابتليت عبدى ببلائى فصبر،و لم يشـكنى إلى عواده،أبدلته لحمـا خيرا من لحمه،و دمـا خيرا من دمه،فـان أبرأته أبرأته و لاـ ذنب له،و ان توفيته فإلى رحمتى».و قال (ص):«من إجلال اللّه و معرفه حقه:ألا تشـكو وجعك ،و لا تذكر مصيبتك».و قال(ص):«من ابتلى فصبر،و أعطى فشكر،و ظلم فغفر، أولئك لهم الأمن و هم مهتدون».و قال(ص):«إن اللّه-تعالى-قال لجبرئيل:ما جزاء من سلبت كريمته؟فقال:سبحانك!لا علم لنا إلا ما علمتنا.قال:جزاؤه الخلود فى دارى،و النظر إلى وجهى».و قال داود(ع):«يا رب!ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك؟ قال:جزاؤه أن ألبسه لباس الأمان،لا انزعه عنه ابدا».و قال لابنه سـليمان-عليهما السـلام-:«يستدل على تقوى المؤمن بثلاث:حسن التوكل فيما لم ينل،و حسن الرضا فيما قد نال،و حسن الصبر فى ما قد فات».

و روى:«أن من ابتلى بموت ثلاثه أولاد،لم يرد على النار أصلا».

ص: ۲۹۷

تذنيب (اختلاف مراتب الصبر فی الثواب)

لما کان الصبر علی العافیه بمعنی ترک الشهوات المحرمه و عدم الانهماک فیها، فهو راجع إلی الصبر عن المعصیه.و علی هذا،فاقسام الصبر ثلاثه:الصبر علی المصائب و النوائب،و الصبر علی الطاعه،و الصبر عن المعصیه.ثم ما تقدم من الخبر النبوی صریح فی کون الأول أقل ثوابا،و الآخر أکثر ثوابا،و الوسط وسطا بینهما.و ربما ظهر من بعض الاخبار:کون الأول أکثر ثوابا.و أبو حامد الغزالی رجح الأول أولا،و به صرح بعض المتأخرین من أصحابنا للخبر النبوی،ثم رجح الثانی ثانیا محتجا بما روی عن ابن عباس أنه قال:«الصبر فی القرآن علی ثلاثه اوجه،صبر علی أداء فرائض اللّه-تعالی-فله ثلاثمائه درجه،و صبر عن محارم اللّه-تعالی- و له ستمائه درجه،و صبر علی المصیبه عند الصدمه الأولی،فله تسعمائه درجه».و بأن کل مؤمن یقدر علی الصبر عن المحارم،و أما الصبر علی بلاء اللّه فلا یقدر علیه الا ببضاعه الصدیقین،لکونه شدیدا علی النفس.

و عندی:ان القول بکون أحدهما أکثر ثوابا علی الإطلاق غیر صحیح،إذ القول بأن الصبر عن کلمه کذب او لبس ثوب من الحریر لحظه أکثر ثوابا من الصبر علی موت کثیر من أعز الاولاد بعید،و کذا القول بأن الصبر علی فقد درهم أکثر ثوابا من کف النفس عن کبائر المعاصی و فطامها عن ألذ اللذات و الشهوات مع القدره علیها أبعد،فالصواب:

التفصیل بأن کل صبر من أی قسم کان من الثلاثه إذا کان علی النفس أشد و اشق فثوابه أکثر مما کان اسهل و أیسر،کائنا ما کان،لما ثبت و تقرّر أن أفضل الاعمال احمزها،و به یحصل الجمع و التلاؤم بین الأخبار.

فصل (طريق تحصيل الصبر)

اشاره

الطريق إلى تحصيل الصبر:تقويه باعث الدين،و تضعيف باعث الهوى.

و الأول:انما يكون بأمور:

الأول-أن يكثر فكرته فيما ورد من فضل الصبر و حسن عواقبه فى الدنيا و الآخره،و أن ثواب الصبر على المصيبه أكثر مما فات، و انه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبه،إذ فاته ما لا يبقى معه إلا مده الحياه فى الدنيا،و حصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر،فيجازى على المده القصيره الفانيه بالمده الطويله الخالده،و على الغايه القريبه الزائله بالغايه المديده الباقيه.

و من أسلم خسيسا فى نفيس،فلا ينبغى أن يحزن بفوات الخسيس فى الحال.

الثانى-أن يتذكر قله قدر الشده الدنيويه و وقتها،و استخلاصه عنها عن قريب،مع بقاء الاجر على الصبر عليها.

الثالث-أن يعلم أن الجزع قبيح مضر بالدين و الدنيا،و لا يفيد ثمره إلا حبط الثواب و جلب العقاب،كما قال أمير المؤمنين(ع):«ان صبرت جرت عليك المقادير و أنت مأجور،و ان جزعت جرت عليك المقادير و أنت ما زور».

الرابع-أن يعوّد مصارعه هذا الباعث باعث الهوى تدريجا،حتى يدرك لذه الظفر بها،فيتجرى عليها،و يقوى متنه فى مصارعتها.فان الاعتماد و الممارسه للاعمال الشاقه يؤكد القوى التى تصدر منها تلك الاعمال.و لذا تزيد قوه الممارسين للاعمال الشاقه-كالحمالين و الفلاحين-على قوه التاركين لها.فمن عود نفسه مخالفه الهوى غلبها مهما شاء و أراد.

و أما الثانى:اعنى تضعيف الهوى،انما يكون بالمجاهده و الرياضه،

من الصوم و الجوع و قطع الأسباب المهيجه للشهوه من النظر إلى مظانها و تخيلها،و بالتسليه بالمباح من الجنس الذى يشتهيه بشرط الا يخرج عن القدر المشروع.

تتميم

إن قيل:الصبر فى المصائب إن كان المراد به الا- تكون فى نفسه كراهه المعصيه فذلك غير داخل تحت الاختيار،إذ الإنسان مضطر الى الكراهه،فبما ذا ينال درجه الصبر فى المصائب؟ قلت:من كان عارفا باللّه و بأسرار حكمته و قضائه و قدره،بأن يعلم يقينا بأن كل امر صدر من اللّه و ابتلى به عباده من ضيق أو سعه،و كل امر مرهوب أو مرغوب على وفق الحكمه و المصلحه بالذات،و ما عرض من ذلك مما يعد شرا فأمر عرضى لا يمكن نزع الخير المقصود منه،و ان ذلك إذا كان متيقنا له،استعدت نفسه للصبر و مقاومه الهوى فى الغم و الحزن،و طابت بقضائه و قدره،و توسع صدره بمواقع حكمه،و ايقن بأن قضاءه لم يجر إلا بالخيره.و قد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين(ع)بقوله:

«اطرح عنك و اردات الهموم بعزائم الصبر و حسن اليقين». و من بلغ بهذه الدرجه،يتلذذ بكل ما يرد عليه.و مثله يتمتع بثروه لا تنفد،و يتأيد بعز لا- يفقد،فيسرح فى ملك الابد،و يعرج إلى قضاء السرمد.هذا مع ان العبد إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع،و شق الجيوب،و ضرب الخدود،و المبالغه فى الشكوى،و إظهار الكآبه،و تغيير العاده فى الملبس و المطعم و نحوها،و هذه الأمور داخله تحت اختياره،فينبغى ان يجتنب عنها،و يظهر الرضا بالقضاء،و يبقى مستمرا على عادته،و يعتقد ان ذلك

كان وديعه فاسترجعت،و لا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب و جريان الدمع،لان ذلك مقتضى البشريه.و لذلك لما مات إبراهيم ولد النبى(ص) فاضت عيناه بالدمع،فقيل له:اما نهيتنا عن هذا؟قال.«هذه رحمه، انما يرحم اللّه من عباده الرحماء».و قال أيضا(ص):«العين تدمع و القلب يحزن،و لا يقول ما يسخط الرب».بل ذلك لا يخرج عن مقام الرضا أيضا،فان المقدم على الفصد و الحجامه راض به،مع أنه متألم بسببه لا محاله.نعم،من كمال الصبر كتمان المصائب،لما ورد من أن كتمان المصائب و الاوجاع و الصدقه من كنوز البر.و قد ورد المدح فى كثير من الأخبار على عدم الشكايه من الامراض و المصائب. و قال الباقر(ع):

«الصبر الجميل،صبر ليس فيه شكوى إلى الناس».و فى بعض الأخبار:

«أن الشكايه أن تقول:ابتليت بما لم يبتل به أحد،و اصابنى ما لم يصب أحدا،و ليس الشكوى أن تقول:سهرت البارحه،و حميت اليوم،و نحو ذلك».و قال الصادق(ع):«من اشتكى ليله،فقبلها بقبولها،و أدى الى اللّه شكرها،كانت كعباده ستين سنه»،قيل له:ما قبولها؟قال:«يصبر عليها و لا يخبر بما كان فيها،فإذا أصبح حمد اللّه على ما كان».

تتميم (التلازم بين الصبر و الشكر)

اعلم انه اختلف فى أفضليه كل من الصبر و الشكر على الآخر،فرجح كلا منهما على الآخر طائفه.و الظاهر أنه لا ترجيح لأحدهما على الآخر، لأنهما متلازمان لا ينفكك أحدهما عن الآخر.اذ الصبر على الطاعه و على المعصيه هو عين الشكر،لكون أداء الطاعه و ترك المعصيه شكرا،كما مر فى باب الشكر.و الصبر على الشدائد و المصائب يستلزم الشكر،لما مر من

أن الشدائد و المصائب الدنيويه تتضمن نعما،فالصبر على هذه الشدائد يستلزم الشكر على تلك النعم،و لأن الصبر على المصائب هو حبس النفس عن الجزع تعظيما للّه-سبحانه-.و هذا هو الشكر بعينه،لانه تعظيم للّه يمنع عن العصيان،و الشاكر يمنع نفسه عن الكفران مع ميل النفس إليه،و هذا هو عين الصبر عن المعصيه.و أيضا،توفيق الصبر و العصمه من الجزع نعمه يشكر عليها الصابر،فكل صبر يستلزم الشكر،و بالعكس.

و بالجمله:لا ريب فى استلزام كل من الصبر و الشكر للاخر،فان اجتماعهما فى الطاعه و ترك المعصيه،بل اتحادهما فيهما،امر ظاهر،كما تقدم.

و فى البلاء المقيد الدنيوى،اذا حصل فيه الصبر،فلا ريب فى عدم انفكاكه عن تصور النعم اللازمه له،من الثواب الاخروى،و حصول الانزعاج عن الدنيا و الرغبه إلى الآخره،فيشكر على ذلك.فهو لا ينفك عن الشكر،لانه يعرف هذه النعم من اللّه،كما يعرف البلاء أيضا من اللّه،فيفرح بالنعم،و يعمل بمقتضى فرحه من التحميد و غيره.و فى النعمه المقيده، مثل المال،إذا توسل به إلى تحصيل الدين،فلا ريب فى أنه كما تحقق فيه الكر تحقق فيه الصبر أيضا.إذ فى إنفاق المال و بذله فى تحصيل الدين حبس النفس عما تحبه و تميل إليه،و ثبات باعث الدين فى مقابله باعث الهوى.و فى البلاء المطلق،كالكفر و الجهل،لا معنى لتحقق الشكر أو الصبر فيه، و فى النعمه المطلقه،كسعاده الآخره و العلم و حسن الأخلاق،كما يتحقق فيها الشكر يتحقق فيها الصبر أيضا.إذ تحصيل السعاده،و العلم،و الأخلاق الفاضله،و الابقاء عليها،لا ينفك عن مقاومته مع الهوى و منع النفس عما تميل إليه.مع ان الشكر عليهما يستلزم منع النفس عن الكفران،و هو الصبر على المعصيه.حتى أن شكر العينين بالنظر إلى عجائب صنع اللّه يستلزم

الصبر عن الغفله و النوم،و النظر إلى ما تميل إليه النفس من النظر إلى غير المحارم و أمثال ذلك.

فان قيل:استلزام كل من الصبر و الشكر للاخر مما لا ريب فيه،إلا أن الكلام فى أنه إذا لم يتحقق الاتحاد بينهما فى فعل،كما فى فعل الطاعه و ترك المعصيه لكونهما متحدين فيهما،بل تحقق الاستلزام الموجب لتحقق جهتين،فأى الجهتين أفضل؟مثل أن يبتلى أحد بمصيبه دنيويه،فصبر عليها،بمعنى أنه عرف أنها من اللّه و حبس نفسه عن الجزع و الاضطراب، و شكر عليها أيضا،بمعنى أنه عرف أن النعم اللازمه لها من الثواب الأخروى و غيرها من اللّه،و فرح بها،و عمل بمقتضى فرحه من التحميد أو طاعه أخرى،فهل الأفضل حينئذ جهه الصبر،أو جهه الشكر؟ قلنا:التأمل يعطى:أن كل صبر هو شكر بعينه،و بالعكس.فلا تتحقق بينهما جهتان مختلفتان حتى يتصور الترجيح بينهما.فان الصبر على البلاء إنما هو حبس النفس عن الجزع تعظيما للّه.و هذا هو الشكر،إذ كل طاعه للّه-سبحانه-شكر،و فى الشكر على النعم المطلقه منع النفس عن الكفران،و هو عين الصبر عن المعصيه.

فان قلت:فعلى هذا،يجتمع الصبر و الشكر فى محل واحد بجهه واحده،و قد تقدم انهما متضادان،اذ الصبر يستدعى ألما،و الشكر يستدعى فرحا،و قد ذكرت ان اجتماع الصبر و الشكر فى محل واحد انما يكون من جهتين متغايرتين لا من جهه واحده.

قلنا:امتناع الاتحاد فيهما انما هو فى الصبر و الشكر على ما هو كان نعمه و بلاء بعينه،فانه لا يمكن ان يكون الصبر على فوت ولد-اعنى حبس النفس عن الجزع-هو عين الشكر على النعمه،اذ موت الولد بعينه ليس

نعمه،بل هو مستلزم للنعمه.فالشكر على اللازم،و الصبر على الملزوم، فاختلفت جهتا الصبر و الشكر،فلا اتحاد.و ما ذكرناه من الاتحاد انما هو الشكر و الصبر على النعمه و ترك المعصيه،او على البلاء و الطاعه.و ندعى أن من وصلت إليه نعمه،فشكر عليها بعرفانها من اللّه،ففرح بها، و عمل بمقتضى الفرح،من التحميد او طاعه أخرى،كان هذا الشكر عين الصبر عن معصيه هى الكفران،او على الطاعه التى هى التحميد و غيره.

كذا من ابتلى ببليه،فصبر عليها بحبس نفسه عن الجزع،فهذا الصبر عين الشكر بأداء الطاعه التى هى تعظيم اللّه بكف النفس عن الجزع،أو عن المعصيه التى هى الجزع و الاضطراب.و هذا الاتحاد و العينيه يطرد فى كل صبر و شكر،و لا يتحقق شكر لا يكون عن الصبر من هذا الوجه،و بالعكس.

و ليس بينهما تضاد و تغاير أصلا،و الاستلزام و اختلاف الجهه انما هو فى الصبر على البلاء و الشكر على ما يستلزمه من النعم،و لا يمكن هنا اتحادهما لتضادهما.و فى هذه الصوره،يكون كل من الصبر و الشكر المتميزين عن الآخر باختلاف الجهه عين الآخر،من حيث ملاحظه الاعتبار السابق،فلا يمكن الترجيح فى هذه الصوره مع اختلاف الجهه أيضا.

فان قيل:عرفان النعم من اللّه داخل فى حقيقه الشكر،و ليس داخلا فى الصبر،فينبغى ان يكون الشكر لذلك أفضل من الصبر.

قلنا:فى الشق الأول من صوره العينيه و الاتحاد،يكون عرفان النعمه داخلا فى الصبر،و فى الشق الثانى منهما،و فى صوره الاستلزام، يدخل عرفان البلاء من اللّه فى الصبر.فكما ان الشاكر يرى نعمه العينين من اللّه،فكذا الصابر يرى العمى من اللّه،فهما فى المعرفه متساويان.ثم جميع ما ذكر فى الفرق بين الصبر و الشكر إنما إذا كانت حقيقه الصبر حبس النفس

عن الشکوی فی البلاء مع الکراهه و التألم (۱)،و علی هـذا یکون الرضا فوقه، لو قطع النظر عن کون الصبر شکرا أیضا،و یکون الشکر فوق الرضا، إذ الصبر مع التألم و الرضا یمکن بما لا ألم فیه و لا فرح،و الشکر لا یمکن إلا علی محبوب یفرح به،و لو لم یعتبر فی مفهوم الصبر الکراهه و التألم، لصار الرضا و الشکر فی بعض درجاته،إذ یمکن أن یصل حال العبد فی الحب مرتبه لا یتألم من البلاء أو یفرح به،لأنه یراه من محبوبه.

و حینئذ،فترک الشکوی فی البلاء مع الکراهه صبر،و بدونها رضا،و مع الفرح به شکر.

تنبیه (القانون الکلی فی معرفه الفضائل)

اعلم أن المعیار و القانون الکلی فی معرفه فضائل الاعمال و الأحوال و ترجیح بعضها علی بعض عند أرباب القلوب:أن العمل کلما کان أکثر تأثیرا فی إصلاح القلب و تصفیته و تطهیره عن شوائب الدنیا،و أشد اعدادا له لمعرفه اللّه و انکشاف جلاله فی ذاته و صفاته و افعاله،کان أفضل.

و علی هذا القانون،لو لا الاتحاد و العینیه و التلازم بینهما،لکان اللازم أن یوازن بین کل درجه درجه من درجات الصبر و الشکر و ترجیح أحدهما،إذ لکل منهما درجات مختلفه فی تنویر القلب و تصفیته،و سبب الاختلاف أسباب:

منها-الاختلاف بین أقسام النعم و اقسام البلاء.

و منها-اختلاف مراتب المعرفه و الفرح المأخوذین فی الشکر،

۱- ۱) قال أستاذ البشر المحقق(الطوسی)-قدس سره-فی تعریف الصبر: «الصبر.حبس النفس عن الجزع عند المکروه،و هو یمنع الباطن عن الاضطراب، و اللسان عن الشکایه،و الأعضاء عن الحرکات غیر المعتاده...».

و اختلاف الطاعه التی تفعل فی کل منهما صعوبه و سهوله.فربما کان بعض درجات الصبر أشد تنویرا و أکثر إصلاحا للقلب من بعض درجات الشکر، و ربما کان الأمر بعکس ذلک فی بعض آخر من درجاتهما.فان الأعمال و الأحوال المندرجه تحت کل منهما کثیره،و باختلافها-کثره و قله- تختلف درجاتهما.فمن الأمور و الأحوال التی تندرج تحت الشکر:حیاء العبد من تتابع نعم اللّه علیه،و معرفته بتقصیره عن الشکر،و اعتذاره من قله الشکر،و اعترافه بأن النعم ابتداء من اللّه-تعالی-من غیر استحقاقه لها،و علمه بأن الشکر أیضا نعمه من نعمه و مواهبه،و حسن تواضعه بالنعم، و التذلل.و قله اعتراضه،و حسن ادبه بین یدی المنعم،و تلقی النعم بحسن القبول، و استعظام صغیرها،و شکر الوسائط،لقوله(ص):«من لم یشکر الناس لم یشکر اللّه». و قال السجاد(ع):«اشکرکم للّه اشکر کم للناس».و قال(ع):

«یقول اللّه-تعالی-لعبد من عبیده یوم القیامه:اشکرت فلانا؟فیقول:بل شکرتک یا رب!فیقول:لم تشکرنی إذ لم تشکره». و قال الصادق(ع):

«اشکر من انعم علیک،و انعم علی من شکرک».و لا ریب فی أنه کلما ازدادت هذه الأحوال فی الشکر،و طال زمانه،ازداد فضله.و قد نقل:

«ان رجلا(کان)یهوی ابنه عم له،و هی أیضا تهواه،فاتفق مزاوجتهما، فقال الرجل لیله الزفاف لها:تعالی حتی نحیی هذه اللیله شکرا للّه علی ما جمعنا،فقالت:نعم!فصلیا تلک اللیله بأسرها،و لم یتفرغ أحدهما الی صاحبه.فلما کانت اللیله الثانیه،قالا مثل ذلک،فصلیا طول اللیل...

فهکذا یفعلان فی ثمانین سنه،و بقیا علی تلک الحاله فی ثمانین سنه فی کل لیله،من دون رجوع لأحدهما إلی الآخر،و من دون اتفاق مضاجعه بینهما،فضلا عن شیء آخر».و لا یخفی أن هذا الشکر أفضل بمراتب من

صبرهما على بلاء العزوبه،لو لم يحصل بينهما الجمع و الوصل.

تتميم (تفضيل الصبر على الشكر)

اشاره

اعلم أن الظاهر من بعض الاخبار:أن الصبر أفضل و أكثر ثوابا من الشكر.كما روى:«انه يؤتى يوم القيامه بأشكر أهل الأرض،فيجزيه اللّه جزاء الشاكرين.و يؤتى بأصبر أهل الأرض،فيقال له:أ ترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر؟فيقول:نعم يا رب!فيقول اللّه-تعالى-:

كلا!أنعمت عليه فشكر و ابتليتك فصبرت،لأضعفن عليك الأجر عليه!فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين».و كقوله(ع):«الطاعم الشاكر بمنزله الصائم الصابر».و هذا يدل على أفضليه الصبر من الشكر،لان المشبه به أعلى رتبه من المشبه.و كقول الباقر(ع):«مروه الصبر فى حال الحاجه و الفاقه و التعفف و الغنى،أكثر من مروه الإعطاء».و يؤيد ذلك قوله-تعالى-:

(إِنَّمٰا يُوَفَّى الصّٰابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسٰابٍ) .و ينبغى أن يرتكب فى أمثال هذه الاخبار تقييدان:

أحدهما-التقييد ببعض المراتب،بأن يقول:المراد أن بعض مراتب الصبر أفضل من بعض مراتب الشكر.و هذا مما لا ريب فيه،فان من سلب أعز أولاده و ابتلى بالفقر و المرض،و مع ذلك صبر و لم يجزع،فهو أفضل البته ممن أعطى مالا كثيرا فقال:شكر اللّه،الحمد للّه،من دون إبداء عمل آخر من الطاعات.و ليس المراد أن كل ما يسمى صبرا أفضل من كل درجه من درجات الشكر.اذ البديهه حاكمه بأن الشكر على نعمه بالاشتغال بالطاعه و العبادات،و ترك المعاصى سنين كثيره متتاليه،من

دون فتور،أفضل و أعلى رتبه من منع النفس عن الجزع لأجل عشره دراهم سرقت منه.

و ثانيهما-التقييد بخروجها على ما هو الظاهر عند جمهور الناس من الانفكاك بين الصبر و الشكر.فان الجمهور لا يفهمون من حبس النفس عن الجزع عند الابتلاء ببليه إلا الصبر،و لا يلتفتون إلى ان هذا الحبس نوع عباده حصلت تعظيما للّه،و هو عين الشكر.و كذا لا يفهمون من إظهار التحميد و الاشتغال بالصلاه عند وصول نعمه إلا الشكر،و لا يلتفتون الى أن هذا العمل عين منع النفس عن الكفران،و هو الشكر بعينه.

و منها:

اشاره

اشاره

الفسق

و هو الخروج عن طاعه المبدأ الحقيقى و عبادته.و ضده الطاعه،و هى تمجيد المبدأ و التخضع له باداء ضروب العبادات المقرره فى الشريعه.و عمده العبادات الموظفه فى الشريعه هى:الطهاره،و الصلاه،و الذكر،و الدعاء، و تلاوه القرآن،و الصوم،و الحج،و زياره النبى-صلّى اللّه عليه و آله- و الأئمه-عليهم السلام-،و الجهاد فى سبيل اللّه،و أداء المعروف،الشامل للزكاه،و الخمس،و الصدقه المندوبه،و غيرها.و الأخير-اعنى أداء المعروف باقسامه-قد تقدم.و الجهاد فى هذا الزمان ساقط.فنشير إلى بعض الاسرار و الدقائق و الآداب الباطنه المتعلقه بالبواقى،فى مقاصد و خاتمه.و أما آدابها و احكامها و شرائطها الظاهره،فهى مذكوره فى الفقهيات.

اعلم ان الطهاره و النظافه أهم الأمور للعباد.إذ الطهاره الظاهره وسيله الى حصول الطهاره الباطنه،و ما لم تحصل الأولى لم تحصل الثانيه.و لذا ورد فى مدحها ما ورد،قال اللّه-سبحانه-:

فِيهِ رِجٰالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللّٰهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ

(۱)

.و قال: مٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ (۲).

و قال رسول اللّه(ص):«بنى الدين على النظافه».و قال(ص):

«الطهور نصف الايمان».و قال(ص):«مفتاح الصلاه الطهور».و قال(ص):

«بئس للعبد القاذوره».و قال(ص):«من اتخذ ثوبا فلينظفه». و قال أمير المؤمنين-عليه السلام-:«النظيف من الثياب يذهب الهم و الحزن، هو طهور للصلاه».

ثم للطهاره أربع مراتب:

الأولى-تطهير الظاهر من الاحداث و الاخباث و الفضلات.

الثانيه-تطهير الجوارح من الجرائم و الآثام و التبعات.

ص:۳۰۹

۱- ۱) التوبه،الآيه:۱۰۹.

۲- ۲) المائده،الآيه:۷.

الثالثه-تطهیر القلب من مساوی الأخلاق و رذائلها.

الرابعه-تطهیر السر عما سوی اللّه-تعالی-،و هی تطهیر الأنبیاء و الصدیقین.و الطهاره فی کل مرتبه نصف العمل الذی فیها،إذ الغایه القصوی فی عمل السر أن ینکشف له جلال اللّه و عظمته،و تحصل له المعرفه التامه،و الحب و الانس.و لا یمکن حصول ذلک ما لم یرتحل عنه ما سوی اللّه،و لذلک قال اللّه-تعالی-:

قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ

(۱)

.فان اللّه و غیره لا یجتمعان فی قلب واحد:وَ مٰا جَعَلَ اللّٰهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَیْنِ فِی جَوْفِهِ (۲).

فتطهیر السر عما سوی اللّه نصف عمله،و النصف الآخر شروق نور الحق فیه.و الغایه القصوی فی عمل القلب عمارته بالا خلاق المحموده، و العقائد الحقه المشروعه.و لا یتصف بها ما لم ینظف عن نقائضها،من الأخلاق المذمومه،و العقائد الفاسده.فتطهیرها عنها أحد الشطرین، و الشطر الآخر تحلیته بالفضائل و العقائد الحقه.

و أما عمل الجوارح،فالمقصود منه عمارتها بالطاعات.و لا یمکن ذلک ما لم یطهر عن المعاصی و المناهی.فهذا التطهیر نصف عملها،و نصفه الآخر عمارتها بالطاعات.و قس علی ذلک الحال فی المرتبه الأولی.و إلی ذلک الإشاره بقول النبی(ص):«الطهور نصف الایمان».فان المراد:أن تطهیر الظاهر،و الجوارح،و القلب،و السر،من النجاسات و المعاصی

۱- ۱) الانعام،الآیه:۹۱.

۲- ۲) الأحزاب،الآیه:۴.

و رذائل الأخلاق و ما سوى اللّه نصف الايمان،و نصفه الآخر عمارتها بالنظافه و الطاعات و معالى الأخلاق،و الاستغراق فى شهود جمال الحق و جلاله.و لا تظنن أن مراده(ص)أن مجرد تطهير الظاهر عن النجاسات بافاضه الماء نصف الايمان،مع تلوث الجوارح بأخباث المعاصى،و تنجس القلب باقذار مساوى الأخلاق،و تشوش السر و تكدره بما سوى اللّه.

فالمراد التطهير فى المراتب الأربع،التى هى من مقامات الدين،و هى مرتبه يتوقف بعضها على بعض،و لا يمكن أن ينال العبد ما هو الفوق،ما لم يتجاوز ما دونه،فلا يصل إلى طهاره السر مما سوى اللّه،و عمارته بمعرفه اللّه،و انكشاف جلاله و عظمته،ما لم يفرغ عن طهاره القلب عن الأخلاق المذمومه،و تحليته بالملكات المحموده.و لا يصل إلى ذلك ما لم يفرغ عن طهاره الجوارح من المعاصى و عمارتها بالطاعات.و لا يصل إلى ذلك ما لم يفرغ عن إزاله الخبث و الحدث عن الظاهر،و عمارته بالنظافه و النزاهه.

فصل (حقيقه الطهاره)

طهاره الظاهر،إما عن الخبث،أو عن الحدث،أو عن فضلات البدن،و ما يتعلق بها من الاحكام الظاهره الواجبه و المحرمه و المندوبه و المكروهه،مستقصاه فى كتب الفقه.

و أما الآداب الباطنه لطهاره الخبث و إزالته عند التخلى لقضاء الحاجه، أن يتذكر عنده نقصه و حاجته،و خبث باطنه،و خسه حاله،و ما يشتمل عليه من الاقذار،و كونه حامل النجاسات،و يتذكر باستراحه نفسه عند إخراجها،و سكون قلبه عن دنسها،و فراغه للعبادات و المناجاه،و ان

الأخلاق الذميمه التی فی باطنها نجاسات باطنه،و اقذار کامنه،لتستریح نفسها عند إخراجها،و یطمئن قلبه من إزاله دنسها،و عند إخراجها یصلح للوقوف علی بساط الخدمه،و یتأهل للقرب و الوصول إلی حریم العزه.فکما یسعی فی إخراج النجاسات الظاهره لاستراحه البدن مده قلیله فی الدنیا،فینبغی أن یجتهد أیضا فی إخراج الاقذار الباطنه،و النجاسات الداخله الغائضه (۱)فی الأعماق،المفسده علی الإطلاق،لتستریح الروح و البدن فی الدنیا و الآخره أبد الآباد. قال الصادق(ع):«إنما سمی المستراح مستراحا لاستراحه النفس من اثقال النجاسات،و استفراغ الاقذار و الکسافات فیها.و المؤمن یعتبر عندها إن الخالص من حطام الدنیا کذلک تصیر عاقبته،فیستریح بالعدول عنها و ترکها،و یفرغ نفسه و قلبه عن شغلها،و یستنکف عن جمعها و أخذها استنکافه عن النجاسه و الغائط و القذر،و یتفکر فی نفسه المکرمه فی حال کیف تصیر ذلیله فی حال، و یعلم أن التمسک بالقناعه و التقوی یورث له راحه الدارین.فان الراحه فی هوان الدنیا،و الفراغ من التمتع بها،و فی إزاله النجاسه من الحرام و الشبهه.

فیغلق عن نفسه باب الکبر بعد معرفته إیاها،و یفر من الذنوب،و یفتح باب التواضع و الندم و الحیاء،و یجتهد فی أداء أو امره و اجتناب نواهیه، طلبا لحسن المآب،و طیب الزلفی،و یسجن نفسه فی سجن الخوف و الصبر و الکف عن الشهوات،الی أن یتصل بأمان اللّه-تعالی-فی دار القرار، و یذوق طعم رضاه،فان المعول علی ذلک،و ما عداه فلا شیء» (۲).

ص: ۳۱۲

۱- ۱) الغائضه:الغائره.غیض الدمع:حبسه و أخفاه.

۲- ۲) الحدیث مذکور فی(مصباح الشریعه)،الباب التاسع.و فی(مستدرک الوسائل):۱-۳۷-۳۸،کتاب الطهاره.و فی الموضعین اختلاف کثیر عما ذکر هنا،فصححناه کما کان فی الموضعین.

و ینبغی أن یتأمل فی أن ما دفع عنه من الغائط و القذر هو ما کان یشتهیه، و یحترص فی طلبه من لذائذ الأطعمه،و کلما کانت ألذ عفونتها أشد، فما کانت عاقبته ذلک،فلیحذر من أن یأخذه من غیر حله،فیعذب أبد الآباد لأجله.

فصل (ما ینبغی للمؤمن فی الطهاره)

ینبغی لکل مؤمن أن یستحضر عند اشتغاله بالطهاره عن الحدث:

أن تکلیفه بها للدخول فی العبادات و المناجاه مع خالق البریات إنما هو لکون اعضائه التی أمر بغسلها مباشره للأمور الدنیویه،منهمکه فی الکدورات الطبیعیه،فخرجت عن أهلیه القیام بین یدی اللّه-سبحانه-و الاشتغال بعبادته.فالأمر بغسلها،لتتطهر عن هذه الکدورات،فیتأهل للمناجاه.

و لا ریب فی ان مجرد غسلها لا یطهرها عن الادناس الدنیویه و الکدورات الجسمانیه،ما لم یطهر قلبه عن الأخلاق الذمیمه،و العلائق الدنیویه، و ما لم یعزم علی الرجوع إلی اللّه،و الانقطاع عن الدنیا و شهواتها.فینبغی أن یکون قلبه عند الطهاره مطهرا عن ذمائم الصفات و خبائث الشهوات، جازما علی فطام الأعضاء التی هی اتباعه و خدامه عن شهوات الدنیا،لتسری نوریته و طهارته إلی تلک الأعضاء،ثم أمر فی الوضوء أولا:بغسل الوجه، الذی هو مجمع أکثر الحواس الظاهره،التی هی أعظم الأسباب الباعثه علی مطالب الدنیا،لیتوجه و یقبل بوجه القلب علی اللّه،و هو خال من تلک الادناس،و ثانیا:بغسل الیدین،لمباشرتهما أکثر الأمور الدنیویه و المشتهیات الطبیعیه المانعه من الإقبال علی الآخره،و ثالثا:بمسح الرجلین،للتوصل بهما إلی أکثر المطالب الدنیویه و المقاصد الطبیعیه.

ص:۳۱۳

فأمر بتطهير جميعها ليسوغ له الدخول بها فى العبادات و الإقبال عليها.و أمر فى الغسل بغسل جميع البشره،لأن أدنى حالات الإنسان و أشدها تعلقا بالملكات الشهويه حاله الوقاع،و لجميع بدنه مدخل فى تلك الحاله.و لهذا قال رسول اللّه(ص):«تحت كل شعره جنابه».فحيث كان جميع بدنه بعيدا عن المرتبه العليه،منغمسا فى اللذات الدنيه،كان غسله أجمع من أهم المطالب الشرعيه،ليتأهل لمقابله الجهه الشريفه،و الدخول فى العباده المنيفه.و أمر فى التيمم بمسح الأعضاء بالتراب،عند تعذر غسلها بالماء، وضعا لتلك الأعضاء الرئيسه،و هضما لها بملاقاتها أثر التربه الخسيسه.

ثم لما كان القلب هو الرئيس الأعظم لهذه الجوارح و الأعضاء، و المستخدم لها فى تلك الأمور المبعده عن جنابه-تعالى-،و هو الموضع لنظر اللّه-سبحانه-،كما قال(ص):«إن اللّه لا ينظر إلى صوركم،و لكن ينظر إلى قلوبكم»،فله من ذلك الحظ الا وفر و النصيب الاكمل.فيكون الاشتغال بتطهيره من الرذائل و التوجهات المانعه من درك الفضائل أولى من تطهير الأعضاء الظاهره عند اللبيب العاقل.و إذا لم يمكن تطهيره من الأخلاق الرذيله،و تحليته بالاوصاف الجميله،لرسوخه على حب الدنيا الدنيه،فليقمه فى مقام الهضم و الازراء،و يسقه بسياط الذل و الاغضاء.

كما أنه عند تعذر غسل الأعضاء بالماء يهضمها و يذللها بالوضع على التراب، عسى أن يرحم ربه تواضعه و انكساره،فيهبه نفحه من نفحات نوره اللامع،فانه عند المنكسره قلوبهم،كما ورد فى الأثر،فترق من هذه الإشارات و نحوها إلى ما يوجب لك الإقبال،و يتدارك سالف الإهمال.

ثم ما ذكر من السر فى الطهاره،يمكن استنباطه-مع الزياده- من كلام مولانا الصادق(ع)فى(مصباح الشريعه)،حيث قال:«اذا أردت

الطهاره و الوضوء،فتقدم إلى الماء تقدمک إلى رحمه اللّه،فان اللّه-تعالى- قد جعل الماء مفتاح قربته و مناجاته،و دليلا إلى بساط خدمته،و كما ان رحمه اللّه تطهر ذنوب العباد كذلک النجاسات الظاهره يطهرها الماء لا غيره،قال اللّه-تعالى-:

وَ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيٰاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنٰا مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً طَهُوراً

(۱)

.و قال اللّه -تعالى-: وَ جَعَلْنٰا مِنَ الْمٰاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَ فَلاٰ يُؤْمِنُونَ (۲).

فكما احيى به كل شىء من نعيم الدنيا،كذلک برحمته و فضله جعل حياه القلوب بالطاعات.و تفكر فى صفاء الماء و رقته،و طهره و بركته، و لطيف امتزاجه بكل شىء.و استعمله فى تطهير الأعضاء التى أمرک اللّه بتطهيرها،و تعبدک بآدابها فى فرائضه و سننه.فان تحت كل واحد منها فوائد كثيره،فإذا استعملتها بالحرمه انفجرت لک عيون فوائد عن قريب.

ثم عاشر خلق اللّه-تعالى-كامتزاج الماء بالاشياء،يؤدى كل شىء حقه، و لا يتغير عن معناه،معتبرا لقول الرسول(ص):(مثل المؤمن الخالص كمثل الماء).و لتكن صفوتک مع اللّه-تعالى-فى جميع طاعتک كصفوه الماء حين انزله من السماء و سماه طهورا،و طهر قلبک بالتقوى و اليقين عند طهاره جوارحک بالماء» (۳).

و من الاسرار الوارده فى الطهاره و تخصيص بعض الأعضاء بالتطهير

۱- ۱) الفرقان،الآيه:۴۸.

۲- ۲) الأنبياء،الآيه:۳۰.

۳- ۳) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه)،الباب العاشر.و على (المستدرک):۱-۵۱-۵۲،كتاب الطهاره.

فی الوضوء،ما أشار إلیه مولانا الرضا(ع)بقوله:«إنما امر بالوضوء لیکون العبد طاهرا إذا قام بین یدی الجبار عند مناجاته إیاه،مطیعا له فیما امره،نقیا من الادناس و النجاسه،مع ما فیه من ذهاب الکسل،و طرد النعاس،و تزکیه الفؤاد للقیام بین یدی الجبار.و إنما وجب ذلک علی الوجه و الیدین و الرأس و الرجلین،لان العبد إذا قام بین یدی الجبار،فانما ینکشف من جوارحه و یظهر ما یجب فیه الوضوء،و ذلک انه بوجهه یسجد و یخضع،و بیده یسأل و یرغب و یرهب و یتبتل،و برأسه یستقبل فی رکوعه و سجوده.و برجلیه یقوم و یقعد.و امر بالغسل من الجنابه دون الخلاء، لان الجنابه من نفس الإنسان،و هو شیء یخرج من جمیع جسده،و الخلاء لیس هو من نفس الإنسان،إنما هو غذاء یدخل من باب و یخرج من باب» (۱).

فصل (إزاله الاوساخ)

اشاره

ینبغی لکل مؤمن ان یطهر بدنه من فضلاته و درنه و أوساخه،کشعر

۱- ۱) هذه الروایه نقلها العلامه(المجلسی)-قدس سره-فی(البحار): ۱۸-۵۶،باب علل الوضوء و ثوابه و عقاب ترکه،و عن(العیون و العلل) لشیخ المحدثین مولانا(الصدوق)-رضوان اللّه علیه-،و لم أعثر علیها الا فی الموضع المذکور من(بحار الأنوار). و لا یخفی أن ما نقله العلامه(المجلسی)-قدس اللّه روحه-فی الموضع المذکور فیه اختلاف کثیر عما ذکر فی نسخ(جامع السعادات)الخطیه،بحیث لا یمکن تصحیح الروایه الا بنقلها من(البحار)و ذکرها فی هامش الکتاب.و ذلک غیر ممکن،لضیق المقام،فلاجله ترکنا تصحیحها،لعل القاریء الکریم یقف علی مصدر آخر لها.فمن أراد الاطلاع علی الروایه،فعلیه بمراجعه(البحار) فی الموضع المذکور.

الرأس بالحلق،و شعر الانف و الشارب و ما طال من اللحيه بالقبض، و شعر الابط و العانه و سائر الأعضاء بالنوره،و كأظفار اليدين و الرجلين بالقلم،و ما يجتمع من الوسخ و القمل فی شعر الرأس و اللحيه بالغسل و التسريح بالمشط،و ما يجتمع من الوسخ فی معاطف الاذنين بالمسح و مثله، و ما يجتمع منه على الاسنان و أطراف اللسان بالسواك و المضمضه،و ما يجتمع فی الانف من الرطوبات الملتصقه بالاستنشاق،و ما يجتمع من الوسخ تحت الاظفار بالقلم و الغسل،و ما يجتمع منه فی رءوس الانامل و فی معاطف ظهورها عقيب أكل الطعام بالغسل،و ما يجتمع من الدرن على جميع بدنه و ترشيح العرق و غبار الطريق بالدخول فی الحمام.

تنبيه (آداب الحمام)

ينبغی لمن يدخل الحمام،أن يتذكر بحرارته حر النار،و يقدر نفسه محبوسا فی البيت ساعه،و يقيسه إلی جهنم،و يستعيذ باللّه منها.

قال الصادق(ع):«اذا دخلت البيت الثالث،فقل:نعوذ باللّه من النار و نسأله الجنه.و ترددها إلی وقت خروجك من البيت الحار». و قال امير المؤمنين(ع):«نعم البيت الحمام،يذهب بالدرن،و تذكر فيه النار».

و فيه إشاره إلی انه ينبغی للعاقل ألا يغفل عن ذكر الآخره فی لحظه،فانها مقره و مستقره.فيكون له فی كل ما يراه،من ماء او نار او غيرهما،عبره و موعظه.فان المرأ ينظر فی كل شیء بحسب همته.فالبزاز إذا دخل دارا معموره مفروشه ينظر إلی الفرش و يتأمل فی قيمتها.و الحائك إذا دخلها ينظر الی الثياب و يتأمل فی كيفيه نسجها،و النجار إذا دخلها ينظر إلی أبوابها و شبابيكها و يتأمل فی كيفيه نجرها و تركيبها،و البناء إذا دخلها ينظر إلی

الحیطان و السقف و کیفیه بنائها و إحکامها و استقامتها.فکذلک سالک طریق الآخره،لا ینظر إلی شیء إلاّ و تکون له موعظه و عبره من الآخره.فان نظر إلی ظلمه تذکر ظلمه اللحد،و ان نظر إلی نار تذکر نار جهنم،و إن نظر إلی حیه تذکر افاعی جهنم،و إن سمع صوتا هائلا تذکر نفخه الصور،و إن نظر إلی صوره قبیحه تذکر صوره النکیرین و الزبانیه،و إن رأی المحاسبه بین قوم تذکر محاسبه الآخره،و إن سمع کلمه رد او قبول تذکر ما ینکشف له فی آخر امره بعد الحساب من الردّ و القبول،و إن رأی شیئا حسنا تذکر نعیم الجنه...إلی غیر ذلک.

تتمیم (السر فی إزاله الاوساخ)

اشاره

السر فی إزاله الفضلات المذکوره عن البدن ظاهر،فانها توجب تنویر القلب،و انشراح الصدر،و طرد الشیطان.إذ هی کسافات مانعه عن النوریه و التجرد،فتشمئز منها الملائکه،و یرغب إلیها الشیاطین.و من تأمل فی الاحکام و الآداب التی جاء بها رسول اللّه(ص)و کانت له بصیره ناقده،یعلم ان شیئا منها لا یخلو عن حکمه،حتی ان ما صدر عنه فی الآداب و الحرکات و الافعال و الأقوال،من ترتیب خاص،او تخصیص بعدد معین،او ابتداء من موضع خاص او بواحد معین من الأشیاء المتماثله،یتضمن حکما او حکمه البته.مثال ذلک:انه(ص)کان یکتحل فی عینه الیمنی ثلاثا و فی عینه الیسری اثنین،و السر فی هذا الترتیب و هذا التخصیص:ان الیمنی أشرف العینین فبدأ بها،و تفاوته بین العینین لتکون الجمله و ترا،فان للوتر فضلا علی الزوج،لان اللّه و تر یحب الوتر،فلا ینبغی ان یخلو فعل العبد عن

مناسبه لوصف من اوصاف الرب،و انما لم يقتصر على الثلاث و هو وتر، لان اليسرى حينئذ لا تخصها الا واحده،و الغالب ان الواحده لا- تستوعب أصول الاجفان بالكحل،و انما خصص اليمين بالزياده لان التفضيل لا بد منه للايثار،و اليمين أفضل،فهو بالزياده أحق،و انما اقتصر على الاثنين لليسرى مع كونه زوجا،إذ الزوجيه فى أحداهما لازمه ضروريه،اذ لو جعل لكل واحده وترا لكان المجموع زوجا،إذ الوتر مع الوتر زوج، و رعايه الإيثار فى مجموع الفعل و هو فى حكم الخصله الواحده أحب من رعايته فى الآحاد.مثال آخر:روى الجمهور فى تقليم الاظفار:«ان رسول اللّه(ص) كان يبدأ عند تقليم اظفاره الشريفه بمسبحه اليمين،و يختم بابهام اليمنى، بأن يبتدئ من مسبحتها إلى خنصرها،ثم يبتدئ من خنصر اليسرى إلى إبهام اليمنى».و فى طريقنا روايتان:إحداهما ان يبدا بخنصر اليمنى و يختم بخنصر اليسرى،و اخراهما بعكس ذلك،و هى أشهر.فالسر على روايه الجمهور-كما قيل-ان اليد اليمنى أشرف من اليسرى فيبتدئ بها،ثم على اليمنى خمسه اصابع و المسبحه اشرفها فيبتدا بها،ثم ينبغى ان يبتدئ بما على يمينها لكون اليمنى أشرف،و لذا استحب فى الشرع وضع الطهور و غيره على اليمنى.و لا ريب فى انه إذا وضعت الكف على الأرض فيمين مسبحه اليمنى هى الوسطى،و وضع ظهر اليد على الأرض و ان اقتضى كون الإبهام هو اليمين،الا ان الاعتبار الأول أولى،إذ اليد إذا تركت بطبعها كانت الكف مائله إلى جهه الأرض،لأن جهه حركه اليد اليمنى إلى جهه اليسار، و اليسرى إلى جهه اليمين،و استتمام حركه كل منهما فى جهه يجعل الكف على الأرض و ظهرها عاليا،و إذا كانت الكف مائله إلى جهه الأرض فاعتبار ما يقتضيه الطبع أولى،فتكون يمين المسبحه هى الوسطى.ثم إذا وضعت

الکف علی الکف،صارت الأصابع فی حکم حلقه دائره،فیقتضی ترتیب الدور الذهاب من یمین المسبحه إلی ان یعود إلی المسبحه،فتقع البداءه بخنصر الیسری و الختم بابهامها،و یبقی إبهام الیمنی،و انما قدرت الکف موضوعه علی الکف حتی تصیر الأصابع کأشخاص فی حلقه لیظهر ترتیبها،و تقدیر ذلک اولی من تقدیر وضع الکف علی ظهر الکف،فان ذلک لا یقتضیه الطبع.

هذا،و اما السر علی الروایه الأولی من طریقنا،فکأنه اعتبار الأصابع العشره فی حکم صف واحد ثابت علی الأرض،و الابتداء بالیمین، فاکتفی بما یری بالنظر الجلیل مع ترک الید بطبعها.و اما الروایه الثانیه، فلعل السر فیها تحصیل التیامن فی کل اصبع بعد الأولی مع الترتیب فیها، و وضع الیدین علی ما یقتضیه الطبع.هذا،و اما اصابع الرجل،فلم نعثر علی خبر یدل علی کیفیه الابتداء و الترتیب فیها.فینبغی اعتبار أحد الطریقین المروبین عندنا فیها،و لعل اعتبار الأولی لاظهریه سرها أولی،و ینبغی ان یکون تقلیم اظفارها بعد تقلیم اظفار الیدین ان وقعا فی وقت واحد،إذ الید أشرف من الرجل.و قس علی ما ذکر سائر ما ورد من الآداب و التخصیصات فانه لا یخلو شیء منها علی سر حکمی،و إن کانت عقولنا قاصره عن ادراک أکثرها.

المقصد الثانی الصلاه-

اشاره

حقیقه الصلاه-حضور القلب-دفع اشکال-شرائط الصلاه-طریق تحصیل المعانی الباطنه-اسرار الصلاه-الوقت-آداب الصلاه-آداب المصلی-الاستقبال-القیام-التکبیرات-النیه-تکبیره الإحرام-دعاء الاستفتاح-الاستعاذه-الرکوع-السجود-التشهد- التسلیم-إفاضه الأنوار علی المصلی علی قدر صفائه-ما ینبغی فی إمام الجماعه- ما ینبغی فی صلاه الجمعه و العیدین-ما ینبغی للمؤمن عند ظهور الآیات.

اعلم أن الصلاه معجون سماوی،و ترکیب إلهی،رکبت من اجزاء کثیره مختلفه،متفاوته فی الفضل و الاهتمام بها.فبعضها بمنزله الروح، و بعضها بمثابه الأعضاء الرئیسه،و بعضها بمنزله سائر الأعضاء.

و توضیح ذلک:ان الإنسان-مثلا-لما کان حقیقه مرکبه من اجزاء معینه،فهو لا یکون إنسانا موجودا کاملا إلا بمعنی باطن هو الروح، و اعضاء محسوسه بعضها فی جوفه و بعضها فی ظاهره.و هذه الأعضاء متفاوته المراتب،إذ بعضها مما ینعدم الإنسان بعدمه و تزول الحیاه بزواله، کالقلب و الدماغ و الکبد و المعده و أمثالها،و بعضها و ان لم ینعدم بعدمه اصل الحیاه،إلا أنه ترتفع به تمامیه الإنسان و یصیر ناقصا،کالید و الرجل و العین و أمثالها،و بعضها یفوت بفواته الحسن،کالحاجبین و اللحیه و الاهداب و أمثالها،و بعضها یفوت بفواته کمال الحسن لا أصله،کاستقواس الحاجبین،و تناسب الخلقه،و سواد شعر اللحیه،و امتزاج البیاض بالحمره،و أمثال ذلک.و کذلک الصلاه حقیقه مرکبه،و صوره صورها الشرع من أمور متفاوته،و تعبدنا باکتسابها.فروحها:النیه،و القربه، و حضور القلب،و الإخلاص.و اعمالها الارکانیه:من تکبیره الإحرام، و الرکوع،و السجود،و القیام،بمنزله الأعضاء الرئیسه،فتفوت بفواتها الصلاه علی الإطلاق،و لا یمکن تحققها و صحتها بدونها.و سائر الاعمال الواجبه:من الفاتحه،و السوره،و أذکار الرکوع،و السجدتین، و الطمأنینه فیهما،و فی رفع الرأس عنهما،و التشهد،و التسلیم،و غیر ذلک من الاعمال الواجبه التی تبطل الصلاه بترکها عمدا لا سهوا،بمنزله الیدین و الرجلین و آلات التناسل و غیر ذلک،مما قد تفوت الحیاه بزوالها و قد لا تفوت به،و الأعمال المسنونه،و الهیئات المندوبه،و الآداب

المستحبه:من القنوت،و دعاء الافتتاح،و غير تكبيره الإحرام من التكبيرات،و التعوذ،و الزائد عن قدر الواجب فى التشهد و التسليم من الاذكار،و غير ذلك مما لا تبطل الصلاه بتركها عمدا أو سهوا،و لكن تخرج بها عن الحسن و الكمال و زياده الأجر و الثواب،فهى بمنزله الحاجبين و استقواسهما و اللحيه و الأهداب و تناسب الخلقه،و غير ذلك مما يفوت بفوات بعضها الحسن و الجمال و بفوات بعض كمالها،و يصير الشخص بسببه مشوه الخلقه مذموما غير مرغوب فيه.

و إذا عرفت ذلك:فاعلم-يا حبيبى-أن صلاتك قربه و تحفه تتقرب بها إلى حضره ملك الملوك،كوصيفه يهديها طالب القرب و الجاه من السلاطين إليهم.و هذه التحفه تعرض على اللّه ثم ترد إليك فى يوم العرض الأكبر،فإليك الخيره فى تحسين صورتها أو تقبيحها،فمن أداها على النحو المأمور به،باعمالها الواجبه و المندوبه،و شرائطها الظاهره و الباطنه،مع الإخلاص و حضور القلب،كان كمن أهدى عبدا صحيحا سويا شابا جميلا عاقلا كاملا إلى ملك من الملوك.و من اقتصر على اعمالها الظاهره،و غفل من الحضور و التوجه و القربه و الإخلاص،كان كمن أهدى عبدا ميتا بلا روح إلى ملك من الملوك.و من ترك عمدا شيئا من واجباته،كان كمن أهدى عبدا مقتولا إليه.و من اقتصر على أقل ما يجزى كان كمن أهدى إليه عبد حى أعمى،أو أصم،او أبكم، أو مقطوع الأطراف،أو هرما،أو قبيح المنظر،او مجروح الأعضاء، أو أمثال ذلك. فتنبه أيها الغافل،و تأمل فى انك إذا اهديت تحفه إلى ملك من ملوك الدنيا،بل إلى من دونه بمراتب كثيره،من الأمراء و الحكام،كيف تجتهد و تسعى فى تجويدها و تحسينها ليقبلها،فما بالك أيها المغرور تغفل و تتساهل من تحسين هديتك و تحفتك إلى ملك الملوك الذى منه

بدؤک و إلیه عودک؟!و قد ورد:ان کل صلاه لا یتم الإنسان رکوعها و سجودها فهی الخصم الأول علی صاحبها یوم العرض الأکبر،و تقول:

«ضیعک اللّه کما ضیعتنی!».

فصل (حقیقه الصلاه)

لا بحث لنا عما یتعلق بظاهرها من الاجزاء و الشرائط و الأحکام، إذ بیانها علی عهده الفقه.فلنشر إلی المعانی الباطنه التی بها تتم حیاتها، و إلی الأسرار و الآداب الخفیه الباطنه المتعلقه باجزائها و شرائطها الظاهره، لتکون ملحوظه للعبد عند فعلها.

فنقول:المعانی الباطنه،التی هی روح الصلاه و حقیقتها،سبعه:

الأول-الإخلاص و القربه،و خلوها عن شوائب الریاء.و قد تقدم تفصیل القول فی ذلک.

الثانی-حضور القلب:و هو ان یفرغ القلب عن غیر ما هو ملابس له و متکلم به،حتی یکون العلم مقرونا بما یفعله و ما یقوله،من غیر جریان الفکر فی غیرهما.فمهما انصرف الفکر عن غیر ما هو فیه، و کان فی قلبه ذکر لما هو فیه من غیر غفله عنه،فقد حصل حضور القلب.

ثم حضور القلب قد یعبر عنه بالإقبال علی الصلاه و التوجه،و قد یعبر عنه بالخشوع بالقلب،فان الخشوع فی الصلاه خشوعان:خشوع بالقلب:

و هو ان یتفرغ لجمع الهمه لها،و الاعراض عما سواها،بحیث لا یکون فی قلبه غیر المعبود.و خشوع بالجوارح،و هو أن یغض بصره،و لا یلتفت،و لا یعبث،و لا یتثاءب،و لا یتمطی،و لا یفرقع اصابعه،

و بالجمله:لا يتحرك لغير الصلاه،و لا يفعل شيئا من المكروهات،و ربما عبر ذلك بالخضوع.

الثالث-التفهم لمعنى الكلام:و هو امر وراء حضور القلب.

فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ،و لا يكون حاضرا مع معناه.فالمراد بالتفهم هو اشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ.و هذا مقام يتفاوت فيه الناس،إذ ليس يشترك الناس فى تفهم معانى القرآن و التسبيحات،فكم من معان لطيفه يفهمها بعض المصلين فى اثناء الصلاه و لم يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك و لا يفهمها غيره.و من هذا الوجه كانت الصلاه ناهيه عن الفحشاء و المنكر،فانها تفهم أمورا تمنع تلك الأمور عن الفحشاء و المنكر لا محاله.

الرابع-التعظيم:و هو أمر وراء حضور القلب و التفهم.إذ الرجل ربما يخاطب غيره،و هو حاضر القلب فيه،و متفهم لمعناه،و لا يكون معظما له.

الخامس-الهيبه:و هى زائده على التعظيم لأنها عباره عن خوف منشأه التعظيم،لأن من لا يخاف لا يسمى هائبا،ثم كل خوف لا يسمى مهابه،بل الهيبه خوف مصدره الاجلال.

السادس-الرجاء:و لا ريب فى كونه زائدا عما ذكر.فكم من رجل يعظم ملكا من الملوك،و يهابه و يخاف سطوته،و لا يرجو بره و إحسانه.و العبد ينبغى أن يكون راجيا بصلاته ثواب اللّه،كما أنه خائف بتقصيره عقابه.

السابع-الحياء:و مستنده استشعار تقصير و توهم ذنب،و هو زائد على التعظيم و الخوف و الرجاء،لتصورها من غير حياء،حيث لا يكون توهم تقصير و ارتكاب ذنب.

فصل (حضور القلب)

اشاره

اعلم ان كون الأمور المذكوره روح الصلاه و حقيقتها،و المقصود الاصلى منها،امر ظاهر.إذ الغرض الأصلى من العبادات و الطاعات هى تصفيه النفس و تصقيلها،فكل عمل يكون أشد تأثيرا فيهما يكون أفضل.

و لا ريب فى ان المقتضى لصفاء النفس و تجردها و تصقيلها عن الكدورات من الصلاه ليس الا الأمور المذكوره،و ليس لنفس الحركات الظاهره كثير مدخليه فيها،و كيف لا يكون حضور القلب و الخشوع روح الصلاه و لا يتوقف كمال الصلاه عليه،مع ان المصلى فى صلاته و دعائه مناج ربه؟و لا شك أن الكلام مع الغفله ليس بمناجاه،و أيضا الكلام إعراب عما فى الضمير،و لا يتأتى الاعراب عما فى الضمير الا بحضور القلب،فاى سؤال فى قوله: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» اذا كان القلب غافلا؟و لا شك أيضا أن المقصود من القراءه و الاذكار الثناء و الحمد و التضرع و الدعاء، و المخاطب هو اللّه-تعالى-،فإذا كان قلب العبد محجوبا عنه بحجاب الغفله، و لا يراه و لا يشاهده،بل كان غافلا عن المخاطب،و يحرك لسانه بحكم العاده،فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاه التى شرعت لتصقيل القلب، و تجديد ذكر اللّه،و رسوخ عقد الايمان بها.هذا حكم القراءه و الذكر.

و اما الركوع و السجود،فالمقصود منهما التعظيم قطعا،و التعظيم كيف يجتمع مع الغفله،و إذا خرج عن كونه تعظيما،لم يبق الا مجرد حركه الظهر و الرأس،و ليس فيه من المشقه ما يقصد الامتحان به،كما فى افعال الحج،و إعطاء المال فى الزكاه،و امساك النفس عن الشهوات فى الصوم.

فكيف يجعل مجرد هذه الحركه مع خفتها و سهولتها عماد الدين،و الفاصل

ص: ۳۲۵

بین الکفر و الإسلام،و تقدم علی سائر العبادات،و یجب القتل بسبب ترکها علی الخصوص؟و لکون الحضور و الخشوع و الخشیه عمده ما یقصد به من الصلاه،تظاهرت الآیات و الاخبار علی الترغیب علیها و فضیلتها و مدح أهلها،و علی ذم الغفله و التفکر فی أمور الدنیا و الوساوس الباطله عند الاشتغال بالصلاه،و قد تظاهرت الاخبار أیضا بأن الأنبیاء و الأوصیاء و أکابر الأولیاء کانوا عند اشتغالهم فی الصلاه فی غایه الإقبال و الخشوع و الخوف.قال اللّه-سبحانه-:

اَلَّذِینَ هُمْ فِی صَلاٰتِهِمْ خٰاشِعُونَ

(۱)

.و قال: وَ أَقِمِ الصَّلاٰهَ لِذِکْرِی (۲).و الغفله تضاد الذکر،فمن کان غافلا فی صلاته لا یکون مقیما للصلاه لذکره و قال: وَ لاٰ تَکُنْ مِنَ الْغٰافِلِینَ (۳).و قال: فَوَیْلٌ لِلْمُصَلِّینَ، اَلَّذِینَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ (۴)،ذمهم علی الغفله عنها مع کونهم مصلین،لا لأنهم سهوا عنها و ترکوها.و قال: لاٰ تَقْرَبُوا الصَّلاٰهَ وَ أَنْتُمْ سُکٰاریٰ.حَتّٰی تَعْلَمُوا مٰا تَقُولُونَ (۵).

قیل:المراد:سکاری من کثره الهم،و قیل:من حب الدنیا.و لو حمل علی ظاهره ففیه تنبیه علی سکر الدنیا،إذ بین فیه العله.و قال:حتی تعلموا ما تقولون.و کم من مصل لم یشرب الخمره و هو لا یعلم ما یقول فی

۱- ۱) المؤمنون،الآیه:۲.

۲- ۲) طه،الآیه:۱۴.

۳- ۳) الأعراف،الآیه:۲۰۵.

۴- ۴) الماعون،الآیه:۴-۵.

۵- ۵) النساء،الآیه:۴۳.

صلاته.و قال رسول اللّه(ص):«من صلى ركعتين،لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا،غفر له ما تقدم من ذنبه».و قال(ص):«إذا صليت صلاه فريضه،فصل لوقتها صلاه مودع يخاف ألا يعود فيها».و قال (ص):«لا ينظر اللّه إلى صلاه لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه».و قال (ص):«انما فرضت الصلاه،و امر بالحج و الطواف،و اشعرت المناسك، لاقامه ذكر اللّه،فإذا لم يكن فى قلبك للمذكور الذى هو المقصود و المبتغى عظمه و لا هيبه،فما قيمه ذكرك؟!».

و عن أبى عبد اللّه(ع)قال:«قال اللّه-تبارك و تعالى-:انما أقبل الصلاه ممن تواضع لعظمتى،و يكف نفسه عن الشهوات من اجلى،و يقطع نهاره بذكرى،و لا يتعاظم على خلقى،و يطعم الجائع،و يكسو العارى، و يرحم المصاب،و يؤوى الغريب،فذلك يشرق نوره مثل الشمس، اجعل له فى الظلمات نورا،و فى الجهاله علما،أكلأه بعزتى،و استحفظه بملائكتى،يدعونى فألبيه،و يسألنى فأعطيه.فمثل ذلك عندى كمثل جنات الفردوس،لا تيبس ثمارها،و لا تتغير عن حالها» (1).و فى اخبار موسى:«يا موسى،اذا ذكرتنى فاذكرنى و أنت تبغض اعضاءك.و كن عند ذكرى خاشعا مطمئنا.و إذا ذكرتنى فاجعل لسانك من وراء قلبك.و إذا قمت بين يدى فقم قيام العبد الذليل،و ناجنى بقلب و جل،و لسان صادق».

و أوحى إليه(ع):«قل لعصاه أمتك:لا تذكرونى،فانى آليت على نفسى ان من ذكرنى ذكرته،و إذا ذكرونى ذكرتهم باللعنه». و فى بعض الأحاديث القدسيه:«ليس كل مصل أتقبل صلاته،انما أقبل صلاه من تواضع

۱- ۱) الحديث مروى فى(بحار الأنوار):۱۸-۱۹۶،باب آداب الصلاه عن(المحاسن)،و فيه اختلاف كثير عما ذكر فى نسخ(جامع السعادات)، فصححناه على الموضع المذكور من(بحار الأنوار).

لعظمتی،و لم یتکبر علی عبادی،و اطعم الفقیر الجائع لوجهی».و قال امیر المؤمنین(ع):«طوبی لمن أخلص للّه العباده و الدعاء،و لم یشتغل قلبه بما تراه عیناه،و لم ینس ذکر اللّه بما تسمع أذناه،و لم یحزن صدره بما أعطی غیره». و قال الصادق(ع):«لا تجتمع الرغبه و الرهبه فی قلب إلا وجبت له الجنه،فإذا صلیت،فاقبل بقلبک علی اللّه-عز و جل-فانه لیس من عبد مؤمن یقبل بقلبه علی اللّه-عز و جل-فی صلاته و دعائه، الا أقبل اللّه علیه بقلوب المؤمنین،و ایده مع مودتهم إیاه بالجنه». و قال الباقر(ع).«ان العبد لیرفع له من صلاته نصفها و ثلثها و ربعها و خمسها، فما یرفع له إلا ما أقبل علیه بقلبه،و انما أمروا بالنوافل لیتم لهم ما نقصوا من الفریضه». و روی:«أن إبراهیم الخلیل کان یسمع تأوهه علی حد میل،و کان یسمع له فی صلاته أزیز کأزیز المرجل (۱)».و کذلک کان یسمع من صدر سیدنا رسول اللّه(ص)مثل ذلک.و قال بعض أزواجه:

«کان النبی(ص)یحدثنا و نحدثه،فإذا حضرت الصلاه،فکأنه لم یعرفنا و لم نعرفه».و کان أمیر المؤمنین(ع)اذا أخذ فی الوضوء،یتغیر وجهه من خیفه اللّه.و کان(ع)اذا حضر وقت الصلاه یتزلزل و یتلون،فقیل له:

ما لک یا أمیر المؤمنین؟فیقول:«جاء وقت أمانه عرضها اللّه علی السماوات و الأرض و الجبال فأبین أن یحملنها و اشفقن منها،و حملها الإنسان».

و روی:«أنه وقع نصل فی رجله(ع)،فلم یمکن أحدا من إخراجه.

فقالت فاطمه-علیهما السلام-:اخرجوه فی حال صلاته،فانه لا یحس حینئذ بما یجری علیه.فاخرج و هو فی صلاته،فلم یحس به أصلا».و کانت

۱- ۱) الأزیز:صوت غلیان القدر.و المرجل-وزان منبر-:القدر من الحجاره.

الصدیقه فاطمه-علیها السلام-تنهج (۱)فی الصلاه من خیفه اللّه.و کان الحسن بن علی-علیهما السلام-اذا فرغ من وضوئه،تغیر لونه،فقیل له فی ذلک،فقال:«حق علی من أراد أن یدخل علی ذی العرش أن یتغیر لونه».و کان الامام علی بن الحسین-علیهما السلام-اذا توضأ اصفر لونه، فیقال له:ما هذا الذی یعتریک عند الوضوء؟فیقول:«إنی أرید الوقوف بین یدی ملک عظیم».و قال أبو حمزه الثمالی:«رأیته یصلی»فسقط رداؤه عن منکبه،فترکه حتی فرغ من صلاته،فسألته عن ذلک،فقال:

و یحک!أ تدری بین یدی من کنت؟شغلنی و اللّه ذلک عن هذا!أتعلم أنه لا یقبل من صلاه العبد الا ما أقبل علیه؟.فقلت له:یا بن رسول اللّه، هلکنا إذا.قال:کلا!ان اللّه یتم ذلک بالنوافل». و روی:«أنه(ع) اذا قام إلی الصلاه تغیر لونه،و إذا سجد لم یرفع رأسه حتی یرفض عرقا».

و روی:«أنه(ع)کان إذا قام إلی الصلاه کأنه ساق شجره،لا یتحرک منه إلا ما حرکت الریح منه».و سئل مولانا الصادق(ع)عن حاله لحقته فی الصلاه حتی خرّ مغشیا علیه،فقال:«ما زلت اکرر آیات القرآن،حتی بلغت إلی حال کأننی سمعتها مشافهه ممن أنزلها» (۲).قیل.و کان لسان الامام(ع)فی تلک الحال کشجره طور حین قالت:«انی أنا اللّه».و سئل بعض الأکابر عن صلاته،فقال:«اذا جاءت الصلاه،اسبغت الوضوء، و أتیت الموضع الذی أرید الصلاه فیه،فأقعد فیه حتی تجتمع جوارحی، ثم اقوم إلی الصلاه،فأجعل الکعبه بین حاجبی،و الصراط تحت قدمی، و الجنه عن یمینی،و النار عن شمالی،و ملک الموت ورائی،و أظنها آخر

۱- ۱) النهج-بالتحریک-:تتابع النفس و اللهاث.

۲- ۲) صححنا الأحادیث الوارده فی الصلاه علی(بحار الأنوار).۱۸-۱۶۹- ۲۰۲،باب آداب الصلاه.

صلاتی،ثم أقوم بین الرجاء و الخوف،و أکبر تکبیرا بتحنن،و أقرأ القرآن بترتیل،و ارکع رکوعا بتواضع،و اسجد سجودا بتخشع، و اقعد علی الورک الیسری،و أفرش ظهر قدمها،و انصب القدم الیمنی علی الإبهام و ابتعها الإخلاص،ثم لا أدری أقبلت منی أم لا!».

ثم،علی ما عرفت من کیفیه صلاه الأنبیاء و الأولیاء،مع مشاهده کیفیه صلاتک و صلاه الناس،تعلم:ان الناس ینقسمون فی صلاتهم: الی غافل یتم صلاته و لا یحضر قلبه فی لحظه، و إلی من یغفل فی بعض صلاته و یحضر قلبه فی بعض منها،و هذا تختلف حاله بحسب قله کل من الحضور و الغفله و کثرتهما،و زیاده أحدهما علی الآخر،فله مراتب غیر متناهیه.

و إلی من یتم صلاته و لا یغیب قلبه لحظه،بل یکون حاضر القلب فی جمیع صلاته،و ربما کان مستوعب الهم بها،بحیث لا یحس بما یجری بین یدیه، کما لم یحس مولانا أمیر المؤمنین(ع)باخراج النصل من رجله الشریفه.

و بعضهم حضر الجماعه مده،و لم یعرف قط من علی یمینه و یساره.و کان وجیب الخلیل یسمع علی میلین.و کان جماعه تصفر وجوههم و ترتعد فرائصهم عند الصلاه.و کل ذلک غیر مستبعد،فان اضعافه مشاهده فی همّ الدنیا و خوف ملوک الدنیا،مع ضعفهم و عجزهم،و خساسه الحظوظ الحاصله منهم.حتی یدخل الرجل علی ملک أو وزیر،و یحدثه بمهم و یخرج،و لو سئل عمن کان علی حوالیه،و عن ثوب الملک،لکان غیر قادر علی الاخبار عنه،لاشتغال همه به عن ثوبه و عن الحاضرین حوله:

وَ لِکُلٍّ دَرَجٰاتٌ مِمّٰا عَمِلُوا

(۱)

فحظ کل واحد من صلاته بقدر خوفه و خشوعه و تعظیمه.فان موضع

ص: ۳۳۰

۱- ۱) الأنعام،الآیه:۱۳۲.الأحقاف،الآیه:۱۹.

نظر اللّه القلوب،دون ظاهر الحركات.و لذا قال بعض الصحابه:

«يحشر الناس يوم القيامه على مثال هيئتهم فى الصلاه،من الطمأنينه و الهدوء، و من وجود النعم و اللذه و البهجه بها»،فالملحوظ حال القلب لا حال الشخص.

و لذا قيل:«من صفات القلوب تصاغ الصور فى دار الآخره،و لا ينجو:

إِلاّ مَنْ أَتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ

(۱)

.

تنبيه (دفع اشكال)

إن قيل:المستفاد من الظواهر المذكوره،أن صلاه الغافل ليست مقبوله إلا بقدر ما أقبل عليه منها،و الفقهاء لم يشترطوا إلا حضور القلب عند النيه و التكبير،فكيف التوفيق؟ قلنا:فرق بين القبول و الاجزاء،فان المقبول من العباده ما يقرب العبد إلى اللّه،و يترتب عليه الثواب فى الآخره،و المجزى منها ما يسقط التكليف عن العبد،و ان لم يترتب عليه ثواب و لم يقربه إلى اللّه.و الناس مختلفون فى تحمل التكليف،فان التكليف إنما هو بقدر الوسع و الطاقه، فلا يمكن أن يكلف الجميع باحضار القلب فى جميع الصلاه،إذ لا يقدر على ذلك إلا الأقلون.و إذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضروره،فلا مرد له إلا أن يشترط ما ينطلق عليه الاسم،و لو فى اللحظه الواحده،و أولى اللحظات به لحظه التكبير و التوجه،فاقتصر على التكليف بذلك.و نحن -مع ذلك-نرجوا ألا يكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال التارك بالكليه،فانه على الجمله أقدم على الفعل ظاهرا،و احضر القلب

۱- ۱) الشعراء،الآيه:۸۹.

لحظه،و كيف لا و الذى صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطله عند اللّه،و لكن له أجر ما بحسب فعله و على قدر قصوره و عذره؟و الحاصل:ان الإقبال و الحضور هو روح الصلاه،و ان أقل ما يبقى به الروح الحضور عند التكبير،فالنقصان منه هلاك،و بقدر الزياده عليه تنبسط الروح فى اجزاء الصلاه،و كم من حى لا حراك فيه قريب من الميت،فصلاه الغافل فى جميعها،إلا عند التكبير،حى لا حراك فيه.

فصل (شرائط الصلاه)

اعلم أن للمعانى الباطنه المذكوره اسبابا لا تتحقق بدونها.

أما حضور القلب:فسببه الاهتمام.

فان قلت:كل أحد تابع لهمه،فلا يحضر إلا فيما يهمه،و مهما أهمه أمر حضر فيه قلبه،شاء أو لم يشأ،فهو مجبول عليه مسخر فيه،و القلب اذا لم يحضر فى الصلاه لم يكن متعطلا،بل كان حاضرا فيما يهمه من أمور الدنيا.فلا حيله و لا علاج لاحضار القلب فى الصلاه إلا بصرف الهمه اليها،و الهمه لا تنصرف إليها ما لم يتيقن أن الآخره خير و أبقى،و ان الصلاه وسيله إليها.و إذا أضيف إلى هذا العلم بحقاره الدنيا و مهانتها، حصل من مجموع ذلك حضور القلب فى الصلاه.و لكون الباعث و السبب لاحضار القلب فى أمر إنما هو الاهتمام و الاعتناء بشأنه،ترى قلبك يحضر اذا حضرت بين يدى ملك من ملوك الدنيا،بل بين يدى بعض الأكابر ممن لا يقدر على نفعك و ضرك.فإذا كان لا يحضر قلبك عند المناجاه مع ملك الملوك الذى بيده الملك و الملكوت و النفع و الضر،فلا تظنن أن له سببا سوى ضعف الايمان و اليقين.فينبغى حينئذ السعى فى تقويه اليقين و الايمان.

و أما التفهم:فسببه-بعد حضور القلب-ادمان الفكر،و صرف الذهن إلى ادراك المعنى.و علاجه ما هو علاج إحضار القلب،مع الإقبال على الفكر،و التشمر لرفع الخواطر الشاغله بقطع موادها،أعنى النزوع على الأسباب التى تنجذب الخواطر إليها.و ما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر.فان من أحب شيئا أو بغض شيئا أو خاف من شىء،أكثر ذكره.فذكر المحبوب و المبغوض و المخوف يهجم على القلب بالضروره.

و لذا ترى أن من أحب غير اللّه أو كان قلبه مشغولا بعداوه أحد أو بالخوف عنه،لا تصفو له صلاه عن الخواطر.

و أما التعظيم:فهو حاله للقلب يتولد من معرفتين:إحداهما:

معرفه جلال اللّه و عظمته،فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه،و هذه المعرفه من أصول الايمان.الثانيه:معرفه حقاره النفس و خستها و ذلتها،و كونها عبدا مسخرا مربوبا لا يقدر شيئا من النفع و الضر.و تتولد من المعرفتين:الاستكانه و الانكسار و الخشوع للّه،فيعبر عنه بالتعظيم،و ما لم تمتزج معرفه حقاره النفس بمعرفه جلال الرب لا تنتظم حاله التعظيم و الخشوع،فان المستغنى عن غيره الآمن على نفسه، يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمه و الجلال،و نعوت القدره و الكمال، و لا يكون خاشعا معظما له،لأن معرفه حاجه النفس و حقارتها لم تقترن إليه.

و اما الهيبه و الخوف:فحاله للنفس تتولد من المعرفه بقدره اللّه -تعالى-و سطوته و نفوذ مشيته فيه،مع قله المبالاه به،و انه لو أهلك الأولين و الآخرين لم تنقص من ملكه ذره،مع تذكر ما جرى على الأنبياء و الأولياء من المصائب و أنواع البلاء مع القدره على الدفع.و كلما زاد العلم باللّه و بصفاته و أفعاله زادت الخشيه و الهيبه.

و اما الرجاء:فسببه معرفه لطف اللّه-تعالی-و کرمه و عمیم انعامه و لطائف صنعه،و معرفه صدقه فی وعده الجنه بالصلاه.فإذا حصل الیقین بوعده و المعرفه بلطفه،انبعث منها الرجاء.

و اما الحیاء:فسببه استشعار التقصیر فی العباده،و علمه بالعجز عن القیام بعظیم حق اللّه،و یقوی ذلک بمعرفه عیوب النفس و آفاتها و قله اخلاصها و خبث باطنها،و میلها إلی الحظ العاجل فی جمیع افعالها،مع العلم بجمیع ما یقتضیه جلال اللّه و عظمته،و العلم بأنه مطلع علی السرائر و خطرات القلب،و ان دقت و خفیت.و هذه المعارف إذا حصلت یقینا، انبعثت منها-بالضروره-حاله تسمی بالحیاء.

فصل (طریق تحصیل المعانی الباطنه)

اعلم ان العلاج فی تحصیل المعانی الباطنه المذکوره،اعنی الحضور و التفهم و التعظیم و الهیبه و الرجاء و الحیاء،هو تحصیل أسباب هذه المعانی، و قد عرفت أسبابها.و طرق العلاج فی تحصیل هذه الأسباب انما یتم بأمرین:

الأول-معرفه اللّه،و معرفه جلاله و عظمته و استناد الکل إلیه، و معرفه کونه عالما بذرات العالم و بسرائر العباد.و یلزم ان تکون هذه المعرفه یقینیه،لیترتب علیها الأثر.اذ ما لم یحصل الیقین بأمر،لا یحصل التشمر فی طلبه و الهرب عنه.و هذه المعرفه هی المعبر عنها بالایمان.

و لا ریب فی کونها موجبه لحصول المعانی المذکوره و أسبابها.اذ المؤمن یکون البته حاضر القلب مع ربه عند مناجاته،و متفهما لما یسأله عنه، معظما له،و خائفا منه،و مستحییا من تقصیره.

الثانی-فراغ القلب،و خلوه من مشاغل الدنیا.فان انفکاک

المؤمن العارف،المتيقن باللّه و بجلاله و عظمته،و باطلاعه عليه من المعانى المذكوره فى صلاته،لا سبب له إلا تفرق الفكر،و تقسم الخاطر، و غيبه القلب عن المناجاه،و الغفله عن الصلاه،و لا تلهى عن الصلاه إلا الخواطر الرديه الشاغله.فالدواء فى إحضار القلب هو دفع كل تلك الخواطر و لا يدفع الشيء إلا بدفع سببه.

و سبب توارد الخواطر،إما أن يكون أمرا خارجا،او أمرا فى ذاته باطنا.

و الأول:ما يظهر للبصر،او يقرع على السمع.فان ذلك قد يختطف الهمّ حتى يتبعه و يتصرف فيه،ثم ينجر منه الفكر إلى غيره، و يتسلسل فيكون الابصار او الاستماع سببا للافتكار،ثم يصير بعض تلك الأفكار سببا للبعض.و من قويت رتبته و علت همته،لم يلهه ما يجرى على حواسه.و لكن الضعيف لا بد و ان يتفرق فيه فكره.فعلاجه:

قطع هذه الأسباب،بأن يغض بصره،او يصلى فى بيت مظلم،و لا يترك بين يديه ما يشغل حسه،و يقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافه بصره،و يتحرز من الصلاه على الشوارع،و فى المواضع المنقوشه المصبوغه،و العمارات العاليه المرتفعه.و لذلك كان المتعبدون يصلون فى بيت مظلم صغير،سعته بقدر السجود،ليكون اجمع للهم.و الاقوياء كانوا يحضرون المساجد،و يغضون البصر،و لا يتجاوزونه موضع السجود،كما ورد الامر به،و يرون كمال الصلاه فى الا يعرفوا من على يمينهم و شمالهم.

و اما الثانى:اعنى الأسباب الباطنه،فهى أشد.فان من تفرقت همومه،و تشعبت خواطره فى أودیه الدنيا،لم ينحصر فكره فى فن

واحد،بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب.و غض البصر لا يغنيه،فان ما وقع فى القلب من قبل كاف للشغل.فهذا علاجه:ان يرد نفسه قهرا الى فهم ما يقرؤه،و يشغلها به عن غيره،و يعينه على ذلک ان يستعد له قبل التحريم،بان يجدد على نفسه ذكر الآخره،و خطر المقام بين يدى.اللّه -تعالى-،و هو المطلع،و يفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاه عما يهمه من أمر الدنيا،فلا يترک لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره،فهذا طريق تسكين الأفكار.فان لم تسكن افكاره بهذا الدواء المسكن،فلا ينجيه إلا المسهل الذى يقمع ماده الداء من اعمال العروق،و هو ان ينظر فى الأمور الشاغله الصارفه له عن إحضار القلب.و لا ريب فى انها تعود إلى مهماته،و هى إنما صارت مهمه لأجل شهواته،فليعاقب نفسه بالنزوع عن تلک الشهوات و قطع تلک العلائق.فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه و جند ابليس عدوه،فامساكه اضر عليه من إخراجه،فيتخلص عنه باخراجه.

و هذا هو الدواء القامع لماده العله،و لا يغنى غيره.فان ما ذكر من التلطف بالتسكين و الرد إلى فهم الذكر،إنما ينفع فى الشهوات الضعيفه،و الهم الذى لا يشغل الا حواشى القلب.و اما الشهوه القويه المرهقه،فلا ينفع معها التسكين،بل لا تزال تجاذبها و تجاذبک ثم تغلبک،و تنقضى جميع صلاتک فى شغل المجاذبه.و مثاله مثال رجل تحت شجره أراد ان يصفو له فكره،و كانت اصوات العصافير تشوش عليه،فلم يزل يطيرها بخشبه هى فى يده و يعود إلى فكره،فتعود العصافير،فيعود إلى السفير بالخشبه، فقيل له:إن هذا سير الوانى و لا يتقطع،فان أردت الخلاص فاقطع الشجره.فكذلک شجره الشهوه،إذا استعملت و تفرعت اغصانها، انجذبت إليها الافكار انجذاب العصافير إلى الأشجار،و انجذاب الذباب إلى

الاقـذار،و الشـغل يطول فى دفعها.فان الـذباب كلما ذب آب،و لاجله سـمى ذبابا،و كـذلك الخواطر.و هذه الشـهوات كثيره قلما يخلو العبـد منهـا، و يجمعهـا أصل واحـد،و هو حب الـدنيا،و ذلك رأس كل خطيئه، و أساس كل نقصان،و منبع كل فساد.و من انطوى بـاطنه على حب الـدنيا حتى مـال إلى شـىء منها لا يتزود منها و يسـتعين بها على الآخره،فلا يطمعن فى ان تصـفو له لـذه المناجاه فى الصـلاه.فان من فرح بالدنيا فلا يفرح باللّه و بمناجاته،و همه الرجل مع قره عينه،فان كانت قره عينه فى الدنيا انصرف همه لاـ محـاله إليهـا.و لكن-مع هـذا-لاـ ينبغى ان تترك المجاهـده، ورد القلب إلى الصـلاه،و تقليل الأسـباب الشاغله،فهـذا هو الـدواء،و لمرارته استبشـعته الطباع،و بقيت العله مزمنه،و صار الـداء عضالا.حتى ان الأكابر اجتهدوا ان يصـلوا ركعتين لا يحدثون أنفسـهم فيهما بأمور الـدنيا، فعجزوا عنه.فإذا لا مطمع فيه لامثالنا،و يا ليت سـلم لنا من الصـلاه ثلثها او ربعها من الوساوس،لنكون ممن خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا.

و على الجمله:فهمه الـدنيا و همه الآـخره فى القلب مثل الماء الـذى يصب فى قـدح فيه خل،فبقـدر ما يـدخل فيه الماء يخرج منه الخل لا محاله،و لا يجتمعان.ثم جميع ما ذكر إنما هو فى الخواطر المتعلقه بالأمور المهمه من الـدنيا،حتى إذا خرجت هذه الأمور من القلب،خرجت منه هـذه الخواطر أيضـا.و قـد تكون الخواطر من مجرد الوساوس الباطنه و الخيالات الفاسـده، من دون تعلقها بشغل و عمل دنيوى يكون لها،و من دون اختيار للعبد فى خطورها و عدم خطورها.و الامر فيها اصعب،و ان كان لقلع حب الدنيا و شـهواتها عن القلب مدخليه عظيمه فى زوالها أيضا،إذ ماده هذه الوساوس أيضا،إما حب المال و حب الجاه،او حب غيرهما من الأمور الشهويه الدنيويه.و قد تقدم

تفصیل القول فیها و فی طریق علاجها فی بحث الوساوس.

فصل (اسرار الصلاه)

فی تحصیل کل واحد من شروط الصلاه و افعالها و ارکانها أسرار و تنبیهات،فینبغی للمؤمن المرید للآخره الاّ یغفل عنها،فها هی نذکرها:

اما الاذان:فإذا سمعت نداء المؤذن،فأخطر فی قلبک هول النداء یوم القیامه،و تشمر بباطنک و ظاهرک للاجابه و المسارعه،فان المسارعین الی هذا النداء هم الذین ینادون باللطف یوم العرض الاکبر،فأعرض قلبک علی هذا النداء،فان وجدته مملوا بالفرح و الاستبشار،مشحونا بالرغبه إلی الابتدار،فاعلم انه یأتیک النداء بالبشری و الفوز یوم القضاء، و لذلک قال سید الأنبیاء:«ارحنا یا بلال!»،أی:ارحنا بها و بالنداء الیها،إذ کانت قره عینه فیها.و اعتبر بفصول الاذان و کلماته کیف افتتحت باللّه و اختتمت باللّه،و اعتبر بذلک ان اللّه جل جلاله هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن،و وطن قلبک بتعظیمه عند سماع التکبیر،و استحقر الدنیا و ما فیها لئلا تکون کاذبا فی تکبیرک،و انف عن خاطرک کل معبود سواه بسماع التهلیل.و احضر النبی(ص)،و تأدب بین یدیه،و اشهد له بالرساله مخلصا،و صل علیه و آله،و حرک نفسک،واسع بقلبک و قالبک عند الدعاء إلی الصلاه،و ما یوجب الفلاح،و ما هو خیر الاعمال و افضلها،و جدد عهدک بعد ذلک بتکبیر اللّه و تعظیمه،و اختمه بذلک کما افتتحت به.و اجعل مبدءک منه،و عودک إلیه،و قوامک به،و اعتمادک علی حوله و قوته.فانه لا حول و لا قوه الا باللّه العلی العظیم.

فصل (الوقت)

و إذا دخل الوقت،استحضر أنه ميقات جعله اللّه لک،لتقوم فيه بخدمته،و تتأمل للمثول فی حضرته،و الفوز بطاعته،و ليظهر على قلبک السرور،و على وجهک البهجه عند دخوله،لكونه سببا لقربک و وسيله الى فوزک.فاستعد له بالطهاره و النظافه،و لبس الثياب الصالحه للمناجاه كما تتأهب عند القدوم على ملک من ملوک الدنيا،و تلقاه بالسكينه و الوقار، و الخوف و الرجاء،و استحضر عظمه اللّه و جلاله،و عدم تناهی قدرته و كماله،و نقصان قدرک و مرتبتک،و عدم قابليتک للقيام بخدمته،و قصورک عن أداء وظائف طاعته.

فصل (آداب الصلاه)

اذا اتيت بالطهاره فی مكانک،و هو ظرفک الا بعد،ثم فی ثيابک، و هو غلافک الاقرب،ثم فی بشرتک،و هی قشرک الادنى،فلا تغفل عن لبک و ذاتک،و هو قلبک،فطهره بالتوبه و الندم على ما فرط،و تصميم العزم على الترک فی المستقبل،فطهر بها باطنک،فانه موضع نظر ربک.

ثم إذا سترت مقابح بدنک عن ابصار الخلق باللباس،فاخطر ببالک فضائح سرک التی لا يطلع عليها إلا ربک،و طالب نفسک بسترها،و تحقق أنه لا يستر عن عين اللّه ساتر،و إنما يكفرها الخوف و الندم و الحياء،فتستفيد بإظهارها فی قلبک انبعاث جنود الخوف و الندم و الحياء من مكامنها،فتذل به نفسک،و يستكين تحت الخجله قلبک،و تقوم بين يدی اللّه-تعالى-

قیام العبد المجرم المسیء الآبق،الذی ندم فرجع إلی مولاه،ناکسا رأسه من الخوف و الحیاء.قال الصادق(ع):«أزین اللباس للمؤمن لباس التقوی،و انعمه الایمان،قال اللّه-تعالی-:

وَ لِبٰاسُ التَّقْویٰ ذٰلِکَ خَیْرٌ

(۱)

و أما اللباس الظاهر،فنعمه من اللّه-تعالی-تستر بها عورات بنی آدم،و هی کرامه أکرم اللّه بها ذریه آدم ما لم یکرم بها غیرهم،و هی للمؤمنین آله لاداء ما افترض اللّه علیهم.و خیر لباسک ما لا یشغلک عن اللّه-عز و جل-،بل یقربک من ذکره و شکره و طاعته،و لا یحملک علی العجب و الریاء و التزین و التفاخر و الخیلاء،فانها من آفات الدین، و مورثه للقسوه فی القلب.فإذا لبست ثوبک،فاذکر ستر اللّه علیک ذنوبک برحمته،و البس باطنک بالصدق کما البست ظاهرک بثوبک،و لیکن باطنک من الصدق فی ستر الهیبه،و ظاهرک فی ستر الطاعه.و اعتبر بفضل اللّه-عز و جل-،حیث خلق أسباب اللباس لیستر بها العورات الظاهره،و فتح أبواب التوبه و الإنابه و الاغاثه لیستر بها عورات الباطن من الذنوب و أخلاق السوء.و لا تفضح أحدا حیث ستر اللّه علیک ما أعظم منه.و اشتغل بعیب نفسک و اصفح عما لا یعنیک حاله و امره.

و احذر أن یفنی عمرک بعمل غیرک،و یتجر برأس مالک غیرک،و تهلک نفسک،فان نسیان الذنوب من أعظم عقوبه اللّه فی العاجل،و اوفر أسباب العقوبه فی الآجل.و ما دام العبد مشتغلا بطاعه اللّه-تعالی-، و معرفه عیوب نفسه،و ترک ما یشین فی دین اللّه-عز و جل-،فهو بمعزل عن الآفات،خائض فی بحر رحمه اللّه-عز و جل-،یفوز بجواهر

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۲۵.

الفوائد من الحكمه و البيان.و ما دام ناسيا لذنوبه،جاهلا بعيوبه، راجعا إلی حوله و قوته،لا یفلح إذا أبدا» (۱).

فصل (آداب المصلی)

إذا أتیت مصلاک،فاستحضر فیه انک کأن بین یدی ملک الملوک، ترید مناجاته،و التضرع إلیه،و التماس رضاه،و نظره إلیک بعین الرحمه.

فاختر مکانا یصلح،کالمساجد الشریفه،و المشاهد المطهره،مع الإمکان، فانه-تعالی-جعل تلک المواضع محلا لاجابته،و موضع نزول فیوضاته و رحمته،علی مثال حضره الملوک،الذین یجعلونها وسیله لنیل المقاصد و المطالب.فادخلها بالسکینه و الوقار،و مراقبا للخضوع و الانکسار.

قال الصادق(ع):«إذا بلغت باب المسجد،فاعلم انک قد قصدت باب ملک عظیم،لا یطأ بساطه إلا المطهرون،و لا یؤذن لمجالسته إلا الصدیقون، فهب القدوم إلی بساط هیبه الملک،فانک علی خطر عظیم ان غفلت،فاعلم انه قادر علی ما یشاء من العدل و الفضل معک و بک.فان عطف علیک برحمته و فضله،قبل منک یسیر الطاعه،و أجزل لک علیها ثوابا کثیرا.

و إن طالبک باستحقاقه الصدق و الإخلاص عدلا بک،حجبک ورد طاعتک و ان کثرت.و هو فعال لما یرید.و اعترف بعجزک و تقصیرک و انکسارک و فقرک بین یدیه،فانک قد توجهت للعباده له،و المؤانسه به.و اعرض أسرارک علیه،و لتعلم أنه لا تخفی علیه أسرار الخلائق أجمعین و علانیتهم.

و کن کأفقر عباده بین یدیه.و اخل قلبک عن کل شاغل یحجبک عن ربک، فانه لا یقبل إلا الاطهر و الاخلص.و انظر من ای دیوان یخرج اسمک،

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(مصباح الشریعه):الباب ۷-۱۳۷-۱۳۸.

فان ذقت حلاوه مناجاته و لذيذ مخاطباته،و شربت بكأس رحمته و كراماته من حسن إقباله عليك و اجابته،فقد صلحت لخدمته،فادخل فلك الاذن و الأمان،و إلا فقف وقوف من قد انقطع عنه الحيل،و قصر عنه الأمل،و قضى عليه الأجل.فان علم اللّه-عز و جل-من قلبك صدق الالتجاء إليه نظر إليك بعين الرأفه و الرحمه و العطف،و وفقك لما تحب و ترضى،فانه كريم يحب الكرامه لعباده المضطرين إليه،المقيمين على بابه لطلب مرضاته.قال اللّه-تعالى-:

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذٰا دَعٰاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ

(۱)

(۲)

.

فصل (الاستقبال)

و اما الاستقبال،فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهه بيت اللّه.و هذا إشاره إلى انه ينبغى ان يصرف وجه القلب عن سائر الأشياء الى اللّه،فان الاعمال الظاهره تحريكات للبواطن على ما يناسبها،فضبط الجوارح و تسكينها بالإثبات فى جهه واحده لأجل الا تبقى على القلب، لانها إذا توجهت إلى جهات متعدده يتبعها القلب فى التوجه إلى أشياء متعدده،فأمر اللّه بصرفها إلى شطر بيته،ليتذكر القلب صاحبه، و يتوجه إليه،و يثبت على ذلك كما تثبت الأعضاء على جهه واحده. قال رسول اللّه(ص):«إن اللّه-تعالى-مقبل على المصلى ما لم يلتفت»،و هذا

۱- ۱) النمل،الآيه:۶۲.

۲- ۲) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۱۲-۱۴۰-۱۴۱.

الالتفات يشمل التفات القلب أيضا،فكما يجب حراسه الرأس و العين عن الالتفات إلى الجهات،فكذلك يجب حراسه السر عن الالتفات إلى غير اللّه و غير الصلاه،فان التفت إلى غير اللّه و غير الصلاه،فذكره باطلاع اللّه عليه، و قبح غفله المناجى عمن يناجيه و عما يقول له حين المناجاه،لا سيما إذا كان من يناجيه ملك الملوك.و الزم قلبك الخشوع،فان الخلاص عن الالتفات ظاهرا و باطنا ثمره الخشوع،و مهما خشع الباطن خشع الظاهر،و لذا قال رسول اللّه(ص)-و قد راى مصليا يعبث بلحيته-:«اما هذا،لو خشع قلبه لخشعت جوارحه،فان الرعيه بحكم الراعى».و فى الدعاء:«اللهم اصلح الراعى و الرعيه»،و هو القلب و الجوارح.

و بالجمله:ينبغى لكل مؤمن صرف وجهه إلى بيت اللّه للصلاه،أن يصرف وجه قلبه إلى صاحب البيت،و كما لا يتوجه الوجه إلى جهه البيت إلا بالصرف عن غيرها،فكذلك لا ينصرف وجه القلب إلى اللّه إلا بالتفرغ عما سوى اللّه،و قد قال رسول اللّه(ص):«إذا قام العبد إلى صلاته،و كان هواه و قلبه إلى اللّه،انصرف كيوم ولدته أمه».و قال(ص):

«أما يخاف الذى يحول وجهه فى الصلاه أن يحول اللّه وجهه وجه حمار؟!» قيل:هذا نهى عن الالتفات عن اللّه،و ملاحظه عظمته فى حال الصلاه، فان الملتفت يمينا و شمالا غافل عن اللّه و عن مطالعه أنوار كبريائه،و من كان كذلك فيوشك أن تدوم تلك الغفله عليه،فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار فى قله عقله للأمور العلويه و عدم فهمه للمعارف. و قال الصادق(ع):«إذا استقبلت القبله،فآيس من الدنيا و ما فيها،و الخلق و ما هم فيه،و استفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن اللّه-تعالى-،و عاين بسرك عظمه اللّه -عز و جل-،و اذكر وقوفك بين يديه،قال اللّه-تعالى-:

هُنٰالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مٰا أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللّهِ مَوْلاٰهُمُ الْحَقِّ

(۱)

.

وقف على قدم الخوف و الرجاء» (۲).

فصل (القيام)

و أما القيام،فهو مثول بالشخص و القلب بين يدى اللّه-سبحانه-.

فليكن رأسك الذى هو أرفع اعضائك مطرقا مطأطأ متنكسا،تنبيها للقلب على لزوم التواضع و التذلل و الانكسار،و التبرى عن التكبر و الترؤس.

و ينبغى أن تتذكر هاهنا خطر المقام بين يدى اللّه فى هول المطلع عند التعرض للسؤال،و تذكر فى الحال أنك قائم بين يدى اللّه و هو مطلع عليك،فليكن قيامك بين يديه على ما يليق بعظمته و جلاله،و إن كنت تعجز عن معرفه كنه جلاله،فلا تجعل مالك الملك و الملكوت أنزل من بعض ملوك عصرك،فقم بين يديه قيامك بين يدى ملك زمانك،بل قدر فى دوام قيامك فى صلاتك أنك ملحوظ بعين كالئه من رجل صالح من أهلك،أو ممن ترغب أن يعرفك بالصلاح،فانه تهد عند ذلك أطرافك،و تخشع جوارحك،و يسكن جميع أجزائك،خيفه أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قله الخشوع.

و بالجمله:الخضوع و الخشوع و الاستحياء و الانفعال،يقتضيها الطبع بين يدى من يعظم من أبناء الدنيا،فكيف لا يقتضيها بين يدى ملك الملوك عند من يعرفه؟فمن يكون بين يدى غير اللّه خاشعا،و لا يكون بين يدى اللّه

۱- ۱) یونس،الآیه:۳۰.

۲- ۲) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۱۳-۱۴۱.

کذلک،فذلک لقصور معرفته عن جلال اللّه و عن اطلاعه علی سره و ضمیره، و عدم تدبره فی قوله-تعالی-:

اَلَّذِی یَرٰاکَ حِینَ تَقُومُ، وَ تَقَلُّبَکَ فِی السّٰاجِدِینَ

(۱)

فتبا لمن یدعی معرفه اللّه و العلم بعظمته و جلاله و حبه و الخشیه منه، و مع ذلک یستحیی من أحد عبیده المساکین الذی لا یقدر علی نفع و لا ضر، و لا یستحیی من اللّه،و یخشی الناس و لا یخشاه!

فصل (التکبیرات)

و أما التوجه بالتکبیرات،فینبغی أن تستحضر عندک عظمه اللّه و جلاله،و صغر نفسک و ذلتها فی جنب عظمته،و قصورک عن القیام بوظائف خدمته.و إذا قلت:(اللهم إنک أنت الملک الحق)،فتذکر عظیم ملکه،و عموم قدرته،و استیلاءه علی جمیع العوالم،ثم ارجع علی نفسک بالذل و الانکسار.و إذا قلت:(لبیک و سعدیک!و الخیر فی یدیک،و الشر لیس إلیک)،مثل نفسک بین یدیه،و تیقن أنه أقرب منک من نفسک،و یسمع نداءک،و یجیب دعاءک،و أن خیر الدنیا و الآخره بیده لا بید غیره،و أنه خیر محض منزه عن الشر.و إذا قلت:

(عبدک و ابن عبدیک،منک و بک و لک و إلیک)،فقد اعترفت له بالعبودیه،و بأنه ربک و خالقک و مالکک،و موجدک و مخترعک،و أنت اثره و فعله،و منه وجودک،و به قوامک،و له ملکک،و إلیه معادک، فأنت منه،فلا یترکک و یرحمک،فألق نفسک الضعیفه العاجزه بین

۱- ۱) الشعراء،الآیه:۲۱۸-۲۱۹.

یـدیه،و وکل أمورک فی الدنیا و الآخره إلیه،و لا تعتمد فی مقاصدک إلا علیه،فاحضـر فی ذهنک فی هذه الفقرات و غیرها من الکلمـات التی ینطق بهـا لسانک أمثال هـذه الحقائق،و ترق منها إلی ما یفتـح علیک من الأسـرار و الـدقائق،و احفظ نفسک عن الوقوع فی أودیه الوساوس و الهوی، فتلقی الفیض من العالم الأعلی.

فصل (النیه)

و أما النیه،فحقیقتها القصـد إلی الفعل،امتثالا لأمر اللّه،و طلبا لتقربه،و رجاء لثوابه،و خوفا من عقابه.فینبغی أن تجتهد فی خلوصـها ألا ـ یشوبها غرض دنیوی فتفسـد،و حقیقه الإخلاص و ما یتعلق بها قـد تقـدمت مفصـله فی محلها.و ینبغی أن تتـذکر هاهنا عظیم لطفه و منته علیک، حیث أذنک فی المناجاه مع سوء أدبک و کثره جنایتک،و عظم فی نفسک قدر مناجاته.و انظر من تناجی،و کیف تنـاجی،و بمـا ذا تناجی.و عنـد هـذا ینبغی أن یعرق جبینک من الخجله،و ترتعـد فرائصک من الهیبه،و یصـفر وجهک من الخوف و الخشیه.

فصل (تکبیره الإحرام)

و إذا کـبرت تکـبیره الإـحرام،تـذکر ان معناهـا:انه-تعـالی-أکـبر من ان یوصف،او أکبر من کـل شـیء،أو أکـبر من أن یـدرک بـالحواس، أو یقـاس بالناس.فانتقـل منه إلی غـایه عظمته و جلالـه،و استناد مـا سواه الیه،بالایجـاد و الاختراع و الاخراج من کتم العدم.و ینبغی ان تکون

على يقين بذلک،حتى لا يکذب لسانک قلبک،فان کان فى قلبک شىء هو أکبر من اللّه-تعالى-عندک،فاللّه يشهد أنک کاذب،و ان کان الکلام صدقا،کما شهد على المنافقين فى قولهم:إن النبى رسول اللّه.و إن کان هواک اغلب عليک من امر اللّه-تعالى-،و أنت اطوع له منک للّه و لأمره،فقد اتخذته إلهک و کبرته،فيوشک ان يکون قولک(اللّه أکبر) کلاما باللسان المجرد،و قد تخلف القلب عن مساعدته،و ما أعظم الخطر فى ذلک،لو لا التوبه و الاستغفار و حسن الظن بکرمه-تعالى-و عفوه. قال الصادق(ع):«فإذا کبرت،فاستصغر ما بين السماوات العلى و الثرى دون کبريائه،فان اللّه-تعالى-اذا اطلع على قلب العبد و هو يکبر،و فى قلبه عارض عن حقيقه تکبيره،قال:يا کذاب أ تخدعنى؟!و عزتى و جلالى! لأحرمنک حلاوه ذکرى،و لأحجبنک عن قربى و المسره بمناجاتى!» (۱).

فاعتبر أنت قلبک حين صلاتک،فان کنت تجد حلاوتها و فى نفسک سرورها و بهجتها،و قلبک مسرور بمناجاته،و ملتذ بمخاطباته،فاعلم انه -تعالى-قد صدقک فى تکبيرک،و ان سلبت لذه المناجاه،و حرمت حلاوه العباده،فاعلم أنه تعالى کذبک فى تکبيرک،و طردک عن بابه، و أبعدک عن جنابه،فابک على نفسک بکاء الثکلى،و بادر إلى العلاج قبل ان تدرکک الحسره العظمى.

فصل (دعاء الاستفتاح)

و اما دعاء الاستفتاح،فأول کلماته:(وجهت وجهى للذى فطر السماوات و الأرض)،و معلوم أن المراد بالوجه هنا هو وجه القلب دون

۱- ۱) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۱۳-۱۴۱.

الوجه الظـاهر،لأـن اللّه سبحانه منزه عن الاـمكنه و الجهـات حتى توجه اليه الوجه الظاهر.فـأنت تـدعى فى هـذا الكلام ان قلبك متوجه إلى فاطر السماوات و الأرض،فإياک ان يكون اول مفاتحتک للمناجاه بالكذب و الاختلاق،إذ لو كان قلبک متوجها إلى امـانيه،و همه فى البيت و السوق، او واقعـا فى أوديه الوساوس،او كان غافلا،لم يكن مقبلا على اللّه متوجها إليه و كنت كاذبا فى اول مخاطبتک مع ربک.فاجتهد ان ينصرف قلبک عما سواه،و تقبل عليه فى هذا الوقت،و ان عجزت عنه على الدوام، لئلا تكون كاذبا فى اول كلامک.و إذا قلت:(حنيفا مسـلما)،فاخطر ببالک أن المسـلم هو الذى سـلم المسلمون من يده و لسانه،فان لم تكن موصوفا بهـذا الوصف كنت كاذبا،فاجتهد ان تعزم عليه فى الاسـتقبال،و ان تندم على ما سبق من الأحوال.و إذا قلت.(و ما انا من المشـركين)،فاخطر ببالک الشـرک الخفى،و كونه داخلا فى الشـرک،لاطلاق الشـرک على القليل و الكثير.فلو قصدت بجزء من عبادتک غير اللّه،من مـدح الناس و طلب المنزله فى قلوبهم،كنت مشـركا كاذبا فى هذا الكلام.فانف هذا الشـرک عن نفسک،و استشـعر الخجله فى قلبک،بأن وصـفت نفسک بوصف ليست متصفه به فى الواقع.و إذا قلت:(محياى و مماتى للّه رب العالمين)، فاعلم ان هـذا حال عبد مفقود لنفسه،موجود لسيده،فان عن ذاته، باق بربه،بحيث لا يرى لذاته من حيث هى قدره و قوه،بل يعلم حياته و بقاءه من اللّه-تعالى-،و لا تكون حركاته و سكناته الا للّه تعالى.

فالقائـل بهـذا الكلام،اذا رأى لنفسه من حيث هى قـدره واثرا،او صـدر عنه فعل:من الرضا،او الغضب،او القيام،او القعود،او الرغبه فى الحياه،او الرهبه من الموت لأمور الدنيا،كان كاذبا.

فصل (الاستعاذه)

فإذا قلت:(اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم)،ينبغى ان تعلم ان الشيطان اعدى عدوک،مترصد لصرف قلبک عن اللّه،حسدا لک على مناجاتک مع اللّه و سجودک له،مع أنه لعن و طرد عن مقام القرب بترک السجده.و ينبغى ألا تكون استعاذتک باللّه منه بمجرد القول،لتكون مثل من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو يقتله،فقال:اعوذ منک بهذا الحصن الحصين،و هو ثابت على مكانه،فان ذلک لا يفيده و لا ينفعه ما لم يتحرک و يدخل الحصن.فكذلک مجرد الاستعاذه لا ينفعه ما لم يترک ما يحب الشيطان،و ما لم يأت بما يحبه اللّه.فمن اتبع الشهوات التى هى محاب الشيطان و مكاره الرحمن،لا يغنيه مجرد القول،فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن اللّه عن شر الشيطان،و حصنه(لا إله إلا اللّه)، إذ قال:«لا إله إلا اللّه حصنى،و من دخل حصنى أمن من عذابى».

و الدخول فى حصن(لا إله إلا اللّه)ليس أيضا بمجرد التكلم به،بل الاذعان القلبى و اليقين القطعى بأن كل معبود سواء باطل،و كل شيء منه و له و به و إليه،و لا مؤثر فى الوجود إلا هو.فالمحصن بالتوحيد من لا معبود له سوى اللّه،و اما من اتخذ إله هواه،فهو فى ميدان الشيطان لا فى حصن اللّه.و من مكائد اللعين أن يشغلک فى الصلاه بفكر الآخره،و تدبير فعل الخيرات،لتمنع من الحضور و فهم ما تقرأ،فاعلم أن كل ما يشغلک عن الإقبال إلى اللّه و عن فهم معانى القرآن و الاذكار فهو وسواس،إذ حركه اللسان غير مقصوده،بل المقصود المعانى. و إذا قلت: (بسم اللّه الرحمن الرحيم) ،فانوبه التبرک لابتدائک بقراءه كلام اللّه،و المراد بالاسم هنا

المسمی،فمعناه:أن کل الأشیاء و الأمور بالله،فیترتب علیه انحصار (الحمد للّه)،إذ المراد بالحمد الشکر،و الشکر إنما یکون علی النعم،فإذا کانت النعم باسرها من اللّه فیکون منحصرا به،فمن یری نعمه من غیر اللّه، او یقصد غیره سبحانه بشکر لا من حیث إنه مسخر من اللّه،ففی تسمیته و تحمیده نقصان بقدر التفاته إلی غیر اللّه سبحانه.و إذا قلت:(الرحمن الرحیم)،فاحضر فی قلبک أنواع لطفه،و ضروب إحسانه،لتتضح لک رحمته،فینبعث بها رجاؤک.و إذا قلت:(مالک یوم الدین)فاستشعر من قلبک التعظیم و الخوف،أما العظمه فلأنه لا ملک إلا هو،و أما الخوف فلهول یوم الجزاء و الحساب الذی هو مالکه.ثم جدد الإخلاص بقولک: (إیاک نعبد).و جدد العجز و الافتقار و التبری من الحول و القوه بقولک:(و إیاک نستعین)،و تحقق أنه ما تیسرت طاعتک إلا باعانته، و ان له المنه،إذ وفقک لطاعته،و استخدمک لعبادته،و جعلک أهلا لمناجاته، و لو حرمک التوفیق لکنت من المطرودین مع الشیطان الرجیم،و استحضر ان الإعانه لا تکون إلا منه،و لا یقدر غیره أن یعین أحدا،فاخرج عن قلبک الوسائل و الأسباب إلا من حیث إنها مسخره منه تعالی.و إذا قلت:(اهدنا الصراط المستقیم)،فاعلم انه طلب لأهم حاجاتک،و هی الهدایه إلی النهج الحق الذی یسوقک إلی جوار اللّه،و یفضی بک إلی مرضاته، و یوصلک إلی مجاوره من انعم اللّه علیهم نعمه الهدایه من الأنبیاء و الصدیقین و الشهداء و الصالحین،دون الذین غضب اللّه علیهم من الکفار و الزائفین من الیهود و النصاری و الصابئین.و إذا تلوت(الفاتحه)کذلک،فیشبه ان تکون ممن قال اللّه فیهم بما أخبر عنه النبی(ص):«قسمت الصلاه بینی و بین عبدی نصفین،نصفها لی،و نصفها لعبدی.یقول العبد:الحمد للّه رب

العالمین،فیقول اللّه-عز و جل-:حمدنی عبدی و اثنی علی.و هو معنی قوله:

سمع اللّه لمن حمده...»الی آخر الحدیث.فان لم یکن لک من صلاتک حظ سوی التذاذک بذکر اللّه فی جلاله و عظمته،فناهیک به غنیمه،فکیف ما ترجوه من ثوابه و فضله.و کذلک ینبغی ان تفهم و تخرج الحقائق مما تقرأه من السوره،فلا تغفل عن أمره و نهیه،و وعده و وعیده،و مواعظه و اخبار أنبیائه،و ذکر مننه و إحسانه،فلکل واحد حق:فحق الأمر و النهی العزم،و حق الوعد الرجاء،و حق الوعید الخوف،و حق الموعظه الاتعاظ و حق اخبار الأنبیاء الاعتبار،و حق ذکر المنه الشکر،و تکون هذه المعانی بحسب درجات الفهم،و یکون الفهم علی حسب العلم و صفاء القلب، و درجات ذلک لا تنحصر.و الصلاه مفتاح القلوب،فیها تنکشف أسرار الکلمات.فهذا حق القرائه،و هو أیضا حق الأذکار و التسبیحات.و اعلم ان الناس فی القراءه ثلاثه:بعضهم یتحرک لسانه و قلبه غافل.و بعضهم یتحرک لسانه و قلبه یتبع اللسان،فیسمع و یفهم منه کأنه یسمعه من غیره، و هو درجه أصحاب الیمین.و بعضهم یسبق قلبه إلی المعانی او لا،ثم یخدم اللسان قلبه فیترجمه،و فرق بین أن یکون اللسان ترجمان القلب أو یکون معلم القلب،و المقربون السنتهم ترجمان تتبع القلب.ثم ینبغی ان تراعی الهیئه فی القراءه،فترتل،و لا تسرد و لا تعجل،فان ذلک أیسر للتأمل، و تفرق بین نغماته فی آیه الرحمه و العذاب،و الوعد و الوعید،و التمجید و التعظیم،کان بعضهم إذا مر بمثل قوله:

مَا اتَّخَذَ اللّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مٰا کٰانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ

(۱)

.

یغض صوته،کالمستحیی عن ان یذکره بکل شیء.و روی:«انه

۱- ۱) المؤمنون،الآیه:۹۲.

يقال يوم القيامه لصاحب القرآن:اقرأ و ارق،فکلما قرأ آیه صعد درجه».

فصل (الرکوع)

و اما الرکوع،فینبغی ان تجدد عنده ذکر کبریاء اللّه،و ترفع بذلک معظما له منبها علی غایه عظمته و ارتفاعه،و کونه ارفع من ان تصل إلیه ایدی العقول و الاوهام،و مستجیرا بعفوه من عقابه،و تستأنف بهویک للرکوع ذلا و تواضعا،و تجتهد فی ترقیق قلبک و تجدید خشوعک، و تستشعر ذلک و عزه،و ضعفک و قوته،و عجزک و قدرته،و اتضاعک و علوه،و تستعین علی تقریر ذلک فی قلبک بلسانک،فتسبحه و تشهد له بالعظمه،و انه أعظم من کل عظیم،و تکرر ذلک علی قلبک لتترسخ فیه عظمته و جلاله،ثم ترفع عن رکوعک راجیا انه راحم ذلک،و تؤکد الرجاء فی نفسک بقولک:(سمع اللّه لمن حمده)أی:أجاب اللّه لمن شکره، و تتبع ذلک بالشکر المتقاضی للمزید،فتقول:(الحمد للّه رب العالمین)،ثم تزید فی التذلل و الخشوع و تعظیم ربک و اجلاله،فتقول:(أهل الکبریاء و العظمه و الجود و الجبروت)، روی(الصدوق)-رضوان اللّه علیه- عن أمیر المؤمنین(ع):«انه سئل عن معنی مد العنق فی الرکوع،فقال(ع):

تأویله:آمنت بک و لو ضربت عنقی».و قال الصادق(ع):«لا یرکع عبد للّه رکوعا علی الحقیقه،إلا زینه اللّه بنور بهائه،و اظله فی ظل کبریائه،و کساه کسوه اصفیائه.و الرکوع اول،و السجود ثان.فمن أتی بمعنی الأول صلح للثانی.و فی الرکوع أدب،و فی السجود قرب،و من لا یحسن الادب لا یصلح للقرب.فارکع رکوع خاشع للّه عز و جل بقلبه،متذلل و جل

تحت سلطانه،خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائده الراكعين» (۱).و حكى:«أن ربيع بن خثيم،كان يسهر بالليل إلى الفجر فى ركعه واحده،فإذا أصبح،تزفر و قال:آه!سبق المخلصون و قطع بنا».و استوف ركوعك باستواء ظهرك،و انحط عن همتك فى القيام بخدمته إلا بتأييده و عونه،و فر بقلبك من وساوس الشيطان و خدائعه و مكائده،فان الله يرفع عباده بقدر تواضعهم له،و يهديهم إلى أصول التواضع و الخضوع و الخشوع بقدر اطلاع عظمته على سرائرهم.

فصل (السجود)

و إذا هويت إلى السجود،جدد على قلبك غايه الذل و العجز و الانكسار،إذ السجود أعلى درجات الاستكانه،فمكن أعز أعضائك، و هو الوجه،لأذل الأشياء،و هو التراب،و لا تجعل بينهما حاجزا،بل اسجد على الأرض،لأنه أجلب للخضوع،و أدل على الذل.فإذا وضعت نفسك موضع الذل،و القيتها على التراب،فاعلم أنك وضعتها موضعها، ورددت الفرع إلى أصله،فانك من التراب خلقت،و إليه رددت.فعند هذا جدد على قلبك عظمه اللّه،و قل:(سبحان ربى الأعلى و بحمده)، و اكده بالتكرار،إذ المره الواحده ضعيفه الآثار،فان رق قلبك، و طهر لبك،فليصدق رجاؤك فى رحمه ربك،فان رحمته تتسارع إلى موضع الذل و الضعف،لا إلى محل التكبر و البطر.فارفع رأسك مكبرا

---

۱ - ۱) صححنا الحديث على الباب ۱۵ من(مصباح الشريعه).و على(بحار الأنوار):۱۸-۳۵۶،باب الركوع و آدابه من كتاب الصلاه.و على(المستدرك): ۱-۳۲۵،باب نوادر ما يتعلق بالركوع من كتاب الصلاه أيضا.

و مستغفرا من ذنوبک،و سائلا حاجتک،ثم اکد التواضع بالتکرار، و عد إلی السجود ثانیا کذلک. و سئل مولانا أمیر المؤمنین(ع)عن معنی السجده الأولی،قال:«تأویلها:اللهم إنک منها خلقتنا»:یعنی من الأرض،و تأویل رفع رأسک:«و منها أخرجتنا»،و السجده الثانیه:

«و إلیها تعیدنا»،و رفع رأسک:«و منها تخرجنا تاره أخری». و قال مولانا الصادق(ع):«ما خسر و اللّه-تعالی-قط من أتی بحقیقه السجود و لو کان فی العمر مره واحده،و ما افلح من خلا بربه فی مثل ذلک الحال شبیها بمخادع نفسه،غافل لاه عما اعد اللّه تعالی للساجدین من انس العاجل و راحه الآجل،و لا بعد عن اللّه تعالی أبدا من أحسن تقربه فی السجود،و لا قرب إلیه ابدا من أساء ادبه و ضیع حرمته بتعلیق قلبه بسواه فی حال سجوده.فاسجد سجود متواضع للّه ذلیل،علم انه خلق من تراب یطأه الخلق،و انه ربک من نطفه یستقذرها کل أحد،و کون و لم یکن،و قد جعل اللّه معنی السجود سبب التقرب إلیه بالقلب و السر و الروح،فمن قرب منه بعد من غیره،الا تری فی الظاهر انه لا یستوی حال السجود الا بالتواری عن جمیع الأشیاء،و الاحتجاب عن کل ما تراه العیون؟کذلک أراد اللّه تعالی امر الباطن.فمن کان قلبه متعلقا فی صلاته بشیء دون اللّه تعالی،فهو قریب من ذلک الشیء،بعید عن حقیقه ما اراد اللّه منه فی صلاته.قال اللّه تعالی:«ما جعل اللّه لرجل من قلبین فی جوفه».و قال رسول اللّه(ص):«قال اللّه عز و جل:ما اطلع علی قلب عبد فاعلم فیه حب الإخلاص لطاعتی لوجهی و ابتغاء مرضاتی،إلا تولیت تقویمه و سیاسته،و من اشتغل فی صلاته بغیری فهو من المستهزئین بنفسه،

و اسمه مکتوب فی دیوان الخاسرین» (۱).

فصل (التشهد)

إذا جلست للتشهد-بعد هذه الافعال الدقیقه و الاسرار العمیقه،المشتمله علی الاخطار الجسمیه-فاستشعر الخوف التام و الرهبه و الوجل و الحیاء، ان یکون جمیع ما سلف منک غیر واقع علی وجهه،و لا محصلا بوظائفه و شرائطه و لا مکتوبا فی دیوان القبول.فاجعل یدک صفرا من فوائدها، و ارجع إلی مبدأ الامر،و أصل الدین،اعنی کلمه التوحید و حصن اللّه الذی من دخله کان آمنا،فاستمسک به ان لم تکن لک وسیله غیره،فاشهد لربک بالوحدانیه،و احضر رسوله الکریم و نبیه العظیم ببالک،و اشهد له بالعبودیه و الرساله،و صل علیه و علی آله،مجددا عهد اللّه باعاده کلمتی الشهاده،متعرضا بهما لتأسیس مراتب العباده،فانهما اول الوسائل و أساس الفواضل،و متوسلا إلی رسول اللّه بالصلاه علیه،مترقبا بذلک عشرا من صلاته(ص)علیک-کما ورد فی الخبر-،و لو وصل الیک منها واحده افلحت ابدا. قال الصادق(ع):«التشهد ثناء علی اللّه.

فکن عبدا له فی السر خاضعا له فی الفعل،کما انک عبد له فی القول و الدعوی.و صل صدق لسانک بصفاء صدق سرک،فانه خلقک عبدا، و أمرک ان تعبده بقلبک و لسانک و جوارحک،و أن تحقق عبودیتک له و ربوبیته لک،و تعلم ان نواصی الخلق بیده،فلیس لهم نفس و لا لحظه إلا بقدرته و مشیته،و هم عاجزون عن اتیان أقل شیء فی مملکته إلا باذنه

۱- ۱) صححنا الحدیث علی:الباب ۱۶ من(مصباح الشریعه).و علی (بحار الأنوار):۱۸-۳۶۳،باب السجود و آدابه.

و إرادته.قال اللّه عز و جل:

وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مٰا يَشٰاءُ وَ يَخْتٰارُ مٰا كٰانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحٰانَ اللّٰهِ وَ تَعٰالىٰ عَمّٰا يُشْرِكُونَ

(١)

.

فكن للّه عبدا شاكرا بالقول و الدعوى،و صل صدق لسانك بصفاء سرك،فانه خلقك فعز و جل أن تكون إراده و مشيه لأحد إلاـ بسابق إرادته و مشيته،فاستعمل العبوديه فى الرضا بحكمته،و بالعباده فى أداء أوامره،و قد أمرك بالصلاه على حبيبه محمد(ص)،فاوصل صلاته بصلاته، و طاعته بطاعته،و شهادته بشهادته،و انظر ألا تفوتك بركات معرفه حرمته فتحرم عن فائده صلاته،و امره بالاستغفار لك،و الشفاعه فيك،إن اتيت بالواجب فى الأمر و النهى و السنن و الآداب،و تعلم جليل مرتبته عند اللّه عز و جل» (٢).

فصل (التسليم)

و إذا فرغت عن التشهد،فاحضر بحضره سيد المرسلين،و الملائكه المقربين،و بقيه أنبياء اللّه و أئمته-عليهم السلام-و الحفظه لك من الملائكه المحصين لأعمالك،و احضرهم جميعا فى بالك.فسلم أولا على نبيك الذى هو أفضل الكل،و واسطه هدايتك و ايمانك،بقولك:(السلام عليك أيها النبى و رحمه اللّه و بركاته).ثم توجه إلى الجميع،و سلم عليهم بقولك:

١- ١) القصص،الآيه:۶٨.

٢- ٢) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ١٧.و على(بحار الأنوار):١٨-۴٠٣،باب التشهد و احكامه.

(السلام علیکم و رحمه اللّه و برکاته).و لا تطلق لسانک بصیغه الخطاب من غیر حضور المخاطب فی ذهنک،فتکون من العابثین و اللاعبین،و کیف تسمع الخطاب لمن لا یقصد،لو لا فضل اللّه فی اجترائه بذلک عن أصل الواجب،و ان کان بعیدا عن درجات القبول،منحطا عن اوج القرب و الوصول.و ان کنت إماما لقوم،فاقصدهم بالسلام من تقدم من المقصودین،و لیقصدوا هم الرد علیک أیضا،و إذا فعلتم ذلک فقد ادیتم وظیفه السلام،و استحققتم من اللّه مزید الإکرام. قال الصادق(ع):

«معنی التسلیم فی دبر کل صلاه:الأمان،ای من أتی امر اللّه و سنه نبیه (ص)خاضعا له خاشعا منه،فله الأمان من بلاء الدنیا،و البراءه من عذاب الآخره.و السلام اسم من أسماء اللّه تعالی اودعه خلقه،لیستعملوا معناه فی المعاملات و الامانات و الانصافات،و تصدیق مصاحبتهم فیما بینهم،و صحه معاشرتهم.فان أردت ان تضع السلام موضعه،و تؤدی معناه،فاتق اللّه تعالی لیسلم منک دینک و قلبک و عقلک،ألا تدنسها بظلمه المعاصی،و لتسلم منک حفظتک الا تبرمهم و تملهم و توحشهم منک بسوء معاملتک معهم،ثم مع صدیقک،ثم مع عدوک.فان من لم یسلم منه من هو الاقرب الیه فالابعد أولی،و من لا یضع السلام مواضعه هذه فلا سلام و لا اسلام و لا تسلیم،و کان کاذبا فی سلامه و ان افشاه فی الخلق» (۱).

فصل (إفاضه الأنوار علی المصلی علی قدر صفائه)

اعلم ان تخلیص الصلاه عن الآفات،و اخلاصها لوجه اللّه،و ادائها بالشروط الباطنه المذکوره،من الحضور،و الخشوع،و التعظیم،و الهیبه،

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(مصباح الشریعه):الباب ۱۸-۱۴۴.

و الحیاء:سبب لحصول أَنوار فی القلب،تکون تلک الأنوار مفاتیح للعلوم الباطنه،و انما یفیض منها علی کل مصل علی قدر صفائه من کدورات الدنیا،و یختلف ذلک بالقله و الکثره،و القوه و الضعف،و الجلاء و الخفاء،و یختلف أیضا بما ینکشف من العلوم،فینکشف لبعضهم من صفات اللّه و جلاله،و لبعضهم من عجائب افعاله،و لبعضهم من دقائق علوم المعامله،و لبعضهم غیر ذلک،و أولی بالظهور و الافاضه لکل شخص ما یهمه و یکون فی طلبه.و إلی ما ذکرنا من ترتب الافاضه العلویه علی الصلاه الخالصه لوجه اللّه المؤداه بالشروط المذکوره،أشار النبی(ص)بقوله:

«ان العبد إذا قام فی الصلاه،رفع اللّه الحجاب بینه و بین عبده،و واجهه بوجهه،و قامت الملائکه من لدن منکبیه إلی الهواء،یصلون بصلاته،و یؤمنون علی دعائه،و ان المصلی لینشر علیه البر من أعنان السماء إلی مفرق رأسه، و ینادیه مناد:لو علم المصلی من یناجی ما التفت.و ان ابواب السماء تفتح للمصلین،و ان اللّه یباهی ملائکته بصدق المصلی».فان رفع الحجاب و فتح ابواب السماء کنایه عن إفاضه العلوم الباطنه علیه. و ورد فی التوراه:

«یا ابن آدم،لا تعجز أن تقوم بین یدی مصلیا باکیا،فأنا اللّه الذی اقتربت من قلبک،و بالغیب رأیت نوری».و ورد:«ان العبد إذا صلی رکعتین، عجبت منه عشره صفوف من الملائکه،کل صف منهم عشره آلاف، و باهی اللّه به مائه الف».و ذلک لان العبد جمع فی الصلاه بین القیام و القعود، و الرکوع و السجود،و الذکر باللسان،و غیر ذلک.و لیس لملک من الملائکه هذا القسم من العباده الجامعه بین الکل،بل هذه الأفعال موزعه علیهم، فبعضهم قائمون لا یرکعون إلی یوم القیامه،و بعضهم ساجدون لا یرفعون الی یوم القیامه،و هکذا الراکعون و القاعدون،فان ما أعطی الملائکه

من القرب و الرتبه لازم لهم،مستمر على حاله واحده،لا تزيد و لا تنقص، و ليس لهم مرتبه الترقى من درجه إلى أخرى،و باب المزيد مسدود عليهم، و لذلک قالوا:«و ما منا إلا له مقام معلوم»،بخلاف الإنسان،فان له الترقى فى الدرجات،و التقلب فى اطوار الکمالات،و مفتاح مزيد الدرجات هى الصلاه،قال اللّه سبحانه:«قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون»،فمدحهم بعد الايمان بصلاه مخصوصه،و هى المقرونه بالخشوع، ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلاه أيضا،فقال فى آخرها:

وَ الَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلَوٰاتِهِمْ يُحٰافِظُونَ ،ثم قال فى ثمره تلک الصفات: أُولٰئِکَ هُمُ الْوٰارِثُونَ، اَلَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ (۱).

فوصفهم بالفلاح أولا،و بوراثه الفردوس آخرا.فالمصلون هم ورثه الفردوس،و ورثه الفردوس هم المشاهدون لنور اللّه بقربه و دنوه بالقلب.

و کل عاقل يعلم ان مجرد حرکه اللسان و الجوارح،مع غفله القلب،لا تنتهى درجته إلى هذا الحد.

فصل (ما ينبغى فى إمام الجماعه)

ينبغى لامام الجماعه:ان يختص من بين القوم بمزيد صفاء القلب، و إقباله إلى اللّه،و الخشوع و التعظيم،و غير ذلک من الشرائط الباطنه، لانه القدوه و الجاذب لنفوس الجماعه إلى اللّه،فما اقبح به ان يکون قلبه

ص:۳۵۹

۱- ۱) المؤمنون،الآيه:۹-۱۱.

غافلا عن اللّه،او واقعا فى أوديه الوساوس الباطله فى الصلاه،و يكون بعض من اقتدى به من القوم خاشعا حاضر القلب معظما للّه سبحانه،و ما اشنع به ان يكون التفات قلبه إلى من وراءه من الناس الذين لا يقدرون على شىء من النفع و الضر أكثر من التفات قلبه إلى مالك الملك و الملكوت، أولا- يستحيى من علام الغيوب ان ينصب نفسه قدوه لأمه سيد الرسل (ص)،و يحل محل رسول اللّه(ص)و اوصيائه الراشدين-عليهم السلام-، و ينوب عنهم،و يكون تغير قلبه و تأثر نفسه عن ضعفاء العوام الذين اقتدوا به أشد من انفعاله و تأثره من عظمه اللّه و جلاله؟!أو لا يخجل عند اللّه من تفاوت حاله بكثره المأمومين و قلتهم؟فينبغى لكل امام قوم ان يمتحن نفسه،فان لم تكن له هذه الصفات الخبيثه،فليؤم،و إلا-فليترك و لا-يهلك نفسه،و يعرف ذلك بأن يكون فرحه بامامه نفسه كفرحه بامامه غيره من أمثاله و اقرانه،بل إن كان قصده و فرحه بمجرد اقامه السنه، و احياء رسوم المله،فينبغى ان يكون فرحه بامامه غيره ممن هو مرضى، و الاهتمام به،أكثر من إمامه نفسه،لحصول المقصود مع السلامه عن الغوائل المحتمله،و ينبغى-أيضا-ألا يكون باعثه و محركه إلى المسجد لامامه القوم إلا القربه و رجاء الثواب،فلو كان فى بعض زوايا قلبه باعث خفى من حب الشهره و المنزله فى القلوب،أو الوصول إلى ما ينتظم به معاشه،فله الويل و الثبور،و يكون ممن ضل و اضل و هلك و أهلك!

فصل (ما ينبغى فى صلاه الجمعه و العيدين)

ينبغى للحاضر إلى صلاه الجمعه و العيدين:ان يستحضر ان هذه الأيام

أيام شريفه عظيمه،و اعياد مباركه كريمه،قد خص اللّه بها هذه الأمه، و جعلها اوقاتا شريفه لعباده،ليقربهم فيها من جواره،و يبعدهم من عذابه و ناره،و حثهم فيها على الإقبال بصالح الاعمال،و تلافى ما فرط منهم فى بقيه الأيام و الشهور من الإهمال.فلا جرم وجب الاهتمام بصلاتها زياده على سائر الصلوات،من التهيؤ و الاستعداد للقاء اللّه،و الوقوف بين يديه، و المثول فى حضرته،و الفوز بمخاطبته.فليجتهد بعد الإتيان بالوظائف الظاهره،من التنظيف،و التطييب،و التعمم،و حلق الرأس،و قص الشارب و الاظفار،و غير ذلک من السنن...فى تخليص النيه،و إحضار القلب،و اكثار الخشوع،و الابتهال إلى اللّه تعالى فى صلاته.و ينبغى أن يحضر قلبه فى العيدين من قسمه الجوائز،و تفرقه الرحمه،و إفاضه المواهب فيهما على من قبل صومه و قربانه و قام بوظائفهما،فليكبر فى صلاتهما و قبلها و بعدها فى قبول أعماله و العفو عن تقصيراته،و ليستشعر الخجله و الحياء من خسران الرد،و خذلان الطرد،فتخسر صفقته،و تظهر بعد ذلک حسرته،فيفوز الفائزون،و يسبق السابقون،و ينجو المخلصون،و هو يكون من الخائبين الخاسرين.

فصل (ما ينبغى للمؤمن عقد ظهور الآيات)

اشاره

إذا ظهرت الآيات،من الكسوف و الخسوف و الزلازل و غيرها، ينبغى لكل مؤمن ان يستحضر عندها أهوال الآخره و زلازلها،و تكور الشمس و القمر،و ظلمه القيامه،و وجل الخلائق،و خوفهم من الأخذ و النكال و العقوبه و الاستئصال،فيكثر فى صلاتها من الدعاء و الابتهال بمزيد الخضوع و الخشوع و الهيبه و الخوف،فى النجاه من تلک الشدائد ورد

النور بعد الظلمه و المسامحه على الهفوه،و ينبغى ان يكون منكسر النفس، مطرق الرأس،مستحييا من التقصير،مستشعرا بقلبه عظمه اللّه و جلاله.

و بالجمله:حصول الخوف و الخشيه،و المبادره إلى التضرع و الابتهال،و أداء الصلاه بالإقبال و الخشوع عند ظهور الآيات،من شعار أهل الايمان.قال سيد الساجدين(ع):«لا يفزع للآيتين و لا يرهب إلا من كان من شيعتنا،فان كان ذلك منهما،فافزعوا إلى اللّه و راجعوه».و قال الرضا (ع):«إنما جعلت للكسوف صلاه،لأنه من آيات اللّه تعالى،لا يدرى ألرحمه ظهرت أم لعذاب،فاحب النبى(ص)أن يفزع أمته إلى خالقه و راحمه عند ذلك،ليصرف عنهم شرها،و يقيهم مكروهها،كما صرف عن قوم يونس(ع)حين تضرعوا إلى اللّه تعالى».

المقصد الثالث الذكر-فضيله الاذكار-الدعاء

اشاره

اعلم انه ينبغى لكل مؤمن أن يكثر من الذكر و الدعاء،لا سيما عقيب الصلاه المفروضه.و قد ورد فى فضائلهما من الآيات و الأخبار ما لا يمكن احصاؤه،و لاشتهارها لا حاجه إلى ذكرها هنا.

فصل (الذكر)

اشاره

أما الذكر،فالنافع منه هو الذكر على الدوام،أو فى أكثر الأوقات،مع حضور القلب،و فراغ البال،و التوجه الكلى إلى الخالق المتعال،حتى يتمكن المذكور فى القلب،و تتجلى عظمته الباهره عليه،

و ینشرح الصدر بشروق نوره علیه،و هو غایه ثمره العبادات.و للذکر أول و آخر،فاوله یوجب الانس و الحب،و آخره یوجبه الأنس و الحب.

و المطلوب منه ذلک الحب و الانس.فان العبد فی بداءه الأمر یکون متکلفا بصرف قلبه و لسانه عن الوسواس و الفضول إلی ذکر اللّه،فان وفق للمداومه أنس به و انغرس فی قلبه حب المذکور.و من أحب شیئا أکثر ذکره،و من أکثر ذکر شیء،و ان کان تکلفا،أحبه.و من هنا قال بعضهم:«کاءدت القرآن عشرین سنه،ثم تنعمت به عشرین سنه».و لا تصدر النعم إلا من الأنس و الحب،و لا یصدر الانس و الحب إلا من المداومه علی المکاءده و التکلف مده طویله،حتی یصیر التکلف طبعا.

و کیف یستبعد هذا و قد یتکلف الإنسان تناول طعام یستبشعه أولا،و یکائد اکله،و یواظب علیه،فیصیر موافقا للطبعه حتی لا یصبر عنه؟فالنفس تصیر معتاده متحمله لما تکلفت:«هی النفس ما عودتها تتعود».

ثم إذا حصل الانس بذکر اللّه انقطع عن غیر اللّه،و ما سوی اللّه یفارقه عند الموت،و لا یبقی إلا ذکر اللّه،فان کان قد انس به تمتع به و تلذذ بانقطاع العوائق الصارفه عنه،إذ ضرورات الحاجات فی الحیاه تصد عن ذکر اللّه،و لا یبقی بعد الموت عائق،فکأنه خلی بینه و بین محبوبه،فعظمت غبطته،و تخلص من السجن الذی کان ممنوعا فیه عما به انسه، و هذا الانس یتلذذ به العبد بعد موته إلی ان ینزل فی جوار الله،و یترقی من الذکر إلی اللقاء، قال الصادق(ع):«من کان ذاکرا للّه علی الحقیقه فهو مطیع،و من کان غافلا عنه فهو عاص،و الطاعه علامه الهدایه،و المعصیه علامه الضلاله،و اصلهما من الذکر و الغفله،فاجعل قلبک قبله للسانک، و لا تحرکه إلا باشاره القلب،و موافقه العقل،و رضا الایمان،فان اللّه

تعالی عالم بسرک و جهرک،و کن کالنازع روحه،او کالواقف فی العرض الاکبر،غیر شاغل نفسک عما عناک مما کلفک به ربک فی أمره و نهیه و وعده و وعیده،و لا تشغلها بدون ما کلفک به ربک،و اغسل قلبک بماء الحزن،و اجعل ذکر اللّه تعالی من اجل ذکره تعالی إیاک،فانه ذکرک و هو غنی عنک،فذکره لک اجل و اشهی و اثنی و أتم من ذکرک له و اسبق، و معرفتک بذکره لک تورثک الخشوع و الاستحیاء و الانکسار،و یتولد من ذلک رؤیه کرمه و فضله السابق،و تصغر عند ذلک طاعتک و إن کثرت فی جنب منته،و تخلص لوجهه،و رؤیتک ذکرک له،یورثک الریاء و العجب و السفه و الغلظه فی خلقه،و استکثار الطاعه و نسیان فضله و کرمه،و لا تزداد بذلک من اللّه تعالی إلا بعدا،و لا تستجلب به علی مضی الأیام إلا وحشه.و الذکر ذکران:ذکر خالص بموافقه القلب،و ذکر صارف لک ینفی ذکر غیره،کما قال رسول اللّه(ص):(انا لا أحصی ثناء علیک، انت کما أثنیت علی نفسک).فرسول اللّه(ص)لم یجعل لذکره اللّه عز و جل مقدارا عند علمه بحقیقه سابقه ذکر اللّه عز و جل من قبل ذکره،و من دونه أولی،فمن أراد ان یذکر اللّه تعالی،فلیعلم انه ما لم یذکر اللّه العبد بالتوفیق لذکره،لا یقدر العبد علی ذکره» (۱).

تتمیم (فضیله الاذکار)

الاذکار کثیره،کالتهلیل،و التسبیح،و التحمید،و التکبیر،

---

۱ - ۱) الحدیث مذکور فی(مصباح الشریعه):الباب ۵-۱۳۶.و فی (المستدرک):۱-۴۰۱،کتاب الصلاه،ابواب الذکر.و فی الموضعین اختلاف یسیر،فصححناه علی(مصباح الشریعه)،الموضع المذکور.

و الحوقله،و التسبيحات الأربع،و أسماء اللّه الحسنى،و غير ذلک.و قد وردت فى فضيله كل منها أخبار كثيره،و المواظبه على كل منها توجب صفاء النفس و انشراح الصدر،و كلما كانت أدل على غايه العظمه و الجلال و العزه و الكمال،فهى أفضل.و لذا صرحوا بأن أفضل الاذكار التهليل،لدلالته على توحده فى الألوهيه،و استناد الكل إليه.و ربما كان بعض أسماء اللّه تعالى فى مرتبته أدل،و العارف السالک إلى اللّه يعلم:أنه قد ينبعث فى القلب من عظمه اللّه و جلاله و شده كبريائه و كماله ما لا يمكن التعبير عنه باسم.

فصل (الدعاء)

و أما الدعاء،فهو مخ العباده،و لذا ورد فى فضله ما ورد من الآيات و الأخبار،و لا حاجه إلى ذكرها لاشتهارها.و الأدعيه المأثوره كثيره مذكوره فى كتب الدعوات،و لا ـ يتصور مطلب من مطالب الدنيا و الآخره إلا و قد وردت به أدعيه،فمن أراد شيئا منها فليأخذ من مواضعها.

و مما ينبغى لكل داع،أن يراعى شرائط و آدابا فى الدعاء،حتى يستجاب له، و يصل إلى فائدته،و تحصل لنفسه نورانيه،و هى أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفه،و الأحوال الشريفه،و الاماكن المتبركه المشرفه، و ان يدعو متطهرا، مستقبل القبله، رافعا يديه بحيث يرى باطن إبطيه، و ان يخفض صوته بين الجهر و الاخفات، و لا ـ يتكلف السجع فى دعائه، و يكون فى غايه التضرع و الخشوع و الرهبه،و أن يجزم و يتيقن إجابه دعائه، و يصدق رجاءه فيه، و ان يلح فى الدعاء،و يكرره ثلاثا، و يفتح الدعاء بذكر اللّه و تمجيده،و لا يبتدئ بالسؤال، و أن يتوب،و يرد مظالم العباد، و يقبل على اللّه بكنه الهمه،و هو السبب القريب للاجابه، و ان

یکون مطعمه و ملبسه من الحلال،و هو أیضا من عمده الشرائط، و أن یسمی حاجته، و یعم فی الدعاء، و یبکی عنده،و هو أیضا سید الآداب، و ان یتقدم فی الدعاء قبل الحاجه إلیه، و ألا یعتمد فی حوائجه علی غیر اللّه تعالی،قال الصادق(ع):«احفظ أدب الدعاء،و انظر من تدعو،و کیف تدعو،و لما ذا تدعو،و حقق عظمه اللّه و کبریاءه،و عاین بقلبک علمه بما فی ضمیرک،و اطلاعه علی سرک و ما تکن فیه من الحق و الباطل،و اعرف طرق نجاتک و هلاکک،کیلا تدعو اللّه بشیء عسی فیه هلاکک و أنت تظن أن فیه نجاتک،قال اللّه تعالی:

وَ یَدْعُ الْإِنْسٰانُ بِالشَّرِّ دُعٰاءَهُ بِالْخَیْرِ وَ کٰانَ الْإِنْسٰانُ عَجُولاً

(۱)

.

و تفکر ما ذا تسأل،و لما ذا تسأل.و الدعاء استجابه الکل منک للحق، و تذویب المهجه فی مشاهده الرب،و ترک الاختیار جمیعا،و تسلیم الأمور کلها-ظاهرها و باطنها-الی اللّه تعالی،فان لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابه،فانه یعلم السر و أخفی،فلعلک تدعوه بشیء قد علم من سرک خلاف ذلک.و اعلم انه لو لم یکن اللّه أمرنا بالدعاء،لکنا إذا اخلصنا الدعاء تفضل علینا بالإجابه،فکیف و قد ضمن ذلک لمن أتی بشرائط الدعاء،و سئل رسول اللّه(ص)عن اسم اللّه الأعظم،فقال:(کل اسم من أسماء اللّه أعظم).ففرغ قلبک عن کل ما سواه،و ادعه بأی اسم شئت، فلیس فی الحقیقه للّه اسم دون،بل هو اللّه الواحد القهار.و قال النبی(ص):

(إن الله لا یستجیب دعاء من قلب لاه).فإذا اتیت بما ذکرت لک من

۱- ۱) الاسراء،الآیه:۱۱.

شرائط الدعاء،و اخصلت سرک لوجهه،فأبشر بإحدى ثلاث:إما ان يعجل لک بما سألت،و إما ان يدخر لک بما هو أفضل منه،و إما ان يصرف عنک من البلاء ما لو أرسله عليك لهلكت» (١). و سئل من الصادق(ع):

ما لنا ندعوا و لا يستجيب لنا؟فقال:«لانكم تدعون من لا تعرفونه، و تسألون من لا تفهمونه،فالاضطرار عين الدين،و كثره الدعاء مع العمى عن اللّه من علامه الخذلان،لان من لم يعرف ذله نفسه و قلبه و سره تحت قدره اللّه،حكم على اللّه بالسؤال،و ظن ان سؤاله دعاء،و الحكم على اللّه من الجرأه على اللّه تعالى».

المقصد الرابع (تلاوه القرآن)

اعلم انه لاحد لثواب تلاوه القرآن،و الاخبار الوارده فى عظم اجره و وفور ثوابه لا تحصى كثره،و كيف لا يعظم أجره و هو كلام اللّه، حامله روح الأمين إلى سيد المرسلين،فتأمل ان الكلام الصادر من اللّه بلا واسطه،إذا كان من حيث اللفظ معجزه لغايه فصاحته،و من حيث المعنى متضمنا لاصول حقائق المعارف و المواعظ و الاحكام،و مخبرا عن دقائق صنع اللّه،و عن مغيبات الأحوال و القصص الواقعه فى سوالف القرون و الاعوام،كيف يكون تأثيره للقلوب و تصفيته للنفوس؟.و بالجمله:العقل و النقل و التجربه شواهد متظاهره على عظم ثواب تلاوه القرآن،و الاخبار الوارده فيه مشهوره،فلا حاجه إلى ذكرها،فلنشر إلى بعض ما يتعلق بالتلاوه من الآداب الظاهره و الباطنه:

١- ١) الحديث مذكور فى(مصباح الشريعه):الباب ١٩-١۴۵-١۴۶. و فيه اختلاف كثير عما هنا،فصححناه على(المصباح)،الموضع المذكور.

أما الآداب الظاهره،فالوضوء،و الوقوف على هيئه الادب، و الطمأنينه،إما قائما او جالسا،مستقبل القبله،مطرقا رأسه،غير متربع و لا متكئ،و الترتيل و البكاء،و الجهر المتوسط لو أمن من الرياء،و إلا فالسر أفضل،و تحسين القراءه و تنزيهها،و مراعاه حق الآيات،فإذا مر بآيه السجود سجد،و إذا مر بآيه العذاب استعاذ منه باللّه،و إذا مر بآيه الرحمه و نعيم الجنه سأل اللّه تعالى ان يرزقه،و إذا مر بآيه تسبيح او تكبير سبح و كبر،و إذا مر بآيه دعاء او استغفار دعا و استغفر،و افتتاح القراءه بقوله:(اعوذ باللّه السميع العليم من الشيطان الرجيم)،و أن يقول عند الفراغ من كل سوره:(صدق اللّه العلى العظيم و بلغ رسوله الكريم، اللهم انفعنا به و بارك لنا فيه،و الحمد للّه رب العالمين).

و اما الآداب و الأعمال الباطنه:

فمنها-فهم عظمه الكلام و علوه،و فضل اللّه تعالى و لطفه بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله إلى درجه افهام خلقه:فلينظر كيف لطف بخلقه فى إيصال معانى كلامه الذى هو صفه قائمه بذاته إلى افهام خلقه،و كيف تجلت لهم تلك الصفه فى طى حروف و اصوات هى صفات البشر،إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات اللّه الا بوسيله صفات نفسه،و لو لا استتار كنه جمال كلامه بكسوه الحروف،لما ثبت سماعه عرش و لا ثرى،و لا شىء ما بينهما،من عظمه سلطانه و سبحات نوره،و لو لا تثبيت اللّه موسى (ع)لما اطاق سماع كلامه،كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكا و لا يمكن تفهيم عظمه الكلام إلا بأمثله على حد فهم الخلق،و لهذا عبر عنه بعض العارفين،فقال:«إن كل حرف من كلام اللّه فى اللوح أعظم من جبل قاف،و ان الملائكه لو اجتمعت على الحرف الواحد ان ينقلوه ما اطاقوه،

حتى یأتى أسرافیل،و هو ملک اللوح،فیرفعه.فنقله باذن اللّه و رحمته، لا بقوته و طاقته».و إیصال معانى الکلام مع علو درجته إلى فهم الإنسان مع قصور رتبته،تشابه من درجه تصویت الإنسان البهائم و الطیور.فان الإنسان لما أراد تفهیم بعض الدواب و الطیور ما یرید من اقبالها و ادبارها و تقدیمها و تأخیرها،و کان تمییزها قاصرا عن فهم کلامه الصادر عن عقله مع حسنه و ترتیبه و بدیع نظمه،فینزل إلى درجه تمییز البهائم،و یوصل مقاصده إلیها بأصوات لائقه بها،من النفیر و الصغیر و الأصوات القریبه من أصواتها،یطیقون حملها.و کذلک الناس،لما کانوا عاجزین عن حمل کلام اللّه بکنهه و کمال صفاته،فتنزل من عرش العظمه و الجلال إلى درجه أفهامهم،فتجلى فى مظاهر الأصوات و الحروف،و قد یشرف الصوت لأجل الحکمه المحبوه فیه.فکما ان بدن البشر یکرم و یعزز لمکان الروح،فکذلک أصوات الکلام تشرف للحکمه التى فیها.و الکلام عالى المنزله،رفیع الدرجه،قاهر السلطان،نافذ الحکم فى الحق و الباطل،و هو القاضى العادل،یأمر و ینهى،و لا طاقه للباطل ان یقوم قدام کلام الحکمه کما لا یستطیع الظل ان یقوم قدام شعاع الشمس،و لا طاقه للناس أن ینفذوا غور الحکمه،کما لا طاقه لهم أن ینفذوا بأبصارهم ضوء عین الشمس،و لکنهم ینالون منها ما تقدر به أبصارهم و یستدلون به على حوائجهم.فالکلام کالملک المحجوب،الغائب وجهه،المشاهد أمره، فهو مفتاح الخزائن النفیسه،و شراب الحیاه الذى من شرب منه لم یمت، و دواء الأسقام الذى من سقى منه لم یسقم.

و منها-تعظیم المتکلم:فینبغى للقارئ عند الابتداء بالتلاوه،أن یحضر فى قلبه عظمه المتکلم،و یعلم أنه لیس من کلام البشر،بل هو کلام

خالق الشمس و القمر،و فی تلاوه کلامه غایه الخطر،إذ کما لا ینبغی أن تمس جلده و ورقه و حروفه البشره المستقذره بخبث أو حدث،فکذلک لا ینبغی أن تقرأه الالسنه المستخبثه بقبائح الکلمات،و الا تحوم حول معناه القلوب المکدره برذائل الأخلاق و الصفات،فکما أنه لا یصلح لمس ظاهر خطه کل ید،بل هو محروس عن ظاهر بشره اللامس،إلا إذا کان متطهرا،فکذلک لا یصلح لتلاوه حروفه کل لسان،و لا لنیل معانیه کل قلب،بل باطن معناه لعلوه و جلاله محجوب عن باطن القلوب،إلا إذا کانت منقطعه عن کل رجس،مستنیره بنور التعظیم و التوقیر .و بالجمله:ینبغی ألا یترک عند التلاوه تعظیم المتکلم له،لیتحقق تعظیم الکلام أیضا،اذ تعظیم الکلام بتعظیم المتکلم،و لو لم تحضره عظمه المتکلم لغفله قلبه، فلیرجع إلی التفکر فی صفاته و افعاله،و یستحضر ان المتکلم هو الذی اوجد و اظهر بمجرد إرادته کل ما یشاهده و یسمعه،من العرش و الکرسی و السماوات و الأرضین،و ما فیها و ما تحتها و ما فوقها،و انه الخالق و الرازق للجمیع،و الکل فی قبضه قدرته مسخر أسیر،و مردد بین فضله و رحمته، و بین نقمته و سطوته،و جمیع ذلک لا نسبه له إلی عوالم المجردات.فالتفکر فی أمثال ذلک یوجب استشعار القلب لعظمه المتکلم و الکلام.و لمثل هذا التعظیم کان بعضهم إذا نشر المصحف للتلاوه غشی علیه،و یقول:(هو کلام ربی،هو کلام ربی!).

و منها-الخضوع و الرقه:قال الصادق(ع):«من قرأ القرآن،و لم یخضع و لم یرق قلبه،و لا ینشئ حزنا و وجلا فی سره،فقد استهان عظیم شأن اللّه تعالی،و خسر خسرانا مبینا.فقارئ القرآن محتاج إلی ثلاثه أشیاء:قلب خاشع،و بدن فارغ،و موضع خال.فإذا خشع للّه قلبه فر منه

الشیطان الرجیم،قال اللّه تعالی:

فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

(۱)

.

فإذا تفرغ نفسه من الأسباب،تجرد قلبه للقراءه،فلا یعرضه عارض فیحرمه برکه نور القرآن و فوائده.فإذا اتخذ مجلسا خالیا،و اعتزل عن الخلق بعد ان أتی بالخصلتین:خضوع القلب و فراغ البدن،استأنس روحه و سره باللّه عز و جل،و وجد حلاوه مخاطبات اللّه عز و جل عباده الصالحین،و علم لطفه بهم و مقام اختصاصه لهم،بفنون کراماته،و بدائع اشاراته،فان شرب کأسا من هذا المشرب حینئذ،لا یختار علی ذلک الحال حالا،و لا علی ذلک الوقت وقتا،بل یؤثره علی کل طاعه و عباده،لان فیه المناجاه مع الرب بلا واسطه،فانظر کیف تقرأ کتاب ربک و منشور ولایتک،و کیف تجیب اوامره و نواهیه،و کیف تمتثل حدوده:

وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ، لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

(۲)

.

فرتله ترتیلا،وقف عند وعده و وعیده،و تفکر فی أمثاله و مواعظه، و احذر أن تقع من اقامتک حروفه فی اضاعه حدوده» (۳).

و منها-حضور القلب،و ترک حدیث النفس:و هو یترتب علی التعظیم،فان من یعظم شیئا،کلاما کان او غیره،یستبشر و یستأنس

۱- ۱) النحل،الآیه:۹۸.

۲- ۲) فصلت،الآیه:۴۱-۴۲.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی(مصباح الشریعه):الباب ۱۴-۱۴۲.

به،و لا یغفل عنه.و لا ریب فی ان القرآن یشتمل علی ما یستانس به القلب و تفرح به النفس،ان کان التالی أهلا له.

و منها-التدبر:و هو زائد علی حضور القلب،اذ التالی ربما لم یتفکر فی غیر القرآن،و لکنه اقتصر علی سماعه من نفسه،من دون تدبر فیه.و المقصود من تلاوه القرآن التدبر فیه فی الباطن،قال اللّه سبحانه:

أَ فَلاٰ یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلیٰ قُلُوبٍ أَقْفٰالُهٰا

(١)

.

و قال أمیر المؤمنین(ع):«لا خیر فی عباده لا فقه فیها،و لا فی قراءه لا تدبر فیها».و إذا لم یتمکن من التدبر إلا بالتردید فلیردد.و لذلک کان الأکابر کثیرا ما یکررون بعض الآیات مرات کثیره للتدبر فیها،و ربما یقفون عند آیه مده مدیده،و قال بعضهم:«لی فی کل جمعه ختمه،و فی کل شهر ختمه،و فی کل سنه ختمه،ولی ختمه منذ ثلاثین ما فرغت منها بعد!»،و ذلک بحسب درجات تدبره و تفتیشه.

و منها-التفهم:و هو ان یستوضح من کل آیه ما یلیق بها.إذ القرآن یشتمل علی ذکر صفاته تعالی،و ذکر افعاله،و ذکر الجنه و النار، و أحوال النشأه الآخره،و ذکر أحوال أنبیائه،و أحوال المکذبین،و أنهم کیف اهلکوا،و ذکر احکامه و اوامره و نواهیه و غیر ذلک.فان مر بآیات صفاته تعالی،کقوله:

لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ وَ هُوَ السَّمِیعُ الْبَصِیرُ

(٢)

.

ص:٣٧٢

١- ١) محمد-صلی اللّه علیه و آله-،الآیه:٢۴.

٢- ٢) الشوری،الآیه:١١.

و كقوله تعالى: اَلْمَلِكَ الْقُدُّوسُ السَّلاٰمُ... الى آخر الآيه (۱)،و غير ذلك.

فليتأمل فى معانى هذه الأسماء و الصفات،لتنكشف له أسرارها المكنونه تحتها،و لا تنكشف هذه الأسرار إلا للمؤيدين فى فهم كتاب اللّه.قال أمير المؤمنين(ع):«ما أسر الى رسول اللّه(ص)شيئا كتمه عن الناس،إلا ان يؤتى اللّه عز و جل عبدا فهما فى كتابه». و إن مر بآيات الأفعال،اى الآيات الحاكيه عن خلقه السماوات و الأرض، و ما فيهما من الملائكه و الكواكب و الجبال و الحيوان و النبات،و ما بينهما من السحب و الغيوم و الرياح و الامطار و غير ذلك،فليفهم التالى منها عظمه اللّه و جلاله.إذ الفعل يدل على الفاعل،فعظمته تدل على عظمته.و ينبغى ان يشهد فى الفعل الفاعل دون الفعل،إذ من عرف الحق رآه فى كل شىء، إذ كل شىء منه و به و إليه و له،فهو الكل فى وحده،و من لا يراه فى كل ما يراه فكأنه ما عرفه،و من عرفه عرف ان كل شىء ما خلا اللّه باطل،و ان كل شىء هالك إلا وجهه،و ان اعتبر من حيث هو،إذ مع قطع النظر عن الواجب و ايجاده،لا ذات و لا وجود،بل محض العدم و عدم المحض.فذات كل شىء و وجوده و ثباته و بقاؤه باللّه العلى العظيم.فإذا قرأ التالى آيه تدل على شىء من عجائب صنعه و غرائب فعله،فليتأمل فى تلك العجائب،ثم يترقى منها الى اعجب العجائب،و هى الصفه التى صدرت منها هذه الاعاجيب.و إذا سمع وصف الجنه و النار و سائر أحوال الآخره،فليتذكر ان ما فى هذا العالم من النعم و النقم لا نسبه له إلى ما فى عالم الآخره،فلينتقل من ذلك

۱- ۱) الحشر،الآيه:۲۳.

إلی عظمه اللّه تعالی،و ینقطع إلیه باطنا،لیخلصه من عقوبات تلک النشأه، و یوصله إلی نعیمها و لذاتها.و إذا سمع أحوال الأنبیاء-علیهم السلام-،من تکذیبهم و ضربهم و قتلهم،فلیفهم منه صفه الاستغناء للّه تعالی من الرسل و المرسل الیهم،و انه لو أهلک جمیعهم لا یؤثر فی ملکه،و إذا سمع نصرتهم فی الامر،فلیفهم قدره اللّه و إرادته لنصره الحق،و اما أحوال المکذبین، و ما جری علیهم من العقوبات و ضروب النکال،فلیستشعر الخوف من سطوته و نقمته،و یعتبر فی نفسه،و یعلم انه غفل و اساء الادب،و اغتر بما امهل،فربما تدرکه النقمه.و کذلک إذا سمع الوعد و الوعید و الامر و التهدید.فلا یمکن استقصاء ما یفهم من القرآن،لانه لا نهایه له،إذ (لا رطب و لا یابس إلا فی کتاب مبین).

قُلْ لَوْ کٰانَ الْبَحْرُ مِدٰاداً لِکَلِمٰاتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِمٰاتُ رَبِّی

(۱)

.

و لکل عبد منه بقدر استعداده و مقدار فهمه و صفاء نفسه.

و منها-التخلی عن موانع الفهم:و هی التقلید و التعصب لمذهب، فان ذلک بمنزله حجاب لمرآه النفس یمنعها عن انعکاس غیر معتقدها فیها، و الجمود علی تفسیر ظاهر،ظانا ان غیره تفسیر بالرأی لا یجوز ارتکابه، و صرف الهمه و الفهم إلی تحقیق الحروف و ما یتعلق بها من الأمور المتداوله بین القراء،فان قصر التأمل علی ذلک مانع من انکشاف المعانی، و الإصرار علی الذنوب الظاهره و الباطنه،و متابعه الشهوات المظلمه للقلب الموجبه للحرمان عن انکشاف الاسرار و الحقائق فیه،و اشراق المعارف الحقه علیه.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«اذا عظمت

۱- ۱) الکهف،الآیه:۱۱۰.

أمتی الـدینار و الدرهم،تنزع منها هیبه الإسـلام،و إذا ترکوا الامر بالمعروف حرموا برکه الوحی»‌.و قد شـرط اللّه تعالی الإنابه فی الفهم و التذکر، قال اللّه تعالی:

تَبْصِرَةً وَ ذِکْریٰ لِکُلِّ عَبْدٍ مُنِیبٍ

(۱)

.و قال تعالی: وَ مٰا یَتَذَکَّرُ إِلاّٰ مَنْ یُنِیبُ (۲).و قال تعالی:

إِنَّمٰا یَتَذَکَّرُ أُولُوا الْأَلْبٰابِ

(۳)

.

و منهـا-التخصیص:و هو ان یقـدر انه المقصود بکـل خطـاب فی القرآن،من الامـر و النهی و الوعـد و الوعیـد،حـتی انه لو سـمع قصص الأولین،یجزم بأن المقصود الاعتبار دون مجرد الحکایه و التشمر.فما من قصه فی القرآن إلا و سیاقها الفائده فی حق النبی و أمته،و لذلک قال سبحانه:

مٰا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤٰادَکَ

(۴)

فان القرآن جمیعه هدی و شـفاء و رحمه،و نور و موعظه و بصائر للعالمین.فکل أحد إذا قرأه ینبغی ان تکون قراءته کقراءه العبد کتـاب مولاـه الـذی کتـب إلیـه لیتـأمله و یعمـل بمقتضاه.قـال بعض الأکـابر:«هــذا القرآن رسائـل أتتنـا مـن قبـل ربنـا عز و جل بعهوده،فتتدبرها فی الصلوات، و نقف علیها فی الخلوات،و ننفذها فی الطاعات بالسنن المتبعات»‌.

و منهـا-التأثر:و هو ان یتـاثر قلبه بآثـار مختلفه بحسب اختلاـف الآیـات،فیکون له بحسب کـل فهم حـال:من الخوف،و الحزن،و الوجل،

۱- ۱) ق،الآیه:۸.

۲- ۲) المؤمن،الآیه:۱۳.

۳- ۳) الرعد،الآیه:۲۱.الزمر،الآیه:۹.

۴- ۴) هود،الآیه:۱۲۰.

و الوجد،و الفرح،و الارتياح،و الرجاء،و القبض،و الانبساط.فإذا سمع الوعيد،فليضطرب قلبه،و يتضاءل من الخوف كأنه يموت،و ان سمع و سعه الرحمه و وعد المغفره،فليفرح و يستبشر كأنه يطير من الابتهاج، و إذا سمع وصف الجنه،فلينبعث باطنه شوقا إليها،و إذا سمع وصف النار، فلترتعد فرائصه خوفا منها،و إذا سمع صفات اللّه و أسماءه و نعوت جلاله، فليتطأطأ خضوعا لجلاله و استشعارا لعظمته و كبريائه،و إذا سمع ذكر الكفار ما يستحل على اللّه من اتخاذ الولد و أمثاله،فليغض صوته و ينكسر فى باطنه حياء من قبح مقالتهم...و قس على ذلك غيره من الآيات المختلفه.

و مهمات تمت المعرفه،كانت الخشيه اغلب الأحوال على القلب،اذا التضيق غالب على آيات القرآن،إذ لا ترى ذكر المغفره و الرحمه إلا مقرونا بشروط يقصر الأكثرون عن نيلها،و لذلك كان فى الخائفين من يصير مغشيا عليه عند استماع آيات الوعيد،و منهم من مات بمجرد استماعها.و بالجمله:

المقصود الاصلى من القرآن،استجلاب هذه الأحوال إلى القلب و العمل به،و إلا فالمؤنه بتحريك اللسان بحروفه خفيفه.و حق تلاوه القرآن ان يشترك فيها اللسان و العقل و القلب.فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، و حظ العقل إدراك المعانى،و حظ القلب الاتعاظ و التأثر بالحالات المذكوره.فاللسان واعظ القلب،و العقل مترجم،و القلب متعظ.

و منها-الترقى:و هو ان يترقى إلى ان يسمع الكلام من اللّه تعالى،لا من نفسه.فدرجات القراءه ثلاث: الأولى:و هى ادناها،ان يقدر العبد أنه يقرؤه على اللّه تعالى واقفا بين يديه،و هو ناظر إليه و مستمع منه، فتكون حاله-على هذا التقدير-التملق و السؤال و التضرع و الابتهال.

الثانيه:ان يشهد بقلبه،كأن ربه يخاطبه بألطافه،و يناجيه بإحسانه

و إنعامه،فمقامه الهيبه و الحياء و التعظيم و الإصغاء. الثالثه:ان يرى فى الكلام المتكلم،و فى الكلمات الصفات،فلا ينظر إلى نفسه و إلى تلاوته، و لا ـ إلى تعلق الانعام به من حيث إنه منعم عليه،بل يكون مقصور الهم على التكلم،موقوف الفكر عليه،كأنه مستغرق بمشاهده المتكلم من غيره.

و هذه درجه المقربين و الصديقين و ما قبله من درجات أصحاب اليمين،و ما خرج عن ذلك فهو درجات الغافلين.و قد أخبر عن الدرجه العليا سيد الشهداء-ارواحنا فداه-حيث قال(ع):«الذى تجلى لعباده فى كتابه،بل فى كل شىء،و أراهم نفسه فى خطابه،بل فى كل نور».

و أشار إليها الامام أبو عبد اللّه الصادق(ع)حيث قال:«و اللّه لقد تجلى اللّه عز و جل لخلقه فى كلامه!و لكن لا يبصرون».و روى:«أنه لحقته حاله فى الصلاه حتى خر مغشيا عليه،فلما سرى عنه،قيل له فى ذلك، فقال(ع):ما زلت أردد الآيه على قلبى،حتى سمعتها من المتكلم بها،فلم يثبت جسمى لمعاينه قدرته»أو فى مثل هذه الدرجه تشتد البهجه،و تعظم الحلاوه و اللذه.و لذلك قال بعض الحكماء:«كنت اقرأ القرآن،فلا اجد له حلاوه،حتى تلوته كأنى أسمعه عن رسول اللّه(ص)يتلوه على أصحابه،ثم رفعت إلى مقام فوقه،فكنت اتلوه كأنى اسمعه من جبرئيل يلقيه على رسول اللّه(ص)،فعندها وجدت لذه و نعيما لا اصبر عنه».و قال حذيفه:«لو طهرت القلوب،لم تشبع من قراءه القرآن».و ذلك لأنها بالطهاره تترقى إلى مشاهده المتكلم فى الكلام،بل التوحيد الخالص للعبد ألا يرى فى كل شىء إلا اللّه،إذ لو رأى غيره و لا من حيث إنه منه و له و به و إليه،كان مشركا بالشرك الخفى.

و منها-التبرى:و هو ان يتبرى من حوله و قوته،و لا يلتفت

إلی نفسه بعین الرضا و التزکیه.فإذا قرأ آیات الوعد و مدح الأخیار، فلا یشهد نفسه و لا یدخلها فی زمرتهم،بل یشهد أهل الصدق و الیقین، و یتشوق إلی ان یلحقه اللّه بهم.و إذا قرأ آیات المقت و الوعید،و ذم العصاه و المقصرین،شهد نفسه هناک،و قدر انه المخاطب خوفا و اشفاقا و إلی هذا أشار مولانا أمیر المؤمنین(ع)،حیث قال فی صوف المتقین:

«و إذا مروا بآیه فیها تخویف،أصغوا إلیها مسامع قلوبهم،و ظنوا ان زفیر جهنم فی آذانهم». فإذا رأی القارئ نفسه بصوره التقصیر فی القراءه، کانت رؤیته سبب قربه.فان من شهد البعد فی القرب،لطف له بالخوف، حتی یسوقه إلی درجه أخری فی القرب وراءها،و من شهد القرب فی البعد،مکر به بالأمن الذی یفضیه إلی درجه أخری فی البعد اسفل مما هو فیه.و مهما کان مشاهدا نفسه بعین الرضا،صار محجوبا بنفسه.فإذا جاوز حد الالتفات إلی نفسه،و لم یشاهد الا اللّه تعالی فی قراءته،کشف له سر الملکوت بحسب أحواله،فحیث یتلو آیات الرحمه و الرجاء،یغلب علی حاله الاستبشار،و تنکشف له صوره الجنه،فیشاهدها کأنه یراها عیانا،و ان غلب علیه الخوف،کوشف بالنار،حتی یری أنواع عذابها، و ذلک لأن کلام اللّه عز و جل یشتمل علی السهل اللطیف،و الشدید العسوف،و المرجو و المخوف،و ذلک بحسب اوصافه،إذ منها الرحمه و اللطف.

و منها-القهر و البطش و الانتقام:فبحسب مشاهده الکلمات و الصفات ینقلب القلب فی اختلاف الحالات،و بحسب کل حاله منها یستعد للمکاشفه بأمر یناسب تلک الحاله،إذ یمتنع أن یکون حال المستمع واحدا و المسموع مختلفا،إذ فیه کلام راض،و کلام غضبان،و کلام منعم،

و کلام منتقم،و کلام جبار متکبر لا یبالی،و کلام منان متعطف لا یهمل.

المقصد الخامس (الصوم)

اشاره

اعلم ان الصوم أجره عظیم،و ثوابه جسیم،و ما یدل علی فضله من الآیات و الاخبار أکثر من ان یحصی،و هی معروفه مشهوره،فلا حاجه الی ذکرها،فلنشر إلی ما یتعلق به من الأمور الباطنه:

فصل (ما ینبغی للصائم)

ینبغی للصائم ان یغض بصره عن کل ما یحرم النظر إلیه،او یکره، أو یشغل القلب و یلهیه عن ذکر اللّه تعالی،و یحفظ اللسان عن جمیع آفاته المتقدمه،و یکف السمع عن کل ما یحرم او یکره استماعه،و یکف بطنه عن الحرام و الشبهات،و یکف سائر جوارحه عن المکاره.و قد ورد فی اشتراط جمیع ذلک فی الصوم فی ترتب کمال الثواب علیه اخبار کثیره.و ینبغی أیضا ألا یستکثر من الحلال وقت الإفطار بحیث یمتلئ،إذ ما من وعاء ابغض إلی اللّه عز و جل من بطن ملئ من حلال،کیف و السر فی شرع الصوم قهر عدو اللّه،و کسر الشهوه و الهوی،لتتقوی النفس علی التقوی، و ترتقی من حضیض حظوظ النفس البهیمیه إلی ذروه التشبیه بالملائکه الروحانیه،و کیف یحصل ذلک إذا تدارک الصائم عند الإفطار ما فاته ضحوه نهاره،لا سیما إذا زید علیه فی ألوان الطعام،کما استمرت العادات فی هذه الأعصار،و ربما یؤکل من الأطعمه فی شهر رمضان ما لا یؤکل فی عده شهور.و لا ریب فی ان المعده إذا خلیت من ضحوه النهار إلی العشاء،حتی

هـاجت شـهوتها و قويت رغبتهـا،ثم اطعمت من اللـذات،و أشـبعت من ألوان المطاعم،و جمع ما كان يأكل ضـحوه إلى ما يأكل ليلا،و أكل الجميع فى الليل مره او مرتين او أكثر،زادت لذتها،و تضاعفت قوتها،و انبعث من الشـهوات ما عساها كانت راكده لو تركت على عادتهـا،فلاـ يحصـل مـا هو المقصود من الصوم،اعنى تضـعيف القوى الشـهويه التى هى وسائل الشـيطان، فلا بـد من التقليـل،و هو ان يأكـل فى مجموع الليله أكلته التى كـان يأكلهـا كـل ليله لو لم يصم،من دون ضم مما يأكل فى النهار إليه،حتى ينتفع بصومه. و الحاصل:ان روح الصوم و سره،و الغرض الأصلى منه:

التخلق بخلق من أخلاق الله تعالى،اعنى الصـمديه،و الاقتداء بالملائكه فى الكلف عن الشـهوات بقدر الإمكان،و هذا إنما يحصل بتقليـل الأكـل عما يأكله فى غير وقت الصوم،فلا جـدوى لمجرد تأخير اكله و جمع أكلتين عنـد العشاء،ثم لو جعل سـر الصوم ما يظهر من بعض الظواهر،من ادراك الأغنياء ألم الجوع و الانتقال منه إلى شـده حال الفقراء،فيبعثهم ذلك على مواساتهم بالاموال و الاقوات،فهو أيضا لا يتم بدون التقليل فى الأكل.

فصل (ما ينبغى للصائم عند الإفطار)

ينبغى لكل صائم أن يكون قلبه بعد الإفطار مضـطربا،معلقا بين الخوف و الرجاء،إذ ليس يدرى أ يقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين،و ليكن الحال كذلك فى آخر كل عباده يفرغ منها.

روى:«أن الامـام ابـا محمـد الحسن المجتبى(ع)مر بقوم يوم العيـد و هم يضـحكون، فقـال(ع):إن اللّه تعـالى جعـل شـهر رمضـان مضمارا لخلقه،يستبقون فيه لطاعته،فسبق اقوام ففازوا،و تخلف أقوام فخابوا،فالعجب كل

العجب للضاحک اللاعب فی الیوم الذی فاز فیه المسارعون،و خاب فیه المبطلون،اما و اللّه لو کشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه،و المسیء عن اساءته!»،ای کان سرور المقبول یشغله عن اللعب،و حسره المردود تسد علیه باب الضحک.

فصل (درجات الصوم)

اشاره

للصوم ثلاث درجات:

الأولی-صوم العموم:و هو کف البطن و الفرج عن قضاء الشهوه، و هذا لا یفید أزید من سقوط القضاء و الاستخلاص من العذاب.

الثانیه-صوم الخصوص:و هو الکف المذکور،مع کف البصر و السمع و اللسان و الید و الرجل و سائر الجوارح عن المعاصی،و علی هذا الصوم تترتب المثوبات الموعوده من صاحب الشرع.

الثالثه-صوم خصوص الخصوص:و هو الکفان المذکوران، مع صوم القلب عن الهمم الدنیه،و الأخلاق الردیه،و الافکار الدنیویه، و کفه عما سواه بالکلیه،و یحصل افطر فی هذا الصوم بالفکر فی ما سوی اللّه و الیوم الآخر،و حاصل هذا الصوم إقبال بکنه الهمه علی اللّه، و انصراف عن غیر اللّه،و تلبس بمعنی قوله تعالی: قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ» ، و هذا درجه الأنبیاء و الصدیقین و المقربین،و یترتب علیه الوصول إلی المشاهده و اللقاء،و الفوز بما لا عین رأت،و لا أذن سمعت،و لا خطر علی قلب أحد.و إلی هذا الصوم أشار مولانا الصادق(ع)حیث قال:

«قال النبی(ص):الصوم جنه،أی ستر من آفات الدنیا و حجاب من

عذاب الآخره،فإذا صمت فانو بصومک کف النفس عن الشهوات، و قطع الهمه عن خطرات الشیاطین،و انزل نفسک منزله المرضی، و لا تشتهی طعاما و لا شرابا،و توقع فی کل لحظه شفاءک من مرض الذنوب، و طهر باطنک من کل کدر و غفله و ظلمه یقطعک عن معنی الإخلاص لوجه اللّه.قال رسول اللّه(ص):قال اللّه تعالی:الصوم لی و انا اجزی به.

و الصوم یمیت مراد النفس و شهوه الطبع،و فیه صفاء القلب،و طهاره الجوارح،و عماره الظاهر و الباطن،و الشکر علی النعم و الإحسان إلی الفقراء،و زیاده التضرع و الخشوع و البکاء،و حبل الالتجاء إلی اللّه، و سبب انکسار الهمه،و تخفیف الحساب،و تضعیف الحسنات،و فیه من الفوائد ما لا یحصی و لا یعد،و کفی بما ذکرنا لمن عقله و وفق لاستعماله» (۱).

تتمیم

من صام شهر رمضان اخلاصا للّه و تقربا إلیه،و طهر باطنه من ذمائم الأخلاق،و کف ظاهره عن المعاصی و الآثام،و اجتنب عن الحرام، و لم یأکل إلا الحلال،و لم یفرط فی الأکل،و واظب علی جمله من النوافل و الأدعیه و سائر الآداب المسنونه فیه،استحق للمغفره و الخلاص عن عذاب الآخره،بمقتضی الاخبار المتواتره.ثم إن کان من العوام، حصل له من صفاء النفس ما یوجب استجابه دعوته،و ان کان من أهل المعرفه،فعسی الشیطان لا یحوم علی قلبه،فینکشف له شیء من الملکوت، لا سیما فی لیله القدر،إذ هی اللیله التی تنکشف فیها الاسرار،و تفیض علی

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(مصباح الشریعه):الباب ۲۰.و علی(المستدرک): ۱-۵۸۹-۵۹۰،کتاب الصوم.

القلوب الطاهره الأنوار،و المناط و العمده فی نیل ذلک تقلیل الأکل بحیث یحس ألم الجوع،إذ من جعل بین قلبه و بین صدره مخلاه من الطعام فهو محجوب عن عوالم الأنوار،و یستحیل ان ینکشف له شیء من الاسرار.

المقصد السادس (الحج)

اشاره

اعلم ان الحج أعظم ارکان الدین،و عمده ما یقرب العبد إلی رب العالمین،و هو أهم التکالیف الإلهیه و اثقلها،و اصعب العبادات البدنیه و افضلها،و أعظم بعباده ینعدم بفقدها الدین،و یساوی تارکها الیهود و النصاری فی الخسران المبین.و الاخبار التی وردت فی فضیلته و فی ذم تارکه کثیره مذکوره فی کتب الاخبار،و الاحکام و الشرائط الظاهره له علی عهده الفقهاء،فلنشر إلی الاسرار الخفیه،و الاعمال الدقیقه، و الآداب الباطنه،التی یبحث عنها أرباب القلوب:

فصل (الغرض من ایجاد الإنسان)

اعلم ان الغرض الاصلی من ایجاد الإنسان معرفه اللّه و الوصول إلی حبه و الانس به،و الوصول إلیه بالحب و الانس یتوقف علی صفاء النفس و تجردها.فکلما صارت النفس أصفی و أشد تجردا،کان انسها و حبها باللّه أشد و أکثر.و صفاء النفس و تجردها موقوف علی التنزه عن الشهوات،و الکف عن اللذات،و الانقطاع عن الحطام الدنیویه،و تحریک الجوارح و ایقاعها لاجله فی الاعمال الشاقه،و التجرد لذکره و توجیه القلب إلیه.و لذلک شرعت العبادات المشتمله علی هذه الأمور،اذ بعضها

ص: ۳۸۳

إنفاق المال و بذله،الموجب للانقطاع عن الحطام الدنيه،کالزکاه و الخمس و الصدقات،و بعضها الکف عن الشهوات و اللذات،کالصوم،و بعضها التجرد لذکر اللّه و توجیه القلب إلیه،و ارتکاب تحریک الأعضاء و تعبها، کالصلاه،و الحج من بینها مشتمل علی جمیع هذه الأمور مع الزیاده،إذ فیه هجران اوطان،و إتعاب أبدان،و إنفاق أموال،و انقطاع آمال، و تحمل مشاق،و تجدید میثاق،و حضور مشاعر،و شهود شعائر،و یتحقق فی أعماله التجرد لذکر اللّه،و الإقبال علیه بضروب الطاعات و العبادات،مع کون أعماله أمورا لا تأنس بها النفوس،و لا تهتدی إلی معانیها العقول،کرمی الجمار بالاحجار،و التردد بین الصفا و المروه علی سبیل التکرار،اذ بمثل هذه الاعمال یظهر کمال الرق و العبودیه،فان سائر العبادات اعمال و افعال یظهر وجهها للعقل،فللنفس إلیها میل،و للطبع بها انس.

و أما بعض اعمال الحج،کرمی الجمار و ترددات السعی،فلا حظ للنفس و لا انس للطبع فیها،و لا اهتداء للعقل إلی معانیها،فلا یکون الاقدام علیها الا لمجرد الامر و قصد الامتثال له من حیث إنه امر واجب الاتباع،ففیها عزل العقل عن تصرفه،و صرف النفس و الطبع عن محل انسه،فان کل ما أدرک العقل معناه مال الطبع إلیه میلا ما،فیکون ذلک المیل معینا للامتثال،فلا یظهر به کمال الرق و الانقیاد،و لذلک قال النبی (ص)فی الحج علی الخصوص:«لبیک بحجه حقا و تعبدا ورقا!»،و لم یقل ذلک فی غیره من العبادات.فمثل هذه العباده-أی ما لم یهتد العقل الی معناه و وجهه-أبلغ أنواع العبادات فی تزکیه النفوس و صرفها عن مقتضی الطبع و البغی إلی الاسترقاق،فتعجب بعض الناس من هذه الافعال العجیبه مصدره الجهل باسرار التعبدات،و هذا هو السر فی وضع الحج،

ص:۳۸۴

مع دلاله كل عمل من أعماله على بعض أحوال الآخره،او فى بعض أسرار أخر-كما يأتى-ما فيه من اجتماع أهل العالم فى موضع تكرر فيه نزول الوحى،و هبوط جبرئيل و غيره من الملائكه المقربين على رسوله المكرم، و من قبله على خليله المعظم-عليهما أفضل الصلاه-،بل لا يزال مرجعا و منزلا لجميع الأنبياء،من آدم إلى خاتم،و مهبطا للوحى،و محلا لنزول طوائف الملائكه.و قد تولد فيه سيد الرسل(ص)و توطأت أكثر مواضعه قدمه الشريفه و أقدام سائر الأنبياء،و لذلك سمى ب(البيت العتيق)،و قد شرفه اللّه تعالى بالإضافه إلى نفسه،و نصبه مقصدا لعباده،و جعل ما حواليه حرما لبيته،و تفخيما لامره،و جعل عرفات كالميدان على فناء حرمه،و اكد حرمه الموضع بتحريم صيده و قطع شجره،و وضعه على مثال حضره الملوك،فقصده الزوار من كل فج عميق،و من كل أوب سحيق،شعثاء غبراء،متواضعين لرب البيت،و مستكنين له،خضوعا لجلاله،و استكانه لعزته و عظمته،مع الاعتراف بتنزهه عن ان يحومه بيت او يكتنفه بلد.

و لا ريب فى ان الاجتماع فى مثل هذا الموضع،مع ما فيه من حصول المؤالفه و المصاحبه،و مجاوره الابدال و الاوتاد و الأخيار المجتمعين من أقطار البلاد،و تظاهر الهمم،و تعاون النفوس على التضرع و الابتهال و الدعاء الموجب لسرعه الإجابه،بذكر النبى(ص)و اجلاله،و نزول الوحى عليه،و غايه سعيه و اهتمامه فى اعلاء كلمه اللّه و نشر احكام دينه، فتحصل الرقه للقلب،و الصفاء للنفس.ثم لكون الحج أعظم التكليفات لهذه الأمه،جعل بمنزله الرهبانيه فى الملل السالفه،فان الأمم الماضيه إذا أرادوا العمل لا صعب التكليف و اشقها على النفس،انفردوا عن الخلق،

و انحازوا إلى قلل الجبال،و آثروا التوحش عن الخلق بطلب الانس باللّه، و التجرد له فى جميع الحركات و السكنات،فتركوا اللذات الحاضره،و ألزموا أنفسهم الرياضات الشاقه،طمعا فى الآخره،و قد اثنى اللّه عليهم فى كتابه،و قال:

ذٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْبٰاناً وَ أَنَّهُمْ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ

(۱)

و قال تعالى: وَ رَهْبٰانِيَّةً ابْتَدَعُوهٰا مٰا كَتَبْنٰاهٰا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغٰاءَ رِضْوٰانِ اللّٰهِ (۲).

و لما اندرس ذلك،و أقبل الخلق على اتباع الشهوات،و هجروا التجرد لعباده اللّه تعالى،و فروا عنها،بعث اللّه تعالى من سره البطحاء محمدا(ص)، لاحياء طريق الآخره،و تجديد سنه المرسلين فى سلوكها،فسأله أهل الملل من الرهبانيه و السياحه فى دينه،فقال(ص):«أبدلنا بالرهبانيه الجهاد و التكبير على كل شرف-يعنى الحج-و أبدلنا بالسياحه الصوم».فانعم اللّه على هذه الأمه،بأن جعل الحج رهبانيه لهم،فهو بإزاء أعظم التكاليف و الطاعات فى الملل السابقه.

فصل (ما ينبغى فى الحاج)

ينبغى للحاج،عند توجهه إلى الحج،مراعات أمور:

الأول-أن يجرد نيته للّه،بحيث لا يشوبها شىء من الأغراض الدنيويه،و لا يكون باعثه على التوجه إلى الحج الا امتثال امر اللّه،و نيل

۱- ۱) المائده،الآيه:۸۵.

۲- ۲) الحديد،الآيه:۲۷.

ثوابه،و الاستخلاص من عذابه،فليحذر كل الحذر ان يكون له باعث آخر،مكنون فی بعض زوايا قلبه،كالرياء و الحذر عن ذم الناس و تفسيقهم لو لا يحج،او الخوف من الفقر و تلف امواله لو ترك الحج،لما اشتهر من ان(تارك الحج يبتلى بالفقر و الادبار)،او قصد التجاره او شغل آخر، فان كل ذلك يخرج العمل من الإخلاص،و يحجبه عن الفائده و ترتب الثواب الموعود،و ما اجهل من تحمل الاعمال الشاقه التی يمكن ان تحصل بها سعاده الابد،لأجل خيالات فاسده لا يترتب عليها سوى الخسران فائده، فيجتهد كل الجهد ان يجعل عزمه خالصا لوجه اللّه،بعيدا عن شوائب الرياء و السمعه،و يتيقن انه لا يقبل من قصده و عمله إلا الخالص،و ان من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك و حرمه و المقصود غيره،فليصحح فی نفسه العزم،و تصحيحه باخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء و سمعه.

الثانی-ان يتوب إلى اللّه تعالى توبه خالصه،و يرد المظالم،و يقطع علاقه قلبه عن الالتفات إلى ما وراءه،ليكون متوجها إلى اللّه بوجه قلبه، و يقدر انه لا يعود،و ليكتب وصيته لاهله و أولاده،و يتهيأ لسفر الاخره، فان ذلك بين يديه على قرب،و ما تقدمه من هذا السفر تهيئه لاسباب ذلك السفر،فهو المستقر و إليه المصير.فلا ينبغی ان يغفل عن ذلك عند الاستعداد لهذا،فليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الاخره.

الثالث-ان يعظم فی نفسه قدر البيت و قدر رب البيت،و يعلم انه ترك الأهل و الاوطان،و فارق الاحبه و البلدان،للعزم على امر رفيع شأنه،خطير امره:اعنی زياره بيت اللّه الذی جعل مثابه للناس،فسفره هذا لا يضاهی اسفار الدنيا.فليحضر فی قلبه ما ذا يريد،و اين يتوجه،و زياره من

يقصد،و انه متوجه إلى زياره ملك الملوك فى زمره الزائرين إليه،الذين تودوا فأجابوا،و شوقوا فاشتاقوا،و دعوا فقطعوا العلائق،و فارقوا الخلائق و أقبلوا على بيت اللّه الرفيع قدره و العظيم شأنه،تسليا بلقاء البيت على لقاء صاحبه،الى ان يرزقوا منتهى مناهم،و يسعدوا بالنظر إلى مولاهم،فليحضر فى قلبه عظم السفر،و عظمه البيت،و جلاله رب البيت،و يخرج معظما لهما،ناويا ان لم يصل و ادركته المنيه فى الطريق لقى اللّه وافدا إليه بمقتضى وعده.

الرابع-ان يخلى نفسه عن كل ما يشغل القلب،و يفرق الهم فى الطريق،او المقصود،من معامله او مثلها،حتى يكون الهم مجردا للّه، و القلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر اللّه و تعظيم شعائره،متذكرا عند كل حركه و سكون أمرا أخرويا يناسبه.

الخامس-ان يكون زاده حلالا،و يوسع فيه و يطيبه،و لا يغتم ببذله و انفاقه،بل كان طيب النفس به،إذ إنفاق المال فى طريق الحج نفقه فى سبيل اللّه،و الدرهم منه بسبعمائه درهم،قال رسول اللّه(ص):«من شرف الرجل ان يطيب زاده إذا خرج فى سفر».و كان السجاد(ع)اذا سافر إلى الحج،يتزود من أطيب الزاد،من اللوز و السكر و السويق المحمض و المحلى.و قال الصادق(ع):«اذا سافرتم،فاتخذوا سفره و تنوقوا فيها».و فى روايه:«انه يكره ذلك فى زياره الحسين(ع)».نعم ينبغى ان يكون الإنفاق على الاقتصاد من دون تقتير و لا أسراف،و المراد بالاسراف التنعم بأطائب الأطعمه،و الترفه بصرف انواعها على ما هو عاده المترفين،و اما كثره البذل على المستحقين،فلا أسراف فيه،اذ لا خير فى السرف،و لا سرف فى الخير.و ينبغى-أيضا-ان يكون له طيب النفس فيما أصابه من خسران و مصيبه فى مال و بدن،لان ذلك من دلائل

قبول حجه،فان ذهاب المال فی طریق الحج یعد الدرهم منه سبعمائه فی سبیل اللّه،فالمصیبه فی طریق الحج بمثابه الشدائد فی طریق الجهاد، فله بکل أذی احتمله و خسران أصابه ثواب،فلا یضیع منه شیء عند اللّه.

السادس-أن یحسن خلقه،و یطیب کلامه،و یکثر تواضعه، و یجتنب سوء الخلق و الغلظه فی الکلام،و الرفث و الفسوق و الجدال، و الرفث اسم جامع لکل فحش و لغو و خنی،و الفسوق اسم جامع لکل خروج عن طاعه اللّه،و الجدال هو المبالغه فی الخصومه و المماراه بما یورث الضغائن و یفرق الهم و یناقض حسن الخلق.قال رسول اللّه (ص):«الحج المبرور لیس له جزاء الا الجنه»،فقیل:یا رسول اللّه،ما بر الحج؟قال:«طیب الکلام و إطعام الطعام»أ فلا ینبغی ان یکون کثیر الاعتراض علی رفیقه و جماله،و علی غیرهما من أصحابه،بل یلین جانبه، و یخفض جناحه للسائرین إلی بیت اللّه،و یلزم حسن الخلق،و لیس حسن الخلق مجرد کف الاذی،بل احتمال الاذی،و قیل:سمی السفر سفرا، لانه یسفر عن أخلاق الرجال.

السابع-ان یکون اشعث أغبر،غیر متزین و لا مائل إلی أسباب التفاخر و التکاثر،فیکتب فی المتکبرین و یخرج عن حزب الضعفاء و المساکین، و یمشی ان قدر،خصوصا بین المشاعر.و فی الخبر:«ما عبد اللّه بشیء أفضل من المشی».و ینبغی ألا یکون الباعث للمشی تقلیل النفقه،بل التعب و الریاضه فی سبیل اللّه،و لو کان القصد تقلیل النفقه مع الیسار فالرکوب أفضل.و کذا الرکوب أفضل لمن ضعف بالمشی،و ساء خلقه،و قصر فی العمل،ففی الخبر:«ترکبون أحب الی،فان ذلک أقوی علی الدعاء و العباده».

و کان الحسن بن علی-علیهما السلام-یمشی و تساق معه المحامل و الرحال.

ص:۳۸۹

و إذا حضرت الراحله ليركبها،فليشرك اللّه تعالى بقلبه على تسخيره له الدواب،لتتحمل عنه الاذى،و تخفف عنه المشقه.و ينبغى ان يرفق بها، فلا يحملها ما لا تطيق.

فصل (الميقات)

اذا خرج عن وطنه،و دخل إلى الباديه،متوجها إلى الميقات، و شاهد العقبات،فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامه،و ما بينهما من الأهوال و المطالبات،و ليتذكر من هول قطاع الطريق هول منكر و نكير،و من سباع البوادى و حياتها و عقاربها حيات القبر و افاعيها و عقاربها و ديدانها،و من افراده عن أهله و اقاربه وحشه القبر و وحدته و كربته،و ليكن فى هذه المخاوف فى أعماله و اقواله متزودا لمخاوف القبر.

فصل (ما ينبغى فى الميقات)

اذا دخل الميقات،و لبس ثوبى الإحرام،فليتذكر عند لبسهما لبس الكفن و لفه فيه،و انه سيلقى اللّه ملفوفا فى ثياب الكفن لا محاله،فكما لا يلقى بيت اللّه الا بهيئه وزى يخالف عادته،فكذلك لا يلقى اللّه بعد الموت الا فى زى يخالف زى الدنيا،و هذا الثوب قريب من ذلك الثوب.

اذ ليس مخيطا،كما ان الكفن أيضا ليس مخيطا،و إذا احرم و تلبى،فليعلم ان الإحرام و التلبيه إجابه نداء اللّه،فليرج ان يكون مقبولا،و ليخش ان يكون مردودا، فيقال:لا لبيك و لا سعديك!فليكن بين الخوف و الرجاء مترددا،و عن حوله و قوته متبرا،و على فضل اللّه و كرمه متكلا.فان وقت التلبيه هو

بدایه الامر،و هو محل الخطر. و قد روی:«ان علی بن الحسین-علیهما السلام-لما أحرم،و استوت به راحلته،اصفر لونه و انتفض،و وقعت علیه الرعده،و لم یستطع ان یلبی.فقیل له:لم لا تلبی؟فقال:اخشی ان یقول ربی:لا لبیک و لا سعدیک!فلما لبی غشی علیه و سقط من راحلته.

فلم یزل یعتریه ذلک حتی قضی حجه».فلیتذکر الملبی عند رفع الأصوات فی المیقات خائفا راجیا،انه إجابه لنداء اللّه تعالی،اذ قال تعالی:

وَ أَذِّنْ فِی النّاسِ بِالْحَجِّ یَأْتُوکَ رِجالاً

(۱)

.

و یتذکر من هذا النداء نداء الخلق بنفخ الصور،و حشرهم من القبور، و ازدحامهم فی عرصات القیامه لنداء اللّه،منقسمین إلی مقربین و مبعدین، و مقبولین و مردودین،و مردودین فی أول الامر بین الخوف و الرجاء،مثل تردد الحاج فی المیقات،حیث لا یدرون أ یتیسر لهم إتمام الحج و قبوله أم لا.

فصل (ما ینبغی عند دخول مکه)

ینبغی ان یتذکر عند دخول مکه:انه قد انتهی إلی حرم من دخله کان آمنا،و لیرج عنده ان یأمن بدخوله من عقاب اللّه،و لیضطرب قلبه من الا یکون أهلا للقرب و القبول،فیکون بدخول الحرم خائبا مستحقا للمقت،و لیکن رجاؤه فی جمیع الأوقات غالبا،اذ شرف البیت عظیم، و رب البیت کریم،و الرحمه واسعه،و الفیوضات نازله،و حق الزائر منظور،و اللائذ المستجیر غیر مردود.و إذا وقع البصر علی البیت، فلیحضر فی قلبه عظمته،و یقدر کأنه مشاهد لرب البیت لشده تعظیمه،

۱- ۱) الحج،الآیه:۲۷.

و ليرج ان يرزقه لقاءه كما رزقه لقاء بيته،و ليشكر اللّه على تبليغه إياه إلى بيته،و الحاقه إياه بزمره الوافدين إليه،و يتذكر عند ذلك ايصاب الخلائق الى جهه الجنه آملين لدخولها كافه،ثم انقسامهم إلى مأذونين فى الدخول و مصروفين عنها،انقسام الحاج إلى مقبولين و مردودين.

فصل (ما ينبغى عند الطواف)

و ينبغى عند الطواف ان يمتلئ قلبه من التعظيم و المحبه و الخوف و الرجاء،و يعلم انه فى الطواف متشبه بالملائكه المقربين الطائفين حول العرش،و ليعلم ان المقصود طواف قلبه بذكر رب البيت،دون مجرد طواف جسمه بالبيت،فليبتدئ الذكر به و يختم به،كما يبتدأ الطواف من البيت و يختم بالبيت،فروح الطواف و حقيقته هو طواف القلب بحضره الربوبيه و البيت مثال ظاهر فى عالم الشهاده لتلك الحضره التى لا تشاهد بالبصر،و هو عالم الغيب و عالم الملك و الشهاده،مدرجه إلى عالم الغيب و الملكوت لمن فتح له الباب.و ما ورد من ان البيت المعمور فى السماوات بإزاء الكعبه،و ان طواف الملائكه بها كطواف الانس بهذا البيت،و ربما كان إشاره إلى ما ذكرناه من المماثله،و لما قصرت رتبه الأكثرين عن مثل ذلك الطواف، أمروا بالتشبه بهم بقدر الإمكان،و وعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم.

فصل (ما ينبغى عند استلام الحجر)

ينبغى أن يتذكر عند استلام الحجر الأسود،أنه بمنزله يمين اللّه فى أرضه،و فيه مواثيق العباد.قال رسول اللّه(ص):«استلموا الركن،فانه

يمين اللّه فى خلقه،يصافح بها خلقه مصافحه العبد او الدخيل،و يشهد لمن استلمه بالموافاه»،و مراده(ص)بالركن:الحجر الأسود،لأنه موضوع فيه،و إنما شبه باليمين،لأنه واسطه بين اللّه و بين عباده فى النيل و الوصول و التحبب و الرضا،كاليمين حين التصافح. و قال الصادق(ع):«إن اللّه تبارك و تعالى لما أخذ مواثيق العباد،أمر الحجر فالقمها،فلذلك يقال:امانتى اديتها، و ميثاقى عاهدته،لتشهد لى بالموافاه».و قال(ع):«الركن اليمانى باب من أبواب الجنه،لم يغلقه اللّه منذ فتحه».و قال(ع):«الركن اليمانى بابنا الذى يدخل منه الجنه،و فيه نهر من الجنه تلقى فيه اعمال العباد»،قيل:انما شبه بباب الجنه،لأن استلامه وسيله إلى وصولها،و بالنهر،لأنه تغسل به الذنوب.

ثم لتكن النيه فى الاستلام و الالتصاق بالمستجار،بل الممارسه لكل جزء من البيت،طلب القرب حبا و شوقا للبيت و لرب البيت،و تمسكا و تبركا بالممارسه،و رجاء للتحصن عن النار فى كل جزء لا فى البيت،و لتكن نيته فى التعلق بأستار البيت الالحاح فى طلب المغفره و سؤال الأمان،كالمقصر المتعلق بثياب من قصر فى حقه،المتضرع إليه فى عفوه عنه،المظهر له أنه لا ملجأ منه إلا إليه،و لا مفزع إلا عفوه و كرمه،و أنه لا يفارق ذيله حتى يعفو عنه،و يعطيه الأمان فى المستقبل.

فصل (السعى)

السعى بين الصفا و المروه فى فناء البيت،يضاهى تردد العبد بفتاء دار الملك،جائيا و ذاهبا مره بعد أخرى،إظهارا للخلوص فى الخدمه،و رجاء للملاحظه بعين الرحمه،كالذى دخل على الملك و خرج،و هو لا يدرى ما

الذی یقضی به الملک فی حقه من قبول أورد،فلا یزال یتردد علی فناء الدار مره بعد أخری،یرجوا أن یرحمه فی الثانیه إن لم یرحمه فی الأولی، و لیتذکر عند تردده التردد بین الکفتین،ناظرا إلی الرجحان و النقصان، مرددا بین العذاب و الغفران.

فصل (ما ینبغی عند الوقوف بعرفات)

و أما الوقوف بعرفات،فلیتذکر بما یری من ازدحام الخلق،و ارتفاع الأصوات،و اختلاف اللغات،و اتباع الفرق أئمتهم فی التردد علی المشاعر:

عرصات یوم القیامه و أ هوالها،و انتشار الخلائق فیها حیاری،و اجتماع الأمم مع الأنبیاء و الأئمه،و اقتفاء کل أمه نبیهم،و طمعهم فی شفاعته لهم، و تحیرهم فی ذلک الصعید الواحد بین الرد و القبول.و إذا تذکر ذلک،فلیتضرع الی اللّه تعالی و یبتهل إلیه،لیقبل حجه و یحشره فی زمره الفائزین المرحومین.

و ینبغی ان یحقق رجاءه،إذ الیوم شریف و الموقف عظیم،و النفوس من أقطار الأرض فیه مجتمعه،و القلوب إلی اللّه سبحانه منقطعه،و الهمم علی الدعاء و السؤال متظاهره،و بواطن العباد علی التضرع و الابتهال متعاونه، و أیدیهم إلی حضره الربوبیه مرتفعه،و أبصارهم إلی باب فیضه شاخصه، و أعناقهم إلی عظیم لطفه و بره ممتده،و لا یمکن ان یخلو الموقف عن الأخیار و الصالحین،و .رباب القلوب و المتقین،بل الظاهر حضور طبقات الابدال و أوتاد الأرض فیه،فلا تستبعدون ان تصل الرحمه من ذی الجلال بواسطه القلوب العزیزه و النفوس القادسه الشریفه إلی کافه الخلیقه،و لا تظنن انه یخیب آمال الجمیع،و یضیع سعیهم،و لا یرحم غربتهم و انقطاعهم

عن الأهل و الاوطان،فان بحر الرحمه أوسع من ان يضن به فی مثل هذه الحاله،و لذا ورد:أنه من أعظم الذنوب ان يحضر عرفات و يظن ان اللّه لم يغفر له.

فصل (المشعر)

و إذا فاض من عرفات و دخل المشعر،فليتذكر عند دخوله فيه:ان اللّه سبحانه قد أذن له فی دخول حرمه بعد ان كان خارجا عنه،إذ المشعر من جمله الحرم،و عرفات خارجه عنه،فليتفاءل من دخول الحرم،بعد خروجه عنه،بأن اللّه سبحانه قربه إليه و كساه خلع القبول،و أجاره و آمنه من العذاب و البعد،و جعله من أهل الجنه و القرب.

فصل (ما ينبغی عند الرمی و الذبح)

و إذا ورد منی،و توجه إلی رمی الجمار،فليقصد به الانقياد و الامتثال، إظهارا للرق و العبوديه،و تشبيها بالخليل الجليل(ع)،حيث عرض له ابليس اللعين فی هذا الموضع ليفسد حجه،فأمره اللّه تعالی ان يرميه بالحجاره طردا له و قطعا لأصله.و ينبغی ان يقصد انه يرمی الحصا إلی وجه الشيطان و يقصم به ظهره،و يرغم به أنفه،إذ امتثال امر اللّه تعالی تعظيما له يقصم ظهر اللعين و يرغم انفه.و إذا ذبح الهدی،فليستحضر ان الذبح إشاره الی انه بسبب الحج قد غلب علی الشيطان و النفس الاماره و قتلهما،و بذلك استحق الرحمه و الغفران،و لذا ورد:انه يعتق بكل جزء من الهدی جزء منه النار.فليجتهد فی التوبه و الرجوع عما كان عليه قبل ذلك من الاعمال

ص :۳۹۵

القبيحه،حتی یصیر حاله أحسن من سابقه،لیصدق علیه إذلاله الشیطان و النفس الاماره فی الجمله،و لا یکون فی عمله من الکاذبین.و لذلک ورد:

ان علامه قبول الحج:أن یصیر حاله بعد الحج أحسن مما کان علیه قبله.و فی الخبر:أن علامه قبول الحج ترک ما کان علیه من المعاصی،و أن یستبدل باخوانه البطالین اخوانا صالحین،و بمجالس اللهو و الغفله مجالس الذکر و الیقظه.

تتمیم (أسرار الحج)

قد ورد عن مولانا الصادق(ع)خبر یتضمن عمده أسرار الحج و دقائقه،فلنذکره تیمنا بکلماته الشریفه:

قال(ع):«اذا أردت الحج،فجرد قلبک للّه عز و جل،من قبل عزمک،من کل شغل شاغل و حجب کل حاجب،و فوض أمورک کلها إلی خالقک،و توکل علیه فی جمیع ما یظهر من حرکاتک و سکناتک،و سلم لقضائه و حکمه و قدره،و ودع الدنیا و الراحه و الخلق،و اخرج من حقوق یلزمک من جهه المخلوقین،و لا تعتمد علی زادک و راحلتک و اصحابک و قوتک و شبابک و مالک،مخافه ان یصیر ذلک عدوا و وبالا،فان من ادعی رضا اللّه،و اعتمد علی شیء ما سواه،صیره علیه عدوا و وبالا، لیعلم أنه لیس له قوه و لا حیله و لا لأحد الا بعصمه اللّه تعالی و توفیقه، و استعد استعداد من لا یرجو الرجوع،و أحسن الصحبه،و راع أوقات فرائض اللّه تعالی و سنن نبیه(ص)،و ما یجب علیک من الأدب، و الاحتمال،و الصبر،و الشکر،و الشفقه،و السخاوه،و إیثار الزاد

على دوام الأوقات،ثم اغسل بماء التوبه الخالصه ذنوبك،و البس كسوه الصدق و الصفاء و الخضوع و الخشوع،و احرم من كل شىء يمنعك عن ذكر اللّه عز و جل و يحجبك عن طاعته،و لب بمعنى إجابه صافيه خالصه زاكيه للّه عز و جل فى دعوتك له،متمسكا بالعروه الوثقى،و طف بقلبك مع الملائكه حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت.و هرول هروله فرا من هواك،و تبرأ من جميع حولك و قوتك،و اخرج من غفلتك و زلاتك بخروجك إلى منى،و لا تتضمن مالا يحل لك و لا تستحقه،و اعترف بالخطإ بالعرفات،و جدد عهدك عند اللّه تعالى بوحدانيته،و تقرب إليه، و اتقه بمزدلفه،و اصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك على الجبل، و اذبح حنجره الهوى و الطمع عند الذبيحه،و ارم الشهوات و الخساسه و الدناءه و الافعال الذميمه عند رمى الجمرات،و أحلق العيوب الظاهره و الباطنه بحلق شعرك،و ادخل فى امان اللّه و كنفه و ستره و كلاءته من متابعه مرادك بدخول الحرم،و زر البيت متحققا لتعظيم صاحبه و معرفته و جلاله،و استلم الحجر رضى بقسمته و خضوعا لعظمته،و ودع ما سواه بطواف الوداع،و صف روحك و سرك للقاء اللّه تعالى يوم تلقاه بوقوفك على الصفا،و كن ذا مره من اللّه بفناء أوصافك عند المروه،و استقم على شروط حجتك،و وفاء عهدك الذى عاهدت ربك،و أوجبت له إلى يوم القيامه،و اعلم بان اللّه لم يفترض الحج،و لم يخصه من جميع الطاعات بالإضافه إلى نفسه بقوله تعالى:

وَ لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً

(۱)

ص: ۳۹۷

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۹۷.

و لا شرع نبیه(ص)سنه فی خلال المناسک علی ترتیب ما شرعه، إلا للاستعداد و الإشاره إلی الموت و القبر و البعث و القیامه،و فضل بیان السبق من دخول الجنه أهلها و دخول النار أهلها،بمشاهده مناسک الحج من أولها إلی آخرها،لاولی الألباب و أولی النهی» (۱).

خاتمه (زیاره المشاهد)

اشاره

فی الإشاره إلی بعض الأمور الباطنه المتعلقه بزیاره المشاهد.

اعلم ان النفوس القویه القدسیه،لا سیما نفوس الأنبیاء و الأئمه(ع)، اذا نفضوا أبدانهم الشریفه،و تجردوا عنها،و صعدوا إلی عالم التجرد، و کانوا فی غایه الإحاطه و الاستیلاء علی هذا العالم،فامور هذا العالم عندهم ظاهره منکشفه،و لهم القوه و التمکن علی التأثیر و التصرف فی موارد هذا العالم،فکل من یحضر مقابرهم لزیارتهم یطلعون علیه،لا سیما و مقابرهم مشاهد أرواحهم المقدسه العلیه،و محال حضور أشباحهم البرزخیه النوریه، فانهم هناک یشهدون، بَلْ أَحْیٰاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ (۲)و بما آتاهم اللّه من فضله فرحون،فلهم تمام العلم و الاطلاع بزائری قبورهم،و حاضری مراقدهم،و ما یصدر عنهم من السؤال و التوسل و الاستشفاع و التضرع،فتهب علیهم نسمات ألطافهم،و تفیض علیهم من رشحات أَنوارهم،و یشفعون إلی اللّه فی قضاء حوائجهم،و إنجاح

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(مصباح الشریعه):الباب ۲۱.

۲- ۲) آل عمران،الآیه:۱۶۹.

مقاصدهم،و غفران ذنوبهم،و کشف کروبهم.فهذا هو السر فی تأکد استحباب زیاره النبی و الأئمه-علیهم السلام-،مع ما فیه من صلتهم و برهم و اجابتهم،و إدخال السرور علیهم،و تجدد عهد ولایتهم،و احیاء امرهم،و إعلاء کلمتهم،و تنکیت أعدائهم.و کل واحد من هذه الأمور مما لا یخفی عظیم أجره و جزیل ثوابه.و کیف لا تکون زیارتهم أقرب القربات،و أشرف الطاعات،مع ان زیاره المؤمن-من جهه کونه مؤمنا فحسب-عظیم الأجر جزیل الثواب،و قد ورد به الحث و التوکید و التغریب الشدید من الشریعه الطاهره،و لذلک کثر تردد الأحیاء إلی قبور أمواتهم للزیاره،و تعارف ذلک بینهم،حتی صارت لهم سنه طبیعیه، و أیضا قد ثبت و تقرر جلاله قدر المؤمن عند اللّه،و ثواب صلته و بره و إدخال السرور علیه.و إذا کان الحال فی المؤمن من حیث إنه مؤمن،فما ظنک بمن عصمه الله من الخطأ،و طهره من الرجس،و بعثه اللّه إلی الخلائق أجمعین،و جعله حجه علی العالمین،و ارتضاه إماما للمؤمنین،و قدوه للمسلمین،و لأجله خلق السماوات و الأرضین،و جعله صراطه و سبیله، و عینه و دلیله،و بابه الذی یؤتی منه،و نوره الذی یستضاء به،و أمینه علی بلاده،و حبله المتصل بینه و بین عباده،من رسل و أنبیاء و أئمه و أولیاء.

ثم،الأخبار الوارده فی فضیله زیاره النبی و الأئمه-علیهم السلام- مما لا تحصی کثره.قال رسول اللّه(ص):«من زار قبری بعد موتی کان کمن هاجر إلی فی حیاتی،فان لم تستطیعوا فابعثوا إلی بالسلام،فانه یبلغنی».

و قال(ص)لأمیر المؤمنین(ع):«یا أبا الحسن،إن اللّه تعالی جعل قبرک و قبر ولدک بقاعا من بقاع الجنه،و عرصه من عرصاتها،و إن اللّه جعل قلوب نجباء من خلقه،و صفوه من عباده،تحن إلیکم،و تحتمل المذله

و الـذى فيكم،فيعمرون قبـوركم،و يكـثرون زيارتهـا،تقربـا منهم إلى اللّه، و مـوده منهم لرسـوله،أولئـك يـا على المخصوصـون بشـفاعتى،و الواردون حوضـى،و هم زوارى و جيرانى غـدا فى الجنه.يا على،من عمر قبورهم و تعاهـدها فكأنما أعان سـليمان بن داود على بنـاء بيت المقـدس،و من زار قبـوركم عـدل ذلـك سـبعين حجه بعـد حجه الإسـلام،و خرج من ذنوبه حـتى يرجع من زيـارتكم كيوم ولـدته أمه.فأبشر،و بشر أوليـاءك و محبيك من النعيم و قره العين، بما لا عين رأت،و لا إذن سـمعت،و لا خطر على قلب بشر،و لكن حثاله من النـاس يعيرون زوار قبوركم،كمـا تعير الزانيه بزناهـا،أولئـك شـرار أمتى،لا تنالهم شـفاعتى،و لا يردون حوضـى» (١). و قال الصادق (ع):«لو ان أحدكم حج دهره،ثم لم يزر الحسـين بن على-عليهما السـلام-، لكان تاركا حقا من حقوق رسول اللّه(ص)،لاـن حق الحسـين عليه السـلام فريضه من اللّه واجبه على كـل مسـلم». و قـال الرضا(ع):«ان لكل إمام عهـدا فى عنق أوليائه و شـيعته،و إن من تمام الوفاء بالعهـد و حسن الاداء زياره قبورهم،فمن زارهم رغبه فى زيارتهم،و تصـديقا بما رغبوا فيه، كان أئمته شـفعاءه يوم القيامه». و الاخبار فى فضل زياره النبى و الأئمه المعصومين،لا سـيما زياره سـيد الشـهداء و أبى الحسـن الرضـا-عليهـم أفضـل التحيه و الثنـاء-،و فضـل زيارتهمـا على الحـج و العمره و الجهـاد،أكـثر من ان تحصـى،و هى مذكوره فى كتب المزار لاصحابنا،فلا حاجه إلى إيرادها هنا.

١- ١) صححنا الحديث على(مستدرك الوسائل):٢-١٩٥-١٩٦،كتاب الحج،١٠،ابواب المزار و ما يناسبه.

فصل (ما ينبغى للزائر عند دخول المدينه المنوره)

و إذا عرفت فضل زيارتهم و سرها،و عظم قدرهم و جلاله شأنهم، فينبغى أن تكثر التواضع و التخضع و الانكسار عند الدخول فى بلادهم، و مراقدهم المنوره،و مشاهدهم المكرمه،و تستحضر فى قلبك عظمتهم و جلالهم،و تعرف عظيم حقهم،و غايه جدهم و سعيهم فى إرشاد الناس و إعلاء كلمه اللّه.

فإذا قربت المدينه المنوره،و وقع بصرك على حيطانها،تذكر أنها البلده التى اختارها اللّه لنبيه(ص)،و جعل إليها هجرته،و انها البلده التى فيها شرع فرائض ربه و سننه،و جاهد عدوه،و اظهر بها دينه،و لم يزل قاطنا بها إلى ان توفاه اللّه،و جعل تربته فيها.

ثم مثل فى نفسك اقدام رسول اللّه(ص)عند ترddاتك فيها،و تذكر أنه ما من موضع قدم تطأه الا و هو موضع قدمه العزيز،فلا تضع قدمك عليه إلا على سكينه و وجل،و كن متذكرا لمشيه و تخطيه فى سككها، و تصور سكينته و وقاره،و خشوعه و تواضعه لعظمه ربه،و ما استودع اللّه فى قلبه من عظيم معرفته و رفعه ذكره،حتى قرنه بذكر نفسه،و انزل عليه كلامه العزيز،و اهبط عليه روح الأمين و سائر ملائكته المقربين، و احبط عمل من هتك حرمته،و لو برفع صوته فوق صوته.ثم تذكر ما من اللّه به على الذين ادركوا صحبته،و سعدوا بمشاهدته و استماع كلامه،و أعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته،و تضرع إلى اللّه ألا تفوتك صحبته فى الآخره، و لتعظم رجاءك فى ذلك،بعد ان رزقك اللّه الايمان،و اشخصك من أرضك لأجل زيارته،محبه له،و تشوقا إليه.

ثم إذا دخلت مسجده،فتذكر أن أول موضع أقيمت فيه فرائض اللّه تلك العرصه،و انها تضمنت أفضل خلق اللّه حيا و ميتا،فارج اللّه غايه الرجاء أن يرحمك بدخولك إياه خاشعا معظما،و ما أجدر ذلك المكان بان يستدعى الخضوع من قلب كل مؤمن.

ثم إذا أتيته للزياره،فينبغى ان تقف بين يديه خاضعا خاشعا خائفا، و تزوره ميتا كما تزوره حيا،و لا تقرب من قبره الا كما تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا،إذ لا فرق بين ميته و حيه،و لو وجدت التفرقه فى قلبك لما كنت مؤمنا،و لتعلم أنه عالم بحضورك و قيامك و زيارتك،و أنه يبلغه سلامك و صلواتك.فمثل صورته الكريمه فى خيالك،جالسا على سرير العظمه بحذائك.و احضر عظيم رتبته فى قلبك،و قد ورد:أن اللّه تعالى و كل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته.و هذا فى حق من لم يحضر قبره،فكيف بمن فارق الأهل و الوطن،و قطع البوادى شوقا إلى لقائه،و اكتفى و قنع بمشاهده مشهده المنور،إذ فاتته مشاهده طلعته البهيه و غرته الكريمه.و قد قال(ص):«من صلى علىّ مره،صليت عليه عشرا».فهذا جزاؤه عليه فى الصلاه عليه بلسانه، فكيف بالحضور لزيارته ببدنه؟ و إذا فرغت من زيارته،فأت المنبر و امسحه بيدك،و خذ برمانيته، و امسح بهما وجهك و عينيك،و تضرع إلى اللّه،و ابتهل إليه،و اسأل حاجتك.و توهم صعود النبى(ص)المنبر،و مثل فى قلبك طلعته البهيه، قائما على المنبر،و قد أحدق به المسلمون من المهاجرين و الأنصار،و هو يحمد اللّه بافصح الكلمات و اللغات و يحث الناس على طاعه اللّه.و اسأل اللّه ألا يفرق فى القيامه بينه و بينك،و يجعلك فى جواره،و يعطيك منزلا فى قرب داره.

ص :۴۰۲

فصل (ما ینبغی للزائر عند دخول النجف و کربلاء)

و إذا دخلت ارض النجف لزیاره أمیر المؤمنین و سید الوصیین(ع)، تذکر انها وادی السلام،و مجمع أرواح المؤمنین،و قد شرفها اللّه و جعلها أشرف البقاع،و جنه المؤمنین،فما من مؤمن خالص إلا و بعد الموت یأتی روحه إلیها،و یتنعم فیها مع سائر المؤمنین،الی ان یدخلوا دار کرامته العظمی فی القیامه الکبری.و قد اکد شرافتها و عظم قدرها، بأن جعلها مدفن وصی رسوله،بعد ان کانت مدفن آدم أبی البشر،و نوح شیخ المرسلین-علیهما السلام-.فاسأل اللّه ان یأتی بروحک إلیها، و یدخلک فی زمره المؤمنین،و یجعلها محل دفنک،لتنال شفاعه مولاک (ع)،و لا یحشرک مع الکفار و العصاه فی وادی برهوت.

و إذا أتیت لزیارته،تذکر عظیم مرتبته عند اللّه و عند رسوله،و راع الآداب التی ذکرناها فی زیاره رسول اللّه(ص).

و إذا أردت أرض کربلاء،لزیاره سید الشهداء(ع)،فتذکر ان هذه الأرض هی التی قتل فیها سبط الرسول و أولاده و اقاربه و اجناده، و أسرت فیها أهالیه و أهل بیته،و فجدد الحزن علی قلبک،و ادخلها أشعث اغبر،منکسر الحال،محزون القلب،کئیبا حزینا باکیا،و احضر فی قلبک حرمه هذه الأرض و شرافتها،فانها الأرض التی فی تربتها الشفاء،و لا یرد فیها الدعاء،و قد یجعلها اللّه یوم القیامه ارفع بقاع الجنه،فتردد فیها علی سکینه و وجل.

ثم إذا دخلت الحائر اللزیاره،و وقع بصرک علی ضریحه المنور،ثم

على ضريح أصحابه المستشهدين معه،المجتمعين فى موضع واحد فى جواره، فمثل فى قلبك اشخاصهم،و تذكر وقائعهم و ما جرى عليهم من البلايا و المحن، و احضر فى نفسك ابا عبد اللّه الحسين(ع)واقفا فى عرصه كربلاء،و يأتى أصحابه واحدا واحدا يستأذن منه للجهاد،قائلا:السلام عليك يا ابا عبد اللّه!و هو يأذن له،و يلقى نفسه فى الميدان على الجم الغفير، فيقتل فى سبيله،و إذا أيس من حياته،ينادى بأعلى صوته:ادركنى يا ابا عبد اللّه!و هو(ع)يسرع إليه كالصقر المنقض،و يأخذ جثته من الميدان،و يلحقه بسائر اخوانه الشهداء.فمثل فى نفسك أمثال ذلك،و جدد عليهم الحزن و البكاء،و تمن كونك معهم فى تلك العرصه،و قل:يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما! ثم راع الآداب الباطنه لزيارته(ع)،و قس على ذلك زياره كل واحد من الأئمه-عليهم السلام-،فانه ينبغى لك ان تستحضر،عند حضورك كل واحد منهم،جلاله شأنه،و عظمه قدره،و عظيم حقه،و تتذكر ما يناسب حاله،و ما جرى عليه،ثم تستشعر فى قلبك ما يترتب عليه، من التعظيم،و الاجلال،و الخوف،و الحزن،و الفرح،و أمثال ذلك.

هذا آخر كتاب(جامع السعادات)و الحمد للّه على اتمامه،و اسأل اللّه ان يجعلنا من العاملين به،و ينفع به جميع عباده السالكين إليه.و قد وقع الفراغ من جمعه و تأليفه،فى سلخ شهر ذى القعده الحرام سنه ست و تسعين و مائه بعد الألف من الهجره النبويه،على مهاجرها الف الف سلام و تحيه.

هذا آخر ما كتبه المصنف(قدس سره)

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذکر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن یتحمل المؤلف مسؤولیۀ العمل.

نشاطات المؤسسۀ:

طبع الکتب والملزمات والدوریات

إقامۀ المسابقات فی مطالعۀ الکتب

إقامۀ المعارض الالکترونیۀ: المعارض الثلاثیۀ الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنۀ الدینیۀ والسیاحیۀ

إنتاج الأفلام الکرتونیۀ والألعاب الکمبیوتریۀ

افتتاح موقع القائمیۀ الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیۀ وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلۀ والاستفسارات الدینیۀ والأخلاقیۀ والاعتقادیۀ والردّ علیها

تصمیم الأجهزۀ الخاصۀ بالمحاسبۀ، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالۀ القصیرۀ ((sms

إقامۀ الدورات التعلیمیۀ الالکترونیۀ لعموم الناس

إقامۀ الدورات الالکترونیۀ لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسۀ وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ۸ أنظمۀ؛

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیۀ للکتاب علی موقع القائمیۀ ویمکن تحمیلها علی الأنظمۀ التالیۀ

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیۀ والانجلیزیۀ والفارسیۀ

الکلمۀ الأخیرۀ

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹